

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِحُكْمِ الْعَلِيِّ

الْعَبَاسُ الْأَكْبَرُ بْنُ أَمِيرِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ بَشَّارَةٌ
إِنَّ لِعَيْتَيِ الْعَبَاسِ دَرَجَةٌ يَفْيَضُهُ بِهَا جَمِيعُ الشَّهَدَاءِ
أَوْرَاقُ زَيْنِ الْعَابِرِ عَلَيْهِ تَهْدِي

تأليف

سماحة آية الله الحق الكبير
الشيخ عبد الواحد المظفر (قدس سره)

الجزء الثاني

موسسة الشيخ المظفر الثقافية موسسة الأعلمي للمطبوعات
العراق - النجف الأشرف بيروت - لبنان

مَسْوِعَةٌ بِصَلَلِ الْخُلُقِيِّ

الْعَبَاسُ الْأَكْبَرُ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا سَلَامٌ

إِنَّ لِعَيْنِ الْعَبَاسِ دَرَجَةً يَفْجَطُهُ بِهَا جَمِيعُ الشَّهَادَاءِ
إِلَّا مَمْزُونٌ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ تَحْمِيلٌ

يتضمن هذا الجزء ولادة العباس الأكبر، وكناه، وألقابه
القديمة وال الحديثة - العامية - وصفاته الخلقتية والخلقية،
وما يناسب ذلك من مكارم العرب، وهذا السفر فلسفلي
علمي من ناحية، وتاريخي أدبي من ناحية أخرى.

تأليف،

سماحة آية الله المحقق الكبير
الشيخ عبد الواحد المظفر (قدس سره)

الجزء الثاني

موسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

موسسة الشيخ المظفر الثقافية
العراق - النجف الأشرف

المكتبة الالكترونية الشاملة
لرفع ونشر الكتب pdf
(ادارة: يوسف الرميمي)

الطبعة الأولى

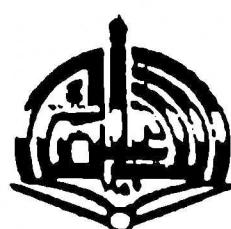
٢٠٠٨ - ٤٦٩

جميع حقوق الطبع محفوظة لمؤسسة المظفر الثقافية في النجف الأشرف ويحظر طبع أو نسخ أو إعادة صنف حروف هذا الكتاب إلا بإذن وموافقة خطية مسبقة من الناشر.

عنوان الناشر: العراق - النجف الأشرف - مؤسسة الشيخ المظفر الثقافية
ثريا (٠٧٨٠١١٢٠٣٩٩) / قال (٠٧٨٠١٢٨٦٢٩٨) (٠٠٨٨٢١٦٦٨٤٨)
(٠٧٧٠٦٨٢٢١٢٥) (٠٧٨٠٨٩٣٨١٦٢)

الموقع على الانترنت:

E-mail: Al-Mudhafar@hotmail.com



طبع على مطابع

Published by Aalami Est.

Beyrut Airport Road

Tel:01/450426 Fax:01/450427

P.O.Box.7120

E-mail:alaalami@yahoo.com

<http://www.alaalami.com>

مؤسسة الاعلامي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب ستر زعور

هاتف: ٠١ / ٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٠١ / ٤٥٠٤٢٧

صندوق بريد: ٧١٢٠

الجزء الثاني

يتضمن هذا الجزء ولادة العباس الأكبر، وكناه، وألقابه القديمة والحديثة - العامية - وصفاته الخلقيّة والخلقية، وما يناسب ذلك من مكارم العرب. وهذا السفر فلسي علمي من ناحية، وتاريخي أدبي من ناحية أخرى.

فعلى ضفاف العلقمي بكربلاء بطل العروبة بدر هاشم قد هو وأبو الأئمة قام يعود نحوه بالسيف صلتاً عندما سقط اللوى ودم البغاة لسيفه الصادي روى نحو المخيم وهو منهـد القوى فـقد الكرام يثير عاصفة الجوى حمراً ولكن فيه تـحسـد نينوى والقبـة الزرقـاء تـجـري أـدمـعاً

المؤلف

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلوة والسلام على محمد وآلـهـ الغـرـ المـيـامـينـ

إنـ الذـاتـ القـائـمةـ بـصـفـاتـهاـ،ـ الرـائـقةـ شـمـائـلـهاـ وـمـزاـياـ ذاتـ العـبـاسـ الـأـكـبـرـ ابنـ أمـيرـ المؤـمـنـينـ عـلـيـ بنـ أـبـيـ طـالـبـ «ـعـلـيـهـماـ السـلامـ»ـ.

ليـعـيـاـ الـبـلـيـغـ الـحـاذـقـ عنـ تـحـدـيدـ أـخـلـاقـهاـ وـصـفـاتـهاـ؛ـ لأنـ الصـفـاتـ التـيـ ضـمـنـهاـ هـيـكـلـهـ الـقـدـسيـ وـاحـتـوـيـ عـلـيـهـاـ قـالـبـهـ الـمـصـفـىـ عـنـ عـامـةـ النـقـائـصـ لـأـنـهـ قدـ اـقـطـعـتـ مـنـ هـيـكـلـ الـعـصـمـةـ الـأـقـدـسـ،ـ وـقـالـبـ الـإـمـامـةـ الـأـزـهـرـ الـذـيـ صـفـاهـ اللهـ فـيـ قـالـبـ الـأـنـوارـ الـقـدـسـيـ وـبـوـتـقـةـ الـأـسـرـارـ الـعـلـوـيـةـ،ـ وـالـغـصـنـ لـاـ شـكـ يـسـتمـدـ مـنـ الدـوـحةـ،ـ وـالـفـرعـ يـتـفـيـعـ بـظـلـ الـجـرـثـومـةـ.

فـعـلـيـ وـصـيـ الرـسـولـ الـأـعـظـمـ وـسـيـدـ أـوصـيـاءـ الـأـنـبـيـاءـ أـدـهـشـ الـعـقـلـاءـ فـيـ صـفـاتـهـ وـمـزاـيـاهـ،ـ وـحـيـرـ الـبـابـ الـمـفـكـرـينـ فـيـ حـالـاتـ فـتـهـاتـ فـيـ طـوـافـ،ـ وـضـلـتـ عـنـهـ آخـرـونـ،ـ وـأـعـتـدـلـ فـيـهـ فـرـيقـ بـيـنـ الـإـفـرـاطـ وـالـتـفـرـيـطـ وـهـمـاـ النـصـبـ وـالـمـغـالـاتـ؛ـ فـالـمـعـتـدـلـونـ الـمـقـتـصـدـونـ فـيـ نـعـتـ حـقـيـقـتـهـ وـتـوـصـيـفـ ذـاـتـهـ وـتـحـدـيدـ شـخـصـيـتـهـ بـمـاـ لـهـ مـنـ مـزاـيـاـ الـكـمـالـاتـ لـيـقـفـونـ مـوـقـفـ الـقـصـورـ وـالـعـجـزـ،ـ فـلـذـاـ يـقـولـ فـيـلـسـوـفـ الـفـقـهـاءـ فـيـهـ:

ماـذـاـ أـقـولـ بـمـنـ حـطـتـ لـهـ قـدـمـ فـيـ مـوـضـعـ وـضـعـ الـرـحـمـنـ يـمـنـاهـ
إـنـ قـلـتـ ذـاـ بـشـرـ فـالـعـقـلـ بـمـنـعـيـ وـأـخـتـشـيـ اللـهـ مـنـ قـوـلـيـ هـوـ اللـهـ
وـيـقـولـ فـقـيـهـ الـفـلـاسـفـةـ فـيـهـ:

تحـيـرـ بـمـعـنـاكـ عـشـرـ الـعـقـولـ وـلـوـلاـ اـبـنـ عـمـكـ كـنـتـ الرـسـولـ
وـلـوـلـاـكـ لـاـ زـوـجـ يـغـشـيـ الـبـتـولـ وـلـوـلـاـ الـغـلـوـ لـكـنـتـ أـقـولـ
جـمـيـعـ صـفـاتـ الـمـهـيـمـيـنـ لـكـ

وـأـبـوـ الـفـضـلـ الـعـبـاسـ الـأـكـبـرـ وـرـاثـ تـلـكـ الشـمـائـلـ الـعـلـوـيـةـ،ـ وـحـائزـ جـلـ تـلـكـ
الـصـفـاتـ الـحـيـدـرـيـةـ؛ـ فـالـبـطـولـةـ وـالـفـصـاحـةـ وـالـعـلـمـ وـالـسـخـاءـ وـالـنـجـدةـ وـالـمـهـاـبـةـ وـالـصـلـاحـ
وـالـتـقـوـيـ وـالـزـهـدـ وـالـبـصـيرـةـ وـقـوـةـ الـإـيمـانـ وـالـجـمـالـ وـالـصـحـابـةـ وـالـقـوـةـ وـالـذـكـاءـ وـمـاـ
سـيـمـرـ عـلـيـكـ مـنـ نـعـوتـ فـانـقـةـ لـخـلـقـهـ وـخـلـقـتـهـ.

فلذلك أفردنا مجلداً خصصناه للبحث عن تلك المزايا اللامعة والصفات الرائعة بحثاً دقيقاً ونقدم أمام كل موضوع منه ما للعرب من الأخلاق الجميلة فإن العرب هم أهل المكارم دون سائر الشعوب خصيصة اختصهم الله بها من بين الأمم فإن الحمية والغيرة والمروة والسخاء والحياء والانفة وأمثال ذلك لا تجدها إلا في العرب وقد صرخ بذلك الخفاجي في (سر الفصاحة) وجميل مدور في (حضارة الإسلام في دار السلام) فإذا قست أخلاق العرب الحميدة إلى أخلاق أبي الفضل العباس ظهرت لك فضيلة بطل العلقمي على من سواه من عرب الجاهلية والإسلام.

وعرفت أيضاً ما لهذه المزايا عند العرب من المكانة المكينة والمحل السامي إذ الأخلاق كلها سواء كانت من الغرائز أو الموهاب أو من المكتسبات بالمساعي هي نوعان: نوع يعد من الفضائل عند جميع البشر كالعلم والشجاعة والذكاء وأمثالها، نوع يعد من فضيلة عند جميع البشر كالعلم والشجاعة والذكاء وأمثالها، نوع هو فضيلة عند العرب خاصة وقد زهد فيه عامة الشعوب كالجود والإباء والحياء والغيرة على الحريم وما شالكها.

والعرب وإن كانوا فطريين في العصر الجاهلي ولكنهم مدنيون في العصر الإسلامي وقد أدركوا بالغرizia الفطرية الأولى في دور الهمجية وبالتعليم الإسلامي ما هو نبيل من الأخلاق عند العقل السليم وعوفوا ما هو شريف في نفسه بالإدراك الجبلي والشعور الفطري وقد ضربوا الأمثال بأفذاذ من رجالهم شهروا ببعض هذه الخصال فجعلوا (حاتماً) الطائي مثلاً للسخاء، و(ملاعب الاسنة) العامري مثلاً للفروسيّة، و(الأحنف) التميمي مثلاً للعفو مما سيمر عليك من أمثالهم فما ظنك بمن جمع هذه المزايا كلها واحتوى على التراث العربي أجمع، فكيف لا يجعله مثلاً للكلمات إذا الفرد الواحد كان مثلاً للخصلة الواحدة.

للمؤلف:

لقد جمع العباس كل فضيلة تزان بها عرب المقاول والعمجم
وآل علي المرتضى خيرة الورى لهم حكمة التبليغ للحق والحكم
سما بمعاليه أبو الفضل واعتلا ألا كل من يحوي صفات العلي يسمو
له الجود والإقدام والحلم والتقوى وقد زانه الإيمان والحكم والعلم
قد كنا خصصنا الجزء الأول لنسب العباس «عليه السلام» ولما طال الكتاب

آخرنا ترجم إخوته غير الحسن والحسين «عليهما السلام» إلى الجزء الثالث^(١) ونحن نذكر الكنى والألقاب والشمائل تفصيلاً راجين من الله تعالى المعونة والتوفيق، آمين.

المؤلف

عبد الواحد ابن الشيخ أحمد آل المظفر النجفي

(١) نقلنا إخوة العباس الأكبر «عليه السلام» إلى آخر الجزء الأول من هذا الكتاب - كما عرفت - حيث موضع تسلسلهم من البحث - الناشر - .

ولادة العباس الأكبر «عليه السلام» ومقدار سنه

اختلف المؤرخون في مقدار سنه:

قال السيد الداودي في عمدة الطالب: قتل العباس «عليه السلام» وله ٣٤ سنة، إنتهى. هذا القول هو المشهور وهو الأصوب إن شاء الله فتكون ولادته «عليه السلام» سنة ٢٦ من الهجرة فيكون سنة عند وفات أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» دون البلوغ؛ لأن البلوغ الشرعي عند الشيعة خمسة عشر عاماً وعند أهل السنة سبعة عشر أو ثمانية عشر، وأجل هذا قال ابن الأثير المؤرخ الشافعي في أسد الغابة في مقتل أمير المؤمنين «عليه السلام» في ذكر ما صنعه الحسن والحسين «عليهما السلام» بعدهما ابن ملجم حيث أحرقوه بالنار وهذا نصه^(١): فأحرقوه بالنار والعباس بن علي «عليهما السلام» يومئذ صغير فلم يستأن به بلوغه، انتهى.

ومثله نقل سبط ابن الجوزي الحنفي في التذكرة^(٢) عن ابن سعد في كتاب الطبقات، وبعارض هذا القول قول من قال إن العباس «عليه السلام» روى عن أبيه وإن شهد صفين محارباً كما نص عليه الخوارزمي في المناقب والقائني في الكبريت الأحمر، وسيجيء ذكر ذلك، وقول الطبرى أن أم البنين والدة العباس «عليه السلام» أول من تزوجها أمير المؤمنين بعد وفاة الزهراء «عليها السلام» كما أنه أكبر أولاد أم البنين، وعليه فيكون والده محمد بن الحنفية.

والجواب عن هذه الأمور كلها سهل: أما تحمل الرواية فإن ذكاء العلوى وفطنته قد أهله للحفظ والضبط والإتقان فيتحمل الرواية وإن كان دون البلوغ، وكذلك أمر الحرب فإن المراهق منهم يكفى البالغين ويتفوق عليهم، وإن أمير المؤمنين يحضر المراهقين من أولاده الحرب وربما حارب المراهق كما ثبت أن محمد بن سعيد بن قيس الهمданى شهد صفين مراهقاً مع أبيه وقاتل يوم الماء وقتل رجالاً واستنقذ بعض أصحابهم وملاً قربة ولما سمع أبوه عنقه ومنعه بعد ذلك أن

(١) الكامل في التاريخ ٤/٣٥.

(٢) تذكرة الخواص: ص ١٠٣.

يشهد حرباً^(١) والعباس الأكبر أشجع من محمد بن سعيد بلا كلام. وأما الولادة فيجوز أن تتأخر ولا ملازمة بين تزويع المرأة وولادتها فإن البكر كثيراً ما يتأخر حملها فتحصل أن المعتمد عندي ما قاله صاحب العدة^(٢). وأما اليوم الذي ولد فيه فلم أجده فيه نصا وإنما ينقل الفاضل المعاصر الشيخ جعفر النقدي في كتابه (زينب الكبرى) عن الفاضل المعاصر الشيخ محمد علي الأرديادي أنه رأى في كتاب فارسي يسمى (أنيس الشيعة) لمؤلفه السيد محمد عبد الحسين ابن السيد محمد عبد الهادي الهندي من معاصر الشاه فتح علي وأهدي له الكتاب سنة ١٣٤٤هـ يذكر أن ولادة العباس الأكبر «عليه السلام» في يوم الجمعة رابع شهر شعبان سنة ٢٦ إلخ^(٣)، وهذا القول إن لم يكن من الخلط بولادة الحسين «عليه السلام» في الثالث من شعبان نهار الجمعة وإن ناقله الأصلي أي الهندي أخذه عن مصدر وثيق فذاك وإلا فالتوقف عندي له وجه لأن معاصر الشاه فتح علي من المتأخرین وهذه الأمور إنما نقلت فيها القدماء ونحفظ لفضيلة الاستاذ الاسترابادي فضيلة الارشاد إلى المصدر وإن كان متأخراً.

نشأة العباس الأكبر وتربيته:

لا شك إنه «عليه السلام» تربى في أحضان الإمامة ونشأ في حجور العصمة، وشبّ مرتضعاً درّ البنوة وشارباً لبان الوحي الإلهي، ونشأ في مدينة النبي طيبة مدينة الوحي عاصمة النبوة لا خلاف في ذلك، إنما هاجر مع أبيه «عليه السلام» إلى العراق مدة خلافته ثم رجع مع أخيه الإمامين «عليهما السلام» وأقام في خدمتها حتى خرج مع أخيه الحسين «عليه السلام» إلى العراق فاستشهد بكرباء.

صفات العباس النفسية وهي الأخلاق:

فال Abbas الأكبر بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» جامعة الفضائل وكلية الكمالات بما أن نفسه الهاشمية منطبعة بمكارم الأخلاق والشميم بحسب فطرتها وأصل خلقتها ولا يشركهم - يعنيبني هاشم - في هذه الفضيلة أحد من الناس وقد أوضح لنا هذه الحقيقة سيدنا وإمامنا السجاد زين العابدين بن الحسين «عليهما السلام» بقوله بخطبته المشهورة في مجلس اللعين يزيد بن معاوية: «أيها الناس! أعطينا ستاً وفضلنا بسبع... إلخ»، والدلالة عليه أيضاً وجداً وشاهدها معها إذا

(١) راجع كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم.

(٢) أي أنه عليه السلام ولد سنة ٢٦ من الهجرة - الناشر - .

(٣) زينب الكبرى: ص ٢٩.

لا يوجد في الهاشميين بخيل ولا جبان ولا عي وان وجد فالعلة من جهة الأمهات، وقد قال معاوية بن أبي سفيان الخصم الألد لبني هاشم (إذا لم يكن الهاشمي جواداً لم يشبه أصله) وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: (نحن أفعى وأسمع وأحمى لما وراء ظهورنا من بني أمية).

فالعباس الشهيد «عليه السلام» من لباب بني هشام وصميم عبد مناف وقد زاده فضلاً على فضله صحبته لأهل الفضائل وخدمته لسادات أرباب المكارم، فقد قضى حياته وأفني عمره في صحبة أكرم الخلق بعد النبي ﷺ شمائلاً وشيماءً، وأفضلهم أخلاقاً ومزاياً، وأكملهم طباعاً وسجاياً، وتزداد المرأة بالجلاء صفاء، والسيف بالصقالة رونقاً؛ فأمير المؤمنين وهو والده الأكرم وأبوه سيد أرباب الفضائل، والحسن والحسين «عليهما السلام» أخواه خير الإخوة وأفضل الأشقاء، وقد شهد لهما رسول الله ﷺ في تشبههما به وهو ﷺ على خلق عظيم فأكتسب العباس بصحبته زبادة على ما في جبلته وفطنته من سجايا الخير وشيم الصلاح ما امتاز به على عامة أرباب الأخلاق الحميدة والصفات الكريمة.

وفي العباس من كرم السجايا كثير ليس يحصر في مقال وفاء نجدة زهد وعلم وإيثار وصدق في المقال عفاف ظاهر حلم وجود وبأس صادق عند النزال

لقد كان من عطف المولى سبحانه وتعالى على وليه المقدس سلالة الخلافة الكبرى سيد الأوصياء أن جمع فيه صفات الجلالات من بأس وشجاعة وإباء ونجدية وخلال الجمال من سردد وكرم ودماثة فيخلق وعطف على الضعيف كل ذلك مع البهجة في المنظر ووضاءة في المحيا من ثغر باسم ووجه طلق تتموج عليه أمواه الحسن ويطفع عليه رواء الجمال، وعلى أسرة جبهته أنوار الإيمان كما كانت تعقب من اعرافه فوائح المجد متأرجحة من طيب العنصر، ولما تطابق فيه الجمالان الصوري والمعنوي قيل له (قمر بني هاشم) حيث كان يشوه بجماله كل جميل، ويبذ بطلاوة منظره كل أحد حتى كأنه الفذ في عالم البهاء، والوحيد في دنياه كالقمر الفائق بنوره أشعة النجوم، وهذا هو حديث الروات: «كان العباس وسيماً جميلاً يركب الفرس المطعم ورجله يخطان في الأرض ويقال له قمر بني هاشم».

كتى العباس بن علي «عليهم السلام»

للعباس أربع كنى أثنتان عرف بهما قديماً وأثنتان عرف بهما حديثاً عرفته بهما العوام؛ فالقديمتان هما أبو القاسم وأبو الفضل كنى بابنيه القاسم والفضل، وهذه الأخيرة هي المشهورة حتى لا يكاد يعرف غيرها، فقيل: إنه كنى بولده الفضل، وقيل: إن كل من تسمى بعباس منبني هاشم كنى بـ(أبي الفضل) كالعباس بن عبد المطلب، والعباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وغيرهما، وهذا القول مقبول لكنى أرى أن هذه الكنية له «عليه السلام» قد اشتقت من فضائله فإنه «عليه السلام» قد توسم فيه سمات الفضل منذ الصغر وزمن الطفولة فلقبوه به، وإليه يشير بعض من رثاه بقوله:

أبا الفضل يامن أسس الفضل والأبا أبى الفضل إلا أن تكون له أبا
فالمتوسّمون لما توسموا في جبينه المشرق سمات الفضل، وظهرت لهم في
لامحه الفضائل على حد ما قيل:

إن الهرال إذا رأيت نمـؤـه أيقنت أن سيصير بدرأ كاماـلاـ
فكونه أبا الفضل عند ظهور تلك الإـمـاراتـ والـدـلـائـلـ، وقد قـيلـ:

قلم العـلـاـ قد خـطـ فوق جـبـينـهـ أـثـرـ النـجـابـةـ سـاطـعـ البرـهـانـ
دلـناـ عـلـىـ ذـلـكـ ما روـاهـ ابنـ الحاجـ المـالـكـيـ فيـ كـتـابـ المـدـخـلـ^(١) عنـ أـبـيـ دـاـودـ
فيـ سـنـهـ عـنـ شـرـيـعـ بـنـ هـانـيـ عـنـ أـبـيهـ أـنـهـ لـمـ وـفـدـ عـلـىـ النـبـيـ ﷺـ فـيـ قـوـمـهـ سـمـعـهـ
يـكـنـونـ بـ(أـبـيـ الـحـكـمـ)ـ فـدـعـاهـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ فـقـالـ:ـ إـنـ اللـهـ هـوـ الـحـكـمـ وـإـلـيـهـ الـحـكـمـ
فـلـمـ تـكـنـيـ أـبـاـ الـحـكـمـ؟ـ فـقـالـ:ـ إـنـ قـوـمـيـ إـذـ اـخـتـلـفـ فـيـ شـيـءـ أـتـوـنيـ فـحـكـمـتـ بـيـنـهـمـ
فـرـضـيـ كـلـاـ الـفـرـيقـيـنـ بـحـكـمـيـ،ـ فـقـالـ لـهـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ:ـ مـاـ أـحـسـنـ هـذـاـ،ـ أـلـخـ؛ـ
فـالـعـبـاسـ «ـعـلـيـهـ السـلـامـ»ـ أـبـوـ الـفـضـلـ وـالـفـضـائـلـ.

أما الكنيةان العاميـتانـ:

فـأـبـوـ فـاضـلـ وـابـنـ الـبـدوـيـةـ؛ـ فـأـبـوـ فـاضـلـ هـوـ أـبـوـ الـفـضـلـ سـوـاءـ،ـ وـأـبـنـ الـبـدوـيـةـ
نظـراـ إـلـىـ أـنـ أـمـ الـعـبـاسـ «ـعـلـيـهـ السـلـامـ»ـ كـانـتـ مـنـ الـعـرـبـ التـيـ تـقـطـنـ الـبـادـيـةـ أـنـفـةـ مـنـ
ذـلـ الـامـصـارـ وـفـرـارـاـ مـنـ هـوـانـ الـحـضـارـةـ الـذـيـ تـأـبـاهـ نـفـوسـ الـعـرـبـ الـأـقـحـاحـ.

وـأـمـاـ كـنـيـتـهـ عـنـهـمـ بـ(أـبـيـ فـرـجـةـ)ـ فـلـيـسـ بـكـنـيـةــ كـمـاـ عـرـفـتــ بـلـ هـيـ لـقـبـ بـصـورـةــ.

الكنية حيث لم تكن للعباس بنت تسمى فرجة وإنما لقبوه بهذا لأنه كان كثيراً ما يفرج عنهم الكربارات إذا توسلوا به إلى الله تعالى وأقسموا عليه بحقه وهذه عندهم من الأمور القطعية وقد جربناها بأنفسنا.

للمؤلف:

كم فرج الله عنا كل معضلة كرامة منه للعباس شبل علي
ورحمة الله خضتنا بفضلهم عند الصعاب وعمّت فيه كل ولي

القاب العباس الأكبر «عليه السلام»

القاب العباس الأكبر «عليه السلام» (سقاء عطاشى كربلاء)

وألقب يعرفه النحويون بأنه ما أشعر ببرقة المسمى أو ضعته، يعنون أنه أكسيبه شهرة في المدح أو الذم، ومثال المشعر بالمدح كجذل الطعان وصياد الفوارس، ومثال المشعر بالذم كالأشنى والأعمش، وهذا في العرب كثير، أما أهل البيت فليس لهم لقب ذم أصلاً إنما ألقابهم للمدح خاصة لأنه لا عيب فيهم في خلق ولا خلق، وقد قال الشاعر:

حبني علياً ولكن وصفه حسن وفعله المرتضى يحلو به الشغف
فتى من الشرف الأعلا له نسبٌ وهل لغير علي يحصل الشرف؟

القاب أبي الفضل العباس «عليه السلام»:

نوعان: قديمة ومستحدثة استحدثها العوام واشتقوها من صفاته وفضائله.
فالألقاب القديمة كثيرة منها ما هو مشهور عند علماء التاريخ والسير ومنها دون ذلك في الشهرة، وتذكر آخر المباحث إن شاء الله.

فأما المشهورة عند النسابين والمؤرخين فهي (السقاء) أو (ساقى عطاشى كربلاء) ويسمى لذلك (أبا قربة)؛ قاله أبو الفرج في المقاتل، والدياري في تاريخ الخميس وغيرها، و(قمر العشيرة) أو قمر بنى هاشم، و(بطل العلقمي) أو بطل المسناة، و(حامل اللواء) أو حامل لواء الحسين «عليه السلام»، و(كبش الكتبة) و(العميد) أو عميد عسكر الحسين «عليه السلام»، و(حامى الظعينة) أو حامي ظعينة كربلاء، وكل هذه الألقاب مشهورة وهو معروف بها، وهي مشتقة من أفعاله الكريمة وصفاته الفائقة.

وحيث أن لكل واحدة من هذه الألقاب اعتبار عظيم عند العرب قدمناها لنذكر مالها من الميزة والاعتبار، فإذا أستوفينا شواهدنا وأكملنا شرحها تفصيلاً ذكرنا بقية الألقاب التي دونها في الشهرة كالطيار وما شاكله من الألقاب العامة، ونسأل الله التوفيق لما يحب والتسديد لما نقول، والمعونة فيما ن ملي في فضل أهل بيت نبيه ﷺ.

يعلم أن جميع هذه الألقاب ممدودة عند الجاهليين والإسلاميين من العرب، بل هي من مفاخرهم والمتصرف بها محبوب لديهم أتمّ المحبة ينظرون إليه بعين التبجيل والاحترام، ويرون مقامه في المفاخر العربية أسمى مقام.

السقاء، أو سقاء عطاشى كربلاء؛

هذا لقب نبيل اختص به أبو الفضل العباس بن علي «عليهما السلام» حتى بلغ من شهرته أنه إذا أطلق أنصرف إلى العباس الأكبر «عليه السلام» وإن شاركه فيه أبوه «عليه السلام» وأسلافه الكرام كما ستعرف ذلك.

والسقاية هي إرواء العطاشى من البشر في حالي السلم وال الحرب، واسفرها سقاية الحرب وهي فضيلة من فضائل الإنسانية وأحد مكارم العرب ومفاخرها العظيمة، وإنها من المآثر الشريفة ولا يفضلها إلا الإسلام وقد قال الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجَةِ وَعِمَارَةَ الْمَسِيْدِ لِلْكَرَامِ كَمَنَ اَمَانَ بِاللهِ﴾^(١) الآية الشريفة، فدللت هذه الآية على كونها من أعظم المفاخر والإيمان بالله أفضل منها، وسبب نزولها على ما ذكر علماء الفريقين السنة والشيعة. وهذا نص فخر الدين الطريحي رحمه الله في مجمع البحرين أن سبب نزولها أنه أجتمع على «عليه السلام» وعمه العباس بن عبد المطلب «رضي الله عنه» وشيبة بن عثمان العبدري، فقال العباس: أنا أفضل لأن سقاية الحاج بيدي، وقال شيبة: أنا أفضل لأن حجاجة البيت بيدي، فقال علي «عليه السلام» أنا أفضل لأنني آمنت قبلكما ثم هاجرت إلى رسول الله ﷺ؛ فنزلت الآية، انتهى. والآية لا تنفي فضيلة السقاية وإنما تثبتها وتثبت أن الإيمان أفضل منها - ولا شك - فإنه أفضل الفضائل ولو لواه ما عظم بلاد الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي.

السقاية قسمان؛

سقاية في السلم وسقاية في الحرب.

والسقاية السلمية نوعان: واجبة وجائزه؛ فالواجبة ما كانت لإحياء النفوس المشرفة على الهلاك من النفوس البشرية المحترمة، والجاززة نوعان: راجحة وهي ما كان القصد فيها إسداء المعروف إلىبني الإنسان بداع التقرب إلى الله تعالى في فعل الخير، ومرجوحة وهي ما كان القصد بها طلب الدنيا من نيل مال أو حصول سمعة. ومن القسم الأول سقاية العباس الأكبر «عليه السلام» لعطاشى كربلاء، وسقاية أبيه

أمير المؤمنين «عليه السلام» لعطاشى الصحابة يوم بدر كما يأتي تفصيل ذلك، ومن القسم الثاني سقاية أسلاف العباس «عليه السلام» حسبما يظهره ذلك الشرح الآتى.

ثم إن السقاية بأنواعها لا تقع إلا بفعل الرجل بنفسه مباشرة بيد أو قول؛ أما المباشرة اليدوية فهي أن يستقي بنفسه ويحمل الماء، أو يحمي أصحابه من الأعداء فيستقون، وأما القولية فهي أن يطلب فيعطي، أو يدعوه فيجاب، ويفرق بينهما فيقال في اليدوية السقاية، وفي القولية استسقاء لأنه يدعو ويستمطر فتمطر بداعه، أو يدعو فينبع الماء من حجر ومن تحت أخمصه أو خف ناقته كرامة له كما كان ذلك من فحص النبي إسماعيل «عليه السلام» برجله فنبعث زمم وانبعثت ناقة عبد المطلب ونبع الماء من تحت خفها وجرى من ذلك لنبينا محمد ﷺ الكثير، وجميع هذه الانواع من السقاية تختص ببني هاشم دون سائر العرب وقريش، وبعضها تراث أبيهم إسماعيل وجدهم قصي حازوه دون القبائل والبقية خصوصة خصمهم الله تعالى بها.

فالسقاية:

على جهة السماح في بذل الأموال الطائلة على إرواء الظماء كرماً وجوداً فقصة تسلسلها في بني هاشم معروفة فإنها من مؤسسات قصي بن كلاب ثم ورثها ابنه عبد مناف بن قصي، ثم ابنه هاشم بن عبد مناف، ولما مات هاشم كان ابنه عبد المطلب صغيراً عند أخواله فقام بها عممه المطلب ابن عبد مناف حتى كبر فسلمها إليه وظهرت لعبد المطلب سقاية أعظم منها خصوصية خصه الله بها فأظهر له زمم، وهذه الكرامة لا يدعها مدع غير بني هاشم إلى يوم القيمة، ولما توفي عبد المطلب قام بها ابنه أبو طالب وبعد صارت للعباس بن عبد المطلب وزعم بعضهم أن أبا طالب سلمها لأخيه العباس كرامة أكرمه بها ثم ملكها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة، وهنا اختلف المؤرخون فقيل: إن رسول الله ﷺ ردتها إلى عمه العباس . وهو الصحيح . وقيل: تداولها الخلفاء بعده حتى رجعت إلى بني العباس في خلافتهم وهذا قول غير سديد لما علم أن رسول الله ﷺ أقر كل مأثرة عربية لا تنافي الإسلام في صاحبها وقال: نحن أولى بالوفاء، فأعاد مفتاح الكعبة إلى بني شيبة وعاد السقاية إلى العباس، وكذلك من المعلوم أن رسول الله ﷺ لا يدفع مكرمة لبني هاشم لغيرهم.

أما الاستسقاء في الجدب:

إذا أخلفت السحب وظننت السماء بالمطر وفات الأرض طيب القطر، وهذا نوع شريف ومأثرة كريمة تظهر بها كرامة المستقى وفضيلة الطالب له حيث أن الله

تعالى يغيث العالم بدعوته ويحيي ميت البلاد ببركته وهو قد خص بنبي هاشم دون قريش وسائر العرب، فقد استسقى العرب بعد المطلب وابي طالب في عصر الجاهلية وبرسول الله ﷺ في مقامات عديدة في الإسلام ولو لا أنها من خصوصيات بنبي هاشم ما استسقى عمر بن الخطاب وهو الخليفة في وقته بالعباس بن عبد المطلب، واستسقى الصحابة بالحسن والحسين «عليهما السلام»، واستسقاءات مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» معلومة.

والنوع الآخر من السقاية السلمية:

هو ظهور الماء على طريق المعجزة والكرامة وذاك مما لا يستریب فيه أحد أنه من خصائص بنبي هاشم؛ فقد نبع الماء من خفت ناقة عبد المطلب مرتين، ونبعت عين ماء لرسول الله ﷺ شرب منها عمّه أبو طالب لما عطش بسوق ذي المجاز، ونبعت العين من تحت الصخرة لأمير المؤمنين «عليه السلام» في مسيرة إلى صفين وغير ذلك مما رواه ثقاه العلماء.

أما السقاية الحربية:

فهي أيضاً من خصائص بنبي هاشم ومفاخرهم فأصبحت فضيلة لآل عبد المطلب ومكرمة لهم دون الناس أجمعين؛ فقد سقى أمير المؤمنين «عليه السلام» جيش رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم الحديبية وقد خاف المسلمون من الدنو إلى القليبين، وما ذكره بعض المؤرخين أن رجلاً من أسلم نزل القليب في الحديبية - فلو صح - فلا ينافي كون الساقي أمير المؤمنين «عليه السلام» وهذا هو الممتاح بحمايته له، وسقاهم رسول الله ﷺ في تبوك من وشل نزر ثماد وقد أشرفوا على الهلكة وببركته عاد بحراً لا ينزع ماؤه كما عاد ماء بئر بضاعة الوشن بحراً لما بصدق فيه، وسقى الحسين «عليه السلام» جيش أهل العراق بصفين وقد ملك عليهم معاوية وأهل الشام شريعة الفرات، وسقى أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين «عليهم السلام» جيش الحسين «عليه السلام» وقد ملك عليهم عمر بن سعد شرائع الفرات يوم كربلاء، وما اجملناه هنا يقتضي تفصيلاً وإيراد الشواهد التاريخية.

سقاية الحاج وتشريعها:

شرع هذه السقاية قصي بن كلاب لما ملك مكة ونفى عنها خزاعة وكنانة.
قال البرهان الحلبي في سيرته^(١): كان قصي أول رجل من بنى كنانة أصاب

ملكاً ولما حضر الحج قال لقريش: قد حضر الحج وقد سمعت العرب بما صنعتم وهم لكم معظمون، ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام فليخرج كل رجل من ماله خرجاً؛ ففعلوا فجمع من ذلك شيئاً كثيراً، فلما جاء أوائل الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزوراً، ونحر بمكة وجعل الثريد واللحم، وسقى الماء على الزبيب، وسقى اللبن، وهو أول من أوقد النار بمزدلفة ليراها الناس من عرفة ليلة النفر، انتهى. ومثله ذكر ابن واضح في تاريخه^(١).

وفي سيرة ابن هشام^(٢): قال ابن إسحاق: إن قصيأً فرض على قريش فقال لهم حين أمرهم: يامعشر قريش! إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم، وإن الحجاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق ضيف بالكرامة؛ فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يصدروا عنكم؛ ففعلوا.

انتقال السقاية إلى عبد مناف؛

وهنا يختلف المؤرخون في سبب انتقالها: فإن إسحاق ومن وافقه يذكر أن عبد مناف أخذها قهراً من أخيه عبد الدار وكان عبد مناف قد شرف في عهد أبيه قصي وقصر عنه عبد الدار وكان أكبر ولد قصي وأحبهم إليه فأراد أن يلحقه بعد مناف فأعطاه الندوة واللواء والحجابة والسقاية والرفادة فثار عليه إخوته بعد موت أبيهم فأخذوا منه بعضها، وهنا أنقسمت قريش بقسمين: فعرف حلفاءبني عبد مناف بالمطبيين ما عرف عبد الدار بلعقة الدم في قصة منعنا طولها من إيرادها فأطلبها من سيرة ابن هشام^(٣)، ويذهب فريق من المؤرخين أن عبد مناف حازها في حياة أبيه^(٤).

انتقال السقاية من عبد مناف إلى ابنه هاشم وحفيده عبد المطلب؛

في السيرة الهشامية^(٥): قال ابن إسحاق: فولي الرفادة والسقاية هاشم بن عبد مناف وذلك أن عبد شمس كان رجلاً سقاراً قلماً يقيم بمكة وكان مقللاً ذو ولد، وكان هاشم مسيراً وكان فيما يزعمون إذا حضر الحج قام في قريش فقال: يامعشر قريش! إنكم جيران الله وأهل بيته وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته وهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه فأجمعوا لهم مالاً تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة لها، والله لو كان

(١) سيرة ابن هشام ١/١٢٢.

(٢) تاریخ الیعقوبی ١/١٩٧.

(٣) راجع: سيرة الحلبي وغيره.

(٤) سيرة ابن هشام ١/١٢١.

(٥) سيرة ابن هشام ١/١٢٧.

مالي يتسع لذلك ما كلفتموه، فيخرجون لذلك خرجاً من أموالهم كل أمرئ بقدر ما
عنه فيصنع للحجاج به طعاماً حتى يصدروا منها.

[وقال:]^(١) قال ابن إسحاق: ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من أرض الشام تاجراً فولي السقاية والرفادة بعده المطلب بن عبد مناف وكان أصغر من عبد شمس وهاشم وكان ذا شرف في قومه وفضل، وكانت قريش تسميه الفيض لسماحته وفضله، وذكر^(٢) أن بعض العرب رثاه حين توفي بقوله: قد ظمأ الحجيج بعد المطلب بعد الجفان والشراب المنشعب قال ابن إسحاق: ثم ولـي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب فأقامها للناس.

وذكر الجاحظ في رسائله وعنده ابن أبي الحديد بلفظة^(٣): إن أبا عثمان الجاحظ قال: إن أشرف خصال قريش في الجاهلية اللواء والندوة والسقاية والرفادة وزمزم والحجابة، وهذه الخصال مقسمة بينبني هاشم وبني عبد الدار دونبني عبد شمس.

وقال : إن معظم ذلك صار شرفه في الإسلام إلىبني هاشم لأن النبي ﷺ لما ملك مكة صار مفتاح الكعبة بيده فدفعه إلى عثمان ابن طلحة فالشرف راجع إلى من ملك المفتاح لا إلى من دفع إليه ، وكذلك دفع اللواء إلى مصعب بن عمير فالذى دفع إليه اللواء وأخذه مصعب من يديه أحق بشرفه وأولى بمجده ، وشرفه راجع إلى رهطه من بنى هاشم .

قال: وكان محمد بن عيسى المخزومي أميراً على اليمن فهجاه ابن أبي مدلج فقال:

قل لابن عيسى المستغيث
الناطق العوراء في
ولد المغيرة تسعه
وأبوك عاشرهم كما
إن النبوة والخلافة
في غيركم فأكفف إليك
من السهولة بالوعوره
جل الامور بلا بصيره
كانوا صناديده العشيره
نبتت مع النخل الشعيره
والسقاية والمشوره
يداً مجذمة قصيره

٢) سیرۃ ابن هشام / ١٣٥

(١) سیرۃ ابن هشام / ۱۲۸

٤٥٣ / ٣) شرح نهج البلاغة

قال: فانبرى له رجل من ولد كريز بن حبيب بن عبد شمس كان مع محمد بن عيسى باليمن يهجو عنه ابن مدلع في كلمة له طويلة يقول فيها:

لَا لَوَاءِ يَعْدِي بَنَ كَرِيزَ لَا وَلَا رَفِدَ بَيْتَهُ ذِي الْسَّنَاءِ
لَا حِجَابَ وَلَيْسَ فِيْكُمْ سُوَى الْكَبْرِ وَيَغْضُبُ النَّبِيُّ وَالشَّهَدَاءِ
بَيْنَ حَاكَ مَخْلُجَ وَطَرِيدَ وَقَتِيلَ يَلْعَنُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ
وَلَهُمْ زَمْزُمَ وَجَبَرَائِيلَ وَمَجْدُ السَّقَايَةِ الْغَرَاءِ

قال أبو عثمان: فالشهداء علي وحمزة وجعفر، والحاكي والمخلج هو الحكم ابن أبي العاص كان يحكى مشية رسول الله ﷺ فألفت يوماً فرآه عليه فلم يزل مخلج المشية عقوبة من الله، والطريد اثنان: الحكم بن أبي العاص ومعاوية بن المغيرة وهما جداً عبد الملك بن مروان من قبل أبيه وأمه، وكان النبي ﷺ طرد معاوية بن المغيرة هذا وأجله ثلاثة فحيره الله ولم يزل يتربّد في ضلاله حتى بعث في اثره علياً وعماراً فقتلاه، انتهى^(١).

قال مفتى الشافعية زيني دحلان في سيرته بعد ذكر التساجر بينبني عبد مناف وبني عبد الدار لفظه^(٢): أما الرفادة وهي إطعام الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا فإن قريشاً كانت زمن قصي تخرج من أموالها في كل موسم فتدفعه إلى قصي فيصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد، ثم قام بذلك بعد قصي ابنه عبد مناف ثم ابنه هاشم ثم ابنه عبد المطلب ثم ابنه أبو طالب ثم أخيه العباس، وأستمر ذلك إلى زمنه رض وزمن الخلفاء من بعده إلى أن انقرضت الخلافة من بغداد ومصر.

وأما السقاية فقام بها أيضاً عبد مناف ثم ابنه هاشم ثم ابنه المطلب ثم لما كبر عبد المطلب فوض عمه المطلب السقاية إليه، ولما مات المطلب وثبت أخيه نوبل ابن عبد مناف على ابن أخيه عبد المطلب وذكر قصة تركناها لطولها وهي مذكورة في كتابنا الميزان الراجح^(٣) في ترجمة عبد المطلب.

قال^(٤): ثم قام بها أبو طالب ثم انتقلت إلى أخيه العباس وذكر سبباً هو إملاق أبي طالب وهو سبب واهي لم تنتقل السقاية للعباس إلا بعد موت أبي

(١) انظر مما في رسائل الجاحظ: ص ٦٧.

(٢) سيرة زيني دحلان هامش السيرة الحلبية ١٨/١.

(٣) الميزان الراجح في علم الرجال - مخطوط - للمؤلف - الناشر - .

(٤) سيرة زيني دحلان هامش السيرة الحلبية ١٩/١.

طالب ولا يسعنا نقل النصوص خوف التطويل.

أما السقاية القولية:

وهي الاستسقاء بالدعاء فقد جعله الله تعالى من خصوصيات بنى هاشم كرامة أكرمهم بها، وأول من أستسقى به العرب عند الجدب منهم فسقاها الله به كرامة لرسول الله ﷺ عبد المطلب بن هاشم، ذكر الدياري بكري في تاريخ الخميس^(١) والحلبي في إنسان العيون^(٢) والسيرة الدخلانية على هامشها^(٣) عن رقيقة بنت أبي صيفي ابن هاشم بن عبد مناف وهي زوجة عبد المطلب - ولفظ الأخير - قيل : أدركت الإسلام ولها صحبة ، قالت : تتابعت على قريش سنون ذهبت بالأموال فأشفين على الأنفس ، فسمعت قائلاً يقول في المنام : يامعشر قريش ! إن هذا النبي المبعوث فيكم هذا أوان خروجه وإنه يأتيكم الحياة والخصب فأنظروا رجلاً من أوسطكم - أي أشرفكم - نسباً طوالاً عظاماً أبيض ، مقرنون الحاجبين ، أهدب الأشفار ، أسيل الخدين ، رقيق العرنين فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فيتظهروا ويتطيبوا ثم أستلموا الركن ثم ارقوا إلى رأس أبي قبيس ثم يتقدم هذا الرجل يستسقي لكم وأنتم تؤمنون فإنكم تسقون.

فأصبحت وقصت رؤياها عليهم ، فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب ، فأجتمعوا عليه وأخرجوا من كل بطن رجلاً وفعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبي قبيس ومعهم النبي ﷺ - وهو غلام - فتقدما عبد المطلب وقال : اللهم إن هؤلاء عبيدك وإمائوك وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر فأشففت على الانفس فأذهب عنا الجدب واتنا بالحياة والخصب ، مما برحوا حتى سالت الأودية ، قالت : وسمعت شيخان قريش وهم يقولون لعبد المطلب : هنئاً لك يا أبا البطحاء .

وفي هذه القصة تقول رقيقة :

بشيبة الحمد أسفى الله بلدتنا وقد عدمنا الحياة والجود والمطر
فجاء بالماء جوداً نوءه سبل دان فعاشت به الأنعام والشجر
مناً من الله بالميمن طائره وخير من بشرت حقاً به مضر
مبارك الاسم يستنقى الغمام به ما في الأنام له عدل ولا خطر

(١) تاريخ الخميس ١ / ٢٧٠ . (٢) السيرة الحلية ١ / ٣٣ .

(٣) سيرة زيني دحلان هامش السيرة الحلية ١ / ٧٣ .

ولما سقوا لم يصل المطر إلى بلاد قيس ومضر فأجتمع عظماً لهم وقالوا: قد أصبحنا في جهد وجدب وقد سقى الله الناس بعد المطلب فأقصدوه لعله يسأل الله فيكم، فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام، فقال لهم: أفلحت الوجوه، فقام خطيبهم فقال: قد أصابتنا سنون مجده و قد بأن لنا اثرك وصح عندنا خبرك فأشفع لنا عند من شفعك وأجرى الغمام لك.

قال عبد المطلب: سمعاً وطاعة، موعدكم غداً عرفات، ثم أصبح غاديأ إليها وخرج معه الناس وأولاده ومعه رسول الله ﷺ - وهو صغير - فنصب لعبد المطلب كرسي فجلس عليه وأخذ رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يده وقال: اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف، رب الأرباب وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر وقد تشعثت رؤوسها وحدبت ظهورها تشكون إلـيـك شـدـةـ الـهـزـالـ وـذـهـابـ النـفـوسـ وـالأـمـوـالـ، اللـهـمـ فـأـتـحـ لـهـمـ سـحـابـاـ خـوارـةـ وـسـمـاءـ خـراـرـةـ لـتـضـحـكـ أـرـضـهـمـ وـيـزـوـلـ ضـرـهـمـ؛ـ فـمـاـ أـسـتـمـ كـلـامـهـ حـتـىـ أـنـشـأـتـ سـحـابـةـ وـكـفـاءـ لـهـاـ دـوـيـ وـقـصـدـتـ نـحـوـ بـلـادـهـمـ،ـ فـقـالـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ:ـ يـاـ مـعـشـرـ قـيـسـ وـمـضـرـ!ـ أـنـصـرـفـواـ فـقـدـ سـقـيـتـمـ،ـ فـرـجـعـواـ وـقـدـ سـُـقـواـ.

الاستسقاء بابي طالب «عليه السلام»

كل ذلك ببركة النبي ﷺ وينتهي، ذكر من قدمنا ذكرهم جميعاً ولفظ الحلبـيـ: واستسقى أبو طالب برسول الله ﷺ قال جلهمة بن عرفطة: قدمت مكة وقريش في قحط فسائل منهم يقول: اعتمدوا اللات والعزى، وأخر يقول: اعتمدوا مناةـ الثلاثـةـ،ـ فـقـالـ شـيـخـ وـسـيـمـ حـسـنـ الـوـجـهـ جـيدـ الرـأـيـ:ـ أـنـىـ تـؤـفـكـونـ وـفـيـكـمـ باـقـيـةـ إـبـراهـيمـ وـسـلـالـةـ إـسـمـاعـيلـ،ـ فـقـالـواـ:ـ كـأـنـكـ تـعـنـيـ أـبـاـ طـالـبـ،ـ فـقـالـ:ـ إـلـيـهاـ،ـ فـقـامـواـ بـأـجـمـعـهـمـ وـقـمـتـ مـعـهـمـ فـدـقـقـنـاـ عـلـيـهـ بـابـهـ فـخـرـجـ إـلـيـنـاـ رـجـلـ حـسـنـ الـوـجـهـ عـلـيـهـ إـزارـ قدـ أـتـشـحـ بـهـ،ـ فـتـارـوـاـ إـلـيـهـ -ـ أـيـ قـامـواـ -ـ إـلـيـهـ فـقـالـواـ:ـ يـاـ أـبـاـ طـالـبـ!ـ قـحـطـ الـوـادـيـ وـأـجـدـبـ الـعـيـالـ فـهـلـمـ فـأـسـقـيـ لـنـاـ،ـ فـخـرـجـ أـبـوـ طـالـبـ وـمـعـهـ غـلامـ كـأـنـهـ شـمـسـ دـجـنـةـ تـجـلتـ عـنـهـ سـحـابـةـ قـتـماءـ،ـ وـحـولـهـ أـغـلـيـمـةـ فـأـخـذـهـ أـبـوـ طـالـبـ فـأـلـصـقـ ظـهـرـهـ بـالـكـعـبـةـ وـلـاـذـ بـأـصـبـعـهـ وـبـصـبـصـتـ الـأـغـلـيـمـةـ حـوـلـهـ وـمـاـ فـيـ السـمـاءـ قـزـعـةـ مـنـ سـحـابـ فأـقـبـلـ السـحـابـ مـنـ هـاـهـنـاـ وـهـاـهـنـاـ وـأـغـدـوـدـقـ وـأـنـفـجـرـ لـهـ الـوـادـيـ وـأـخـصـبـ النـادـيـ وـالـبـادـيـ،ـ وـفـيـ ذـلـكـ يـقـولـ أـبـوـ طـالـبـ:

وـأـبـيـضـ يـسـتـسـقـيـ الـغـمـامـ بـوـجـهـ ثـمـالـيـتـامـيـ عـصـمـةـ لـلـأـرـامـلـ

إنتهى، والأغlimة المشار إليهم مع رسول الله ﷺ الذي عبر عنه بالغلام إنما هم ولد أبي طالب علي وعمر وإخوتهما .
الاستسقاء برسول الله ﷺ :

فكثير جداً وخذ هذه القصة تيمناً، ذكر الماوردي الشافعي في أعلام النبوة^(١) عن أنس بن مالك قال: أتى أعرابي^(٢) إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله! أتيناك وما لنا بغير ينط ولا صبي يصطبح، ثم أنسد:

أتيتك والعذراء يدمى لبانها وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقي بكنيته الصبي استكانة من الجوع ضعفاً ما يمر وما يحل
لو لا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام رسول الله ﷺ يجر ردائه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (اللهم أسكننا غيتاً مغيناً سحراً مطبقاً غير رأي ثبت به الزرع وتملاً به الفرع وتحبي به الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون)، فما استتم الدعاء حتى التفت السماء بأروقتها فجاء أهل البطانة يضجون يارسول الله الغرق، فقال: حوالينا لا علينا، فانجذب السحاب عن المدينة كالأكاليل، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: الله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه، من الذي ينشدنا شعره؟

قال علي بن أبي طالب «عليه السلام»: يارسول الله! كأنك أردت قوله:
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمالي يتامى عصمة للأرامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم كذبتم وبيت الله نبزى محمداً
ونسلمه حتى نصرع حوله وقام رجل من كانة وأنسد:

لك الحمد والحمد من شكر سقينا بوجه النبي المطر
دعى الله خالقه دعوة وأشخاص معها إليه البصر
فلم يك إلا كألقى الرداء دفاق العزالى جم البعاق
أغاث به الله علينا مضر

(٢) يذكر غير الماوردي إنه ليد الشاعر.

(١) أعلام النبوة: ص ٧٧.

وكان كما قاله عمه أبو طالب أبيض ذو غرر
بـه الله يـسـقـي صـورـ الغـمـامـ وهذا العـيـانـ لـذـاكـ الـخـبـرـ
فـقـالـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ: إـنـ يـكـ شـاعـرـ مـحـسـنـ فـقـدـ أـحـسـنـ، اـنـتـهـيـ.

الاستسقاء بعلي والحسين «عليهم السلام»

الاستسقاء بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»:

كثير أيام خلافته، ويكفيك أدعيته في الاستسقاء التي رواها الصدوق «رحمه الله» في الفقيه^(١) والرضي الموسوي «رحمه الله» في نهج البلاغة ولو لا طولها لأوردتها فإنها آية من آيات البلاغة ومعجزة من معجزات الإبابة والإفصاح.

الاستسقاء بالحسن والحسين «عليهما السلام»:

روى الصدوق (رحمه الله) في الفقيه^(٢) قال: جاء قوم من أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» فقالوا: يا أمير المؤمنين! أدع لنا بدعوات في الاستسقاء، فدعا على «عليه السلام» بالحسن والحسين «عليهما السلام» فقال: يا حسن! أدع، فقال الحسن «عليه السلام»: (اللهم هيئ لنا السحاب بفتح الأبواب بماء عباب ورباب بأنصباب وأنسكاب وأسكننا مطبقة معدقة مونقة أفتح أغلاقها وسهل إطلاقها وعجل سياقها بالأندية في الأروية بصوب الماء ياوهاب أسكننا مطراً قطرأً مطلاً طبقاً مطبقاً عاماً عمماً رشاً مرساً واسعاً كافياً عاجلاً طيباً مباركاً سلاطح بلاطح يناطح الأباطح مغدوقاً مطبقاً أميناً).

ثم قال للحسين «عليه السلام»: أدع، فقال الحسين «عليه السلام»: (اللهم معطي الخيرات من مظانها ومنزل الرحمات من معادنها وجري البركات على أهلها منك الغيث وأنت الغيث المستغاث ونحن الخاطئون وأهل الذنب وأنت الغفار لا إله إلا أنت أرسل السماء علينا ديمة مدرارا وأسكننا الغيث واكتفينا مغزراً غيثاً مغيثاً واسعاً مسبغاً طلاً مريثاً مريعاً غدقاً معدقاً عباباً مجلجلاً واضحاً ضحضاً بسساً مسبلاً عاماً ودقماً مطفاحاً ندفع الودق بالودق دفاعاً، ونطلع القطر منه غير خلب البرق ولا مكذب الرعد تنعش به الضعيف من عبادك وتحيي به الميت من بلادك منه علينا منك آمين رب العالمين) فما أتم كلامه حتى صبَّ الله الماء صباً، انتهى.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ص ١٠٥.

(١) من لا يحضره الفقيه: ص ١٠٦.

زاد ملا عبد الله في (مقتل العوالم)^(١): فأقبل أعرابي من نواحي الكوفة فقال: تركت الأودية والأكام يموج بعضها في بعض، إنتهى ولكن ذكرها للحسين «عليه السلام» خاصة.

الاستسقاء بالعباس بن عبد المطلب

من أراد أن يعرف فضيلة الشخص فيلنظر إلى أثره فإن الإمام الذي يستسقى به الناس ويستغث في رعيته أولى بمنصب الإمامة ممن يستسقى برعيته ويستغث بهم، لا أحسب صاحب الانصاف لا يميز هذا وقد عرفت أن علياً وأبنيه «عليهم السلام» أستغاث بهم الناس فأغيثوا وأستسقوا بهم فسُقوا، وهذا عمر بن الخطاب وهو الخليفة والإمام تفزع الناس إليه وتستغث به فيفزع إلى رجل قد شمله يمنهم وبركتهم مستغثيا به وهو العباس عم النبي ﷺ وهذه القصة مشهورة نقلها عامة المحدثين من أهل السنة وذكرها الحافظ الهيثمي الشافعى في الصواعق المحرقة والمحب الطبرى الشافعى في ذخائر العقبى والماوردي الشافعى في أعلام النبوة وهذا نصه^(٢): ومن أعلام ﷺ ما أظهره الله من كرامته في عمه العباس حين استسقى به عمر متوسلاً إليه بعمه فخرج يستسقى به وقد أجدب الناس فقال: اللهم إني أتقرب إليك بعم نبيك وبقيه آبائه وكبير رجاله فأحفظ اللهم نبيك في عمه فقد دلونا به إليك مستشفعين به إليك مستغفرين.

قال العباس وعيناه تنضحان: (اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وأرتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم فأغاثهم بغياثك من قبل أن يقتنطوا فيهملوكوا فإنه لا ييأس من روحك إلا القوم الكافرون)، فنشأت السحاب وهطلت السماء فطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه ويقولون هنيئاً لك ساقى الحرمين، وقال حسان بن ثابت:

سأل الخليفة إذ تتابع جدينا فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبي وصنوا والده الذي ورث النبي بذلك دون الناس
أحيا به الله البلاد فأصبحت مخضرة الأجناب بعد اليأس

وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب يفخر بذلك:
بعضي سقى الله الحجاز وأهله عشية يستسقى بشيبته عمر

.٧٨) أعلام النبوة: ص ١٥.

(١) مقتل عوالم العلوم: ص ١٥.

توسل بالعباس في الجدب راغباً فما كر حق جاء بالديمة المطر إنتهى، وهي واردة من طرقنا أيضاً وإن أردتها فأطلبتها من (من لا يحضره الفقيه) للصدوق القمي^(١) وهذا الاستسقاء إنما كان بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وأولاده حقيقة بالعباس صورة ففي بعض طرق الحديث الذي رواه الحافظ ابن عساكر الشافعي في تاريخ الشام^(٢) وهو نص لمن ترك نص لمن ترك المجازفة وجانب المكابرة ولفظه عن جابر: إن السنة أصابت أهل المدينة سنة الرمادة استسقوا ثلث مرات فلم يسقو، فقال عمر: لاستسقين غداً بمن يسقينا الله به فأخذ الناس يقولون: بعلي بحسن بحسين، فأرسل إلىبني هاشم أن تطهروا وألبسو من صالح ثيابكم وخرج إلى العباس فدق عليه الباب فلما أجتمع بنوا هاشم عنده طيبهم ثم خرج العباس وعلي «عليهما السلام» أمامة والحسن «عليه السلام» عن يمينه والحسين «عليه السلام» عن يساره وبنو هاشم خلف ظهره، فقال عمر: لا تخلط بنا غيرنا ثم أتى المصلى فوقف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (اللهم إنك خلقتنا ولم تؤمرنا وعلمت ما نحن عاملون فلم يمنعك علمك فيما عن رزقنا اللهم فكما تفضلت علينا في أوله فتفضل علينا في آخره)، فما برحنا حتى سحت السماء علينا سحراً، بما وصلنا إلى منازلنا إلا خوضاً، فقال العباس: أنا ابن المسمى - كررها خمس مرات^(٣) -.

فقيل لموسى بن جعفر «عليه السلام» كيف ذاك؟ قال: استسقى فسيقي عام الرمادة، واستسقى عبد المطلب فسيقي زمزم فناافسته قريش فقالوا أئذن لنا فيها فأبى حكاموه إلى راهب إيليا فلما كان في الطريق قال للقرشيين: أُسقونا؟ فأبوا فركب راحلته فلما نهضت انبعثت من تحت خفها عين فشرب وسقاهم فقالوا: إن الذي أُسقاك في الفلاة هو الذي أُسقاك زمزم فأرجع فلا خصومة لنا معك.

وكان له أرض بالطائف فغلبه عليها بنو ذباب وبنو كلاب ثم غلبهم عليها فحاكموه إلى سطيع الكاهن فلما كان بالطريق استسقى بنى كلاب وبنى ذباب فلم يسقوه وقالوا: موتوا عطشاً فركب راحلته وخرج فأنبعثت له عين ماء فرجع إليه أصحابه فشربوا وشرب معهم بنو كلاب وبنو ذباب بعدما أراقوا ماءهم معهم

(١) من لا يحضره الفقيه: ص ١٠٧. (٢) تاريخ دمشق ٣٤٧/٧.

(٣) سقى عبد المطلب خمساً هي: زمزم، والعين في مخاصة قريش له في زمزم، والعين في مخاصة حرب بن أمية له، واستسقى لقرش، واستسقى لقيس بهذه خمس مرات فصلها التاريخ. (المؤلف).

ثم رحلوا إلى سطح فقلت بنو ذباب: ما ندرى أصادق فيما يقضى بيننا، فخباً
رجل منهم ساق جراة فلما قدموا عليه قال الرجل: إني خبات لك خبيئاً فما هو؟
قال: ظهره كالفار طار فأستطار وساق كالمنشار، ألق ما في يدك فألقى ساق
جراة وخباً رجل منهم تمرة وقال: خبات لك خبيئة، فقال: طال فبسق وأينع
فاطعم ألق التمرة، وخباً له آخر رأس جراة خرزها في مزادة فعلقتها في عنق كلب
يقال له يسار فقال: خبات لك فما هو؟ قال: رأس جراة خرزت في مزادة في
عنق كلبك يسار ثم اختصموا إليه فقضى عبد المطلب بالمال فغرموا عبد المطلب
مائة ناقة وغرموا السطح مائة ناقة فقدم عبد المطلب فأستعار قدراً فنحر وأطعم
الناس حوله ثم أرسل إلى جبال مكة فنحر فأكلته السبع والطير والناس، والخامسة
أسقى الله إسماعيل زمزم الخ، وذكر أشعاراً قيلت في مدح العباس.

ومن تدبر القضايا وتبحر فيها علم أن الاستسقاء كان بعلي وابنيه الحسن
والحسين «عليهم السلام» ولكن السياسة العمرية أبت إلا عجرافية وأنحرافاً فناتت
الأمر بالعباس تعمية وتمويهاً بأنه هو الذي استقى فسقي، ورمز هذه السياسة إلى
صرف الناس عن له حق الخلافة وأهلية الإمامة والزعامة دون العباس الذي
أجمعوا أنه لا حق له لأنه من مسلمة الفتح بزعمهم فأخرجوه من السقيفة والشورى
معاً لذلك، ولكن العباس العم المبارك كان يعرف إشارات السياسة ويترجم
رموزها لذلك صارح الخليفة بأن لا يخلط بهم غيرهم.

وهل تعرف فائدة هذا الشرط وما الغرض منه؟ أما الفائدة فلاجل أن لا
يتوهم المتوهם الساذج أن هذه الكراهة ظهرت لأجل الخليفة عمر أو لأجل أعيان
الصحابة الموجودين فإذا انفرد الهاشميون زال هذا الوهم وتبيّن الحق الممحض،
وأما الغرض فهو رمز خفي يشير فيه إلى أن من منه الاجابة وقد توسل ثلاثة أن
يسلم الإمارة لمن سُأله مرة فأستجيب له لكرامته عند الله وعناء الله به، هذه حسرة
في نفس العباس بثها وزفرة أخرجها الأسف على ما فاتهم من إدارك المنصب
الإلهي الذي كان لهم وكانت هذه الحسرة تخالج نفس العباس بن عبد المطلب منذ
قال لعلي «عليه السلام»: يا ابن أخي دعني أبأيعك فيقال عم رسول الله بائع ابن
أخيه فلا يختلف عليك اثنان وتتجدد ضمير العباس بن عبد المطلب يتقد حماساً
ويسطر على طرس الفكر ما رمزه إذا دهى الإسلام بالدوahi وأصيب بالفوادح
النكراء دعى لتغريجها علي فعباس فحسن فحسين، وإذا كانت إمرة وأمر نهي
وقسمة أموال وأمثالها دعى لها رجال سواهم ولسان حاله ينشد متمثلاً:

وإذا تكون كريهة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب
ومن أنواع السقاية السليمة تفجر الماء من الأرض الصماء على جهة المعجزة
والكرامة:

وهذا النوع خاص ببني هاشم فقد فجر الله لعبد المطلب عيناً بعد أن أخرج
له زمم ونازعته قريش وحاكموه إلى كاهنةبني سعد بن هذيم وكانت بمشارف
الشام وفجر له عيناً آخرى حين نازعه حرب بن أمية وبنو كلاب على ماله الذى
بالطائف المعروف بذى الهدم واكتفينا بالإشارة إلى القصتين بما قدمنا في أستقاء
عمر بالعباس مراعاة للاختصار وأوردناهما تفصيلاً في كتابنا (الميزان الراجح) في
ترجمة عبد المطلب وأطلب قصة المنازعه على زمم من السيرة الهاشمية^(١) وقصة
المناقعة على ذى الهدم من مجمع الأمثال للميداني في شرح قولهم: الأده فلاده.

نبع العين لرسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز،

ذكر البرهان الحلبي في سيرته^(٢) عن أبي طالب بن عبد المطلب قال: كنت
بذي المجاز وهو موضع على فرسخ من عرفة وكان سوقاً للجاهلية مع ابن أخي -
يعني النبي ﷺ - فأدركتني العطش فشكوت إليه فقلت له: يا ابن أخي! قد عطشت
وما قلت له ذلك وأنا أرى عنده شيئاً إلا الجزع أي لم يحملني على ذلك إلا
الجزع وعدم الصبر. قال: فثني وركه ونزل عن دابته ثم قال: ياعم! عطشت?
قلت: نعم، فأهوى بعقبه إلى الأرض - وفي رواية إلى صخرة - فركضها برجله
وقال شيئاً فإذا أنا بالماء لم أرى مثله، فقال: أشرف فشربت حتى رويت، فقال:
أرويت؟ قلت: نعم، فركضها ثانية فعادت كما كانت، انتهى.

نبع العين لأمير المؤمنين «عليه السلام» في مسيره إلى صفين

روها جماعة من المحدثين منهم من الشيعة نصر بن مزاحم في كتاب
صفين، وأبن شهر آشوب في المناقب، والصادق في الأمالي، والمفيد في
الارشاد، والمجلسى في البحار، ومن السنة ابن أبي الحديد المعتزلى الحنفى في
شرح النهج، والخطيب البغدادي الشافعى في تاريخ بغداد وغيرهما.

قال المجلسى في بحاره^(٣): قال في المناقب: ذكر أهل السير عن حبيب بن
الجهنم وأبي سعيد التيمى، والنطنزى في الخصائص، والاعثم في الفتوح،

(٢) السيرة الحلبية ١/٣٩.

(١) سيرة ابن هشام ١/١٣٤.

(٣) بحار الانوار ٩/٦٥٧.

والطبرى في كتاب الولاية بإسناد له عن محمد بن القاسم، وأبو عبد الله البرقى عن شيوخه عن جماعة من أصحاب علي «عليه السلام» أنه نزل أمير المؤمنين «عليه السلام» بالعسكر عند وقعة صفين عند قرية صندودا فقال مالك الأشتر: تنزل على غير ماء، فقال يا مالك! إن الله سيسقينا في هذا المكان فأحثروا أنت وأصحابك، فأحثروا فإذا هم بصخرة سوداء عظيمة فيها حلقة لجين فعجزوا عن قلعها وهم مائة رجل، فرفع أمير المؤمنين «عليه السلام» يده إلى السماء وهو يقول كلمات رموز قال في آخرها: أمين رب موسى وهارون، ثم أجتنبها فرمها عن العين أربعين ذراعاً فظهر ماء أذب من الشهد وأبرد من الثلج وأصفى من الياقوت فشربنا وسقينا، ثم رد الصخرة وأمرنا أن نحثوا عليها التراب وسرنا غير بعيد فقال: من فيكم يعرف موضع العين؟ قلنا: كلنا، فرجعنا فخفى مكانها علينا فإذا راهب مقبل من صومعة، فلما بصر به أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: شمعون؟ قال: نعم هذا أسم سمعتني به أمي ما أطلع عليه إلا الله وأنت، قال: وما تشاء ياشمعون؟ قال: هذه العين، قال: هذه عين ناحرها وهي من الجنة شرب منها ثلاثة وثلاثة عشر وصياماً وأنا آخر الوصيin شربت منها. قال: هكذا وجدت في جميع كتب الانجيل وهذا الدير بني على هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها ولم يدركه عالم قبلى غيري وقد رزقنيه الله، ثم أسلم ثم رحل أمير المؤمنين «عليه السلام» والراهب معه حتى نزل صفين، فلما التقى الصفان كان أول من أصابته الشهادة، فنزل أمير المؤمنين «عليه السلام» وعيناه تهملان وهو يقول: المرأة من أحب، الراهب معنا يوم القيمة، ألم .

وفي حديث نصر بن مزاحم العطار في كتاب صفين^(١): قال أبو سعيد التيمي المعروف بعيصا قال: كنا مع علي «عليه السلام» في مسيرة إلى الشام حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد عطش الناس وأحتاجوا إلى الماء، فأنطلق بنا علي «عليه السلام» حتى أتى بنا على صخرة ضرس من الأرض كأنها ربة عنز فأمرنا فأقلعناها فخرج لنا ماء فشرب الناس منه وأرتووا ثم أمرنا فأكفأناها عليه. قال: وسار الناس حتى إذا مضينا قليلاً قال علي «عليه السلام»: منكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فأنطلقوا إليه، فأنطلق منا رجال ركباناً ومشاة فاتصصنا الطريق حتى انتهينا إلى المكان الذي نرى أنه فيه، قال: فطلبناها فلم نقدر على شيء حتى إذا عيل علينا أنطلقنا إلى دير

(١) وقعة صفين: ص ٧٧.

قريب منا فسألناه عن الماء الذي هو عندهم قالوا: ما قربنا ماء، قلنا: بلى إننا شربنا منه، قال: أنتم شربتم منه؟ قلنا: نعم، قال: ما بني هذا الدير إلا لذلك الماء، وما أستخرجه إلانبي أو وصينبي، انتهى.

وما تحدث به الخطيب البغدادي الشافعي في تاريخ بغداد^(١) عن أبي سعيد عقيضاً قريب من حديث نصر إلا أنه قال: أرتفع من الأنبار وصرح بقول الراهب أنه لا يخرجه إلانبي أو وصينبي وقال لفظ حديث الأعمش والآخر بمعناه، ورواه محمد بن فضيل عن الأعمش هكذا وإيراد الألفاظ تطويل.

نبوء العين للحسين «عليه السلام» يوم كربلاء

ذكر عبد الخالق اليزدي في مصائب المعصومين في حديث عاشوراء ما لفظه^(٢): فلما أشتد بهم العطش أخذ الحسين «عليه السلام» فأساً وجاء إلى وراء خيمة النساء فخطى في الأرض تسعة عشر خطوة نحو القبلة ثم حفر هناك فنبعت له عين من الماء العذب فشرب الحسين «عليه السلام» وشرب الناس بأجمعهم وملأوا أسيتهم ثم غارت العين فلم ير لها أثر، ويبلغ ابن زياد لعنه الله فأرسل إلى عمر بن سعد لعنه الله: بلغني أن الحسين يحفر الآبار ويصيب الماء ويشرب هو وأصحابه؛ فأنظر إذا ورد عليك كتابي فأمنعهم من حفر الآبار ما أستطعت وضيق عليهم ولا تدعهم يذوقوا الماء وأفعل بهم كما فعلوا بعثمان فعندما ضيق عمر بن سعد عليهم غاية التضيق إلخ.

كلمة المؤلف حول هذه العجرفية النكراء:

لم يزل عبد الله بن زياد ينحو مناحي معاوية بن أبي سفيان في العجرفية ويحدو حذوه في الميل عن خطة العدل وجادة الانصاف فهو يسير على خطته التي اختطها ويسايره في طريقه الممهد جنباً لجنب.

كان معاوية في إمساكه شريعة الفرات وبمنعه الماء عن أهل العراق جيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» يوم صفين يهتف معلناً: أقتلواهم عطشاً كما قتلوا عثمان، يستغوي بذلك جيش الطعام المحتشد حوله من غوغاء أهل الشام ويستغوي سقاط العرب وإجلاف الأمة الذين جمعوا من النذالة والشقاوة لؤم العنصر ودناءة الأعراق وقبع العقيدة مع الجهل الفاضح والغباوة المفرطة قد طرقتهم الأخبار الصادقة والأنباء المصرحة لهم بغير تعمية ولا تغليط أن علياً «عليه

(١) مصائب المعصومين: ص ٢٣٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٣٥٠.

السلام» في حصار عثمان قد التزم خطة الحياد التام بعد أن ردّ عليه عثمان نصائحه وإرشاداته في إظهار الإنصاف للأمة ونشر العدل في أهل الإسلام والرفق ب أصحاب محمد ﷺ فرفض عثمان تلك النصائح رفضاً باتاً ورد هاتيك الإرشادات ردأ علينا غير مكانته ولا مسر مؤثراً هوى مروان الأحمق، شارياً رضا الوزع المائق الطريد اللعين بسخط الله، وأختار شغب الأمة الصالحة بسياسة مروان الملعونة حتى أن زوجته نائلة عنفته وقالت: أغضبت الشيخ الناصح علي ابن أبي طالب فهو غير عائد إليك ولن يدعك مروان حتى يورنك الحتف أو ما هذا معناه فزجرها فالثالث عليه الأمور وارتبتكت الأحوال وأختل النظام السياسي وزل عن محوره فانثالت عليه جيوش المسلمين الذي أستنهضتهم صرخة الصحابة وضجيج أمهات المؤمنين سيما أم المؤمنين عائشة وصاحبتها حفصة إذ نادتا أن ثوب النبي لم يبلى وعثمان قد أبلى سنته، وعائشة هي التي سمته نعثلاً، وطلحة والزبير المعدودين في العشرة ومن الحواري القائلين هلموا إلينا فإن الجهاد عندنا بالمدينة.

فتداعى المسلمون إجابة لهن ولهم على حربه من أقطار الأرض حتى حصروه في داره، هذا وأمير المؤمنين «عليه السلام» يدافع عنه دفاعاً سياسياً نظراً لما يجيء به المستقبل وتولده العاقبة من انتشار الفتنة في الإسلام وستقاً كان ذلك فإن عثمان كما قيل الفتنة الكبرى فدافع عنه أمير المؤمنين «عليه السلام» لذلك دفاعاً سهلاً مع التزامه الخطة الحيادية وإحكامه القواعد السلمية وتركه الدخول في مهرجانات الحرب التي لم تضطره إليها الظروف الحرجة التي حدثت به فهو «عليه السلام» لم يزل يواصل عثمان بإرسال قرب الماء إليه مع أولاده وخدمه حين صدت أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان ومنعت وأريق الماء الذي كانت تحمله إلى عثمان في حصاره فلم يشرب عثمان الماء مدة الحصار إلا من ناحية أمير المؤمنين «عليه السلام» لأن المتgressor على منع غيره لا يتجرسر على منعه فحتى ذبح عثمان ريان الكبد من فضل أمير المؤمنين «عليه السلام».

ثم تقابل أدعياءبني أمية الشجرة الملعونة في القرآن تلك الفعلة الكريمة واليد البيضاء بالجحود والكفران فتضحي ولده الحسين «عليه السلام» يوم الطف عطشاناً زاعمين إنهم يريدون الاقتصاص منه لعثمان تلك بهرجة المموهين وهم سفالة الأسفليين وحثالة الأرذلين لا لعمر الله ليسوا من أهل القصاص ولا أرباب القصاص ولا من الذين يهمهم أمر عثمان وليس يساوي دم عثمان عند معاوية قلامة، ولا يوازن ذرة من قمامه لو لا أنه نصبه شرك الاحتياط لاحتلال الخلافة وانتشال صولجان الحكم واغتصاب تاج المملكة الإسلامية.

كيف وقد تربص معاوية بعثمان ولج في تخذيل الناس عن نصرته واقعدهم عن المسير إليه فقد نهض يزيد القسري مهتماً بنصرته عازماً على المسير إلى المدينة لاستنقاؤه فثبته معاوية واقعده مموها عليه بالتسويف والمواعيد الكاذبة حتى قتل عثمان ولو سار لأدركه حياً، وهذا أمر نصت عليه الأسفار التاريخية المعترفة وخلدته الصحف الأثرية المعتمدة.

فأستبان أن غرض معاوية التوصل إلى نيل السلطان وأختطاف الإمارة بواسطته لذلك لم يجد بدأً من نسبة قتله إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» وما خباته نفس معاوية الشرهة قد أخرجته فلتات لسانه، أليس هو القائل لأم المؤمنين عائشة: ليتك قتلت يوم الجمل؟ قالت: مالك تتمنى موتي؟ قال: إنك تموتين بأجلك وتدخلين الجنة بمشيئة الله و يجعلك من أكبر التشنيع على علي بن أبي طالب! وهذا خبث عظيم و شرارة جباره وإذا كان هذا رأيه في أم المؤمنين تصريحاً فهو رأيه في عثمان تلويناً، ولو كان من أهل المودة لعثمان لجعل لولده نصيباً من السلطان أو عظمهم وأكرمه.

أليس هو الذي عزل مروان عن المدينة لأنه لم يضرب عمرو بن عثمان لما أستعدت عليه زوجته رملة بنت معاوية أنه لم يوقعها؟ .

أليس معاوية الذي أجاب سعيد بن عثمان جواباً غليظاً لما قال له: إنك نلت الملك بأبي عثمان؟ كل هذه الأمور قد أوقفنا عليها التاريخ فأي قصاص لبني أمية عند بني هاشم إن قتل المسلمون عثمان عطشاً والصحابة مليء المدينة فلو كان هذا عندهم حراماً أو أنه يجب ما تركوا القيام به وإنما كان الفضل لأمير المؤمنين «عليه السلام» فيها على عثمان خاصة وعلى بني أميه عامة، ودعوى المدعين أن الصحابة عجزوا عن مقاومة الجيش الغازي لعثمان فمكابرة وتمويه، الجيش الغازي على أكثر الأقوال ألف وخمسمائة وقيل ألف وقيل ثمانمائة، والصحابة وأبناؤهم ألف وقد قاوموا وهم ثمانمائة جيش قريش وهم ثلاثة آلاف، وجيش الأحزاب يوم الخندق وهو عشرة آلاف فكيف يعجزون عن جيش أقل من عدهم وقد غزاهم في دارهم؟ ولا يقاد بهذا جيش الحرّة فإنه كثير وأدخل بخيانة فأستدبرهم فهلعوا بهذا السبب؛ فافهم وخذ النصيحة تنجيك من الهمكة.

ابن عساكر الدمشقي الشافعي في تاريخه^(١). كان عبد الله بن جعفر أسلاف الزبير ألف ألف درهم، فلما توفي الزبير قال ابنه عبد الله لابن جعفر: إني أجد في ديوان أبي أن له عليك ألف ألف درهم، قال: هو صادق فأقبضها إذا شئت، ثم لقيه بعد فقال: يا أبا جعفر! إنما وهمت المال لك عليه، قال: فهو له، قال: لا أريد ذلك، قال: فأختر إن شئت فهو له وإن كرهت ذلك فلك فيه نظرة ما شئت فإن لم ترد ذلك فبعني من ماله ما شئت، فقال: أبيعك ولكن أقوم، فقوم الأموال ثم أتاه فقال: أحب أن لا يحضرني وأياك أحد، فقال عبد الله: يحضرنا الحسن والحسين «عليهما السلام» فيشهادان لك، فقال: ما أحب أن يحضرنا أحد، قال: أطلق، فمضى معه فأعطاه خراباً وسباخاً لا عمارة له وقومه عليه حتى إذا فرغ قال عبد الله لغلامه: ألق لي في هذا الموضع مصلى، فألقى له في أغلظ موضع من تلك الموضع مصلى، فصلى ركعتين وسجد فأطال السجود يدعوا، فلما قضى ما أراد من الدعاء قال لغلامه: أحفر في موضع سجودي فحفر فإذا عين قد أنبطها الله فقال له ابن الزبير: أقلني، فقال: أما دعائي وإجابة الله إياي فلا أقيلك، فصار ما أخذ منه أعمراً مما في يد ابن الزبير، انتهى.

من أنواع السقاية السلمية

سقاية الأضيف والمجازين، وقد دلت على هذا النوع أحاديث كثيرة نذكر بعضها تيمناً، وهذا النوع لا يخصبني هاشم بل يعم جميع المسلمين، ولفضيلته جعل المسلمين السقايات المسماة بـ(السبيل) في الطرق والجoad التي هي مظنة العطش، فقد ذكر الدربيدي في أسرار الشهادة^(٢) عن الصادق «عليه السلام»: من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن أعتق رقبة، ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحيا نفسها فكأنما أحيا الناس جميعاً.

وعن النبي ﷺ قال: إن الله يحب إبراد الكبد الحراء، ومن سقى كبدأ من بهيمة أو غيرها أظله الله يوم لا ظل إلا ظله، انتهى في أحاديث كثيرة متقاربة المعنى، وهي وغيرها نص في فضل من سقى الماء في السلم آمناً على نفسه من القتل، واثقاً بسلامته من التلف، فكيف لو قارن سقى الماء مظنة تلف النفس والإشراف على العطب، وهذه الفضيلة أمتاز بها مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي

(٢) أسرار الشهادة: ص ٧٣.

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٣٣٢ / ٧.

طالب وولده العباس الأكبر («عليهم السلام») والشبل من ذاك الأسد .
وأنا أقول بلا تجاسر على مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام»: إن موقف العباس «عليه السلام» أفعى هولاً وإن كان كلا الموقفين رهيب حيث أن أمير المؤمنين «عليه السلام» سقى الصحابة في بدر والحدبية وليس فكره متعلقاً بشيء سوى عطش رجال كبار يصبرون على مكابدة الظماء وستطعون معاناة شدة العطش وأما حراجة الموقف من حيث قوة العدو وشدة شوكته فلا يرهبه أمير المؤمنين «عليه السلام» لأنه لا يخاف الأعداء قلوا أو كثروا، وكيف وهو القائل لأهل الكوفة، أخرجوا معي ثم فروا عنِي فإني والله لا أبالي أوقعت على الموت أو وقع الموت علىّ، ولألف ضربة بسيف في سبيل الله اهون عليّ من موته على فراش ، وهو القائل يوم البصرة وقد طلب شرابة فأتوه بعسل فذاقه فقال: هذا عسل طائفي ، فقال له ابن أخيه جعفر: عجباً منك يا عاصم في مثل هذا الموقف تعرف الطائفي من غيره ، فقال: والله يا ابن أخي ما ملا صدر عمك من جمعهم هذا شيء .

وإن أبا الفضل العباس بن علي «عليه السلام» سقى العطاشى بكرباء وكان قصد المسناة دع عنك ما عليها من العسكر العظيم فإنه ابن أبيه لا يرهب الجموع المتكدسة أمامه قلت أمّ كثرت وليس فكره متعلقاً بعطش الكبار فقط بل قصد المشرعة بعد أن سمع صراغ الأطفال وضجيج النساء: وأعطشاه، فهزته الحمية الشماء وأنهضته الهمة العالية حين سمع لهنّ، رنة عظيمة لشدة الظماء والصبية يتصارخون فمنهم من قصد مخيم الأنصار يطلب منه الماء، ومنهم من تعلق بأذيال الحوراء زينب وإنها «عليها السلام» - كما في بعض المقاتل - رجت لبعض مضارب الأنصار تطلب فيه ماء لبعض الصبية الرضع وخلفها لمة كبيرة من الصبيان كلهم ينادون واعطشاه، فأبانت مروءة العباس «عليه السلام» وشيمته أن يغضي على تلك الحالة المزعجة وارتاع لها وارتاح لورد المنية قبل ورد المباح المحرم عليهم وصمم بعزمها الثابت على قصد المشرعة وإن أقامت عليها سداً منيعاً أسلحة الأعداء فاعتقل القناة عاقداً بها العلم حاملاً للقربة متضيئاً مرهفه فما عاد إلا بالماء على رغم الأعداء .

السقاية الحرية

لا خفاء إنها أجل السقايات وإن كانت السقاية على نحو المعجزة عظيمة في بابها ولكن هذه تمتاز على الجميع لما فيها من المخاطرة بالنفس وتعريفها للتلف

ولا يتجاسر عليها إلا من تمت شجاعته وكملت مروته وحميته وهذه اختص بها أمير المؤمنين «عليه السلام» وأنجاله دون سائر الصحابة وسائر العرب.

روى ابن شهر آشوب في كتاب المناقب^(١) قال: في كتاب فضائل الصحابة عن أحمد وخصائص العلوية عن النطنزي قال الحارث: لما كانت ليلة بدر قال النبي ﷺ: من يستقي لنا فأحجم الناس فقام علي «عليه السلام» فأختضن قربة ثم أتى بثراً بعيدة القدر مظلمة فأنحدر فيها فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل تأهباً لنصر محمد وحزبه فهبطوا من السماء لغط يذعر منه من سمعه فلما حاذوا البئر سلموا عليه من عند آخرهم إكراماً وتبعيلاً.

محمد بن ثابت بإسناده إلى ابن مسعود، والفلكي المفسر بإسناده إلى محمد ابن الحنفية قال: بعث رسول الله ﷺ علينا «عليه السلام» في غزوة بدر أن يأتيه بالماء حين سكت أصحابه عن إيراده فلما أتى القليب وملاً القربة فجاءت ريح فأهرقته وهكذا في الثانية والثالثة، فلما كان في الرابعة ملأها فأتى به النبي ﷺ فأخبره بخبره فقال رسول الله ﷺ: أما الريح الأولى فجبرئيل في ألف من الملائكة سلموا عليك، والريح الثانية ميكائيل في ألف من الملائكة سلموا عليك، والريح الثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة سلموا عليك.

وقد رواه عبد الرحمن بن صالح بإسناده عن الليث فكان يقول: كان لعلي «عليه السلام» في ليلة واحدة ثلاثة آلاف منقبة وثلاثة مناقب ثم يروي هذا الخبر ثم ذكر أبيات السيد الحميري وهي قوله (رحمه الله):

أقسم بالله والآله والمرء عما قال مسئول
إن علي بن أبي طالب على التقى والبر مجبول
وانه كان الإمام الذي له على الأمة تفضيل
يقول بالحق ويعني به ولا تلهيه الأباطيل
كان إذا الحرب مرتها القنا
يمشي إلى الروع وفي كفه
مشي العفرني بين أشباله
ذاك الذي سلم في ليلة
جبريل في ألف وميكائيل في
ألف ويتلوجه سرافيل

(١) المناقب لأبن شهر آشوب ١٦٥/٢.

في يوم بدر بذدأ كلهم كانوا طير أبابيل

سقاية علي «عليه السلام» للصحاببة يوم الحلبية

روى الشيخ المفيد (رحمه الله) في الإرشاد بإسناده إلى عبد الله بن سالم قال: لما خرج رسول الله ﷺ في عمرة الحلبية نزل الجحفة فلم يجد بها ماء بعث سعد بن مالك - يعني ابن أبي وقاص - بالروايا حتى إذا كان غير بعيد رجع سعد بالروايا وقال: يا رسول الله! ما أستطيع أن أمضي وقد وقفت قدماي رباعاً من القوم، فقال له النبي ﷺ: أجلس، ثم بعث رجلاً آخر فخرج بالروايا حتى إذا كان بالمكان الذي إنتهى إليه الأول رجع فقال له رسول الله ﷺ: لم رجعت؟ فقال: يا رسول الله! الذي بعثك بالحق نبياً ما أستطيع أن أمض رباعاً، فدعا رسول الله ﷺ أمير المؤمنين «عليه السلام» فأرسله بالروايا وخرج السقاوة وهم لا يشكون في رجوعه لما رأوا من رجوع من تقدمه، فخرج «عليه السلام» بالروايا حتى ورد الحرار فاستقى ثم أقبل بها إلى النبي ﷺ فلما دخل كبر النبي ﷺ ودعا له بخير، إنتهى.

سقاية الحسين «عليه السلام» لأهل العراق

قد تكررت سقاية الحسين «عليه السلام» لأهل العراق سقاهم ثلاث مرات بدعائه وسيفه ووعائه: أما سقايته لهم بدعائه فقد تقدمت: وأما سقايته لهم بسيفه فقد روى بعض علماءنا أن معاوية لما ملك الشريعة على أهل العراق يوم صفين بعث أمير المؤمنين «عليه السلام» في الخيل الحسين بن علي «عليهما السلام» ومالك بن الحارث الأشتر فأزلا أهل الشام عنها وملكاها فوردها أهل العراق وصارت في أيديهم حتى انقضت الحرب.

وأما سقايته لهم بإياءه ووعاءه فذاك لما لقيه الحر بن يزيد الرياحي وقد أثر العطش فيه وفي جنده.

روى أبو جعفر الطبرى في التاريخ^(١) عن عبد الله بن سليم والمذرى بن المشمعل الأسديين، ورواهما الشيخ المفيد وغيره عنهما قالا: أقبل الحسين «عليه السلام» حتى نزل شراف فلما كان وقت السحر أمر فتيانه فأستقوا من الماء فأكثروا ثم ساق القصة في مسيرة ولقاء الحر وقال: فقال الحسين «عليه السلام»: أُسقوا

(١) تاريخ الطبرى ٦/٣٣٨.

ال القوم وارووهـم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً، فقام فتيانه وسقوا القوم من الماء حتى أرووهـم من الماء وأقبلوا يملأون القصاع والطسـاس والأنوار من الماء ثم يدونونها من الفرس فإذا عـب فيها ثلاثة أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها .

قال هشام: حدثني لقيط عن علي بن الطuan المحاريـي قال: كنت مع الحر بن يزيد فجئت في آخر من جاء من أصحابه فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش قال: أنـخ الراوية، والراوية عندنا السقاء، ثم قال: يا ابن أخي! أنـخ الجمل فأـنـخته فقال: أـشرـب، فجعلـت كلـما شـربـت سـال المـاء من السـقاء فـقال: أـخـثـ السـقاء أـي أـعـطـهـ، قال: فـجعلـت لا أـدـري كـيف اـفـعلـ، قال: فـقامـ الحـسـين فـخـثـهـ فـشـربـت وـسـقـيت فـرـسـي أـلـخـ.

هذه هي الهمـمـ العـالـيـةـ وهذه شـيمـ الـأـحـرـارـ الـرـاقـيـةـ، هذه شـمـائـلـ السـادـاتـ العـظـمـاءـ أـحـيـاـ سـلامـ اللهـ عـلـيـهـ تـلـكـ النـفـوسـ الشـرـيرـةـ وـالـأـرـواـحـ الـخـبـيـثـةـ أـنـفـسـ الطـغـاةـ الطـغـامـ الـتـيـ هيـ بـالـهـوـانـ أـولـىـ مـنـهـ بـالـكـرـامـةـ، وـبـالـإـتـلـافـ أـحـرـىـ مـنـهـ بـالـسـلـامـةـ لـأـنـ هـذـهـ الـعـصـابـةـ الـفـاجـرـةـ وـالـفـتـئـةـ الـجـائـرـةـ أـقـبـلتـ مـصـرـةـ عـلـىـ مـحـقـ الـحـقـ وـعـازـمـةـ عـلـىـ جـذـ أـصـوـلـ الـعـدـلـ وـمـصـمـمـةـ عـلـىـ أـسـتـصـالـ جـرـثـومـ الـوـحـيـ وـقـطـعـ شـجـرـةـ الـنـبـوـةـ الـبـاسـقـةـ فـرـوـعـاـ وـأـغـصـانـاـ وـجـادـةـ كـلـ الجـدـ جـاهـدـةـ عـلـىـ إـطـفـاءـ نـورـ اللهـ الـمـضـيءـ فـيـ بـلـادـهـ.

وقد سـنـحتـ الفـرـصـةـ بـقـطـعـ دـابـرـ هـذـهـ الـعـصـابـةـ الـمـتـمـرـدـةـ وـأـمـكـنـتـ الـحـازـمـ الـأـرـيـبـ منـ اـسـتـصـالـهـ وـأـبـادـتـهـ فـيـسـتـرـيـعـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ منـ جـوـرـهـ وـعـدـوـانـهـ وـلـكـنـ أـبـتـ نـفـسـ الـحـرـةـ وـأـعـرـاقـهـ الـكـرـيمـةـ وـشـيمـهـ النـفـاحـةـ بـالـفـوـاضـلـ عـلـىـ اـرـتكـابـ الـفـعـلـةـ الـتـيـ لـأـنـ تـلـائـمـ طـبـاعـ الـأـحـرـارـ وـلـاـ تـنـفـقـ مـعـ شـيمـ الـأـزـكـيـاءـ وـإـنـ عـدـهـ الـمـحـارـبـوـنـ حـزـمـاـ وـيـقـظـةـ وـأـتـخـذـوـهـاـ فـرـصـةـ سـانـحةـ وـأـعـتـبـرـهـاـ السـاسـةـ فـتـحـاـ مـعـجـلاـ.

فـإـنـهـ «ـعـلـيـهـ السـلـامـ»ـ وـكـلـ ذـيـ حـفـيـظـةـ شـمـاءـ وـأـنـفـ وـشـمـ يـرـاـهـاـ وـيـعـدـهـ دـنـاءـ وـخـسـةـ وـيـعـتـدـهـ وـصـمـةـ لـاـ تـنـاسـبـ مـجـدـهـ التـلـيدـ، وـلـاـ تـلـائـمـ شـرـفـهـ العـتـيدـ فـأـمـرـ بـإـرـوـانـهـمـ حـيـثـ أـشـرفـواـ عـلـىـ التـلـفـ وـأـشـفـواـ عـلـىـ الـهـلـاكـ، وـلـوـ صـادـفـ هـذـهـ الـفـعـلـةـ الـكـرـيمـ نـفـوسـ عـرـبـ اـقـحـاحـ وـأـمـاجـدـ أـحـرـارـ وـلـوـ كـانـتـ مـنـهـ إـلـىـ رـجـالـ شـرـفـ وـمـفـخرـةـ لـكـانـتـ مـنـهـ مـنـ أـعـظـمـ الـمـنـنـ وـنـعـمـةـ مـنـ أـكـبـرـ النـعـمـ طـوـقـهـ بـهـ كـرـيمـ وـأـسـدـىـ لـهـ يـدـأـ بـيـضـاءـ يـجـبـ شـكـرـهـاـ عـلـىـ أـعـقـابـ الـأـعـقـابـ وـنـسـلـ النـسـلـ، وـلـكـنـ يـاـلـلـأـسـفـ صـادـفـ تـلـكـ الـمـنـةـ الـعـظـيـمةـ وـالـبـيـضـاءـ نـفـوسـ أـهـلـ الـكـوـفـةـ الـخـيـسـةـ ذاتـ الـأـكـبـادـ الـغـلـيـظـةـ وـالـطـبـاعـ الـجـافـيـةـ الـجـلـفـيـةـ وـالـأـعـرـاقـ الـدـنـيـةـ فـأـصـبـعـ الشـكـرـ الـوـاجـبـ عـلـيـهـاـ كـفـرـاـنـاـ

وبحوداً، لم يمض على هذه القصة أكثر من عشرة أيام حتى قابله أولئك الأوغاد الطعام بأشد ما يكون من القسوة، وأظهروا من الغلطة والجفاء والوقاحة القحة والصلف والفتاظة مالم يقع له نظير، وحصروه في فلة جرداء مقفرة ومفارقة بعيدة عن الريف، ومنعوه ورد المباح المشترك بين سائر الحيوان، ويقول قائلهم بلا أكثراث ولا مبالاة ولا حياء ولا أمتاعض مما يأنف منه الاحرار، ولا يجسر على التلفظ بما دونه العربي الكريم: يا حسين! انظر إلى ماء الفرات كأنه بطون الحيات والله لا تذوق منه قطرة واحدة إلخ.

مع علمهم أنه ابن رسول الله ﷺ وريحاناته وابن سيد الأوصياء وابن سيدة النساء، وهو وأخوه سيد شباب أهل الجنة وإنه إمام حق مفترض الطاعة ناصراً صريحاً لقول رسول الله ﷺ فيه وفي أخيه الحسين «عليه السلام»: «ولداي هذان إمامان قاما أو قعداً»، فلم يرعوا تلك الحرمة ولم يغوا بتلك المنة، ولم يجازوا بتلك اليد ولا بأبعاضها فقد حملته الرقة وأخذته الرأفة حتى بدوا بهم التي تحملهم إلى حربه فأمر بترشيفها وإروائهما فمارق أولئك الأجلاف ولا على طفله الرضيع فيرسلوا إليه جرعة من الماء قبل أن يرسلوا السهم الشرير إلى نحره الشريف وقد أحسن من قال:

أرى الإحسان عند الحر ديناً وعند النذل منقصة وذما
كماء المزن في الأصداف در وفي بطん الافاعي صار سما

مقدمة الحسين «عليه السلام» وعظمته

وانظر إلى هذه المقدرة العظيمة مقدمة الحسين «عليه السلام» على إرواء ألف فارس وألف فرس وكل فرس لا ترويه قربة لأنها تشرب أربعاء وخمساً، وهذه المقدرة تدل على أن سلطنة الحسين «عليه السلام» عظيمة، وأن استعداده الملوكى أكبر استعداد لم يستعد ملك كان في العالم قبله لأننا لم نسمع أن ملكاً من الملوك المعاصرين له أو السابقين لعصره أروى بالفاضل عن كفاية جيشه هذا المقدار، ومن أروى بفاضل ماءه هذا العدد فهو عظيم جداً لا شك أن مع الحسين «عليه السلام» من العائلة والاتباع والخدم والأكرياء ومن صحبه في الطريق من أهل الأمصار قاصداً إلى وطنه ما لا يقل عن الألفين، وكم تعدد لهم من الدواب التي تحملهم وتحمل أزواتهم وأثقالهم وتحمل الماء الذي هذا مقداره حتى يكفي الفاضل منه ألف فارس وألف فرس، فإذا قست ذلك إلى هذا العدد ثبت أن ليس

في مقدرة ملك من ملوك الدنيا قبل عصر الحسين «عليه السلام» وبعده إلى زمن ظهور الآلات البخارية والمضخات والأنابيب فقد ورد في سير كثير من الملوك أنه متى اجتاز بمنزل لا ماء فيه أثر بجنته العطش وإن الحسين «عليه السلام» بنفس الماء الذي سقى به هؤلاء الأجلال يكفي الجيش الضخم في أي منزل على غير ماء.

للمؤلف:

سبط النبي علا كل الملوك غلا
وفاقهم باقتدار غير محدود
بفضائل الماء روى ألف راحلة
ألف شخص لهيف القلب مجهد
هم أهل بيت لهم في كل معضلة
إن تذكر الرشد فالإرشاد شيمتهم
لكن من عجب الأيام إن حكمت
تلك السكارى نشاوى في أسرتها
أو تذكر الجود كانوا الأُس للجود
آل الطليق بآل المصطفى الصيد
وآل خير الورى صرعى على البيد

سقاية أبي الفضل العباس «عليه السلام» لعطاشى كربلاء

قد تكررت منه السقاية ولم يست سقاية واحدة كما توهّمه بعض أهل المقاتل بل هي ثلاثة مرات جلب فيها الماء لعطاشى عيال أخيه الحسين «عليه السلام» حسبما أسفدنا ذلك من الأخبار الواردة في قصة المقتل الشريف.

السقاة يوم كربلاء ثلاثة:

اثنان علويان العباس الأكبر وعلي بن الحسين الأكبر، واحد همداني هو برير ابن خضير.

أما علي بن الحسين «عليه السلام» فذكر قصة سقايته فخر الدين الطريحي في المنتخب^(١) فراجعها، ورواه الصدوق القمي (رحمه الله) في الأمالي وأنه بعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً راجعوا في قصة المقتل من الأمالي، ورواه الدربندي في أسرار الشهادة^(٢).

وأما سقاية برير فرواها صاحب اسرار الشهادة وتبعه صاحب معالي السبطين وتركنا ذكر القصتين حذر التطويل وفوت الغرض المقصود.

(١) المنتخب ٥٥ / ٢ طبع الحجري النجف. المطبعة المرتضوية.

(٢) أسرار الشهادة: ص ٢٦٢.

أما سقاية العباس «عليه السلام»:

فقد تكررت منه مراراً منها ليلة العاشر نفذ بأمر أخيه الحسين «عليه السلام» طلب الماء، ومنها يوم العاشر قبل مقتله سمع صرخ العائلة وضجة الصبية من الظمآن فأستأذن سيده الحسين «عليه السلام» فأذن له، ومنها يوم العاشر أيضاً ولكن ساعة مقتله، وقد قال له الحسين «عليه السلام»: أحمل معك القرية، وفي هذه النوبة تمكّن من الوصول إلى المشرعة وملاً القرية لكنه لم يتمكّن من إيصال الماء إلى العائلة لأن حرس الماء قد تداعوا عليه من كل صوب واحاطوا به من كل وجه فقطعوا عليه خط الرجعة وعلموا أن سلامة القرية تحيطه على اختراق تلك الصفوف وأن الجموع مهمما تراكمت وتکاثفت عليه سيشقها نافذاً إلى الحسين «عليه السلام» وإنه يصل إلى مقصدته لا محالة فرأوا من المستحيل صده عن مقصدته إلا بإراقة ماء القرية فإن إراقة ماءها يوجب ضعف عزيمته ويوهن عزمه وينهك قوى نهضته فتعمدوا القرية وجعلوها هدفاً ورشقوه رشقاً متواصلاً فأصابها بعض السهام المسددة نحوها فشقها وأريق الماء فكانت هي السبب لأن يقف هدفاً للسهام وغريضاً للأسنة والظباء وأثر حينئذ المنية على مواجهة العائلة اللهيفة التي ترقب طلوعه عليها بالمنعش والمنقد من لھفة الصدا ورأى أن موتة الحر الكريم أيسر من إيراد حجج الاعتذار، وهذه القصة الأخيرة نوردها مفصلاً في حديث شهادته في الجزء الثالث (من هذا الكتاب)^(١).

السقاية الأولى:

ذكر عامة أرباب المقاتل أن أهل الكوفة منعوا الحسين «عليه السلام» من الوصول إلى الشريعة ثلاثة أيام لذلك أورد أبو مختف في المقتل الصغير وسبط ابن الجوزي في التذكرة شهادة العباس يوم السابع من المحرم ولكن المروي عن السيدة سكينة بنت الحسين «عليهما السلام» أنها قالت: عز ما ذكرنا يوم التاسع وهو الأوفق الأصوب لأن أستعداد الحسين «عليه السلام» بالماء حسبما سمعت يكفي لسد حاجاتهم ثلاثة أيام فتشتد حاجتهم له ليلة العاشر.

وفي كلام أبي حنيفة الدینوري في الأخبار الطوال: إن بقايا ماء بقيت عندهم ليوم العاشر ذكر ذلك في مقتل الحسين «عليه السلام»^(٢) ونصه: وبقي مليئاً جالساً ولو شاؤوا أن يقتلوه قتلوا غيرها أن كل قبيلة كانت تتكل على غيرها وتكره الإقدام

(٢) الأخبار الطوال: ص ٢٥٥.

(١) ما بين قوسين من الناشر.

على قتله، وعطش الحسين «عليه السلام» فدعى بقدح من ماء فلما وضعه في فيه رماه الحصين بن نمير بسهم فأدخله في فمه وحال بينه وبين شرب الماء فوقع القدح من يده، ولما رأى القوم قد أحجموا عنه قام يتمشى على المسناة نحو الفرات فحالوا بينه وبين الماء فأنصرف إلى موضعه الذي كان فيه إلخ.

وهذا القول في غاية الشذوذ والغرابة لا تفاق المؤرخين أنه «عليه السلام» قدم طفله الرضيع إلى الأعداء طالباً له منهم الماء لشدة ظمأ الطفل وإنه قد أشرف على الموت من العطش فلو كان في خيامه قدح ماء آثر به الطفل وما احتاج إلى طلب من أجلاف أندال.

قال سبط ابن الجوزي في التذكرة^(١): لما رحل الحسين «عليه السلام» من القادسية وقف يختار مكاناً ينزل فيه وإذا سواد الخيل أقبل كالليل كأن راياتهم أحنحة النسور وأستتهم اليعاسيب فنزلوا مقابلهم ومنعوهم الماء ثلاثة أيام.

ثم قال بعد أسطر : ولما أشتد العطش بالحسين «عليه السلام» وأصحابه بعث بالعباس بن علي أخيه إلى المشارع في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً فاقتتلوا عليه ولم يمكنهم من الوصول إليه، انتهى، وفيه شذوذ أيضاً من جهة اتفاق المؤرخين أنه «عليه السلام» وصل إلى الماء وأوصله إلى الحسين «عليه السلام» صرح بذلك الطبراني وغيره.

وهذا السيد الداودي قد سقط سقطة فاضحة حيث قال في عمدة الطالب^(٢) : يكفي أبا الفضل ويلقب السقا لأنه استسقى الماء لأخيه الحسين «عليه السلام» يوم الطف وقتل دون أن يبلغه إياه الخ، وفي هذا الكلام غلط واشتباه؛ أما الغلط فلأنه زعم أنه سمي سقا لسقايته له مرة واحدة ثم نفاحاً وكيف يسمى إنسان بما لمن يفعل وإنما عزم على الفعل وهذا غلط لا يسمى الرسول رسول الله حتى ينفذ بالرسالة ولا الضارب ضارباً حتى يقع منه الضرب.

أما الاشتباه فلظنه أنه «عليه السلام» ما استسقى إلا عند قرب مقتله وهذا أشتباه قطعاً لأنه استسقى قبل مقتله اتفاقاً وإن اختلفوا في هذه السقاية هل كانت ليلة العاشر أم نهار العاشر فذهب إلى كل فريق ويلزمنا هنا بيان أمر يدل على فائدة الإيمان في التاريخ ليتبصر الذي فيستخرج منها المعانى الصحيحة المخبأة في عناوين الآثار فنقول: إن في قول القائلين في سقاية العباس الأكبر «عليه السلام»

(٢) عمدة الطالب: ص ٣٢٣.

(١) تذكرة الخواص: ص ١٤١.

التي صحبه فيها نافع بن هلال البجلي كانت ليلاً وإن أبا الفرج ومن وافقه فقد وهموا في ذلك فجعلوها نهاراً يدلنا على ذلك أجتماع الأقوال على أن أهل الكوفة قد عاجلوا الحسين «عليه السلام» بالقتال عند أول ظهور نور الفجر حتى أنه «عليه السلام» غلس في الصلاة بأصحابه لأن أهل الغدر يتظرون بهم أنقضاء الأجل في المواجهة الموقته وهي سواد الليلة العاشرة فالتحمت الحرب مع تألق ضوء الصبح وأشتبك القتال والأصحاب في مراكزهم، ويدلنا اتفاق المؤرخين أن الحسين «عليه السلام» أفرد خيمة يغتسل فيها هو وأصحابه لأجل أن يحيوا ليلتهم بالعبادة وأزدحم أصحابه على بابها ينتظرون خروجه ليصلوا ويغسلوا وهم يتسابقون على التبرك بالفضل منه، وصريح عامة الأقوال وقع الاغتسال تلك الليلة مع اتفاق أن الماء عز عندهم يوم التاسع حتى لم يبق ما يكفي للشرب فلو لا الإتيان بالماء ليلاً لما وقع الاغتسال، وأتفق المؤرخون أيضاً أنه لم تسنح فرصة في نهار العاشر لأي عمل كان لاشتغال الأنصار بالحملات والمحاماة والمدافعة عن حشاشة الإمام «عليه السلام» فألهتهم تلك الحالة عن كل شيء لأن حفظه «عليه السلام» أهم الواجبات.

والعباس «عليه السلام» واقف في مركز القلب لا يتحلحل ولن يزل عن موقفه تجاه الحسين «عليه السلام» بيده اللواء يخفق إذا ما دام العلم ثابتاً في مركزه فقلوب المجاهدين طامة وادعه فلو زال لاختل النظام العسكري واختلف الترتيب وضعف عزم صاحب العزم، ألسنت تقرأ في سيرة إبراهيم أحمر العينين بن عبد الله المحسض: لما التحامت الحرب بينه وبين قائد جيش المنصور الدوانيقي عيسى بن موسى الهاشمي العباسي فإن جيش العباسي أنهزم وأتبعه جيش العلوي فعرضت له مخاضة في الطريق فأنحرف معها حامل لواء إبراهيم فلما رأى عسکره أنحرافه تnadوا الهزيمة فأنهزموا وعطف الجيش العباسي وقتل إبراهيم جاءه سهم غرب غائر فقتله.

فالحسين «عليه السلام» محافظ تمام المحافظة على هذا النظام العسكري لأنه «عليه السلام» له المهارة بالفنون العسكرية والخبرة التامة بأساليب الكفاح وأنواع الحرب فكلما قدم العباس «عليه السلام» للتضحية أمامه أن يقتل دونه يقول له: أنت حامل لواءي ورئيس عسكري فمتى سنتحت فرصة تمكن فيها من إرسال العباس «عليه السلام» مع خمسين من أصحابه يخلو بمراكزهم الحربية ويدعو خطوط الدفاع شاغرة أمم الجيش المحدق بهم حتى يقصدوا الشريعة ما كان في ذاك الوقت بل كان ليلاً وقد صرحا جميعاً عند ذكر مصارع أعيان الشهداء أمثال

مسلم بن عوسمة وحبيب والحر ومن أشبههم أن الحسين «عليه السلام» يمشي إليهم مع بعض أصحابه أو يأمر البعض بحملهم إلى فساطط القتلى المضروب في المعركة ولم يأمر العباس «عليه السلام» بمعادرة مركزه حتى عند مصرع أعز فقيد عليه ولده علي الأكبر «عليه السلام» قال لفتیانه: إحملوا أحاکم، والعباس «عليه السلام» واقف باللواء كل ذلك محافظة علىبقاء نظام عسکره مادام اللواء في مقره ثابتًا في مركزه.

فإذن كانت السقاية ليلاً وهي التي شهدتها نافع بن هلال وهذه هي السقاية الأولى وبما قررناه تبين لك أن أبا الفرج قد وهم في ذكره لها نهاراً، فلما لم يبق من الأنصار سوى نفرین أو ثلاثة لم تكن حيئاً فائدة كبيرة في اللواء فسمع العباس «عليه السلام» صرخة العائلة وضجة الأطفال فلم يستطع الصبر فأستأذن الحسين «عليه السلام» فأذن له في قصدة المشرعة فقصدها وحده اللواء على كتفه والسيف مصلت بيده حتى أقتحم الفرات وملاً القرية وأقبل بها ركضاً إلى العيال فناولهم إياها فكانت هذه هي السقاية الثانية.

ثم وقف في مركزه حتى إذا لم يبق غيره وغير الحسين «عليه السلام» تقدم أمامه يحمل اللواء والسقاء في كتفه وأقحم فرسه في الفرات وهذه هي السقاية الثالثة وفيها أغترف غرفة من الماء وأدناها من فمه ثم رماها حين ذكر عطش الحسين «عليه السلام» وعياله - كما يأتي شرحه في فصل الإيثار - وهذه المرة لم يتمكن من إيصال الماء إلى خيم الحسين «عليه السلام» لأن بعض السهام شک القرية ففراها وأراق ماءها.

وإليك نصوص أهل التاريخ فالقائلون أن سقايته كانت ليلاً كثيرون أوردوها في حوادث الليلة العاشرة منهم العلامة المجلسي في البحار^(١)، والفضل الدربندي في الأسرار^(٢) وملا عبد الله في مقتل العوالم^(٣) وعبد الخالق البزدي في مصائب المعصومين^(٤) ومشاهير المؤرخين كأبن الأثير وابن كثير والطبرى، وهذا نص الطبرى^(٥) بعد أن ذكر أن الحسين «عليه السلام» منع من الماء ثلاثة أيام قال: فلما أشتد العطش بالحسين «عليه السلام» وأصحابه دعا العباس بن علي بن أبي طالب أخاه فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معهم عشرين قربة فجاؤوا

(١) أسرار الشهادة: ص ٢٤١.

(٢) بحار الانوار ١٠ / ١٩١.

(٣) عوالم العلوم: ص ٧٦.

(٤) مصائب المعصومين: ص ٢٣٤.

(٥) تاريخ الطبرى ٦ / ٢٣٤.

حتى دنو من الماء ليلاً وأستقدم امامهم باللواء نافع بن هلال الجملي، فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي: من الرجل؟ - وفي كلام غيره: من القوم؟ - فقال نافع: ابن عمك - أو ابن عم لك - قال: وما جاء بك؟ قال: جئنا لشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه، قال: فأشرب هنيناً، قال: لا والله لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان ومن ترى من أصحابه، فطلعوا عليه فقال: لا سبيل إلى سقي هؤلاء فإنما وضعنا بهذا المكان لمنعهم الماء، فلما دنا منه أصحابه قال لرجاله: أملأوا قربكم، فشد الرجالة فملأوا قربهم وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه فحمل عليهم العباس بن علي «عليه السلام» ونافع بن هلال فكفوهم ثم انصرفوا إلى رحالهم فقالوا: أمضوا ووقفوا دونهم فعطف عليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه واطردوا قليلاً ثم إن رجلاً من صداء طعن من أصحاب عمرو بن الحجاج طنه نافع بن هلال فظن أنها ليست بشيء ثم إنها أنتقضت بعد ذلك فمات منها وجاء أصحاب الحسين «عليه السلام» فأدخلوها عليه، انتهى، هكذا رواها أبو الفرج في المقاتل^(١) نهار العاشر وهو وهم كما عرفت، وعدوا الله عمرو بن الحجاج قتله الله بالعطش أيام المختار، ذكر قصة هلاكه بالعطش صاحب الأخبار الطوال^(٢) فأطلبهما.

السقاية الثانية لأبي الفضل «عليه السلام»:

ذكر الفاضل الدربندي في الأسرار^(٣) من قصة مطولة منها أن العباس «عليه السلام» سمع الحسين «عليه السلام» ينادي: أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله؟ خرج إليه وقبل ما بين عينيه وودعه وسار حتى أتى الشريعة وإذا دونها عشرة آلاف فارس مدرعة فلم يهولوه فصاحت به الرجال من كل جانب: من أنت؟ فقال: أنا العباس بن علي ثم نادى: يابني فلان أنا ابن أختكم الكلابية وأنا عطشان وأهل بيت محمد ﷺ يذادون عن الماء وهو مباح للكلاب والخنازير فسار العباس «عليه السلام» ونزل في الفرات حتى ملأ القربة ولما رأهم العباس «عليه السلام» تسارعوا إليه وهو مكب على الماء حط القربة على عاقته واستقبل القوم يضربهم بسيفه وهو يقول:

أنا الذي أعرف عند الز مجره بابن علي المسمى حيدره
أن اثبتوا اليوم لنا يا كفره

(٢) الأخبار الطوال: ص ٣٩٨.

(١) مقاتل الطالبين: ص ٤٧.

(٣) أسرار الشهادة: ص ٣١٩.

ثم حمل عليهم وهو يقتل فيهم حتى قتل من أبطالهم مائة ثم أنشأ يقول:
 اللهم عين رأت ما قد احاط بنا من الثنام وأولاد الدعيات
 يا حبذا عصبة جادت بأنفسها حتى تحل بأرض الغاضريات
 الموت تحت ذباب السيف مكرمة إن كان من بعده سكن لجنت
 ثم حمل على القوم وجندل الأبطال حتى قرب من أخيه الحسين «عليه
 السلام»، ثم ساق القصة المطولة وقال: ودخل العباس «عليه السلام» إلى خيمة
 الحرم بالسقاء الذي معه فتواسوا به الأطفال ولم يرروا ألم.
 السقاية الثالثة تأتي في الإيثار وفي شهادته فإن ذاك موضعها.

للمؤلف:

إن فاتها الري من هطالة المزن
 أضره لا هب الهيجاء والجبن
 والشمس تقدح ناراً في الحصا السخن
 غصت بجمع من الفجرار ذي إحن
 بكثرة الحشد في سر وفي عن
 عذب الرواء ببرود الطعم كاللبن
 حتى تموت لهيف القلب ذا حزن
 إلى القراء كهز الريح للغصن
 أنت الصبور وصبري بالهموم فني
 ذات حريراً على ذي الحقد والإحن
 دماء قومي وإخواني وذي شجني
 مثل الأضاحي بلا غسل ولا كفن
 على القراء لأهل الغي والفتن
 من نسل خير الورى الهادي أبي حسن
 تهز أرسخ طود شامخ القرن
 جفت ثدا أمه عن درة اللبن
 من العقائل تشکرو شدة المحن

يسقى البسيط دماً في حد صارمه
 ويستقي للعطاشي وهو ذو ظمأ
 ولفحة من هجير القيظ كافحها
 أم الشريعة يبعدو بالسقاء وقد
 غداة أعلن داعي الكفر مبتهاجاً
 انظر حسين إلى ماء الفرات جرى
 فلن تذق قطرة منه ولا جرعاً
 فهزم البطل العباس شيمته
 نادى أخاه سليل الوحي في أدب
 دعني أجالدهم أشفى غليل حشى
 فإن لي ثار في قبائلهم
 يا سيدي كيف صبري والجميع غدوا
 وصرخة النسوة الثكلى تحركني
 وهدرken اصطباري الباكيات ظما
 وإنما ضجة الباكيين من عطش
 وكم رضيع يقاسي الموت من ظما
 دعني أموت ولم اسمع مروعة

قال الحسين له حامي على حرم مصونة بحجاب الوحي من زمن
وضحي نفسك ياحر الفعال ومت موت الكرام لأجل الدين والوطن
فكل ذي شيمة شماء مبتهج بالموت دون هوان العرض والسنن

أرسل إلى نائب سوق الشيوخ المرحوم الشيخ محمد حسن نجل العلامة
الشيخ باقر حيدر من تخميس له لبيتي أبي الحب الخطيب الكربلاوي :

يا من فدى النفس من أجلني على عجل هيجت ما بأخيك اليوم من علل
أخي أبي الفضل يا ذخري ويأملني أبوك كان لجدي مثل كونك لي
بنفسه نفس من أخيه يفديها

جدّي بوالدك الرحمن آزره على العدى وبه للدين أظهره
فكان ناصر دين الله مفخره أبوك ساقى الورى في الحشر كوثره
وأنت أطفالنا بالطف ساقيها

القاب العباس «عليه السلام» «كبش الكتبية»

من ألقاب العباس «عليه السلام» «كبش الكتبية»

ومن ألقاب العباس بن أمير المؤمنين «عليه السلام» (كبش الكتبية أو كبش كتبية الحسين) «عليه السلام».

وتفسير الكتبية يأتي في أنظمة الجيوش في الجزء الثالث أما الكبش فالعرب تطلقه على مقدم العسكر أميراً كان أو ملكاً وعلى الشجاع الذي لا يقاوم بأساً ونجلة.

قال الفيروزآبادي في القاموس: الكبش الحمل إذا إنتهى وإذا خرجت رباعيته جمعه أكبش وكباش وأكباس وسيد القوم وقادتهم أخ.

وليس هو حقيقة بل هو مجاز لأن الكبش حقيقة وفي أصل الوضع يرأس القطيع من الأغنام والظباء ويحميها بنطاحه ولما كان قائد الجيش ورئيس القوم والبطل الحربي يرأس الجيش ويحميه بيده وتدبره قيل له كبش وله جرأة على النطاح وإقدام كما شهد الوجدان بذلك فإن الكبش إذا ناطح ك بشأ لم ينصرف عنه حتى يحجز بينهما أو يقتل أحدهما الآخر، وكما أطلق الكبش على الشجاع مجازاً أطلق على المبتدع إذا كان متبعاً على جهة الاستعارة حيث أن قطيع الأغنام يتبع الكبش في المرعى كذلك بهائم العوام يتبعون الظال المبتدع في ضلاله وبدعاته.

فقد قال رسول الله ﷺ في رجل من قريش يلحد بمكة: كبش أسمه عبد الله عليه نصف عذاب أهل النار متفق عليه عند الشيعة والسنة وقد ذكرنا من رواه من حفاظ أهل السنة في كتابنا (الميزان الراجح) في ترجمته ولا يطلق الكبش في الحرب عند العرب، إلا على من تكاملت فيه سمات البطولة وجمعت فيه صفات الرجلية ولقب بهذا اللقب قبل أبي الفضل العباس بن علي «عليهم السلام» رجالان من أعظم رجال العرب وأشهرها أحدهما بطل المشركين بلا نزاع طلحة بن أبي طلحة القرشي من آل عبد الدار فكان يلقب كبش الكتبية قتله أمير المؤمنين

«عليه السلام» يوم أحد فسر بقتله رسول الله ﷺ وبقتله فلت شوكة المشركين وكسر حدتهم، والثاني بطل المسلمين غير مدافع وهو مالك بن الحارث الأستر النخعي صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» بطل العرب المشهور كان يلقب كبش العراق.

ويطلق لفظ الكبش على كل بطل ويقال للأبطال كباش وشبهوا أعتراك الأبطال بالنطاح وأما إطلاقه على الملوك الظلمة فقد ورد في كلام مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» بقوله في عبد الملك بن مروان: أبو الأكبش الأربعة.

قتل أمير المؤمنين «عليه السلام» لكبش الكتبية

ذكر قصته عامة أهل السير منهم ابن أبي الحميد المعتزلي الحنفي والحلبي الشافعي ومفتى الشافعية زيني دحلان وغيرهم، ولفظ الحلبي في سيرته^(١) في غزوة أحد قال: خرج رجل من المشركين بين الصفين وهو طلحة بن أبي طلحة، وأبو طلحة والده أسمه عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار وكان بيده لواء المشركين لأنبني عبد الدار كانوا أصحاب لواء المشركين لأن اللواء كان لجدهم عبد الدار، وطلب طلحة المبارزة مراراً فلم يخرج إليه أحد، فقال: يا أصحاب محمد! زعمتمهم إن قتلاكم إلى الجنة وإن قتلانا إلى النار - وفي رواية: زعمتمهم يا أصحاب محمد أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة - فهل أحد منكم يعجلني بسيفه إلى النار أو أتعجله بسيفي إلى الجنة؟! كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إليّ بعضكم.

فخرج إليه علي بن أبي طالب «عليه السلام» فاختلفا ضربتين فقتله علي «عليه السلام»، وفي رواية: التقى فبشره علي «عليه السلام» فصرعه أي قطع رجله وقع على الأرض فبدت عورته، فقال: يا ابن عميج أنسدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه، فقال له بعض أصحابه: أفلأجهزت عليه، فقال: إنه استقبلني بعورته وعطفتني عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله، وفي رواية: إن رسول الله قال له: ما منعك أن تجهز عليه؟ فقال: ناشدني الله والرحم، فقال: أُقتله فقتله.

ووقع لسیدنا علي «عليه السلام» مثل ذلك يوم صفين مرتين: الأولى حمل على بسر بن أرطاة فلما رأى أنه مقتول كشف عورته فانصرف عنه، والثانية حمل على عمرو بن العاص فلما رأى أنه مقتول كشف عورته فأناصرف عنه علي «عليه السلام».

ثم قال آخر الصفحة: ولما صرّع صاحب لواء المشركين الذي هو طلحة بن أبي طلحة أستبشر النبي ﷺ وأصحابه أي لأنّه كبش الكتبية أي الجيش أي حاميه الذي رأى النبي ﷺ فـي رؤياه المتقدمة أنه مردفاً كباً وقال: أولت ذلك ذلك أني أقتل كبش الكتبية، انتهى.

وفي رواية ابن إسحاق: إنّ الذي قتلته أمير المؤمنين «عليه السلام» هو أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين وخرج إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» وهو يقول: أنا أبو القصيم، ويقال أبو القصيم^(١) ولعلّ أبو سعد كنية لكبش الكتبية.

قال ابن أبي الحديـد في الشرح^(٢): فـلما قـتل طـلـحة سـرـ رسول الله ﷺ وكـبرـ تـكـبـيرـاً عـالـيـاً وـكـبـرـ الـمـسـلـمـونـ إـلـخـ.

والطبرـيـ أـجـمـلـ الـقـصـةـ وـلـكـنـهـ ذـكـرـ بـعـدـ قـتـلـهـ لـعـبـدـهـمـ صـوـابـ آـخـرـ أـصـحـابـ الـلـوـاءـ وـقـدـ قـطـعـتـ يـدـاهـ عـلـىـ الـلـوـاءـ فـأـحـتـضـنـهـ وـبـرـكـ عـلـيـهـ بـصـدـرـهـ وـعـنـقـهـ حـتـىـ قـتـلـ عـلـيـهـ.

قال^(٣): لما قـتـلـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ «عليه السلام»: أصحاب الأوليـةـ أـبـصـرـ رسولـ اللهـ جـمـاعـةـ مـنـ مـشـرـكـينـ قـرـيـشـ فـقـالـ لـعـلـيـ «عليه السلام»: إـحـمـلـ عـلـيـهـ فـحـمـلـ عـلـيـهـ فـقـرـقـ جـمـعـهـمـ وـقـتـلـ عـمـرـ بـنـ عـبـدـ اللهـ الجـمـحـيـ، قـالـ: ثـمـ أـبـصـرـ رسولـ اللهـ جـمـاعـةـ أـخـرـىـ مـنـ مـشـرـكـينـ قـرـيـشـ فـقـالـ لـعـلـيـ «عليه السلام»: إـحـمـلـ عـلـيـهـ فـحـمـلـ عـلـيـهـمـ فـقـرـقـ جـمـعـهـمـ وـقـتـلـ شـبـيـةـ بـنـ مـالـكـ أـحـدـ بـنـيـ عـامـرـ بـنـ لـؤـيـ، فـقـالـ جـبـرـئـيلـ «عليه السلام»: يـارـسـولـ اللهـ! إـنـ هـذـهـ لـهـيـ الـمـوـاسـاتـ، فـقـالـ رسولـ اللهـ: إـنـهـ مـنـيـ وـأـنـاـ مـنـهـ، فـقـالـ جـبـرـئـيلـ «عليه السلام»: وـأـنـاـ مـنـكـمـاـ، قـالـ: فـسـمـعـواـ صـوـتاـ: لاـ سـيـفـ إـلـاـ ذـوـ الـفـقـارـ وـلـاـ فـتـىـ إـلـاـ عـلـيـ

إـلـخـ. وـقـوـلـهـ: (أـنـاـ أـبـوـ الـقـصـيمـ) فـيـ روـاـيـةـ ابنـ إـسـحـاقـ، وـفـيـ روـاـيـةـ غـيـرـهـ إـنـ كـبـشـ الـكـتـبـيـةـ قـالـ: قـدـ عـلـمـتـ إـنـهـ لـاـ يـتـجـرـأـ عـلـيـ غـيـرـكـ يـاـ أـبـاـ الـقـصـيمـ وـتـفـسـيـرـهـ عـلـىـ ماـ ذـكـرـواـ أـنـ قـرـيـشـاـ لـمـ أـمـتـنـعـ عـلـيـهـ رـسـولـ اللهـ ﷺـ بـعـمـهـ أـبـيـ طـالـبـ فـلـمـ يـصـلـواـ إـلـيـ بـالـأـذـىـ أـغـرـوـاـ بـهـ صـبـيـانـهـ إـلـاـ خـرـجـ آـذـوـهـ وـعـبـثـواـ بـهـ فـشـكـيـ ذـكـرـ ذـلـكـ إـلـىـ عـمـهـ أـبـيـ طـالـبـ (رـضـوـانـ اللهـ عـلـيـهـ)ـ فـقـالـ: يـاـ اـبـنـ أـخـيـ! إـذـاـ خـرـجـتـ فـخـذـ مـعـكـ أـخـاكـ عـلـيـاـ، فـخـرـجـ رـسـولـ اللهـ ﷺـ وـعـلـيـ مـعـهـ وـهـوـ غـلامـ فـلـمـ عـبـثـ الصـبـيـانـ بـرـسـولـ اللهـ ﷺـ شـدـ عـلـيـهـ

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/٣٥٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢/٣٦٦.

(٣) تاريخ الطبرـيـ ٣/١٧.

علي «عليه السلام» فكان إذا قبض على أحدهم قضمها أي قطعها أو على أنفه قضمها فذهبوا يتشارخون إلى أهلهم هذا يقول: قضم أذني علي وهذا يقول قضم أنفي علي، وفي نسخة: صلماها فلقب لذلك بالقصيم وبالصيلم، وقيل له أبو القضم.

كشف عمرو بن العاص ويسر بن أرطأة لعورتيهما

قد أجمل الحلبي الشافعي قصتهما وقد استدفع رمح أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي يرشح بالمنون ويقطر بالمنية ثلاثة من أبطال قريش: أحدهما العبدري كبش الكتبية يوم أحد كما عرفته، والثاني عمرو بن العاص السهمي، والثالث بسر بن أرطأة العامري كلاهما يوم صفين وقد اروثتهما تلك الطعنة المباركة خزيًا وجللتهم عاراً إلى الأبد فضررت بذلك الامثال، فقال أبو فراس الحمداني:

فلا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوماً بسوءه عمرو
وقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقد حثهم معاوية على لقاء أمير المؤمنين
«عليه السلام»:

يقول لنا معاوية بن هند
يشد على أبي حسن علي
فيهتك مجمع اللبة منه
فقلت له أتلعب يا بن هند
أمرنا بحبة بطن واد
وما ضبع يدب ببطن واد
بأضعف حيلة منا إذا ما
دعاللقاء في الهيجاء لاق
سوى عمرو وقته خصيته
كأن القوم لما عاينوه
لعمراً بي معاوية بن حرب
لقد ناداه في الهيجا علي

أما فيكم لواتركم طلوب
بأسمر لا تهجنـه الكعوب
ونقعـ الخيل مطردـ يثوب
كأنـك بينـنا رـجـلـ غـرـيبـ
إذا نـهـشتـ فـلـيـسـ لـهـ طـبـيـبـ
أـتـيـحـ لـهـ بـهـ أـسـدـ مـهـيـبـ
لـقـيـنـاهـ وـذـاـ مـنـأـ عـجـيـبـ
فـأـخـطـأـ نـفـسـهـ الأـجـلـ الـقـرـيـبـ
نجـىـ وـلـقـلـبـهـ مـنـهـ وـجـيـبـ
خلـالـ النـقـعـ لـيـسـ لـهـ قـلـوبـ
وـمـاـ ظـنـ تـلـقـحـهـ الغـيـوبـ
فـأـسـمـعـهـ وـلـكـنـ لـاـ يـجـيـبـ

وقال مالك الأشتر:

أكل يوم رجل شيخ شاغره
تبرزها طعنة كف واتره
وقال النضر بن الحارث الجشمي:
أفي كل يوم فارس تندبونه
يكف بها عنه علي سنانه
بدت امس من عمرو فقنع رأسه
فقولا لعمرو وأبن أرطأة أبصرا
ولا تحمدوا إلا الحبي وخصا كما
ولو لامالم تنجوا من سنانه
متى تلقيا الخيل المشيبة صبحة
وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنا
 وإن كان منه بعد في النفس حاجة
واطلب القصتين تفصيلاً من كتاب صفين لنصر بن مزاحم^(١).

تلقيب الأشتر بكبس العراق

ذاك أمر مشهور أكثر شعراء صفين من ذكره، فقال شاعر أهل الشام مستغثياً حين عضتهم سيف أهل العراق لائذاً بأحكام المواعدة بين علي «عليه السلام» ومعاوية:

رذوس العراق أجيبو النداء
فقد بلغت غاية الشدة
وقد أودت الحرب بالعالمين
فليسنا ولستم من المشركين
ولكن أنس لقوا مثلهم
فقاتل كل على وجهه
فإن تقبلوها ففيها البقاء

فقد بلغت غاية الشدة
وأهل الحفاظ والنجدة
ولا المجمعين على الردة
لنا عدة ولهم عدة
يتحمّه الجد والنجدة
وأمن الفريقين والبلدة

(١) وقعة صفين: ص ٢٤٥ و ٢٢٣.

وإن تدفعوها ففيها الفناء وكل بلاء إلى مدة
وحتى متى مخض هذا السقاء ولا بد أن تخرج الزيادة
ثلاثة رهط هم أهلها وإن يسكتوا تخمد الوقدة
سعيد بن قيس وبكشن العراق وذاك المسود من كندة
قال نصر بن مزاحم^(١): فحمد هؤلاء النفر المسمون في الصلح؛ فاما
المسود من كندة فهو الأشعث فإنه لم يرض بالسکوت بل كان من أعظم الناس
قولاً في إطفاء الحرب، وأما بكشن العراق وهو الأشتر فلم يكن يرى إلا الحرب
ولكنه سكت على مضمض، وأما سعيد بن قيس فتارة هكذا، وتارة هكذا، وقال:
وذكر نصر قصة الأشتر مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فأطلبهما، وفي هذه
القصة وهزيمة عبد الرحمن يقول النجاشي من أبيات:
دعونا لها الكبش بكشن العراق وقد خالط العسكر

وصف البطل بالكبش على جهة الحموم

شاع ذاك عند العرب ونظموه في اشعارهم واستيفاء الشواهد تطويل فخذ بعض الاشعار فمنه ما عن الدميري في حياة الحيوان وهو من شعر صفين:
الليل داج والكباش تنتفع نطاح أسد ما أراها تصطلح
فمن يقاتل في وغاما ما نجى ومن نجى بنفسه فقد ربح
ومنه قول عمرو العكي بصفين يدعوا النجاشي الحارثي شاعر أهل العراق إلى المبارزة:

أبرز إلى ذا الكبش يا نجاشي اسمى عمرو وأبو خراش
فاجابه النجاشي بشعر منه:
إرود قليلاً فأنا النجاشي

إلى إن قال فيه:

أنصر خير راكب وماشي أعني علياً بين الرياشي
من خير خلق الله في نشناش مبرء من نرق الطياش
بيت قريش لا من الحوشاني ليث عرين للكباش غاشي
يقتل كيش القوم بالهراس

ومنه قول عمرو بن العاص وكان أشار على معاوية أن لا يمنع علياً وأهل العراق الماء بصفين وقال له: إن علياً لا يعطش وهو من قد عرفت ومعه فرسان العرب وبهذه أعنزة الخيل، فخالفه معاوية وأخذ برأي ابن أبي سرح وأبن أبي معيط وغيرهما من الحمقاء، فلما ضربتهم أهل العراق تلك الضربة القاسية وصدموهم تلك الصدمة الموجعة فأكتسحوهم من الشريعة وأقصوهم عنها أميالاً وملكونها عنوة وقسرأ شمت عمرو بن العاص بمعاوية ومشيريه فقال مخاطباً لهم:

أمرتك أمراً فسخنته وخالفني ابن أبي سرح فأغمضت في الرأي إغماضة ولم ترى في الحرب كالفسحة فكيف رأيت كباش العراق ألم ينطحوا جمعنا نطحة

أظن لها اليوم ما بعدها
فإن ينطحونا غداً مثلها
وإن أخروا الماء بعدها
فقد قدموا الخبط والنفحة
وقد شرب القوم ماء الفرات وقلدك الأستر الفضحه
وقال عمرو بن العاص أيضاً لمعاوية وقد أشار عليه أن يبارز أمير المؤمنين
«عليه السلام» فاستغشه معاوية وقال: إنما أردت قتلى بمارزة ابن أبي طالب
لتتملك الشام، وقال شرعاً يوبخ فيه عمراً فأجابه بقوله:
معاوية إن نكلت عن البراز لك الولادة فأنظر في المخازي
فما ذنبي إذا نادى علي وكبش القوم يدعى للبراز
الخ، ومنه قول عمرو يوم أحد وذكره ابن إسحاق في سيرته:
ففداء لهم أمري غداة الروع إذ يمشون قطوا
سيراً إلى كبش الكتبة إذ جلتـه الشمس جلوا
الخ، وهذا كثير من أشعار العرب وإن شئت الزيادة فراجع المعاجم
التاريخية العربية.

لقب العباس بكبش كتبة الحسين «عليهم السلام»

اختصاص أبي الفضل بكبش كتبة الحسين «عليهم السلام»:

هذا لقب يختص به أبو الفضل العباس الأكبر بن أمير المؤمنين «عليهم السلام» دون سائر شهداء كربلاء وقد اختصه بهذا اللقب أخوه الحسين «عليه السلام» وجعله من ألقابه المميزة له وذلك حين اتاه يطلب منه الرخصة للهجوم على جيوش أهل الكوفة المحيطة به وقد أكثر الشعراء في تأبينه من ذكر هذا اللقب، فقال بعضهم بلسان حال سيد الشهداء الحسين «عليه السلام»:

عباس كبش كتبتي وكنانتي وسري قومي بل أعز حصوني
وقال الأزرى (رحمه الله):

اليوم بان عن الكتائب كبشاها اليوم فل عن البنود نظامها
قال الفاضل الدربندي في (أسرار الشهادة)^(١) وعنـه الكربلائي في معالي
السبطين^(٢) في شهادة العباس «عليه السلام» إن الحسين «عليه السلام» أنـحنى عليه

(١) أسرار الشهادة: ص ٣٢١. ٢٧٤ / ١.

(٢) معالي السبطين

ليحمله ففتح العباس عينيه فرأى أخاه الحسين «عليه السلام» يريد أن يحمله فقال: أين تريد يا أخي؟ فقال: إلى الخيمة، فقال: يا أخي بحق جدك رسول الله ﷺ عليك أن لا تحملني دعني في مكاني هذا، فقال: لماذا؟ فقال: إنني مستح من ابنتك سكينة وقد وعدتها بالماء ولم آتها به، والثاني إنني ك苦し كتبتك وإذا رأني أصحابك مقتولًا فربما يقل عزمهم، فقال له الحسين «عليه السلام»: جُزيت عن أخيك خيراً حيث نصرته حياً وميتاً، إنتهى.

ويعلق الكربلائي على إشكال عرض له ويجعله دليلاً على شهادة العباس أولاً وإنه أول قتيل ثم أيد نظريته هذه بكلام المقتل المنسوب لأبي مخنف وأوقفنا هذه النظرية على عامية الكربلائي وأرتنا بساطته:

أولاً: إلغاء ما حققه العلماء وورد في الزيارة أن أول الشهداء من العلوين على ابن الحسين «عليهم السلام» فلا يصح إلغاء هذا المحقق لحكاية واهية في مقتل لم يثبت أنه لأبي مخنف.

وثانياً: لا يلزم من قوله قل عزم أصحابك أن يكون أول قتيل وأن أصحابه لم يقتلوا قبله، هذا جهل فاضح بل المراد لو صح ما في المقتل أن أصحابه المراد بهم الباقيين بعد مقتله «عليه السلام» فقد بقي من أصحاب الحسين «عليه السلام» بعد شهادة العباس جماعة وبعضهم جرحى فالإمام زين العابدين وعقبة بن سمعان مولى الريباب وبعض الموالي كانوا أحياء، والضحاك المشرقي الذي نجى بعد شهادة العباس «عليه السلام» وعنده وعن عقبة بن سمعان تروي أخبار الطف ونجى زياد الأقطع والد الفراء بعد أن قطعت يده بالطف، والموقع الأستدي أسر ونفاه ابن زياد إلى الزيارة، والحسن المثنى عالج أخوه جراحاته فبراً منها، وسويد بن أبي المطاع قتل بعد شهادة الحسين «عليه السلام» سمعهم وهو جريح يقولون: قتل الحسين، فأخرج سكيناً فقاتل بها فقتل، وسوار بن المنعم النهمي الهمданى أسر جريحاً ومات لستة أشهر وغير هؤلاء وهم الذين يقل عزمهم عند مشاهدة العباس «عليه السلام» قتيلاً وكذلك كان الأمر فقد هرب الضحاك واستسلم عقبة وأسر الباقيون بعد قتل الحسين «عليه السلام» وكانوا بوجوده واثقين بسلامة الحسين «عليه السلام» وبسلامة الحسين «عليه السلام» سلامتهم مضمونة، فإذا قتل العباس تيقنوا قتل الحسين «عليه السلام» فقل عزمهم، وهذا من التدبير وهو يدل على مهارة العباس «عليه السلام» بالفنون الحربية وخبرته بها.

من ألقاب العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» «حامى الظعن او حامي ظعينة كربلا»

هذا لقب مشهور شائع إطلاقه على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين «عليه السلام» ومن نعوته السائرة، فقد قال السيد جعفر الحلي في تأييده: حامي الظعينة أين منه ربعة أم أين من عليا أبيه مقدم وقلت فيه:

حامى ظعينة كربلاء بصارم صادى الحديد رواه قحف الرأس وكأنهم خصوه بهذا اللقب لفرق بينه وبين أخيه سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي «عليهما السلام» الملقب بحامى الإسلام وحامى الشرع المقدس، ورتبة العباس «عليه السلام» دون رتبة الحسين «عليه السلام» وحماية الظعينة أدنى من حماية الشريعة الغراء رتبة بكل معنى، ومن جهة ثانية إن الإمام الحسين «عليه السلام» هو الامير والسيد والقائد ولا يباشر كل المهام بنفسه وإنه لا بد للرئيس من معتمد يقوم مقامه وينوب عنه في المهام وكان من أهل الكفاءة وله الأهلية في القيام بواجبه ليحصل الاعتماد عليه في ما رشح له وحيث لم يكن عند سبط النبي ﷺ أهم من القيام بحياة العائلة المخدرة وحمايتها في تلك الفيافي الوحشة والمفاوز المقرفة وكان من أوثق القادمين معه في نفسه اخوه العباس الأكبر وأبنته علي الأكبر لما فيهما من الكفاءة لكل مهم يناظر بهما فوظفهما لهذه المهمة فكانا يقومان بترحيل العائلة وإنزالها ويتوليان حراستها مع فتیان العلویین، وأكثراهما قياماً بهذا الواجب وأشدھما مباشرة لهذه الوظيفة أبو الفضل العباس.

ولما قتل علي الأكبر «عليه السلام» قبل عمه العباس «عليه السلام» قام أبو الفضل «عليه السلام» بالمحاماة عن المخيم وصد هجمات العدو عنه لأن أجلاف الأعداء يتقصدون إيصال الرعب لتلك العقائل المخدرة حيث أنهم متيقنون أن في إرعبها كسرأ لقلب الحسين «عليه السلام» لما عرفوه من شدة غيرته على حرمته فكانت كتائب الإرهاب الكوفية تقصد إخافة النسوة بكل جهودها ولكن موقف الحسين «عليه السلام» في جبهة القتال اليمنى والعباس «عليه السلام» في الجهة اليسرى يصدان هجمات الإرهاب العدائية عن المخيم ويحرسان المذاعير من النسوة الخفرة وهن ما دمن ينظرن الاخوين الكريمين يتعاضدان في الحملة ويتناصران في الجولة في غاية الوثوق بالسلامة من تعديات المعذبين عليهم

والشرع المقدس يؤكد حفظ الحرم وصيانة العرض أشد تأكيد، ففي الأحاديث التي يعول عليها أن من قُتل دون ماله وعرضه فهو شهيد تأكيد أو فله أجر شهيد.

نعم وهي شيمة الأحرار وسجية أرباب الغيرة والحمية فإنهم يتھالكون على حفظ مخدراتهم وحراسة مصوناتهم ويتفانون على أقل خدشة تصيب الواحدة منهم وقد ضحى كثير منهم نفوسهم دون أعراضهم ونشبت بسبب ذلك حروب ووقعت وقائع ذات أهوال، وقد أجلى رسول الله ﷺ اليهود بني قينقاع لهذا السبب، وكانت بعض وقائع الفجّار المشهورة في الجاهلية لهذا السبب، وقد دافع رجال العرب بحسب المجهود ذياداً عن الحرم وكافحوا بما استطاعوه، وإليك بعض ما سطره التاريخ وفي طليعته إجلاء النبي ﷺ ليهود قينقاع، فقد ذكر أهل السير ولفظ السيرة الهاشمية^(١):

قال ابن هشام: ذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عون قال: كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعتة بسوق بني قينقاع فجلست إلى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبانت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت أنكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فأستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

قال ابن إسحاق: عن عمر بن قتادة: فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه فقال إليه عبد الله ابن أبي سلول حين مكنته الله منهم فقال: يا محمد! أحسن في موالي فأعرض عنه وكانوا حلفاء الخزرج فأبطا رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! أحسن في موالي، فأعرض عنه فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: أرسلني غضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظلاماً، قال: ويحك أرسلني، قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر وثلاث مائة دارع قد منعوا مني الأحمر والأسود تحصدتهم في غداة واحدة إني والله أمرء أخشى الدوائر، قال: فقال رسول الله ﷺ: هم لك، الخ. وفي هذه القصة نزلت سورة الحشر وتركنا صفة إجلاءهم حذر التطويل.

وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد^(٢): كان الفجّار الثاني بين قريش وهو زن وكان الذي هاجه أن فتية من قريش قعدوا إلى امرأة من بني عامر بن صعصعة

(٢) العقد الفريد ٣/٢٧٧.

(١) سيرة ابن هشام ٢/٣٣٤.

وضيئه وحسانة بسوق عكاظ وقالوا: بل طاف بها ثباب من بنى كنانة وعليها برقع وهي في درع فضل فأعجبهم ما رأوا من هيئتها فسألوها أن تسفر عن وجهها فأبانت عليهم، فأتى أحدهم من خلفها فشد ذيلها بشوكة إلى ظهرها وهي لا تدري فلما قامت تقلص الدرع فنادت المرأة: يا آل عامر، فتحاور الناس وكان بينهم قتال ودماء يسيرة، فحملها حرب بن أمية وأصلح بينهم، انتهى.

وفي هاتين القصتين رد على من زعم أن العرب القدماء كانت عادتهم السفور.

قال في العقد أيضاً^(١): غزى الحوفزان بن شريك وهو الحارت بن شريك فأغار على من بالقاعة من بنى سعد بن زيد مناة فأخذ نعماً كثيراً وسبباً فيهن الزرقاء من بنى ربيع بن الحارت فأعجب بها وأعجبت به وكانت خرقاء، فأتى الصريح بنى منقر بن سعد فركب قيس بن عاصم في أثر القوم حتى أدركهم بالأسميين فألحّ قيس على الحوفزان وقد حمل الزرقاء وكان الحوفزان قد خرج في طليعة فلقيه قيس بن عاصم فسأله من هو؟ فقال: لا تكاثم اليوم أنا الحوفزان، فمن أنت؟ قال: أنا أبو علي، ومضى ورجع الحوفزان إلى أصحابه فقال: لقيت رجلاً أزرق كأن لحيته ضربة صوف، فقال: أنا أبو علي، فقالت عجوز في السبي: بأبي أبو علي من لنا بأبي علي؟ فقال لها: ومن أبو علي؟ قالت: قيس بن عاصم، فقال لأصحابه النجاء وأردف الزرقاء خلفه وهو على فرسه الزبد وعقد شعرها إلى صدره ونجي بها.

وكانت فرس قيس إذا أوعثت تضرب ويطر عليها الزبد فإذا أجد لحقته بحيث يكلم الحوفزان فقال له قيس: يا أبو حمار! أنا خير لك من الفلاة والعطش، فقال له الحوفزان: ما شاء الزبد، فلما رأى قيس أن فرسه لا يلحقه نادى الزرقاء ميلي به ياجuar، فلم سمعه الحوفزان دفعها بمرفقه وجزّ قرونها بسيفه فألقاها عن عجز فرسه وخاف قيس أن لا يلحقه فنجله بالرمي في خزانة وركه فلم يقصده وعرج منها ورد قيس الزرقاء إلى بني ربيع، فقال سويد بن عياض المنقري:

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة تمج عبيطاً من دم الجوف أشكلا

انتهى، وذكر هذه القصة الشريف الرضي الموسوي (رحمه الله) بقوله:
ولما ألاح الحوفزان من الردا حداه المحادي رمح قيس بن عاصم

وإنما لقب الحوفزان لأجل هذه الطعنة لأن قيس حفظه بالرمي وكان يسمى الحارث بن شريك وهو جد معن بن زائدة الجواد المشهور، وقيس رد السبي كله إلا هذه الحمقاء وأنف أن تسبى من عشيرته أمراً ولو كانت مجنونة.

قال الميداني في مجمع الأمثال^(١) كان رهيم بن حزن الهلالي أنتقل بأهله وما له من بلد يريد بلداً آخر فأعترضه قوم منبني تغلب فعرفوه وهو لا يعرفهم، فقالوا: خلي ما معك وأنجو، فقال: دونكم المال ولا تعرضوا للحرم، فقال بعضهم: إن أردت أن تفعل فالق رمحك، فقال: وإن معي لرمحاً، فجعل يقتلهم واحداً واحداً وهو يرتجز ويقول:

ردوا على أقربها الأقصاصاً إن لها بالشرف هادياً

ذكرتني الطعن و كنت ناسياً

إنتهى، ذهل هذا العربي القبح عن سلامه لشدة غيرته على حرمه وهكذا كانت نفوس العرب الأحرار وقد أشتهرت قصة المعتصم الخليفة العباسى لما غزى الروم وفتح عمورية من أجل أمراً هاشمية سببت في بلادهم ونادت: وامعتصمها! ومحضر القصة عن الفخر الطقطقي في الآداب السلطانية^(٢) فأطلبتها.

من اشتهر بلقب حامي الظعن من العرب

لم يستهر بهذا اللقب قبل أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهما السلام» إلا رجل واحد من العرب وهو ربيعة بن مقدم الكنانى أحد بنى فراس بن غنم عرف بحامي الظعن حياً وميتاً وضربه الشعراء مثلاً.

أخبار ربيعة بن مقدم في حماية الظعن:

قال في العقد الفريد^(٣): أبو حاتم عن أبي عبيدة: خرج دريد بن الصمة في فوارس من بنى كنانة حتى إذا كانوا في وادٍ لبني كنانة يقال له الآخرم وهم يريدون الغارة على بنى كنانة إذ رفع له رجل في ناحية الوادي معه ظعينة فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه صاح به خل عن الظعينة وأنجوا بنفسك، فأنتهى إليه الفارس وصاح به وألح عليه فألقى زمام الناقة وقال للظعينة:

سيري على رسلك سير الأمان سير رداع ذات جاش طامن
إن الثاني دون قرنبي شائني أبلني بلائني فأخبرني وعايني

(١) مجمع الأمثال ١/١٨٨.

(٢) الآداب السلطانية: ص ٢٠٩.

(٣) العقد الفريد ٣/٣٣١.

ثم حمل عليه فصرعه وأخذ فرسه وأعطها للظعينة فبعث دريد فارساً آخر لينظر ما صنع صاحبه فأنتهى إليه ورأى ما صنع صاحب به فتضامم عنه كأنه لم يسمع فظن أنه لم يسمع فغشيه فألقى زمام الراحلة إلى الضعينة ثم خرج وهو يقول:
خل سبيل الحرمة المنية إنك لاق دونها ربيعه في كفه خطبة مني عه أو لا فخذها طعنة سريعه والطعن مني في الوغى شريعه

ثم حمل عليه فلما أبطأ دريد بعث فارساً لينظر ما صنعا، فلما إنتهى إليهما وجدهما صرعيين ونظر إليه يجر رمحه، فقال للظعينة: أقصد قصد البيوت، ثم أقبل عليه وقال:

ماذا تريد من شئيم عابس أما ترى الفارس بعد الفارس أرداهما عامل رمح يابس

ثم حمل عليه فصرعه وأنكسر رمحه وارتاد دريد وظن أنهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل فلحق دريد ربيعة وقد دنى من الحي ووجد أصحابه قد قتلوا، فقال: أيها الفارس! إن مثلك لا يقتل ولا أرى معك رمحك والخيل ثائرة بأصحابها فدونك هذا الرمح فإني منصرف عنك إلى أصحابي ومثبطهم عنك، فأنصرف إلى أصحابه فقال: إن فارس الظعينة قد حماها وقتل أصحابكم وأنزع رمحي فلا مطعم لكم فيه، فأنصرف القوم فقال دريد في ذلك:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله حامي الظعينة فارساً لم يقتل أردى فوارس لم يكونوا نهزة ثم أستمر كأنه لم يفعل فتهلللت تبدو أسرة وجهه مثل الحسام جلته كف الصيقيل يزجي ظعينته ويسحب رمحه متوجهاً يمناه نحو المنزل وترى الفوارس من مهابة رمحه مثل البغاث خشين وقع الأجدل

وفي مجمع الأمثال^(١) ذكر أبو عبيدة أن نبيشة بن حبيب السلمي خرج غازياً فلقي ظعناً من كنانة بالكديد فأراد أن يحتويها فمانعه ربيعة بن مقدم في فوارس وكان غلاماً له ذو آبة فشد نبيشة فطعنه في عضده فأتى ربيعة أمه وقال:

شدي على العصب أم سيار فقد رزئت فارساً كالدينار

فقالت أمه:

إنا ببني ربيعة بن مالك نرزوء في خيارنا كذلك
ما بين مقتول وبين هالك

ثم عصبته وأستسقاها ماء فقالت: إذهب فقاتل القوم فإن الماء لا يفوتك، فرجع وكر على القوم فكشفهم ورجع إلى الظعن وقال: إني مائت وسأحميكن ميتاً كما حميكن حياً بأن أقف بفرسي على العقبة واتكى على رمحي فإذا فاضت نفسي كان الرمح عمادي فالنجاء النجاء فإني أرد بذلك وجوه القوم ساعة من النهار فقطعن العقبة ووقف هو بإزاء القوم على فرسه متکاً على رمحه ونزفه الدم ففاظ القوم بإزاءه يحجمون على الأقدام عليه فلما طال وقوفه في مكانه ورأوه لا يزول عنه رموا فرسه فقمص وخر ربيعة لوجهه فطلبوه الظعن فلم يلحقوهم، ثم إن - حفص بن الأحنف - الكناني مر بجيفة ربيعة فعرفها فأهال عليها أحجاراً من الحرة، قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو بن العلاء: ما نعلم قتيلاً حمى ظعائن غير ربيعة بن مقدم، إنتهى.

وكان عمرو بن العلاء يشير إلى عصر الجاهلية وكان عصر الإسلام أمر وراء ذلك وإلا فالحسين بن علي «عليهما السلام» قد حمى رحله ميتاً كما حماه حياً فإنه لما أغми عليه ثلات ساعات من النهار وقف القوم وهابوا الدنو منه وأختلفوا فمن قائل قد مات، وآخر يقول عملها مكيدة، فقال الشمر لعنه الله: أقصدوا قصد الخيم فإن كان حياً هزته الغيرة الهاشمية، فقصدوا المخيم فتصارخت النساء فأفاق «عليه السلام» فأراد النهوض فسقط فنادى بصوت ضعيف: يا شيعة آل أبي سفيان! امنعوا مردمكم وعتاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حياً فإن لم يكن لكم دين وكتتم لا تخافون المعاد فراجعوا أحسابكم وأنسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون، فقالوا: وما ذاك يا بن فاطمة؟ قال: فأقول أنا الذي أقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس لهن ذنب فعطروا عليه وكان من أمره ما سطر التاريخ وإليه أشار الشاعر: قال أقصدوني بنفسي واتركوا حرمي قد حان حيني وقد لاحت لوانيه ومثل هذا لم يسمع به في جميع العالم قديماً وحديثاً أن صريعاً أغمي عليه ثلات ساعات ويحيط به أكثر من عشرين ألف بطل من مقدمي الأبطال الذين خاضوا غمرات الحروب وما رسوا المعارك الهائلة فلم يجسر أحد منهم على الدنو منه ليعرف أحياناً هو أو ميت وقد اجاد السيد حيدر الحلي بقوله في رثائه: فما أجلت الحرب عن مثله صريعاً يجبن شجعانها

وقد روى هذا الحديث الفاضل الدربندي في أسراره^(١) عن أبي مخنف وهو مذكور في المقتل المنسب لأبي مخنف كذلك.

حماية العباس «عليه السلام» للظعائن

قد عرفت أن حماية العباس «عليه السلام» للظعائن كانت من حين سار الحسين «عليه السلام» من المدينة إلى أن نزل الغاضرية وكذلك العشرة أيام التي أقامها الحسين «عليه السلام» حتى استشهد وكان العباس بن أمير المؤمنين «عليه السلام» أمير الحرس الحسيني الذي يقوم بحراسة المخيم وقد أكثر الشعراء من ذكر ذلك وهو منظوم باللسانيين العربي وأعلامي و معروف في المراثي الحسينية واشتهر على السنة الذاكرين أن زينب الحوراء لما مروا بالسبايا على جثث القتلى خاطبت العباس «عليه السلام» بما يتضمن العتاب له على ترك حمايتها في مثل هذه الحالة التي صارت إليها وأوقعها الزمان فيها بعد فقد الحماة.

ويذكر الذاكرون أيضاً أنه لما أقبل أهل الكوفة إليهم بالنيل ليركبوا عليها جعلت النساء تركب بعضها بعضاً حتى بقيت زينب وحدها حولت وجهها إلى نحو العلقمي ونادت: أخي أبو الفضل أنت الذي أركبني يوم خروجنا من المدينة فمن يركبني الآن يا ابن والدي، ولم يفسح لي المجال في تتبع هذه المقالة واستخراجها من مظانها وأعمل فيها على مصادرها فإن كانت رواية فالعهدة على الرواية وإن كانت حكاية حال واستخراج من فحوى القصة فنعم الاستنباط إذ المعلوم إن شباب العلوين ويرأسهم أبو الفضل هم الذين ركبوا العقائل الحسينية حين خرجوا من المدينة فوجب أن يتولى ركبهن للمسير عن وادي كربلاء لولا حيلولة المنية دون ذلك.

للمؤلف:

أبا الفضل يا بن علي الفخار	وصنو النبي وحامى الذمار
حميت ظعائن آل الرسول	بتلك الفيافي وتلك القفار
فما راعها رائع مزعزع	ويمناك تحمل ذات الفقار
إلى أن نزلتم بوادي الطفوف	وقد كنت كالحصن والمستجار
وبعد افتقادك سار النساء	بذل السباء وذل الإسار

فُلوكِنْت حِيَا تَرِي زِينِبَا
وَتَلِكَ الْعَقَائِل بَعْد الْحِجَاب
وَلَم يَتَرَكَ الْقَوْم مِنْ سَاتِر
تَسْتَرُنْ قَدْ قِيلَ بِالرَّاحْتِين
فَقَمْ يَا كَمِي إِلَى ظُعْنَكُمْ

ومن ألقاب العباس «عليه السلام» «حامِل اللواء»

قد شاع هذا اللقب بين الناس فتعرفه المسلمون القدماء بحامل لواء الحسين «عليه السلام» وتسميه عوام العرب اليوم بالبيرغجي وهذه نسبة تركية وتطلق عليه الفرس لفظ «علمدار حسين» وقد كان هذا اللقب وهو حمل اللواء أشهر ألقاب العباس الأكبر «عليه السلام» وأسيرها ذكرًا لأن ذلك قد صدر من أخيه الإمام الحسين «عليه السلام» فعلاً وقولاً؛ أما الفعل فقد تكرر منه «عليه السلام» مراراً منها لما أراد الحملة قال: أنت حامل لوابي، ومنها لما وقف عليه صريعاً وسنورد جميع ذلك في فصل مقتله «عليه السلام» وقد أكثر الشعراء من مدحه بحمل اللواء كقول بعضهم عاقداً قول الحسين «عليه السلام»:

لمن اللواء أعطي ومن هو جامع شملي وفي ظنك الزحام يقيني
في أشعار كثيرة يأتي بعضها في تأبينه «عليه السلام».

حمل اللواء عند الأمم:

حمل اللواء مكرمة عظيمة عند جميع الأمم والشعوب فيسائر الأزمنة والعصور سوى هذه الأزمنة التي نحن فيها وإن أجمعوا على إنه شعار الدولة فإن لحامل اللواء عند الأمم قاطبة في جميع الأزمان إلا ما استثنيناها مرتبة راقية ومكانة مكينة ومحل سامي لا من حيث شجاعة حامل اللواء فقط بل من حيث أنه نظام العسكر فمتي كان العلم ثابتاً فالجيش منتظم وشمله ملتضم، وإذا سقط اللواء تبدد العسكر.

وعادة العرب ذات التفاخر بما يتراءاً ومجدها أن تجتمع تحت لويتها وراياتها وتثبت في المراكز التي تثبت فيها الرأيات فلا تزول والألوية ثابتة، ولما استحرر القتل في القيسيمة يوم مرج راهط وكاد أن يستأصلهم الفباء تحت راياتهم نظر إلى ذلك رجل من بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فصاح: واقواه!

ثم عمد إلى تلك الرايات فقطعها بسيفه فكان إذا ضرب الرأة وسقطت تفرق أهلها حتى أتى على جميعها فنجت من القبضة شرذمة قليلة وقتل من أشرافهم من يأخذ شرف العطاء خمسين أو أكثر.

ولما أنهزم أهل العراق يوم صفين ثبتت همدان تحت راياتها وقتل منهم تحت راية من راياتهم مائة وخمسون رجلاً فيهم أحد عشر رئيساً؛ فاللواء نظام الجيش.

تحقيق معنى اللواء والفرق بينه وبين الراية:

في تحقيق معنى اللواء والراية وأيهما أكبر وأعظم اضطررت كلمات أهل اللغة فمن قائل أن الراية دون اللواء واللواء أكبر منها، ويقال له العلم والبند وتسميه العوام البعيرغ، ويعرف عند الأتراك بالتوغ والسنجد، والراية على إسمها الأول ويزعم بعض اللغويين أن الراية أعظم من اللواء ولا يصح لأن العرف يرى أن الراية دون اللواء والاصل عدم النقل.

أول من عقد لواءً في العالم

اتخاذ الرايات قديم جداً وأختلف الناس في أول من عقد لواء فقيل شيث ابن آدم «عليه السلام» وقيل إبراهيم الخليل «عليه السلام»، وقيل كابي الحداد من أصبهان في زمن الضحاك الازدهاق بيوراسف الجبار أو هو النمرود عند المؤرخين.

قال ابن شهر آشوب (رحمه الله) في كتاب المناقب^(١): محمد الكساني في المبدأ: إن أول حرب كانت بينبني آدم وبين شيث وقابيل وذلك أن الله تعالى أهدى إليه حلة بيضاء ودفعت له الملائكة راية بيضاء فسلسلة الملائكة قابيل وحملته إلى عين الشمس فمات بها وصارت ذريته عيذاً لشيث، وفي الخبر: إن أول من اتخذ الرايات إبراهيم الخليل «عليه السلام»، إنتهى.

وروى الحر العاملي (رحمه الله) في كتاب وسائل الشيعة^(٢) عن الصادق «عليه السلام» قال: أول من قاتل إبراهيم «عليه السلام» حين أسرت الروم لوطاً فنفر إبراهيم «عليه السلام» حتى أستنقذه من أيديهم، ثم قال بعد أحاديث: وأول من عقد الرايات إبراهيم الخليل «عليه السلام» عليها «لا إله إلا الله».

(١) المناقب لأبن شهر آشوب ١/١٥٩. (٢) وسائل الشيعة ٢/٤٣٦ طبع عين الدولة.

وقال الحلبي الشافعي في سيرته^(١): وأول من عقد الألوية إبراهيم «عليه السلام»: إن قوماً أغروا على لوط «عليه السلام» فعقد لواء وسار إليهم بعبيده ومواليه.

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان^(٢) ذكر أن الفرس لا يحمل لواءها إلا رجل من أهل أصبهان ولذلك سبب خفي على كثير من أهل هذا الشأن وهو أن الضحاك المسمى بالازدھاقي ويعرف بيوراسپ وذى الحيتين لما كثُر جوره على أهل مملكته من توظيفه عليهم كل يوم رجلين يذبحان وتطعم أدمعتهم للحيتين اللتين كانتا نبتتا في كتيفيه فيما تزعم الفرس فأنتهى بالنوبة إلى رجل حداد من أهل أصبهان يقال له كابي، فلما علم أنه لا بد من ذبحه أخذ الجلدَة التي يجعلها على ركبتيه يتقي بها النار عن نفسه وثيابه وقت شغله ثم إنه رفعها على عصا وجعلها مثل البيرغ ودى الناس إلى قتال الضحاك وإخراج أفریدون جدبني سasan من مكمنه وإظهار أمره، فأجابه الناس إلى ما دعاهم إليه من قتل الضحاك حتى قتله وأزال ملكه وملك أفریدون، وذلك في قصة طويلة ذات تهاويل وخرافات فتبركوا بذلك اللواء إذ انتصروا به وجعلوا حمل اللواء إلى أهل أصبهان من يومئذ، إلخ.

وقال الخفاجي في شفاء الغليل^(٣): الدرّش بكسر أوله وفتح ثانية وسكون الفاء أسم راية أفریدون ويقال له درش كاوه، وكاوه أسم حداد من أصبهان كان الضحاك قتل ابنًا له لعلته فأخذ الجلدَة التي يتقي بها ساقيه من شرر النار ونصبها على عود وجعلها راية فاجتمع إليه من قتل الضحاك أقاربهم وأنزعوا الملك منه وأعطوه لأفریدون فتيمن بتلك الجلدَة ورصعها بأحجار الثمينة، والدرش بلغة الفرس الرایة وكانت لم تزل منصوبة على رأسه يقال لها الناج، قال بديع الزمان الهمذاني:

أفریدون ذو الناج أم الإسكندر الثاني

إنتهى، وأخطأ الخفاجي لم يعني البديع تلك الجلدَة النخرة إنما عنى تاج الملك والإكليل السلطاني الذي يوضع على مفارق الملوك، وقصة كابي ذكرها الطبرى، وذكر أن أول من عقد اللواء رجل من بابل خرج على الضحاك الجائر وأن منزله قرية برس بالعراق، وانظر القصتين في تاريخ الأمم والملوك^(٤)، وهذه الأقوال الأربع يمكن التأليف بينها وجمعها بأن يقال: إن أول من عقد راية شيش

(١) السيرة الحلبية ٢/١٣٤.

(٢) معجم البلدان ١/٢٧٠.

(٣) شفاء الغليل: ص ٩١.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ١/٩٩.

حارب بها الثنائين، وأول من عقد راية غازياً بها إبراهيم «عليه السلام» وأول من عقد راية ثائراً على ملك هو البابلي ومنتصرًا لنفسه هو الأصبهاني.

مساهمة الشعوب في عقد الألوية:

سار عقد اللواء في الأمم قاطبة وأعتنى به الشعوب القديمة أشد الاعتناء وعقدته القبائل كما عقدته الملوك، فالأعلام الملوكيّة مختلفة ألوانها ومميزاتها كجعل صليب أو تاج أو هلال أو شمس أو كوكب أو حيوان وألوانها حمر وبيض وصفر ومحاططة وهكذا رايات القبائل وإن خلت من الرسم لها لون خاص يعرفه أفراد العشيرة فيجتمعون إليها كحمراء وببيضاء وسوداء أو ملونة.

قال الجاحظ في البيان والتبيين^(١): إننا نجد رؤساء جميع أهل الملل وأرباب النحل قد اتخذوا في الحروب الرایات والأعلام وإنما ذلك كل خرق سود وحمر وصفر وببيض، وجعلوا اللواء علامة للعقد والعلم في الحرب مرجعاً لصاحب الجولة، وقد علموا أنها وإن كانت خرقاً على عصي إن ذلك أهيب في القلوب وأهول في الصدور وأعظم في العيون.

الألوية عند قدماء البابليين

قال المسعودي في مروج الذهب^(٢) في أخبار قدماء ملوك بابل ما لفظه: هم الذين طبعوا السيف واتخذوا عدة الحرب وغير ذلك من الحيل والمكائد ونصبوا قوانين الحرب بالقلب والميمنة والأجنحة، وجعلوا ذلك مثالاً لأعضاء جسد الإنسان، ورتبوا لكل جزء نوعاً من الألوية لا يوازيها غيره فجعلوا أعلام القلب في صورة الفيل وما عظم من أنواع الحيوان، وجعلوا أعلام الميمنة والميسرة على صورة السباع حسب عظمها واختلافها في أنواعها، وجعلوا في الأجنحة صورة ما لطف من السباع كالنمر والذئب، وجعلوا صور أعلام الكيميا على صور الحيات والعقبان وما خفي فعله من هوم الأرض، وجعلوا ألوان كل نوع منها من السود والبياض والصفرة والخضراء ولون السماء، وقد ذكر قوم أن الألوانثمانية على حسب الموضع المستحق لها.

ثم قال^(٣): وزعموا أن قضية القياس توجب أن تكون سائر أعلام الحرب حمراء إذا كانت أليق وأشكل بلون الدم وأكثر ملائمة إذ كان لونها واحداً، إنتهى.

(٢) مروج الذهب ١ / ١٣٥.

(١) البيان والتبيين ٣ / ٨٠.

(٣) مروج الذهب ١ / ١٣٩.

أما متنبي الغرب الحسن بن هاني الاندلسي (رحمه الله) فضل أن تكون راية الحرب بيضاء وتكتسي لون الحمرة بالدماء عند الطعن فذاك حيث يقول في ممدوحه:

فكانما وجناتهم محرمة رايات يحيى بالدم المسفوك
فذكر أن أحمرار راياته لم يكن ذاتياً بل هو عرضي من صبغ الدماء في الحرب.

الألوية عند الملوك الإسلاميين في القرون الوسطى

قال ابن خلدون في مقدمة التاريخ^(١): وأما تكثير الرايات وتلوينها وإطالتها فالقصد به التهويل وربما تحدث في النفوس من التهويل زيادة في الإقدام وأحوال النفوس وتلوناتها غريبة، والله الخلاق العليم.

ثم قال: فأما الريات فإنها شعار الحروب من عهد الخليفة ولم تزل الأمم تعقدتها في مواطن الحروب والغزوات، ولعهد النبي ﷺ ومن بعده من الخلفاء، ثم ذكر كلاماً مطولاً وقال: ما كان العامل صاحب الثغر أو قائد الجيش يعقد له الخليفة من العباسين والعبيديين لواءه ويخرج إلى بعثه أو عمله من دار الخليفة أو داره في موكب من أصحاب الرايات والآلات فلا يميز بين موكب العامل والخلفية إلا بكثرة الأولية وقتلتها أو بما اختص بها الخليفة من الألوان لرايته كالسوداء في رايات بني العباس فإن راياتهم كانت سوداء حزناً على شهدائهم من بني هاشم ونعيًا على بني أمية في قتلهم ولذلك سموا بالمسودة.

ولما افترق أمر الهاشميين وخرج الطالبيون على العباسين في كل جهة ومصر ذهبوا إلى مخالفتهم في ذلك فاتخذوا الرايات بيضاً فسموا المبيضة لذلك سائر أيام العبيديين ومن خرج من الطالبيين في ذلك العهد بالشرق كالداعي بطبرستان وداعي صعدة ولما نزع المأمون عن لبس السواد وشعاره في دولته عدل إلى لون الخضراء.

وأما الاستكثار منها فلا يتناهى وقد كانت آلة العبيديين لما خرج العزيز لما فتح الشام خمسماة من البنود وخمسماة من الأبواق.

واما ملوك البربر من صنهاجة وغيرها فلم يختصوا بلون واحد بل وشوها

(١) مقدمة تاريخ ابن خلدون: ص ٢١٦.

بالذهب واتخذوها من الحرير الخالص ملونة وأستمروا على الأذن فيها لعمالهم حتى جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم من زناته قصرروا الآلة من الطبول والبنود على السلطان وحضروها على من سواه من عماله وجعلوا لها موكباً خاصاً يتبع أثر السلطان في مسيرة سموه الساقية وهو بين المكثر والمقل؛ فمنهم من يقتصر على سبع من العدد تبركاً بالسبعين كما هو في دولة الموحدين وبني الأحمر بالأندلس، ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين كما هو عند زناته، وقد بلغت في أيام أبي الحسن فيما أدركناه مائة من الطبول ومائة من البنود ملونة بالحرير، منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير، ويأخذون للولاة والعمال والقواد في اتخاذ راية واحدة صغيرة من الكتان بيضاء وطبل صغير أيام الحرب لا يتجاوزون ذلك.

واما دولة الترك يعني العثمانيين لهذا الحد بالشرق فيتخذون أولاً راية واحدة عظيمة وفي رأسها خصلة كبيرة من الشعر يسمونها الشالش والختر وهي شعار السلطان عندهم، ثم تعددت الرایات عندهم ويسمونها السنافق واحدة سنجق وهي الراية بلسانهم، إلخ.

وقال الوزير الصدر الاعظم أحمد جودة باشا في تاريخه^(١) ولفظه: وذكر واصف أفندي في تاريخه مقالة على سبيل الاستطراد بين فيها ما كان للأولية والتوغات من الاعتبار والمنزلة أحبابنا إيرادها هنا ملخصة، قال فيها: إن السر في إحداث التوغ والسنافق واللواء هو أنه إذا جتمع قوم تحت لواء واحد يحصل بينهم الاتحاد بمعنى أن هذا اللواء يكون علامة على اجتماع كلمتهم ودلالة على اتحاد قلوبهم فيكونون كالجسد الواحد ويألف بعضهم بعضاً أشد من ائتلاف ذوي الأرحام وإذا كانوا في معركة القتال لا ييأسون من الظفر ما دام لوازهم منشوراً بل تقوى همتهم ويشتد عزمهم فإذا سقط لوازهم أخذوا من جانب الوهم موضوعاً للخوف والرهبة فينهزم بعضهم أو يتبدد البعض الآخر بخلاف ما إذا كان علمهم مرفوعاً خافقاً مزدهياً تبتهج به نفوسهم وتأخذهم نشوة الفرح والبسالة وتسلط على أعدائهم هزة الرعب فتأخذ بمجامع قلوبهم، وكما أن الموسيقى العسكرية تنعش أرواحهم وتحثهم على الإقدام والشجاعة كذلك مناظر الألوية وتموجها فإنها تحدث فيهم دواعي الغيرة وتجلب لأعدائهم الدهشة والفتور.

كان لجميع الأمم السالفة والدول الماضية آلات موسيقى متنوعة وألوية وأعلام عديدة ولم يكن في زمن الرسالة موسيقى بل أعلام فقط فإن في السنة

(١) تاريخ أحمد جودة باشا / ١ .٣٤

الأولى من الهجرة أرسل رسول الله ﷺ سريّة قدرها عشرين نفساً من المهاجرين برئاسة عمّه حمزة بن عبد المطلب («رضوان الله عليه») ليتعرّضوا لقافلة لقريش كانت قادمة من الشام معها ثلاثة مقاتل تحت رئاسة أبي جهل، فعقد بيده المباركة علمًا أبيض وسلمه لأبي مرثد («رضي الله عنه») وهذا أول لواء عقد في الإسلام وأول سريّة ألف من المسلمين لطلب المغافن، ثم كان أبو مرثد أول من حمل لواء المسلمين وكان هذا اللواء المبارك يعقد في كل غزوة وسريّة إلى حين غزوة خيبر وكان يطلق على الكتبة اسم سريّة حتى يبلغ عددها أربعة آلاف فإذا كان فيها حضرة سلطان الأنبياء عليه أفضل التحيات سميت غزوة.

واللواء هو العلم الذي ينصب في محل إقامة أمير الجيش علامته له وقد عقد لواء آخر أسود في واقعة خيبر وسمى راية وعلماء اللغة يقولون: اللواء والراية بمعنى واحد، وأما في أصطلاح عصرنا هذا يعني عند العثمانيين فإنه يقال للواء بيرغ وللراية سنجق، وقد تعددت الألوية والرايات في زمان الخلفاء، أما العباسيون فكانت ألويتها سوداء وكان لباسهم أسود فسموهم المسودة دلالة على حزنهم ومساءتهم لشهداء كربلاء، وألوية العلوبيين الذين خرجوا على العباسيين بيضاءً فسموهم المبيضة^(١) وكانت الألوية أيام المأمون خضراءً وكان اللباس الخضراء أيضاً وذلك أن المأمون غير اللباس الأسود بالأخضر ثم رجع إلى الأسود.

وأما عدد الألوية والرايات عند باقي الدول فكانت عند البعض كثيراً وعند البعض الآخر قليلاً، فكان في صفوف دولة بني الأحرmer بالأندلس ما يزيد على مائة لواء كلها مزخرفة بالذهب مزينة بالأشكال والصور الغريبة، وأما ألوية ملوك القدماء في الممالك الشرقية وببلاد دشت وترك وملوك الصين والهند فكانت عظيمة عليها علامات ملونة ومنسوجة من أذناب الحيوان شبيهة بالشعور المرسلة وكانت تحمل أمام الجيش وتسمى حالياً، وكان هذا بعينه عند آل جنكيز وآل هلاكو وقد استعملته الدولة الأيوبية والملوك السلجوقيون لكنهم جعلوا على رأسه صورة زورق مذهبة وعقدوا الشعر المحلى المار ذكره ظفائر فأزادان بذلك وهذا كان يسمى توغ عند الدولة العلية في القديم.

وكانت تستعمل راية أخرى في الدولة الشرقية السالف ذكرها تنشر على رأس الملك وتسمى عصابة وسطفة وسنجد فلا يستعملها غير السلطان، وفي دولة

(١) أهل هذا الموزرخ ألوية الأمويين الذين خرجوا على العباسيين فإنها كانت حمراً وسموهم المحمرة لذلك.

الخلفاء وضعوا على رأس الألوية والستاجق علماً في صورة الهلال من النحاس المطلي وعلامة أخرى شبيهة بدائرة الشمس مدورة مشقوقة الوسط، ولما تغلب بعض الامراء والسلطانين على الخلفاء وتحكموا أستنكفوا من استعمال تلك الألوية ووضعوا على الويتهم وستاجقهم كرة مذهبة تشبه فلكة المغزل وأقاموا على الألوية الكبيرة صفائع مذهبة منقوشة بالأشعار وزينوها باللون سود وهذه الألوية والرايات ذات الهلال الأسود والأخضر التي كانت في القديم مخصوصة بالخلفاء قد انتقلت إلى مشائخ الصوفية وإلى الجوامع والتكيات وكانت تنشر امام جنائز الأكابر وترفع في أيام عاشوراء أو ما ماثلها من الأيام المشهورة، ولا غرو فإن هذه عادة الدنيا في أهلها فإنه متى انقضت أيام دولة أو إماراة منها أهملت رسومها وأثارها وما كان دليلاً على شهرتها وطرحـت في زوايا النسيان.

وكانت الدولة العلية يعني العثمانية تستعمل لواءاً مخصوصاً للوزراء أسمه بورك ببرغى عوضاً عن اللوا البيض وأستعملت أيضاً سنجقاً كبيراً بدلاً من العصابة أو المشطقة وجعلت الشعر الذي يعقد على الألوية ويعرف باسم توغ في غاية الاهمية فخصت كل أمير من الأمراء بوحد منه وخصت أمير الأمراء بأثنين، والوزراء بثلاث، وحضرـة السلطان بتسعة.

اعلم أن التوغ ما زال معروفاً عند الدولة إلى زمن غير بعيد كما ذكره واصف أفندي ولكن لما رتب النظام الجديد غيرت هذه الأصول بالكلية وألغـي إعطاء التوغ إلى البشاوات بالمرة، إنتهى.

أعلام الدولة الحديثة ورایاتها:

حيث أن الراية شعار الدولة والإشارة إلى تابعيها والعلامة الصحيحة لها لذلك كثرة الرايات والأعلام فلا تخلو بناية حكومية ولا دائرة من الدوائر ولا طائرة ولا بارجة ولا باخرة من راية دولتها وسواء في ذلك الحرب والسلم، وأما العلامة المميزة لتلك الراية فقد أشتراك العامة في معرفتها كالهلال للدولة العثمانية والصلـيب الأحمر لروسيا، والأسد للأيرانية، وأمثالها اضرـينا عن ذكرها للاختصار، وأما لوانـها لمختلفة فمنها الحمراء والزرقاء والسوداء وسائر الألوان المحضة والممتزجة كذات اللونين والأربعة ولكن هناك رايات جعلـت علامـات يشار بها إلى أمور خاصة كالحمراء للخطر، والخضراء للسلامة، والبيضاء للأمان والتسلـيم وأمثال ذلك مما لا يهم إيراده.

اللواة القبائل العربية ورؤايتها

اللواة عند العرب لزعيم القبيلة ولقائد الجيش وامير العسكري يحمله أمامه من قبيلته أو من جنده أشهرهم ذكراً وأعظمهم بطولة وشجاعة وأكثرهم نجدةً وبسالةً، وربما حمله الزعيم بنفسه، وحامل اللواء سواء كان هو الزعيم أو غيره ليحافظ على اللواء أشد من محافظته على نفسه، فلو طعن أو ضرب لم يكتثر بنفسه ما دام متمنكاً من إمساك اللواء ولو قطعت أعضاؤه وأبینت مفاصله فلا يعبأ بسقوط أي عضو منه مالم يسقط اللواء منه لأن حفظ نظام الجيش منوط به فإنه متى سقط اللواء تضعضع العسكرية، وربما فروا وتبددوا لذلك.

لذلك لما قطعت يدا جعفر بن أبي طالب وهو الطيار شقيق أمير المؤمنين «عليه السلام» يوم مؤتة ضم الباقي من يديه القطيعتين على اللواء لثلا يسقط فيتضعضع جيش المسلمين، فضرب على رأسه فوق ميتاً فأخذ اللوازيم زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله ﷺ الأمير الثاني لهذا الجيش لأن رسول الله ﷺ جعل الأمراء في هذه السرية ثلاثة: الأمير الأول جعفر بن أبي طالب، والأمير الثاني زيد بن حارثة الكلبي مولاه، الأمير الثالث عبد الله بن رواحة الأنصاري شاعره، استشهد هؤلاء الأمراء الثلاثة وأخذ اللواء خالد بن الوليد وكان في البعث ففر بالمسلمين لقوة شوكة العدو فغيرهم المسلمون بالفرار والحقيقة ليس هو بفارار ولكنه حزم القائد واحتدى حذو الطيار ابن أخيه أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» كما سنذكر.

وقد كان لواء المشركين من قريش يوم أحد فيبني عبد الدار فقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» حملة اللواء التسعة وقيل أحد عشر فلما قتوا جمياً أخذه عبدهم صواب فشد عليه أمير المؤمنين «عليه السلام» فقطع يده اليمنى فأخذ اللواء باليسرى ورفعه لقريش فضربه أمير المؤمنين على اليسرى فأحتضن اللواء بباقي يديه وبرك عليه وقال: هل أعتذر يا آل عبد الدار في لواءكم؟ فضربه أمير المؤمنين «عليه السلام» فقتله فأخذت اللواء امرأة منهم حارثة فرفعته لقريش فلاذوا به، هكذا كانت محافظة العرب على الأولوية.

لما كانت حرب صفين دفع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» لواءه الأعظم إلى هشام بن عتبة بن أبي وقاص الزهري المرقال وخاض به الأحوال العظيمة وسقى أهل الشام الكأس المصبرة، وفي آخر أيام الحرب شد على كتبية

من تنوخ فقتل منها تسعه عشر بطلاً فطعنه رجل منهم فشق بطنه وسالت أمعاؤه فأمسكها بيده ووقف في مكانه ورفع لواءه، فلما رأى أمير المؤمنين «عليه السلام» لواءه قد وقف ولم يتقدم أرسله إليه: يا هاشم! شد باللواء، فقال للرسول: إقرأ أمير المؤمنين عنِي السلام وأخبره بما ترى ورفع يده عن بطنه فسقطت أمعاؤه وسقط ميتاً وأخذ اللواء أبنه عبد الله بن هاشم، فهذا هو الثبات المدهش، هذا الكرم والوفاء، هذا هو الحفاظ المحمود، هذه الرجولية والبطولية، هذه الشجاعة العجيبة والبسالة المستغربة، هذا هو الإخلاص والتقدّي عن وصمة العار ووسم الذل، هذا هو البلاء العظيم، فلتكن هكذا حملة الأعلام وحمة الأولوية وإلا فلا.

حامية اللواء الأعظم:

لا بد لقائد القوات المقدم وزعيم الجيش وعميد العسكر أن ينتخب من أبطال الجيش المجربيين وفرسانه المعروفيين بالنجدة والبسالة، والمشهود لهم بالشجاعة والفروسية فيؤلف منهم كتيبة تكون حامية للواء الأعظم ورداً لصاحب العلم الأكبر، وقد كانت في صفين كتيبتان: أحدهما لأهل الشام تسمى الخضرية لأن علامتها الخضراء، وثانيهما لأهل العراق تسمى رجراجة لأرجاجها بالسلاح، وكل واحد من الكتيبتين مؤلفة من عدد كبير من الأبطال المشهورين بالفروسية، قيل إن كل واحدة منهما عشرة آلاف دراع أعدتا لحماية اللواء والمكافحة عن العلم الأعظم.

فيجب على زعيم كل جيش وقائد كل عسكر أن يتخير نخبة أبطاله وي منتخب كل جريء مجريب يؤلف منهم حامية للعلم وحرساً للواء يرصده ويراقبه ليذب عنه من قصده من الأعداء، فإن العدو يعلم أنه متى سقط اللواء أختل نظام الجيش وتبدد جمعه وذهب جنده شتاناً فلذلك تقصد حامية الأعداء مركز صاحب اللواء فإذا كان لذلك اللواء حامية كافحة عنه وصدت هجمات عدوها فحافظ حامل لواءها على مركزه مستقرأ ثابتاً، وإذا لم تكن له حامية فربما فر وربما قتل فأختل النظام، وإذا كانت الحامية يأخذها بعضهم إن قتل أو فر وأكثر ما تكون حامية اللواء عند العرب من شجعان قوم حامله لأن اللواء مجد وفخار ومكرمة لحامله وقومه أوثق الناس في نفسه على المحافظة عليه لأن مجده لهم وكرامة فيهم، ولو سقنا الحكايات طال بنا المقام وحسبك ما قاله آل عبد الدار يوم أحد لأبي سفيان لما طلب منهم اللواء فشتموه وقالوا: ندفع مكرمتنا لغيرنا، راجع قصة أحد في التاريخ.

واللواء يرفع أمام الجيش فلا يتقدم الجيش في الزحف حتى يتقدم اللواء، وكذلك راية القبيلة فإنهم يطوفون بها ويقفون عندها فإذا وقفت وقفوا وإذا سارت ساروا تبعاً لها وهذا يشبه راية الإنذار التي أستحدثتها الدول المتقدمة اليوم وتتميز القبائل والعشائر براياتها ويتفانون حولها إذا ثبتت في مركزها، وفي قصة القيسية يوم المرج وهمدان يوم صفين ما يكفيك شاهداً فحامل اللواء هو بمنزلة القطب للرحي وكانوا يعقدون الألوية والرايات بالرماح ولذلك يقول مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» يوم البصرة لولده محمد بن الحنفية (رضوان الله عليه) :

إطعن بها طعن أبيك تحمد لا خير في الحرب إذا لم توقد
بالمشرفي والقنا المسدّ

كانوا يختارون الرمح اللين ذا الاهتزاز والتاؤد، ذكر أهل السير أن أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» لما دفع لواءه الأعظم للمرقال يوم صفين دعى برمج ليشهده به فأتي برمج فهزه فأنكسر، فأتي باخر فوجده جاسياً فألقاه، فأتي بثالث فوجدهليناً فعقد فيه لواءه.

سلسل اللواء في بني هاشم

قد عرفت أن أول من عقد لواءً شيث بن آدم «عليه السلام» ثم انتقل إلى إبراهيم الخليل فورثه أبنه إسماعيل لأنه أكبر ولده، ثم ابنه نابت بن إسماعيل، وبقي في أعقابه هكذا عند أجداد رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى قصي بن كلاب فجعله قصي لأبنه عبد الدار، ولما وقع التناقض بين ولد قصي وثاروا للحرب أعاد عبد مناف قبائل من قريش فعقد عبد مناف له ولحلفاء المطبيين راية لأن اللواء عند أخيه عبد الدار ولما اصطلحوا بقيت الراية عند عبد مناف فورثها ابنه هاشم ثم ابنه عبد المطلب ثم أبو طالب بن عبد المطلب فصارت إلى رسول الله ﷺ فدفعها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وبقي اللواء في بني عبد الدار حتى كان يوم بدر وحاربوا رسول الله ﷺ فأخذ اللواء منهم فلما هزمهم دفع اللواء إلى مصعب ابن عمير لأنه من بني عبد الدار وكان معه، وقيل: دفعه إليه يوم أحد لما عرف أن قريشاً دفعوا لواءهم إلى آل عبد الدار، قال: نحن أحق منهم بالوفاء فدفعه إلى مصعب بن عمير (رضي الله عنه) فلما أستشهد بأحد دفع اللواء إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» فأجتمع اللواء والراية في بني هاشم وكانا معاً عند أمير المؤمنين «عليه السلام».

قال محمد بن علي بن شهر آشوب (رحمه الله) في المناقب^(١): قال أهل السير: إنه كانت راية قريش ولواءها جمِيعاً بيد قصي بن كلاب ثم لم تزل الراية في بني عبد المطلب فلما بعث النبي ﷺ أقرها في بني هاشم ودفعها إلى علي «عليه السلام» في أول غزوة غزاهَا حملت فيها راية وهي غزوة ودان فلم تزل معه وكان اللواء يومئذ مع عبد الدار فأعطاه النبي ﷺ مصعب بن عمير فأستشهد يوم أحد فأخذه النبي ﷺ ودفعه إلى علي «عليه السلام» فجمع له الراية واللواء يومئذ وهما أبيضان.

ذكره الطبرى في تاريخه والقشيري في تفسيره «تنبیه الذاکرین» عن زيد بن علي عن آباءه قال: كسرت زند علي «عليه السلام» يوم أحد وفي يده لواء رسول الله ﷺ فسقط اللواء من يده فتحماه المسلمين أن يأخذوه فقال رسول الله ﷺ فضعوه في يده الشمال فإنه صاحب لوابي في الدنيا والآخرة.

المواعظ والزواجر عن العسكري أن مالك بن دينار سأله سعيد بن جبير عن ذلك فنظر إلى وقال: كأنك رخي البال، فغضبت وشكوت ذلك إلى القراء فقالوا: سأله وهو خائف من الحجاج وقد لاذ بالبيت فسألته الآن، فسأله فقال: كان حاملها وكان حاملها علي «عليه السلام» سمعته من ابن عباس إلخ.

اللواء مكرمة القبيلة

لا يخفى على كل نيقد بصير و Maher خبير أن كل غزوة غزاهَا رسول الله ﷺ بنفسه فأمير المؤمنين «عليه السلام» معه إلا في غزوة تبوك فإنه خلفه بالمدينة ولا ننظر إلى قول الحلبي الشافعى وغيره من المعاندين حيث قالوا في غزوة بواط حمل لواء النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص إذ المعلوم لكل من لاحظ أطوار العرب وعرف عاداتها ودرس شؤونها علم أن حامل اللواء لابد أن يكون من رهط الزعيم لأن مكرمتهم لا يدفعونها لغيرهم ولذلك لما طلب أبو سفيان بن حرب الأموي يوم أحد اللواء من آل عبد الدار امتنعوا وأغلظ له أبو سعد في ذلك وغاضبهم قوله فحملوا وتفانوا على اللواء.

وفعل أمير المؤمنين علي «عليه السلام» يوم صفين كان مقابلة لمعاوية بن أبي سفيان حيث دفع لواءه الاعظم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ليقوى عزم قريش بما يحبوهم به من الكرامة ويخذلهم عن أمير المؤمنين «عليه السلام» فدفع

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١٥٩/٢

لواءه لهاشم المرقال لهذا الغرض بعينه فالعادة الجارية امتناع العرب من تسليم لواءها لغيرها فكيف يدفع رسول الله ﷺ وهو سيدبني هاشم لواءهم وهو مكرمة ومفخرة إلى سعد بن أبي وقاص مع وجود حمزة وعلي «عليهما السلام» وهما اشجع العرب فمن سعد بن أبي وقاص الهياب الذي تعاضدت التواريخ السنوية كتاريخ الطبرى والبلاذرى وابن الأثير وغيرهم بذكر رعبه وخوره في حرب القادسية وهو أمير للمسلمين فيها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب فأحتجز في القصر أحتجار الضب في الوجار مع النساء والصبيان يزعم أن خراجاً - دنلاً - خرج به فولى خالد بن عرفطة على الجيش وقد ذمه المسلمون وعيروه بالجين فأكثروا، قال بعضهم يخاطب الخليفة:

تذكرة هداك الله وقع سيفونا بباب قديس والمكر صرير
أنخت بباب القادسية ناقتي وسعد بن وقاص على أمير
وقال آخر:

نقائل حتى أنزل الله نصره وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهم أيم
وقال جرير بن عبد الله البجلي أحد الصحابة وقادات الجيش العظام:
انا جرير كنيتي أبو عمرو قد نصر الله وسعد في القصر
ونظرت زوجة سعد وهي معه في القصر وكانت قبله تحت المثنى بن حارثة
الشيباني إلى جلاد المسلمين مع الفرس فقالت: هيجاج ولا مثنى لها، فلطمها سعد
فقالت له: أغيرة وجينا! .

هذه بعض الحكايات التاريخية عنه وقد انهزم يوم أحد وحنين فيمن انهزم من المسلمين وهذه الأمور معروفة عند أهل التاريخ، ولا تخفي على النبي ﷺ حالة أصحابه فكيف يدفع لواءه لمن هو مظنة عدم الثبات في وقت هو بأقصى ما يكون من الحرارة لقلة من معه مع تكالب العرب عليه وإجلابهم على حربه ويدع من هو يقيني الثبات قطعي النكارة وهو منه، يا عجبًا لا يعتمد في تبليغ براءة إلا عليه ويعزل الخليفة الأول ويقول: لا يؤديعني إلا أنا أو رجل مني كيف لا يقول لا يحمل لواطي إلا أنا أو رجل مني؟ إن هذه مباحثة غير خافية على ذوي اللب وال بصيرة.

لواء علي «عليه السلام» يوم صفين

ولا يقاس هذا بما صنع أمير المؤمنين علي «عليه السلام» يوم صفين كما ذكرنا حيث أنه أخرج اللواء من بني هاشم ودفعه إلى هاشم المرقال قد ذكرنا إن أراد أولاً م مقابلة معاوية حيث أخرج لواء بني أمية منهم ودفعه إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ليりه أن في أصحابه من هو أعظم من عبد الرحمن وغيره وأصبر على الجلاد وأعرف بفنون الحرب وهو المرقال لأن معاوية يزعم أن قريشاً كلها معه وليس مع علي «عليه السلام» إلا من لا غناء به ولا كفاءة معه فكذبه أمير المؤمنين «عليه السلام» بدفع لواءه إلى هاشم الذي عرفه معاوية وأهل الشام في حروب الروم أيام الخلفاء وكانت الجنود الشامية تبغض ملاقاته لما عرروا من شجاعته وتجربته حين شهد معهم فتوح الشام والعراق وظهر له أثر عظيم وغناء مقدر في تلك المغازي خاصة اليرموك والقادسية وجلواء ونهاؤند وأمثالها وتلك المواقف أودعت في قلوب أهل الشام له روعة وزرعت في نفس أميرهم معاوية هلعاً ورهبة أن يكون حامل لواء جيش علي «عليه السلام» هو المرقال، ولا شك معاوية وأهل الشام حيث يكون القائد الأعظم علي بن أبي طالب وأمر التنظيمات والخطط العسكرية هو الأستر وأمير الحامية هو قيس بن سعد، وأمير الدعاية عمارة بن ياسر، وأمير الزهاد والمتقشفين عبد الله بن بديل فهو الفناء لأهل الشام فأين مقام هذا من مقام سعد ابن أبي وقار الذي لم يمارس حرباً قبلها.

وقد صرحت فلتات لسان معاوية عما في قلبه من كراهيته أن يحمل المرقال لواء أمير المؤمنين «عليه السلام» لخبرته بالحرب ومهارته بفنونه وإنه من أنجد الرجال شجاعة وبأساً وأشهرهم ذكراً في الجرأة والإقدام، وأشدتهم ثباتاً في مقام تزل فيه الأقدام، نظر إليه يوماً من أيام صفين وهو يزحف باللواء زحفاً وكان يعرف بالمرقال لإرقاله في الحرب: إني أرى لصاحب الرأية السوداء عملاً لأن دام عليه لتفنين العرب اليوم.

وقال يوم آخر: إن اللواء مع المرقال ولئن زحف به اليوم إنه اليوم الأطول لأهل الشام.

ونظر إليه يوم آخر مقبلاً فقال: من هذا؟ فقيل: هاشم، فقال: أعزور بني زهرة قاتله الله، إلى غير ذلك مما ظهر في فلتات لسانه الدالة على رعبه وخوفه منه

فلذلك ودأن يحمله كل أحد غير هاشم، وأحب أمير المؤمنين «عليه السلام» إرعابه وإرغامه بما يكره.

وهناك سبب ثالث غير السببين اللذين ذكرنا وهو أن في الجيشين المتقابلين بصفين جيش أهل العراق البالغ تسعين ألفاً وجيش أهل الشام البالغ مقداره مرتين وقد ضم كل واحد منهما تحت جناحيه وطوى في طيات قلبه أبطال العرب الذين يكسر المائة منهم ألفاً من الفرس والرومان، ويقوم الفرد منهم مقام العشرة إلى المائة من الأمم فيحتاج أن يكون حامل لواءهم مجرباً محظياً ماهراً بأساليب الحرب قد مارسها واختبارها مراراً وليس فيبني هاشم بصفين من دخل حرباً قبل حرب البصرة أحد سوى ابن عباس وقد شغله بإمرة الميسرة.

وهناك سبب رابع هو أن همة معاوية وأهتمامه القضاء على أهل البيت الهاشمي بكل ما يتمكن منه وجلّ سعيه في أن لا يبق لبني هاشم نافذ ضرمة وحامل اللواء معرض للتلف ولتكالب معاوية على استئصال الهاشميين كان أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يأذن للحسن والحسين «عليهما السلام» ولا ليغرهما من بني هاشم أيام صفين إلا قليلاً في وقائع خاصة أذن فيها لولده محمد بن الحنفية ولا بن أخيه عبد الله بن جعفر وقد أخبر «عليه السلام» عن قصد معاوية في إبادة أهل هذا البيت في نهيه للعباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وجميع هذه الأسباب منافية عن سعد بن أبي وقاص فأعقل أيها الحر المتفكر.

الاوية النبی ﷺ

ويذكر الحلبي الشافعي في غزوة العشيرة أن لواء النبي ﷺ حمله حمزة بن عبد المطلب وفي غزوة سفوان وهي بدر الأولى حمل لواءه علي بن أبي طالب «عليه السلام» وقال في غزوة بدر الثانية وهي بدر الكبرى: دفع النبي ﷺ اللواء وكان أبيض إلى مصعب بن عمير وكان أمامة رايتان سوداوتان أحدهما مع علي بن أبي طالب «عليه السلام» يقال لها العقاب والأخرى مع بعض الأنصار.

وعن ابن عباس: إن رسول الله ﷺ أعطى علياً «عليه السلام» الراية يوم بدر وهو ابن ٢٠ سنة.

وفي الأمتناع: إنه ﷺ عقد الألوية وهي ثلاثة لواء يحمله مصعب بن عمير ورايتان سوداوتان أحدهما مع علي بن أبي طالب «عليه السلام» والأخرى مع بعض الأنصار، أما لواء قريش فكان بيد إبليس لعنه الله في صورة سراقة بن جشم المدلجي.

قال: وفي غزوة القدر وهي غزوة بني سليم حمل لواء رسول الله ﷺ وكان أبيض علي بن أبي طالب وهذه الغزوة بعد بدر بسبع ليال وفي سنتها تزوج علي بفاطمة «عليهما السلام».

وفي غزوة بني قينقاع كان لواء النبي ﷺ بيد عمه حمزة بن عبد المطلب وكان أبيض، وفي غزوة قرقرة القدر حمل لواءه علي بن أبي طالب «عليه السلام».

وفي غزوة أحد عقد ثلاثة ألوية: لواء للأوس ولواء للخزرج ولواء للمهاجرين؛ فلواء الأوس بيد أسيد بن خضير، ولواء الخزرج بيد سعد بن عبادة وقيل بيد الحباب بن المنذر، ولواء المهاجرين بيد علي بن أبي طالب، وقيل: بيد مصعب ابن عمير لأنه كان سأله من كان يحمل لواء المشركين، فقيل: طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار وهم أصحاب اللواء في الجاهلية فأخذه من علي ودفعه إلى مصعب بن عمير وهو من بني عبد الدار، هذا كلامه ولا ينافي لأن مصعب بن عمير قتل في هذه الواقعة فرجع اللواء إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» فأجتمعت الراية واللواء في بني هاشم.

وذكر قتل أصحاب اللواء من المشركين^(١) وهم طلحة كبش الكتبية ثم عثمان ابن أبي طلحة أخو كبش الكتبية وأخوهما أبو سعيد ثم مسافع بن طلحة ثم الحارث بن طلحة ثم كلاب بن طلحة ثم الجلاس بن طلحة ثم حمل اللواء أرطاة ابن شرحبيل بن عبد مناف بن هاشم بن عبد الدار فقتله أيضاً علي ابن أبي طالب ثم شريح بن فارظ فقتل ثم أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف بن هاشم بن عبد الدار فُقتل، فحمله ولده شرحبيل فقتله قzman، ثم حمله صواب غلامهم وكان عبداً حبيشاً فقطعت يداه فبرك عليه فأخذه لصدره حتى قتل عليه، وكان أبو سفيان قال لأصحاب اللواء لواء المشركين من بني عبد الدار يحرضهم على القتال: يا بني عبد الدار! إنكم تركتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم فإما أن تكتفونا لواءنا وإما تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه، فهموا به وتوعدوه وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع وذاك الذي أراد أبو سفيان إلخ.

قال: وفي غزوة حمراء الأسد دعا بلوائه وهو معقود فدفعه لعلي بن أبي طالب، وفي غزوة بني النضير حمل رايته علي بن أبي طالب، وفي غزوة بدر الموعد وهي بدر الثالثة حمل لواء رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وفي غزوة

(١) السيرة الحلبية ٢/٢٣٥.

المريسيع دفع لواء المهاجرين إلى عمار بن ياسر ولواء الأنصار إلى سعد بن عبادة إلخ.

ومن هنا يستبين لك شطط هذا المتعصب وزيفه عن جادة الصواب، ومن عادة المصنف المنصف أن يتحرى السلوك على نهج الحق، وعمار بن ياسر وإن كان أهلاً لحمل اللواء أمام رسول الله ﷺ لكنه لا يتقدم على أمير المؤمنين «عليه السلام» ورسول الله ﷺ لا يقدمه ولا أحداً من الناس على علي «عليه السلام» ولا يخالف العادة المألوفة وهو القائل: نحن أولى بالوفاء، وقد أقر في الفتح المأثر القرشية في أهلها فرد مفتاح الكعبة إلى شيبة العبدري وقد عزل الخليفة الأول عن براءة كما علمت.

ومن جهة ثانية كيف يحمل سعد بن عبادة راية الأنصار والأوس تألف أن تمشي تحت راية خزرجي فلا يحدث رسول الله ﷺ في نفوس أصحابه ما ينفرهم ويكسر همهم مع إمكان إرضاءهم بالمباح السائع شرعاً إن لم يكن راجحاً في دين الإسلام بأن يدفع لكل قبيلة منهم راية يحملها رجل منهم كما صنع ذلك يوم الفتح ويوم أحد وغيرهما، وقد ذكر الحلبي نفسه تمايزهم حتى في الشعار فتفطن لهذه الدسائس التي يدسها ولا تعتقد غير ما نقول وهو الحق.

إن حامل لواء المهاجرين أمام رسول الله ﷺ في كل غزوة عدا تبوك هو أبو الحسن علي «عليه السلام» وراية الخزرج مع آل عبادة بن دليم من بني ساعدة، وراية الأوس في بني عبد الأشهل ولكل قبيلة راية يحملها زعيمهم، هذا نظام النبي ﷺ فأعرفه وتيقنه ونعود إلى كلامه.

قال: وفي يوم الخندق وهو يوم الأحزاب أعطى لواء المهاجرين لزيد بن حارثة ولواء الأنصار لسعد بن عبادة إلخ، هذا كسابقه فالتفت، قال: ولواء قريش بيد عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري وفي كل من أسد وغطفان وسلمي وأشجع لواء.

وفي غزوة بني قريظة قدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب «عليه السلام» برأيته إلى بني قريظة، وفي رواية: دفع إليه لوانه وكان اللواء على حاله لم يحل مرجعه من الخندق، فلما دنا علي ومعه نفر من المهاجرين والأنصار غرز اللواء عند أصل الحصن.

قال: وفي غزوة خيبر بعث رسول الله ﷺ إلى علي وكان ارمد شديد الرمد وكان قد تخلف بالمدينة ثم لحق بالنبي ﷺ فقيل له إنه يشتكي عينيه، فقال

من يأتيني به، فذهب إليه سلمة بن الأكوع وأخذ بيده حتى أتى به النبي ﷺ وقد عصب عينيه، فعقد له رسول الله ﷺ اللواء لواه الأبيض وكانت راية رسول الله ﷺ تدعى: العقاب.

قال الدمياطي: كانت للنبي ﷺ راية سوداء مربعة من نمرة مخملة يقال لها العقاب، وكانت له راية صفراء ولواء أبيض دفعه إلى علي بن أبي طالب. وفيه أن ذلك اللواء يقال له العقاب، وذكر أن اللواء الأبيض مكتوب فيه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» إلخ.

وأحسب أن هذه الراية السوداء هي التي حملها الرجالن يوم خيبر ورجعوا منهزمين فغضب النبي ﷺ وقال: لا يُعطين الرأة غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه، فبات المسلمين يدوكون ليروا من الذي يعطيه إياها، فدعا بأمير المؤمنين «عليه السلام» فأعطاه إياها فمضى بها حتى ركزها في أصل أمنع حصونهم وقتل بطليهم مرحباً وأقلع باب حصنهم العظيم وفتح الحصن وقد تداول الشعراء هذه القصة فذكرها ابن أبي الحديد والأزرى وغيرهما.

ثم ذكر بعث مؤة والأمراء الثلاثة، وقال في فتح مكة: وفي قديد عقد الاوية القبائل وذكر أنه عقد لأبي رويحة لواء وذكر أن سعد بن عبادة كانت معه راية رسول الله ﷺ على الأنصار فلما مر بأبي سفيان وهو بمضيق الوادي قال سعد: يا أبا سفيان! اليوم يوم الملحمة اليوم تستحلحرمة، اليوم أذل الله قريشاً وذكر أن رسول الله ﷺ بعث عليك «عليه السلام» إلى سعد فأنزع اللواء منه ودفعه إلى ابنه قيس بن سعد وقيل: بقي في يد علي «عليه السلام» هذا قول الحلبي.

وتوضيح ما أجمله أن لواء النبي ﷺ الأعظم بيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولواء الأنصار يحمله سعد بن عبادة وإنما أمر رسول الله ﷺ عليه «عليه السلام» بأخذ اللواء من سعد لأمور:

أولاً: خاف أن تكون لقريش صولة إذا خافوا الفناء.

ثانياً: رفع ما يتوهם أن النبي ﷺ قد اباح حرمة الحرم.

ثالثاً: دفع ما يظنه بعض العرب أن النبي ﷺ ينطوي على حقد وبغض لقريش لأنهم طردوه وحاربوه.

رابعاً: رفع ما يتوهם أن قريشاً ذلت بهذا الفتح وإنما هو في الحقيقة إعزاز لهم بظهور الإسلام وانتشاره بينهم وإن كرهوه.

خامساً: رفع ما يتوهם أنها غزوة قساوة تستباح بها الأموال وتهتك الأعراض وإنما هي في الحقيقة غزوة رحمة لقريش وغيرهم تحقن بها الدماء وتحفظ الأموال وتصان الأعراض ويسود الأمن في مكة المشرفة وضواحيها.

وإنما عزل رسول الله ﷺ سعداً بأمير المؤمنين «عليه السلام» دون غيره من الصحابة لعلمه أن سعداً لا يجترأ عليه أحد من العرب كائناً من كان وما طلق سعد امرأة في جاهلية ولا إسلام وقدر أن يتزوجها أحد حتى صار مثلاً مطلقة سعد، فسعد لا تجاسر عليه أحد من الناس فينتزع اللواء منه وسعد لا يدفعه لأحد ولو رامه إنسان منه لحطم أنفه بالسيف فهو لا يذعن لغير رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين «عليه السلام» فإن سعداً كان مهيباً مرهوباً منيع الجانب حمي الأنف ذا أنفة وأبهة وتباذخ وعظمة، فيه نخوة وكبراء، ذاهب في الشرف كل مذهب، فكانت سياسة رسول الله ﷺ أحسن سياسة وفراسته أبدع فراسة لم يرسل لأخذ اللواء من سعد أحداً غير ابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» لعلمه أن سعداً يخضع له وينقاد لأمره فأخذ اللواء منه ودفعه لابنه قيساً فهذه هي السياسة الوحيدة والرأي الثاقب.

قال الحلبي في ألوية النبي ﷺ يوم حنين ونصه: فوضع النبي ألوية والرايات في المهاجرين والأنصار؛ فلواء المهاجرين أعطاه علياً «عليه السلام»، وأعطى لسعد بن أبي وقاص راية، وعمر بن الخطاب راية، ولواء الخزرج أعطاه الحباب ابن المنذر، ولواء الأوس أعطاه أسد بن خضير إلخ.

وليتهم أخبرونا عن هذه الألوية والرايات أين طرحوها؟ وفي أي بادية ألقواها لما انهزموا؟ حيث صرخ القرآن بهزيمتهم واتفق المؤرخون أنه لم يثبت مع النبي غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأخيه عقيل وعمه العباس وعبد الله والفضل ولد العباس وولد أبي لهب عتبة ومعتب وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ورجل من الأنصار وهو أيمان ابن أم أيمن وأستشهد (رحمه الله) وليس في هؤلاء أحد من أرباب الرايات والألوية غير أمير المؤمنين «عليه السلام» ولا تحسب أن منهزم ما يتمكن من حفظ رايته لأنه يخاف أنها ترى فتدل عليه لأنه يحسب العرفج أمامه رجالاً ويظن الشجر فرساناً وأبطالاً تطارده، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَغْبَجَنَّكُمْ كَثُرَكُمْ فَلَمْ تُفْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ثُمَّ وَلَيْسُ مُّدَبِّرِينَ﴾^(١).

للمؤلف:

أيا حاملي الرایات أین رمیتموا برایات خیر الانبیاء من الرعب
وأسلمتموا الہادی بأو طاس للعدا
یجالد عنہ المرتضی بعد فرکم هوازن والخیل المغیرة في الشعب
وعباس عم المصطفی قام صارخاً بکم أيها الفرار عن خطہ الحرب

الاوية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» في حروبه

لم نذكر الاوية القبائل مع النبي ﷺ وراياتها وأمراء السرايا والبعوث فإن ذلك شرح مطول ويناسب أن نذكر الاوية القبائل وراياتها مع أمير المؤمنين «عليه السلام» فإن قبيلة واحدة مع أمير المؤمنين «عليه السلام» كانت وحدها ميسرة جيشه يوم صفين وهي ربيعة فهي تفوق عدداً على أكبر جيش مع رسول الله ﷺ، ومن وجهة ثانية تقسيم القبائل أسبوعاً وأخماساً في جند العراق ما جعل لذلك أهمية تاريخية يجب الوقوف عليها.

حرب الجمل بالبصرة:

خرج «عليه السلام» من المدينة بفيلق مؤلف من المهاجرين والأنصار وأنضم إليه في الطريق الحليفان طيء وأسد، ثم نهض لنصرته أهل الكوفة وأنضاف إليه ربيعة البصرة وبعض قبائلها، وعند خروجه من الحجاز كان لوازمه الأعظم وهو لواء رسول الله ﷺ بيد ولده محمد الأكبر بن الحنفية، ولواء المهاجرين بيد عمار بن ياسر، ولواء الخزرج بيد أبي قتادة الأنباري، ولواء الأوس بيد أبي الهيثم بن التيهان وهو ذو السيفين أحد نقباء النبي ﷺ.

وحيث كان جيشه «عليه السلام» مؤلفاً من ثلاثة فرق عسكرية: ١. فرقه عسكر الحجاز، ٢. فرقه عسكر الكوفة، ٣. فرقه عسكر البصرة، وكل فرقه منها مؤلفة من افواج، ولكل فوج منها لواء، وهذا ما ذكره المؤرخون.

قال المسعودي في مروج الذهب عن المنذر بن الجارود قال: لما قدم علي «عليه السلام» البصرة دخل مما يلي الطف^(١) فأتى الزاوية فخرجت لأنظر فورد موكب نحو ألف فارس يقدمهم فارس على فرس أشهب، عليه قلنسوة وثياب بيضاء، متقلد سيفاً، معه راية، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البيض والصفرة

(١) طف البصرة تسمى العوام اليوم الجفة.

مدججين في الحديد والسلح، فقلت: من هذا؟ فقيل: أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ وهؤلاء الأنصار وغيرهم.

ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيضاء، متقلد سيفاً، متذنب قوساً، معه راية، على فرس أشقر نحو ألف فارس، فقلت: من هذا؟ فقيل: خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين.

ثم مر بنا فارس آخر على فرس كميته، معتم بعمامة صفراء تحتها قلنوسة بيضاء وعليه قباء أبيض مصقول، متقلد سيفاً، متذنب قوساً في نحو ألف فارس من الناس معه راية، فقلت: من هذا؟ فقيل: أبو قتادة بن ربيع الأنصاري.

ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب، عليه ثياب وعمامة سوداء وقد سدلها بين يديه ومن خلفه شديد الأدمة، عليه سكينة ووقار، رافع صوته بقراءة القرآن، متقلد سيفاً، متذنب قوساً، معه راية في نحو ألف فارس من الناس مختلفي التيجان، حوله مشيخة وكهول وشبان، كان قد أوقفوا للحساب، أثر السجود قد أثر في جيابهم، فقلت: من هذا؟ فقيل: عمار بن ياسر في عدة من الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبناءهم.

ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشقر، عليه ثياب بيضاء وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء، متذنب قوساً، متقلد سيفاً، تخط رجله الأرض، معه راية في ألف فارس، الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض، معه راية صفراء، فقلت: من هذا؟ فقيل: قيس بن سعد بن عبد الله عاصي الأنصاري وأبناءهم وغيرهم من قحطان.

ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهل، ما رأينا أحسن منه، عليه ثياب بيضاء وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه بلواء، قلت من هذا؟ قيل عبد الله بن العباس في عدة من أصحاب رسول الله ﷺ.

ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين، قلت: من هذا؟ قيل: قثم بن العباس أو سعيد بن العاص.

ثم أقبلت المراكب والرايات يقدم بعضها بعضاً وأشتبت الرماح، ثم ورد موكب فيه خلق من الناس «عليهم السلام» ح والحديد مختلفوا الرايات، في أوله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنما كسر وجبر - قال ابن عائشة: وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق كذلك تخبر العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل إنه كسر وجبر - كأنما على رؤوسهم الطير، وعن ميسرتهم شاب حسن الوجه، فقلت: من هذا؟ قيل: علي ابن أبي طالب، وهذا الحسن

والحسين عن يمينه وعن شماله، وهذا محمد بن الحنفية معه الراية العظمى، وهذا الذي خلفه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيانبني هاشم، وهؤلاء المشائخ أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فساورا حتى نزل الموضع المعروف بالزاوية إلخ.

وفيها ما ينبغي أن يلاحظ مثل ذكر سعيد بن العاص وقيس بن سعد؛ أما سعيد فالظاهر أن في ذلك سقطاً وهو عبد الله بن سعيد بن العاص، وأما قيس بن سعد فأشتباه من الناسخ والظاهر عبادة بن الصامت فظنه الناسخ عبادة والد سعد فضم إليه ما بقى من الأسماء وإن جحد بعض مؤرخي السنة حضوره الحرب وزعم أنه اعتزل الفريقين بالشام ولكن هؤلاء قوم يجحدون الشمس وينكرون السماء.

الفرقة الثانية من جيش أمير المؤمنين «عليه السلام» في حرب البصرة الفيلق الكوفي وقد كتبنا في كتابنا سفير الحسين مسلم بن عقيل ما أوجب علينا حذف ما هنا مراعاة للاختصار.

الفرقة الثالثة من جيش أمير المؤمنين «عليه السلام» الفيلق البصري وجل هذا الفيلق من ربيعة، وخذ ملخص ما ذكره المؤرخان الشهيران الطبرى وأبن الأثير فى تأريخيهما، قالا: راية عبد القيس من ربيعة كانت مع حكيم بن جبلة فقتل يوم الجمل الأصغر شهيداً وذلك قبل قدوم أمير المؤمنين «عليه السلام» فصارت بعده إلى منفذ ابن النعمان العبدى فأُستشهدت مع أمير المؤمنين «عليه السلام» يوم الجمل الأكبر فصارت إلى ولده اللعين مرة بن منفذ فشهادتها الجمل وصفين والنهر وان مع أمير المؤمنين «عليه السلام» ثم شهدت كربلاء مع عمر بن سعد فقتل علي بن الحسين الأكبر، وقيل: صارت بعد مقتل حكيم بن جبلة إلى بني صوحان وهو ضعيف لأن بني صوحان من ربيعة الكوفة، وراية بكر بن وائل كانت مع عبد الرحمن بن طود البكري فأُستشهدت، وقيل: وكانت راية عبد القيس البصرة مع عمرو بن مرحوم العبدى وهو قريب، وقيل: كانت راية بكر بن وائل لشقيق بن ثور السدوسي يحملها رشاشة مولاها وهو قريب أيضاً وشهادته شقيق بها الجمل وصفين؛ هكذا ذكر الطبرى.

الوحة أمير المؤمنين «عليه السلام» ورایاته في صفین

إن في هذه الحرب الطاحنة تألف لأمير المؤمنين «عليه السلام» جيش عرم تحت قيادة قواد خبراء وأمراء مهرة بفنون الحرب، وكانت زيادة الجيش فيها على جيش البصرة بمقدار الضعفين فإن أهل البصرة من حاربه فيها تبصر ومن خذله

أستبصر فأنضموا إليه يوم صفين وأهل الكوفة نهضوا معه جمِيعاً المتدين ديانة والمنافق حمية إلا جماعة من المستربين وبعض أهل التقشف الصوري والإيمان المستودع شكوا في القتال فبعث منهم بعثاً إلى الشغور بقيادة الربيع بن خيثم أحد الزهاد الثمانية المشهورين فكان هذا أول لواء عقده أمير المؤمنين «عليه السلام» بالكوفة وهذا أول بعث بعثه ثم عقد أولية القبائل لحرب صفين، فعقد عدي بن حاتم الطائي على طي وتجمعهم الدعوة مع مذحج، وتخالف الرايتان: راية مذحج مع زياد بن النضر الحارثي، وراية طي مع عدي بن حاتم.

رأيات أخmas أهل البصرة بصفين:

راية بكر بن وائل مع خالد بن المعمري السدوسي، وراية عبد القيس مع عمرو ابن مرحوم العبدلي، وقال بعضهم: عمرو بن مرحوم قتل مع علي «عليه السلام» يوم الجمل وال الصحيح أنه أُشتهد قبل النهر وان يسیر قتله الخوارج، وإن راية بكر بن وائل كانت لشقيق بن ثور السدوسي، وراية الأزد مع صبرة بن شيمان الحданى، وراية بنى تميم وضبة والرباب مع الأحنف بن قيس السعدي، وراية أهل العالية مع شريك بن الأعور الحارثي.

رأيات أسباع أهل الكوفة بصفين:

راية قيس وعبد القيس مع سعد بن مسعود الثقفي عم المختار ابن أبي عبيدة. راية تميم وضبة والرباب مع معقل بن قيس الرياحي وتضاف إليه قريش وكنانة وأسد.

راية الأزد وبجيلة وخشم والأنصار وخزاعة مع مخنف بن سليم الأزدي.

راية كندة وحضر موت وقضاء مع حجر بن عدي الكندي حجر الخير.

راية مذحج والأشعرية مع زياد بن النضر الحارثي.

راية همدان وحمير مع سعيد بن قيس الهمданى.

راية طي مع عدي بن حاتم الطائي.

واللواء الأعظم لواء العسكر كله مع هاشم بن عتبة الزهري وهو المرقال، وعسكر المدينة على ترتيبه الذي ذكرنا في الجمل غير أن لواء الخزرج صار إلى قيس بن سعد بن عبادة لأنَّه حضر صفين.

رأيات القبائل والبطون:

راية بكر بن وائل بسبب التشاجر بين خالد بن المعمري وشقيق بن ثور

السدوسيين جعلاها باتفاقاً منهما لحسين بن المنذر بن وعلة الرقاشي، وكانت رأية كندة وربيعة الكوفة للاشعث بن قيس الكندي فأخذها منه أمير المؤمنين «عليه السلام» وجعلها لحسان بن محدوج الذهلي من ربيعة وبقيت مع الأشعث رأية كندة يحملها معاوية بن الحارث الكندي وله أثر بين يوم صفين، ورأية النخع مع الأشتر أو رأية مذحج كلها معه يحملها حيان بن هوذة النخعي ثم الصهابي، ورأيةبني الحارث بن كعب من مذحج يحملها شريك بن الاعور الحارثي، وقيل: لم يشهد صفين لأنّه بقي في وكالة ولادة البصرة بدلاً عن ابن عباس، ورأية سعد العشيرة من مذحج يحملها الحارث بن جهمان الجعفي، ورأية أرحب من همدان يحملها يزيد بن قيس الأرجبي صاحب يوم الجرعة، ورأية شمام من همدان يحملها كريب بن شريح الشبامي فأستشهد بصفين هو وإخوه له خمسة قتلوا جميعاً على الرأية ثم أخذها سفيان بن يزيد فأستشهد هو وأخوان له على الرأية ثم أخذها عميرة بن بشر فأستشهد هو وأخوه الحارث بن بشر ثم أخذها أبو القلوص الشبامي فبقيت في يده إلى أن تجاجز الناس.

ورأية خزاعة يحملها سليمان بن صرد الخزاعي، ورأية بنى عبس كانت مع فائد بن بكير العبسي فأستشهد فأخذها ابنه حسان بن فائد، وشهد حسان هذا حرب الحسين «عليه السلام» مع عمر بن سعد وقتل المختار يوم السباخة فيمن قتل من أشراف أهل الكوفة، ورأية بنى عامر بن صعصعة يحملها عبد الله بن الطفيلي البكائي وكان له صوت وغناء عن أهل العراق ومن النساء وأهل الأيام بصفين، ورأية خثعم يحملها أبو كعب فأستشهد فأخذها ابنه كعب بن أبي كعب وفقت عينه على اللواء ثم كان مع عمر بن سعد في حرب الحسين «عليه السلام» قتل المختار يوم السباخة فيمن قتل من أشراف الكوفة.

ورأية بجيلة يحملها قيس بن المكشوح الأحمسي حليف مراد قاتل الأسود العنسي أحد أبطال العرب المشهورين أستشهد (رحمه الله) عند سرادق معاوية وأستشهد معه من أشراف أحمس جماعة تكفل التاريخ بضبط اسمائهم، ورأية بنى نهد يحملها مسروق بن الهيثم فأستشهد (رحمه الله) وأستشهد حولها جماعة منهم، ورأية بنى أسد بن خزيمة يحملها قبيصة بن جابر الأسداني الصحابي أحد أبطال ومن أهل الغناء والأيام المشهورة بصفين، ورأية كنانة مع أبي الطفيلي عامر بن وائلة الكناني الصحابي أحد أبطال الشعراء وأهل الغناء والأيام بصفين وله شهرة في طلب الثار، ورأية بنى حنظلة من تميم مع عمير بن عطارد بن حاجب بن

زيارة الدارمي، وكان شريفاً ثم أخذها ابنه محمد بن عمير وشهد محمد هذا حرب الحسين «عليه السلام» مع عمر بن سعد وقتله المختار يوم السباخة مع أشراف أهل الكوفة.

ورأية بني سعد من تميم مع جارية بن قدامة السعدي أحد القواد المشهورين وهو الذي طرد بسر بن أرطأة عن اليمن، ورأية بني عمرو بن تميم مع ثabit بن ربيع ثم شهد حرب الحسين «عليه السلام» مع عمر بن سعد ونجى من سيف المختار يوم السباخة وقتل ابنه، وثبت هذا كان مؤذن سجاح التي ادعت النبوة يتناوب مع مؤذنها الآخر المعروف بابن النواحة، وفي بني تميم رأيات أخرى: رأية مع أعين بن ضبيعة المجاشعي من خواص أمير المؤمنين «عليه السلام» وأستشهد في وقعة ابن الحضرمي بالبصرة وأعين هذا عاقر الجمل على قول مشهور، ورأية مع الأصيغ بن نباتة المجاشعي وكان من خواص أمير المؤمنين «عليه السلام» ومن أمراء شرطته وكان بمرتبة معاون، ورأية مع حارثة بن بدر الغданني وكان شريفاً من الفصحاء يعاب بمعاقرة الخمر وصحبة زيادة بن سمية^(١)، وفي ربيعة رأيات غير من ذكرنا.

رأيات مع صعصعة بن صوحان صاحب أمير المؤمنين «عليه السلام» أحد الفصحاء والخطباء والفقهاء المشهورين، ورأية مع زياد بن خصفة التيمي أحد خواص أمير المؤمنين «عليه السلام» ومن أهل الأيام والغناء ومن أمراءه وقواده وكان من أمراء التوابين وأستشهد مع سليمان بن صرد بعين الوردة، ورأية مع نعيم بن هبيرة الشيباني أخي مصقلة ولنعميم بلاء عظيم في طلب الثار مع المختار وكان شريفاً ومن الأبطال ومن خواص أمير المؤمنين «عليه السلام» ولا حاجة بذكر الباقى.

ألوان رأيات صفين:

قال نصر بن مزاحم: كانت رأيات أهل صفين سوداً وحمراً ودكناً وبيضاً ومعصفرة وصفراً وموردة والألوية مضروبة دكن وسود إلخ.

حرب النهروان:

الرأيات فيها هي بعينها تلك الرأيات سوى أن أمير المؤمنين «عليه السلام» عقد لأبي أيوب الأنصاري رأية أمان من التجأ إليها من الخوارج فهو آمن.

(١) ويذكر بعض المحققين أن حارثة بن بدر صاحب زياد المعاقر للخمر غير حارثة بن بدر المذكور هنا ولعله كان مصرياً في هذه التفرقة.

رایات الحسن والحسین «عليهم السلام»

رایات الحسن السبط سبط رسول الله ﷺ:

رایاته هي رایات أبيه في حربه لأن العشائر التي نهضت معه هي التي حاربت مع أبيه ولكنه بعث أمامه بعثاً جعل أمرائه ثلاثة متربين: القائد الأول: وهو أمير الأمراء ابن عمه عبید الله بن العباس بن عبد المطلب.

القائد الثاني: قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري النائب عن القائد الأول.

القائد الثالث: سعيد بن قيس الهمداني وهو نائب أمير القوة وقادتها، ولكل واحد من هؤلاء الأمراء لواء دال على مرتبته ولواء الحسن «عليه السلام» الأعظم مع أخيه محمد بن الحنفية.

الاوية الحسين «عليه السلام» ورایاته في حربه:

كانت له «عليه السلام» بالعراق حربان: حرب شهدتها بنفسه وحرب لم يشهدها وإنما قامت على اعتصاد شيعته بقيادة سفيره إليهم ونائبه الأعظم وهو ابن عمه مسلم بن عقيل، والسبب الذي دعا مسلم بن عقيل إلى إشهار تلك الحرب قبل أن تتكامل قواته وتتجتمع اجناده المبعثرة والتي يستطيع أن يؤلف منها قوة هجومية قوية فنهض مستعجلًا بالقوة الداعية التي ألفت من كتائب صغيرة احتياطية جعلت عدة للطوارئ المفاجئة والتي لم تزد على أربعة افواج تقريباً هو أن أمر السلطة الأموية في العراق عبید الله بن زياد قد أحتال على عميد جيش مسلم بن عقيل وهو الزعيم هاني بن عروة فألقى القبض عليه فأعتقله في دار الإمارة وحيث أنا شرحنا القصة في كتابنا سفير الحسين مسلم بن عقيل تركنا ما هنا فراجعه هناك.

الحرب التي شهدتها الحسين «عليه السلام» بنفسه:

وهي التي أستشهد فيها وهي وقعة كربلاء تلك الفاجعة العظمى والواقعة الكبرى التي بقيت ذكرها على ممر الأحقاب، فقد كان «عليه السلام» منذ خروجه من الحجاز عقد لواء ودفعه إلى أخيه الفضل العباس الأكبر «عليه السلام» ذلك البطل العلوي العظيم فحمله بين يديه إلى حين التحام تلك الحرب التي جلت لأمية خزي الأبد وجرت إليها شؤم الدهر فهاجم قوات الأعداء المحدقة بهم مراراً عديدة وأستنقذ بعض أنصارهم الذين طوقهم الأعداء وكان أبو الفضل «عليه السلام» لا يقف في حملته دون أن ينتهي إلى مركز عميد عسکر الأعداء ليرعب

بتلك الهجمات قلوب أمراء القوات المعادية ويدركهم بالشجاعة العلوية التي لم تغب عنهم ذكرها أيام كافحوا معه أهل الجمل وصفين، وقد قيل في تأييده: لك موقف بالطف أنسى أهله حرب العراق بملتقى صفين فلم يزل أبو الفضل العباس «عليه السلام» على شدة الخطر مبتهجاً مرتاحاً ووجوه الأعداء كالحنة مقطبة لحراجة الموقف وفظاعة المعترك، ويعود رافلاً بالحديد مغيراً على جواده المحلق كنسر الجو منقضاً على حرس الشرائع وتلك القوات المتكدسة على ضفافها فيقصدم تلك الحامية ويشق صفوفها المتراسة ويخترق خطوطها المحصنة وينزل بعد أمتلاك المشرعة إلى الماء فيما السقاء عطاشى آل الرسول.

وعقد الحسين «عليه السلام» رايتين دفع أحدهما لقائد الجبهة اليمنى زهير بن القين البجلي، والأخرى لقائد الجبهة اليسرى حبيب بن مظاهر الأستدي، وفي رواية المرندي: إن الحسين «عليه السلام» عقد رايات كثيرة ذكرنا ذلك في كتابنا «أعلام النهضة الحسينية»^(١).

وقد أكثر الشعراء في مراثيه «عليه السلام» من ذكر اللواء كقول بعضهم عن لسان الحسين «عليه السلام»:

لمن اللوى أعطي ومن هو جامع شملي وفي ظنك الزحام يقيني
سيأتي في فصل شهادته في الجزء الثالث الروايات وحكايات المؤرخين في
حمله لواء الحسين «عليه السلام» وما قاله الحسين «عليه السلام».

ومن ألقاب العباس «عليه السلام» العميد والسفير وهو من الألقاب المشهورة ويأتي ذكرهما في الجزء الثالث في وظائفه.

ومن ألقاب العباس الأكبر «عليه السلام» ما هو دون ما تقدم في الشهرة منها الصابر والمحتب والمواسي والطيار؛ أما الصبر والاحتساب فأمر ظاهر فإنه «عليه السلام» صبر على الظلم وأحدود السلاح وأحتسب نفسه العزيزة ونفوس إخوته الأشقاء وأولاده الأعزاء في ذات الله فبدى بنفسه وبهم أخاه الإمام وأحتسب جميع ما أصابه في ذات الله، وأما المواساة فستذكرها في صفاته وجميع هذه الخصال جاء مدحه بها عن لسان ائمة أهل البيت «عليهم السلام» في زيارته وغيرها.

(١) مخطوط يقع في ستة أجزاء - يتحدث فيه عن أصحاب الحسين «عليه السلام» - الناشر - .

من ألقاب العباس «عليه السلام» «الطيار»

لقب العباس «عليه السلام» «الطيار»

وسر هذا اللقب أن أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين علي «عليهما السلام» لما قطعت يداه المباركتان على اللواء يوم كربلاء جعل الله تعالى له جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لعمه جعفر بن أبي طالب «عليه السلام» وهذا نص صحيح ورد عن الإمام زين العابدين «عليه السلام».

روى الصدوق القمي (رحمه الله) في كتاب الأimalي بالإسناد إلى ثابت بن أبي صفيحة يعني أبا حمزة الثمالي قال: نظر علي بن الحسين «عليهما السلام» إلى عبيد الله بن العباس «عليه السلام» فأستعبر ثم قال: ما من يوم أشد على رسول الله من يوم قتل فيه عممه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عممه جعفر بن أبي طالب، ولا يوم كيوم الحسين «عليه السلام» أزدلف إليه فيه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله بدمه وهو يذكرهم بالله فلا يتعظون حتى قتلوه بغياً وظلماً.

ثم قال: رحم الله عمي العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطع يداه فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب «عليه السلام»، وإن للعباس منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيمة، والحمد لله رب العالمين، انتهى.

للمؤلف يذكر لقب الطيار:

طارت جماهير العدو مروعة
وكشفت حراس الشريعة فاتكا
فملكتها رغم الأعدى عنوة
وملأت من عذب الروى ذاك السقا
والقلب فيه من الأواب أوار
ما ذقت من ذاك المعين تذكرة
عطش الحسين ويهنىك الإيثار

فعلاك حين ذكرته استubar
إن الحسين أذاب مهجهte الظما
ناديت هوني بعد سبط محمد
يا نفس إني المؤثر الصبار
ي يوم القيامة جده المختار
يسقيك إذ واسيته من حوضه
أقبلت تركض بالسقا مبادراً
قطعت يداك وشق بالسهم السقا
فوقفت بين جموعم لا يمنة
والخييم كردها لك الأشرار
بقيت تقيك ولم تعنك يسار
فقد الحسين بك الحمية والوفا
وأخذ تحاذر بأسه القدر
قد كنت تحمل في الجlad لواهه وللك الفخار علامه وشعار

القاب العباس العامية

للعباس الأكبر «عليه السلام» ألقاب لقبه بها العوام وهي كثيرة جداً مشتقة من صفاتاته وأفعاله كما كان القدماء يشتقون اللقب من صفات الملقب به .
منها المستعجل:

يعنون إنه «عليه السلام» يسرع في قضاء حوائج الراغبين إليه المتосلين به وبأهل الكرام إلى الله الذين هم من أعظم الوسائل عنده وأجل الذرائع لديه وهذه صحيحة ومشاهدة بعضاً منها الوجдан ، والتجربة أكبر برهان فإنه «عليه السلام» ما توسل به متسل إلى الله تعالى ولا تستشفع فيه متشفع مع خلوص نية وصحة عقيدة ويقين صادق وإخلاص ثابت إلا وقضى الله حاجته عاجلاً ويسراها وسهلها سريعاً .
ومنها المضهض:

وضهضت النار بلسان العوام اشتد لهبها وعظم استعارها بالوقود، يعنون إنه «عليه السلام» شديد البطش سريع الفتوك بالمعتدين والمتجرئين عليه فإن الحالف فيه كاذباً والمجترء بأكل نذره أو جحده أو جعل له شرطاً ولم يف به وما شاكل ذلك فإنه ينكبه سريعاً من دون إمهال ويبطش به البطش العاجل وذلك مشاهد محسوس تعرفه العامة والخاصة .

ومنها أبو الشارة:

وهذا لقب وليس كنية كما يظن لأنه بدء بـ«أب» فإن «أب» هنا بمعنى صاحب الشارة وهذه الشارة وهي نوع من كراماته الكثيرة المشهورة والتي لا شك فيها ولا ارتياط ولا خفاء فيها لأنه قد أشتراك الجميع في العلم بها ومعنى الشارة هو أن

يصيب الحالف كذباً أو المعتدى بأي نوع كان نكبة إما موت أو حرق أو غرق أو مرض مزمن وما شاكل هذا وقد قصف الله أعمار من حلفوا به كذباً أو منعوا تادية حقوقه من النذور وغيرها أو تجاسروا عليه عتواً وتكبراً، وجميع هذه من الأمور المتسالم عليها عند عموم الشيعة وتواترت أخبارها لدهيم يتناقلها الخلف عن السلف وينقلها الحاضر للغائب ولم تختص الشعية بمشاهدة تلك الكرامات الباهرة بل شاهدتها غيرهم وكتمها عناداً وانحرافاً.

للمؤلف:

لقد شاهدت رهان سيد رسلاها
ولما أغتنى كالشمس دانت طوائف
كذلك برهان ابن حيدر ظاهر
ومنها أبو رأس الحاره

وهو لقب أيضاً لا كنية ومعناه عندهم سرعة غضبه في ذات الله وعدم سماحة للجائز وعدم عفوه عن المجرم مهما كان.

ومنها الترهب ببيانه:

يعني أبوابه ويعنون أن أبواب حضرته الشريفة ومرقده المقدس مخوفة مرهوبة لكثرة ما وقع منه «عليه السلام» من الكرامات المسمى بالشارة حتى أن الداخل إلى حضرته المقدسة يمتلىء رعباً وهيبة له وذلك لكثره ما شاهدوا على أبوابها من أنس تجاسروا عليه بحلف كاذب أو سرقة أو إقدام بغير احترام فجعلهم آية ونكارة فسبب ذلك في صدورهم هيبة ورعبه وغرضهم التعبير عما يفهمه العلماء العارفون من أن لولي الله هيبة تمتلىء منها صدور الناس.

و منها باب الحوائج:

وَقاضي الحاجات ولعل هذا اللقب قديم للعباس «عليه السلام» والغرض من ذلك قضاء الحاجات لمن توسلا به وأستشفع إلى الله فيه وهذا أيضاً موجب.

ولقد حدثني من يوثق به ويعتمد على قوله من المجاورين لسيدهنا العباس «عليه السلام» أن امرأة جميلة بديعة الحسن كانت تطوف بقبر أبي الفضل العباس «عليه السلام» فرآها شاب يطوف بقبره أيضاً فأعجبته فلم يتمالك دون أن لمسها بيده فدعت عليه فشلت يده ودعا الله بجاه العباس «عليه السلام» أن يزوجه إياها وبعد مدة تزوج امرأة وهو لا يعرف تلك الامرأة فلما آتست به سأله عن سبب

شلله فأخبرها بالقصة، قالت له: يا هذا وأنت قد قضى الله حاجتك إنها هي الامرأة التي دعت عليك في ساعة كذا في وقت كذا بعلامة كذا فعرف القصة وحمد الله على ذلك.

ومنها المصفي بالياء المنقطة:

وهو من التصفية ومعناه عندهم حسم الخصومة بين المتشاجرين إذا أنتهت إليه فإن المتهم الذي يصر على المناكرة وال وجود إذا أريد منه الحلف بحضور سيدنا العباس «عليه السلام» لا يحلف خوفاً ولا بد له من الاعتراف فتنتهي الخصومة، وإذا حذف علموا أنه بريء مما قرف به فتنحسم مادة النزاع والتشاجر على الحالين جميعاً وهذا معنى قولهم المصنفي.

ومنها أبو فرجة:

لقب لakania وهم لا يقصدون أن له بنتاً تسمى فرجة إنما يقصدون أنه يقصدون أنه يفرج الكرب عن القاصد إليه والمستجير بجانبه والمتوسل إلى الله بجاهه وجاه أهل بيته الكرام والألقاب العامية كثيرة يكفي هذا المقدار منها.

للمؤلف:

لیست کرامته تخفى على أحد
أم كيف تخفى وأدناها إذا ظهرت
بعض الكرامات کنا شاهدين لها
يا أيها الناس إن الواثقين بهم
فكم جلى الله عنا في محبتهم
فلازموا حبهم تنجو بحبهموا
فالشاهرون عليهم سيف بغיהםوا
لأنهم حجة الباري وخيرته
العن يزيد وثني ابن الدعوي ولا
القاطعين يد العباس سيدنا
من لو يوازن بالدنيا وساكنها

إلا على حاسد في غيه سبحة
من شبل حيدر مثل الشمس زاد ضحى
وبعضها شاهدتها سائر الصلحا
فازوا وخاب الذي عن حبهم جمحا
كربأً وذنبأً عفى عنا بهم ومحى
يوم القيامة وأعصوا من جفى ولحي
خابوا ومبغض آل الله ما ربحا
أهل التقى وخير الأمة الصلحا
تنسى ابن سعد من اللعنات مصطبحا
والقاتلین حسيناً سيد الصلحا
مكارماً ومزايا خيرة رجحا

صفات العباس الأكبر «عليه السلام»

والصفات قسمان: خلقية وخلقية؛ فال الأولى صفات البدن نحو الجمال وطول القامة وطول العنق وتناسب الأعضاء وما شاكل ذلك، والثانية صفات النفس نحو الكرم والشجاعة والعلم والحلم وما شابه ذلك.

الصفات البدنية للعباس «عليه السلام»:

فقد كان سيدنا العباس بن علي «عليهما السلام» من أحسن الناس خلقة وشكلًا وأتمهم بدنًا ومحاسنًا، ويعد من رجالبني هاشم المتميزين بصفاتهم الجسمانية من الجسامه وطول القامة والجمال الباهر، وقد وصفه بعض العلماء - وهو أبو الفرج الأصفهاني - بأنه كان جسيماً وسيماً يركب الفرس المطهوم ورجله تخطان في الأرض.

أثر الضخامة في الإرهاب ومدح البسطة الجسمية:

لا شك أن للضخامة تأثيراً في إرهاب العدو وإرغامه وكلما كان البطل جسيماً ضخماً طوالاً كان في الصدور أهيب وللأعداء أرهاب، وكان في البطولة مقدماً لأن البطولة تكسو الرجال مهابة فيصبح لدى أعدائه مهيباً مرهوباً، ولم يزل وصف البطولة عند العرب القدماء فخراً لكماتها الممتازين وفرسانها المشهورين لأن البطولة في الشخص تشتمل على أنواع من إرهاب الأعداء نحو الشجاعة وشدة البأس والبطش والجرأة والإقدام والقوة والضخامة البدنية ممدودة وبالخصوص طول القامة وقد امتنَ الله تعالى على عبيده عاد حيث خلقهم ضخام الأبدان طوال القامات بقوله: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصَطَّةً﴾^(١)، قوله تعالى توبيناً لبني إسرائيل على امتناعهم من طاعة طالوت لما ملكه عليهم بقوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْرِ﴾^(٢).

وقد قال مولانا سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين «عليه السلام» في أحد أصحابه وهو عبد الله بن عمير الكلبي وقد رأه طويلاً جسيماً: أحسبه للأقران قتالاً.

قال أبو جعفر الطبرى في تاريخه: خرج يسار مولى زياد بن أبيه وسالم مولى عبيد الله بن زياد (فقالا): فليخرج إلينا بعضكم فوثب حبيب بنى مظاهر وبرير بن

حضرير، فقال لهم الحسين «عليه السلام»: أجلسنا، فقام عبد الله بن عمير الكلبي فقال أبا عبد الله: رحمك الله أئذن لي لأخرج إليهما، فرأه الحسين «عليه السلام» رجلاً آدماً طويلاً شديد الساعدتين بعيد ما بين المنكبين، فقال الحسين «عليه السلام»: إني أحس به للأقران قتالاً أخرج إذا، فخرج إليهما فقالا: من أنت؟ فأنتسب لهما، إلى آخره، وقد ترجمنا للكلبي هذا في كتابنا «إعلام النهضة الحسينية».

فلضخامة الجسم وطول القامة أثر مهم في إرهاب الأعداء وإخافة الخصم وقد جاء في الأخبار القديمة وأخبرنا به القرآن المجيد إجمالاً وفصله التاريخ لنا تفصيلاً، فالقرآن الكريم يقول حكاية عن قوم موسى لما أمروا بحرب العماليق: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنَا نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَخِلُونَكُمْ﴾^(١)، ﴿فَأَذَّهَبْتَ أَنَّتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَاهُ إِنَّا هَمُّنَا فَعِدْوَنَكُمْ﴾^(٢) إلى آخر ما حكاه الله تعالى من قصتهم التي شرحها التاريخ.

قال أبو جعفر الطبرى في جملة أخبار موسى الكليم «عليه السلام»^(٣): ثم أمرهم - يعني موسى «عليه السلام» - بالمسير إلى أريحا في أرض بيت المقدس فساروا حتى إذا كانوا قريباً منها بعث موسى «عليه السلام» أثنى عشر نقيباً من جميع أسباط بنى إسرائيل فساروا يريدون أن يأتوه بأخبار الجبارين فلقاهم رجل من الجبارين يقال له عاج^(٤) فأخذ الإثنى عشر فجعلهم في حجزته وعلى رأسه حزمة حطب فأنطلق بهم إلى أمراته فطرحهم أمامها وقال: أنظري إلى هؤلاء القوم يزعمون أنهم يريدون قتالنا! وقال: ألا أطحفهم برجل؟ فقلت أمراته: بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك، فلما خرجوا قال بعضهم البعض: يا قوم! إنكم إن أخبرتم بنى إسرائيل بخبر القوم أرتدوا عن نبي الله ولكن أكتموه وأخبروا النبي الله فيكونان هما يريان رأيهما، فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ليكتموه ثم رجعوا فأنطلق عشرة فنكثوا العهد فجعل الرجل منهم يخبر أخاه وأباء بما رأوا من أمر عاج، وكتم رجلان منهم فأتوا موسى وهارون «عليهما السلام» فأخبروهما الخبر فذاك حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَقَ بَعْضِ إِسْرَائِيلَ وَبَعْثَنَا مِنْهُمْ أَثْقَلَ عَشَرَ نَبِيًّا﴾^(٥)، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُونَ

(١) المائدة: ٢٢.

(٢) تاريخ الطبرى ٢٢١ / ١.

(٣) هو الذي تسميه الفصاص والعام عوج بن عنق ويعرض العام يقول شنق بن عنق.

(٤) المائدة: ١٢.

(٥) المائدة: ٢٤.

أذكُرُوا نعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءً وَجَعَلَكُمْ مُّلُوكًا^(١) وساق القصة بطولها ..

وإنما أرهبوا وأرعبوا لضخامة أجسام هؤلاء العمالق وطول قامتهم . وقال أحمد بن إلياس الحنفي في بداع الزهور^(٢) في شرح هذه القصة: فأختار موسى «عليه السلام» أثني عشر رجلاً فقال: أريد أن تتوجهوا إلى أريحاء مدينة الجبارين لتأتوني بخبر أهلها وإذا جئتم فأكتتموا خبرها عنبني إسرائيل، فخرجوا ومعهم يوشع بن نون وكالب بن يوقدنا وساروا حتى أشرفوا عليها فرأهم رجل من الجبارين فساقهم حتى أدخلهم أريحاء فأجتمع عليهم أهلها فوجدوهم عظيمي الجثث طوالاً وكان بنو إسرائيل بالنسبة إليهم صغار الجثث ضعفاء، فهموا بقتلهم فقال بعضهم: لا تقتلواهم واجعلوهم لنا عبيداً، فلما جاء الليل هربوا فلما وصلوا إلىبني إسرائيل أشعروا ما صدر لهم فوقع الخوف في قلوببني إسرائيل فقالوا: يا موسى! إن مملكة فرعون كانت أخف علينا مما نحن فيه من دخول مدينة الجبارين، ثم ساق القصة آخرها .

طوال القامة عند العرب

لم تزل العرب في قديمها وحديثها تعد الطول مفتخرأً لها وتقدم الطوال في الحروب تهويلاً على الأعداء، وأشعارها وأخبارها ناطقة وهي كثيرة لا تضبط في هذه العالجة .

قال الطبرى في التاريخ في أخبار القادسية^(٣): إن سعد بن أبي وقاص جمع نفراً عليهم نجار وهم آراء ونفراً لهم منظر وعليهم مهابة ولهم آراء؛ فاما الذين عليهم نجار ولهم آراء ولهما اجتهاد فالنعمان بن مقرن وبسر بن أبي رهم وحملة بن حوية الكنانى وحنظلة بن الربع التميمي وفرات بن حيان العجلبي وعدى بن سهيل والمغيرة بن زراره بن النباش بن حبيب، وأما من لهم منظر لأجسامهم وعليهم مهابة ولهم آراء فعطارد بن حاجب والأشعث بن قيس والحارث بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو بن معد يكرب والمغيرة بن شعبة والمثنى بن حارثة فبعثهم دعاة إلى الملك إلخ .

أما الأشعار فكثيرة منها قول عترة الفوارس العبسي في معلقته:

(١) المائدة: ٢٠.

(٢) تاریخ الطبری ٤/٩٢.

(٣) بداع الزهور: ص ١٢٨.

بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم السرحة أعظم الشجر، والسبت تسميه العوام السبت حزام من صوف يجعل حمائل للخنجر، وقال غيره:

طويل نجاد السيف ليس بحبر إذا أهتز وأسترخت عليه الحمائل وطول حمائل السيف كنایة عن طول القامة، وقال أبو هاشم في سعيد بن سلم ابن قتيبة ابن مسلم الباهلي يمدحه:
 سعيد بن سلم ضوء كل بلاد
 جواد حنـى في وجهـه كل جواد
 ويقصر عنه باعـ كل نجاد
 إلا قـل لـساري اللـيل لا تخـشـى ظـلة
 لنا سـيد أـربـى علىـ كل سـيد
 يـطـول عـلـى الرـمـح الرـدـينـي قـاماـ
 وقال آخر يرثي رجلاً:

نـبيل في مـعاـوازـة طـوال
 ذـليل لـذـليل مـنـ المـوـالـي
 وـتحـت جـمـاءـه خـشـبات ضـالـ
 وـحزـنـاـ دائـماـ أـخـرى الـلـيـالـي
 وـمحـتـضـرـ المـنـافـعـ أـرـيـحـيـ
 عـزـيزـ عـزـةـ فـيـ غـيرـ فـحـشـ
 جـعـلـتـ وـسـادـةـ إـحـدـىـ يـدـيـهـ
 وـرـثـتـ سـلاـحـهـ وـورـثـتـ ذـوـدـأـ

وقـالـ تـوـبةـ بـنـ مـضـرـسـ السـعـديـ:
 وـلـمـ التـقـىـ الصـفـانـ وـاـخـتـلـفـ الـقـناـ
 تـبـيـنـ لـيـ أـنـ الـقـمـامـةـ ذـلـةـ
 الـقـمـامـةـ الـقـصـرـ فـيـ الـقـمـامـةـ،ـ وـقـالـ جـرـيرـ الـخـطـفـيـ:

تعـالـلـواـ فـفـاتـونـاـ فـفـيـ الـحـكـمـ مـقـنـعـ
 إـلـىـ الـغـرـ مـنـ أـهـلـ الـبـطـاطـحـ الـأـكـارـمـ
 وـأـرـضـ الـطـوـالـ الـبـيـضـ مـنـ آلـ هـاشـمـ

لـذـيـ جـسـمـ يـعـدـ وـذـيـ بـيـانـ
 وـجـسـمـاـ مـنـ بـنـيـ عـبـدـ الـمـدـانـ
 وـقـالـ حـسـانـ بـنـ ثـابـتـ الـأـنـصـارـيـ:
 وـقـدـ كـنـاـ نـقـولـ إـذـ رـأـيـناـ
 كـأـنـكـ أـيـهـاـ الـمـعـطـىـ بـيـانـاـ

امتداد القامة في قبيلتين من العرب:

قد أشتهرت قبيلتان من العرب بنو هاشم بن عبد مناف وبنو عبد المدان بن الديان من بني الحارث بن كعب من مذحج بضمخامة الأجسام وطول القامات مع

الوسامة وحسن البيان، وبنو هاشم أشهر وأذكر وأفخر وأميز بجميع خصال الحمد.

قال الحلبي الشافعي في سيرته في حديث مولد النبي ﷺ^(١): روي عن أمه عليها السلام أنها قالت: لما أخذني ما يأخذ النساء أي عند الولادة وإنني لوحيدة في المنزل رأيت نسوة كالنخل طولاً كأنهن من بنات عبد المطلب ما رأيت أضواء منهن وجوهاً، وكأن واحدة من النساء تقدمت إلي فاستندت إليها وأخذني المخاض وأشتد علي الطلق وكأن واحدة منهن تقدمت إلي وناولتني شربة من الماء أشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من الشهد فقالت لي: أشربها، فشربت، ثم قالت الثالثة: أزدادي ثم مسحت بيدها على بطني وقالت: باسم الله أخرج بإذن الله، فلقن لي: نحن آسية أمراة فرعون ومريم بنت عمران.

ثم قال^(٢): وهذا يفيد أن بنات عبد المطلب كن متميزات على غيرهن من النساء في إفراط الطول وقد رأيت أن علي بن عبد الله بن عباس كان مفرطاً في الطول كان إذا طاف كأن الناس حوله مشاة وهو راكب، وكان مع هذا الطول إلى منكب أبيه عبد الله بن عباس، وعبد الله إلى منكب أبيه العباس، وكان العباس إلى منكب أبيه عبد المطلب.

وقال المبرد في الكامل^(٣): يقال: إن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب كان إلى منكب عبد الله، وكان عبد إلى منكب العباس، وكان العباس إلى منكب عبد المطلب.

وحدثني التوزي قال: طاف علي بن عبد الله بالبيت وأنا عجوز قديمة وعلى قد فرع الناس كأنه راكب والناس مشاة، فقالت: من هذا الذي قد فرع الناس؟ فقيل: علي بن عبد الله بن عباس، فقالت: لا إله إلا الله إن الناس ليزدلون عهدي بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فساطاط أبيض.

وحدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان بن علي بن عبد الله أن العباس قال: كان يقال صار شبه علي بن عبد الله في عظم الأجسام في العليين يعني علي ابن المهدي المنسوب إلى أمه ربطه علي بن سليمان بن علي.

الطوال من بنى هاشم وغيرهم:

قال ابن قتيبة في المعارف^(٤): العباس بن عبد المطلب كان يمشي في

(١) السيرة الحلبية ١/٧٢.

(٢) المعرف لابن قتيبة: ص ٢٥٦.

(٣) الكامل للمبرد ١/٦٦.

الطراف كأنه عمارية على ناقة والناس كلهم دونه، وكان علي بن عبد الله بن العباس طويلاً جميلاً وعجب قوم من طوله فقال رجل: ياسبحان الله كيف نقص للناس لقد أدركت العباس وهو يطوف بهذا البيت كأنه فساطط أبيض فحدث بذلك علي، فقال: كنت إلى منكب أبي، وكان أبي إلى منكب جدي، إنتهى.

وكان عقيل بن أبي طالب رجل طويل القامة مفرطاً في الطوال، قال أبو الحجاج البلوي الشافعي في كتاب ألف با^(١): كان عقيل بن أبي طالب طوالاً وكان أحد العشرة الذين طولهم عشرة أشبار، إنتهى.

وهؤلاء يقال لكل واحد منهم مقبل الظعن لإفراطه في الطول يعني إنه يستطيع أن يقبل الراكبة على البعير وهو جالس لا يحتاج أن يقوم إليها منهم عبادة بن الصامت الخزرجي الأنصاري من أعيان الصحابة وأحد نقباء النبي ﷺ الإثنى عشر كان طويلاً مفرطاً في الطول.

قال الحافظ العسقلاني الشافعي في الإصابة^(٢): روى ابن سعد إنه كان طوالاً جسيماً طويلاً، إلخ.

وبعضهم يقول: طويلاً جسيماً دمياً والله أعلم، ومنهم الزبير بن العوام وذكره الحلبي^(٣).

والذين ذكرهم المبرد في الكامل^(٤): العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله وجرير بن عبد الله البجلي والأشعث بن قيس الكندي وعدي بن حاتم الطائي وابن جذل الطعان الكناني واسميه عبد الله، وأبو زيد الطائي وزيد الخيل بن مهلهل الطائي وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي.

قال المبرد: كان أحد هؤلاء يقبل المرأة على الهودج وكان يقال للرجل منهم مقبل الظعن وكان طلحة بن عبد الله موصوفاً بالتمام.

قال ابن قتيبة في المعارف^(٥): كان حبيب بن مسلمة الفهري كالمشرف على دابة لطوله، وكان عمر بن الخطاب كأنه راكب والناس يمشون لطوله.

ثم ذكر العباس بن عبد المطلب وقال: وكان جرير بن عبد الله البجلي يقتل في ذروة البعير من طوله وكانت نعله ذراعاً، وكان عدي بن حاتم طويلاً إذا ركب الفرس كادت رجله تخط في الأرض، وكان قيس بن سعد طويلاً جسيماً.

(١) ألف با: ص ٨١.

(٢) السيرة الحلبية ١ / ٧٣.

(٣) المعرف: ص ٢٥٦.

(٤) الإصابة ٢ / ٢٦٩.

(٥) الكامل للمبرد ٢ / ٩١.

وذكر ما تقدم في ترجمة ابن الحنفية وقال: وعبيد الله بن زياد «لعنه الله» كان طويلاً لا يرى ما شياً إلا ظنوه راكباً من طوله.

ثم ذكر علي بن عبد الله بن عباس وقال: كان جبلة بن الأبيهم آخر ملوك غسان طوله أثني عشر شبراً وإذا ركب مسحت قدمه الأرض، وكان عمارة بن عقبة الحنفي الخارجي طويلاً ولما مات لم يجدوا له سريراً يحملونه عليه فزادوا في السرير ألواحاً وأمنه الحجاج فمات بالبصرة، إنتهى.

وكان مروان بن الحكم طويلاً يلقب بـ«ظل الشيطان» ويلقب بـ«خيط الباطل» لطوله، كان عبد الله بن أبي سلول أحد بنى الجبلى رأس المنافقين طويلاً، لما أسر العباس بن عبد المطلب يوم بدر أرادت الأنصار أن تكسوه ثوباً فلم يجدوا ما يلبسه سوى ثوب عبد الله بن أبي فكسوه إياه، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله بطلاً جسيماً طوالاً، وكان الطرامح بن عدي الطائي الشاعر طويلاً وله قصة مع معاوية وهذا باب واسع، ولنرجع إلى تمدح العرب بالطول وأفتخارهم به.

قال مادح الرشيد هارون بن المهدى العباسي:

جهير الكلام جهير العطاس جهير الرواء جهير النعم
ويخطو على الأين خو الظليم ويعلو الرجال بخلق عجم
قال المبرد: عجم أي جسيم.

وذكر الجاحظ في البيان والتبيين^(١) بمناسبة هذين البيتين ما لفظه: حدثني إبراهيم بن السندي لما أتى عبد الملك بن صالح وفد الروم وهو في البلاد أقام على رأسه رجالاً في السماطين لهم قصر وهام ومناكب وأجسام وشوارب وشعرور فبينما هم قيام يكلمونه و منهم رجل وجهه في قفا الطريق إذ عطس عطسة ضئيلة فلحظه عبد الملك فلم يدرى أي شيء أنكر منه، فلما مضى الوفد قال له: ويلك هلا إذ كنت ضيق المنخر كز الخيشوم أتبعتها بصيحة تخلع بها قلب العلچ، إنتهى.
 قوله «قصر وهام» يعني أعناق ضخمة ورؤوس عظيمة من قولهم فلان عظيم القصرة يعني الرقبة، ومن الشعر في مدح الطول قول مادح قثم بن العباس بن عبد المطلب:

في باعه طول وفي وجهه نور وفي العرنين منه شم

(١) البيان والتبيين ١١٨/١.

وقول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

أعیني جودا ولا تجمدا إلا تبکیان لصخر الندى
 ألا تبکیان الجریء الجميل ألا تبکیان الفتى السیدا
 طویل النجاد رفیع العمامد وساد عشرتہ أمردا
 قال المبرد في الكامل^(١): ترید بطول نجاده طول قامته وهذا مما يمدح به
 الشیریف، وقول مروان بن أبي حفصة للمهدي محمد بن المنصور العباسی:
 قصرت حمائله عليه فقلصت ولقد تأنق قینها فأطالها

وقال رجل طائی:

جدیر أن یقل السیف حتى ینوس إذا تمطی في النجاد
 وقال الحکمی أبو نؤاس:
 سبط البناء إذا احتبی بنجاده غمر الجماجم والسماط قیام
 والعرب تکنی عن طویل القامة برفع العمامد وطول النجاد.

قال المبرد في الكامل^(٢): كان لبید بن ریبعة العامری شریفاً في الجاهلیة
 والإسلام وقد كان نذر أن لا تھب الصبا إلا نحر وأطعم حتى تنقضی فھبت في
 الإسلام وهو بالکوفة مقتراً مقل فعلم بذلك الولید بن عقبة بن أبي معیط وكان
 والیها لعثمان بن عفان وكان أخا عثمان لأمه فخطب الناس وقال: إنکم قد عرفتم
 نذر أبي عقیل وما وکد على نفسه فأعینوا أخاکم على مروته ثم نزل فبعث إليه بمائة
 ناقۃ وأیيات یقول فيها:

أرى الجزار تشحذ مدیتاه إذا هبت ریاح أبي عقیل
 طویل الباع أبيض جعفری کریم المجد كالسیف الصقیل
 وفي ابن الجعفری بمالدیه على العلات والممال القلیل
 فلما أتته قال: جزی الله الأمیر خیراً قد عرف إني لا أقول الشعر ولكن
 أخرجی یابنیة، فخرجت بنت خماسیة فقال لها: أجيبي الأمیر فاقبلت وأدبرت
 وبعث إلى الناس فقضی نذرها ففي ذلك تقول ابنة لبید:
 إذا هبت ریاح أبي عقیل دعونا عند هبتها الولیدا
 طویل الباع أبيض عبشمیاً أعا ان على مروته لبیدا

بأمثال المهضاب كأن ركباً عليها منبني حام قعوداً
 أباً وهب جراك الله خيراً نحرناها وأطعمنا الشريداً
 فعد أن الكريم له معاد وظني بابن أروى أن يعوداً
 فقال لها لبيد: أحسنت يا بنية لولا أنك سالت، فقال: إن الملوك لا يستحيي
 من مسألتهم، فقال لها: يا بنية! وأنت في هذا أشعر، إنتهى.
فم القصر والاعتذار منه:

فكما أن العرب مدحت بطول القامة في الأبطال كرهت القصر وذموا من
 أتصف به من الرجال وعابوه فمن ذلك قول موسى بن عبد الله بن خازم السلمي
 والي خراسان وقد قتل أخوه محمد، وفي رواية ابنه بخراسان:
 ذكرت أخي والخلو مما أصابني يغطي ولا يدرى بما في الجوانح
 فلو ناله المقدار في يوم غارة صبرت ولم أجزع لنوح النوائح
 ولكن أسباب المنايا صرعنـه كريماً محياه عريض الممادح
 بكـفـ أمرءـ كـزـ قـصـيرـ نـجـادـهـ خـبـيـثـ ثـنـاهـ عـرـضـةـ لـلـفـضـائـحـ
 وقول بشر بن الهذيل الفزارـيـ يعتذرـ منـ قـصـرـ قـامـتهـ:
 فإنـ لاـ يـكـنـ عـظـمـيـ طـوـيـلاـ فإـنـيـ لـهـ بـالـخـصـالـ الصـالـحـاتـ وـصـولـ
 بـعـارـضـةـ حـتـىـ يـقـالـ طـوـيـلـ إذاـ كـنـتـ فـيـ الـقـوـمـ الطـوـالـ فـطـلـهـمـوـ
 إـذـاـ لـمـ يـزـنـ حـسـنـ الـجـسـوـمـ عـقـولـ وـلـاـ خـيـرـ فـيـ حـسـنـ الـجـسـوـمـ وـطـوـلـهـاـ
 وـكـمـ قـدـ رـأـيـناـ مـنـ فـرـوعـ طـوـيـلـةـ وـكـمـ قـدـ رـأـيـناـ مـنـ فـرـوعـ طـوـيـلـةـ
 وـقـالـ آـخـرـ يـذـمـ قـوـمـاـ مـنـ الـعـرـبـ:
 إذاـ دـخـلـوـ بـيـوـتـهـمـوـ أـكـبـواـ علىـ الرـكـبـاتـ مـنـ قـصـرـ العـمـادـ
 وهذاـ أـيـضاـ كـثـيرـ فـيـ شـعـرـ الـعـرـبـ وـمـرـ ماـ يـشـيرـ إـلـيـهـ.

نقد المؤلف للمبرد في وصف النبي ﷺ

قد أورد المبرد في الكامل وغيره من العلماء كلاماً يجب الوقوف عليه ولفظ
 الكامل^(١): قال: وروي أن النبي ﷺ وهو الأسوة والقدوة كان فوق الربعة ولم
 يكن بالطويل المشذب وكان إذا مشى مع الطوال طالهم ولم يختلف أهل الحكمة

(١) الكامل للمبرد ٦٧/١.

والنظر من العرب والجم أن الكمال في الاعتدال ولا يقال غير هذا عن حكيم، إنتهى.

وفيه: أولاً: إن الاعتدال نسبي فكم مفرط في الطول في زمن إذا قيس إلى معتدل الزمان الآخر كان قصيراً وهكذا بالنسبة إلى الزمان الواحد، فكم نعد مفرطاً في الطول عندنا فإذا جاءنا من شرق الأرض وغربها من إذا قسنا مفرط الطول عندنا إليه وجدها قصيراً عليه فلا تتحقق نسبة الاعتدال الحقيقي إلا في الزمن الخاص في البلد الخاص لا غير.

ثانياً: إن العبارة التي أوردها هذا المتبخر وقعت شاهداً لنا لا علينا من حيث أنه أثبت أن النبي ﷺ كان فوق المربع يعني إنه كان طويلاً غاية الأمر إنه لم يكن مفرطاً في الطول كما هو نص قوله «ليس بالطويل المشذب وكان فوق المربع» فقد خرج عن الاعتدال الذي ادعى عليه الإجتماع فناقض من حيث لا يدرى وأخرج النبي ﷺ عن الاعتدال وهو لا يعقل سامحه الله.

ثالثاً: أنه حكم لنا نفسه وهو غافل حيث أثبت أن النبي ﷺ إذا ماشي الطوال طالهم فقضى أن الطول صفة كمال فلا يكون أكمل من رسول الله ﷺ أحد فوجب بحسب أصل الحكمة من باب المعجزة أن يطول عليهم ليكون هو الأكمل ولهذا لما كان القصر نقصاً وعيهاً وجب بحكم الحكمة أن لا يساوي القصار لأن في صفتهم نقص في الخلقة وهو ﷺ متزه عن كل نقص ومتصرف بكل كمال لهذا وجب أن يطول الطوال لأن الطول كمال ولا يساوي القصار أو يقصر عنهم لأن القصر عيب ونقص.

وأما ما ادعاه من اتفاق أهل النظر على مدح الاعتدال فمقبول إن صع الاعتدال الحقيقي من حيث أن معرفة الاعتدال الحقيقي مشكلة لأن كل واحد إذا قسسه إلى من هو أطول منه كان قصيراً وإلى من هو أقصر منه كان طويلاً وقد يكون المفرط في الطول في بلد مفرطاً بالقصير في بلد آخر، نعم لو حصل لنا هذا الفرد وعرفناه تحقيقاً كان هو الأكمل وإن لم يف بمعونة الطويل الغير النسبي والقصير كذلك لا تتجاوز الفرد الواحد لو عرفناه يقيناً كما أخبرونا أن في القرن الأول الإسلامي كان جبلة بن الأبيهم الغساني كان طوله أثني عشر شبراً، وأن عبد الله بن مسعود الهذلي كان طوله شبران ولا يجب أن يطول رسول الله ﷺ على جبلة لأنه خرج بطوله عن الكمال وتجاوز مقدار الفضل فكان نقصاً وهو المعنى بالمشذب، فرسول الله ﷺ أكمل الخلق والاعتدال المحمود هو الوقوف بين حدي الإفراط والتفرط كالتهور

في الإقدام الخارج عن حد الشجاعة وأمثال ذلك من الصفات المعتدلة وكذلك الطول الذي يعود سخرية وأستهزاء كما يقال في طول جبلة، أما ما عداه فهو من الكمال والعرب أهل حروب والطوال أقرب إلى التهويل وأولى بالإرهاب، وأما الأمم الغير العربية فكذلك، وقد مر في ترجمة ابن الحنفية ما راسل به ملك الروم معاوية ابن أبي سفيان.

وذكر الجاحظ في البيان والتبيين أن الروم تشرط في قسها شروطاً منها طول القامة^(١) وهذا نصه: وقع بين فتى من النصارى وبين أبي قهريز كلام، فقال له الفتى: ما ينبغي أن يكون في الأرض رجل واحد أجمل منك، وكان ابن قهريز في نفسه أكثر الناس علمًا وأدبًا وكان حريصاً على الجثلقة، فقال للفتى: كيف حللت عندك هذا المحل؟ فقال: إنك تعلم أنا لا نتخذ الجاثليق إلا مديد القامة وأنت قصير القامة، ولا نتخذ إلا جهير الصوت جيد الحلق وأنت دقيق الصوت رديء الحلق، ولا نتخذ إلا وافر اللحية عظيمها وأنت خفيف اللحية صغيرها، وإننا لا نتخاذ في الجثلقة إلا رجلاً زاهداً في الرياسة وأنت أشد الناس عليها كلباً وأظهرهم لها طلباً فكيف لا تكون أجمل الناس وخصالك كلها تمتنع من الجثلقة، وأنت قد شغلت في طلبها بالك وأسهرت فيها ليك، إنتهى.

أما الفرس فتبالغ في رجال منهم أسفنديار، فأين الاتفاق الذي ادعاه المرد؟ نعم الاتفاق في الاعتدال في سائر الأشياء دون القامة فإن الممدوح فيها الامتداد والحاكم على العقول هو القرآن وقد سمعت الآيات المادحة لعظم الأجسام، نعم المعترض أحسن النظر وأقرب إلى ذوق البشر والأطوال أقرب إلى التهويل والإرهاب فإنه يكتسب هيئة ولا أحسب أن هناك من يستريب أن طول القامة مع ضخامة الجسم فضيلة في الإنسان والقضايا التاريخية قاضية بهذا وحسبك في قصة اليرموك وحديث الرومي الذي علا على الصخرة وهاب المسلمين من الدنو إليه حتى رقى إليه الأستر، فراجع الطبرى وغيره.

والعرب يستحسنون في الإنسان ثلاثة أشياء إذا طالت القامة والعنق والساعد، ولا يفرقون في الأوليين بين الرجل والمرأة بل والثالث وقد قال بعضهم:

علبة الساعد فيه لم تكدر تسعد جارا

فمدحها بعبالة الساعد وهي ضخامة وإذا كان ضخاماً قصيراً كان قبيحاً من غير شك فلا بد أن يطول مع ضخامتها حتى يحسن وقد ذم شاعر العرب قصيرة القامة.

أحب من النسوان كل قصيرة إلى وما تدرى بذلك القصائر
أردت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطا شر النساء البحاتر
ولهم في وصف الغياء الجياء ما ليس هذا موضعه.

طول العنق في الرجال وطول السواعد:

فطول العنق في الرجل ممدوح عند العرب وكذلك طول الساعد لأنه إذا طال وصل إلى الأعداء وقد ذكر بعض العرب أنهم إذا قصرت سواعدهم في الضرب وصلوها بخطاهم إلى الأعداء، قال القتال الكلابي:

يا ليتنى والمنى ليست بنافعة لمالك ولحسن أو لسيار طوال أنضية الأعناق لم يجدوا ريح الإمام ولو بات بأطهار وقال المبرد في الكامل^(١): طوال أنضية الأعناق، النضو مركب النصل في السنخ وضربه مثلاً وإنما أراد طوال الأعنق، وقال الشمردل بن شريك اليربوعي: يشبهون ملوكاً في نجالتهم وطول أنضية الأعناق والللم إذا بدئ المسك يندى في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

وقال معوذ بن بشر المازني في طول الأذرع والسواعد:
لهم أوجه بيض حسان وأذرع طيال ومن سيماء الملوك نجائز

وقال أدhem بن أبي الزعرا الطائي:
إذا قيل من للمعضلات أحابه عظام اللها منا طوال السواعد

قال قيس بن ثعلبة البكري:
دعوتبني قيس إلى فشمرت
إذا ما قلوب القوم طارت مخافة
إذا جمحت حرب بهم جمحوا لها
خناذيد من سعد طوال السواعد
من الموت أرسو بالنفوس المواجه
ولم يقصروا دون المدى المتبعده

وفي وصل السواعد بالخطا يقول نابغة بنى ذبيان الحارثي:
إن تسألني عن سمي فإننا يسمى إلى قحم العلا أدنانا

(١) الكامل للمبرد ٤٤/١.

نثى ويأخذ حقه مولانا
حتى يكون كأنه أسفانا
لوصاة والدنا الذي أوصانا
حتى تدور رحاهم ورحانا
قسراً ونابى أن يباح حمانا
مرداً وما وصل الوجه لحاننا
حتى يرى وكأنه إغنانا
ويسود فوق السيدين ثنانا
حتى تناول ما نريد خطانا
أعظمتنا ورحلن عن مجرانا
ذكرتها كلها لحسن أسلوبها وبديع آدابها، وقال كعب بن مالك الأنباري:
وصل السيف إذا قصرنا بخطونا
قدمأً ولحقها إذا لم تلحق

حد الظباء وصلناها بأيدينا
لدى الهول حتى أمكنتنا المضارب
إذا ظن أن السيف ذو السيف قاصر

وتبيت جارتنا حصانا عفة
ونحن نحق شريكتنا في ماءنا
ونقول إن طرق المثوب أصبحوا
أن لا نصد إذا الكمة تقدمت
ونبيع كل حمى قبيل عنوة
ويعيش في أحلامنا أشياعنا
ويظل مقتربنا بحسن عفافه
ويسود سيدنا بغير مدافع
وإذا السيوف قصرن بلغها لنا
وإذا الجياد رأينا في مجمع
ذكرتها كلها لحسن أسلوبها وبديع آدابها،
وصل السيوف إذا قصرنا بخطونا
وقال آخر:

إذا الكمة تنحوأ أن ينالهموا
وقال آخر:
وصلنا الرفاق المرهفات بخطونا
وقال حميد بن ثور الهلالي:
وصل الخطاب بالسيف والسيف بالخطاب
ويكفي هذا المقدار من الشواهد الشعرية.

البطولة عند العرب وأجتماع خصالها في العباس الأكبر

اجتمعت الصفات الأربع وهي طول القامة وطول العنق وطول الساعد والجسامه في العباس الأكبر بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وهذه هي البطولة العربية فليس البطل عند العرب إلا الشجاع الجريء الطويل القامة الضخم الجسم الشديد العضد الطويل الساعد.

البطولة في رأي الأمم الحرة

هي عند الشعوب الحرة والأمم المتمدنة صفة جمع لعامة الكمالات فهم لا يصفون بها إلا من تمت محاسنته وكملت مزاياه وصفاته النفسية والبدنية فلا يطلقون لفظ البطل إلا على من لا نظير له في قطره ولا مثيل له في شعبه ولذلك ينعتون الملوك والداعية الكبار والمصلحين والمبشرين من الأنبياء وغيرهم ورجال الأمة المبرزين الممتازين على غيرهم بالبطولة ولذا سمي أحد المستشرقين كتابه بالأبطال ولم يذكر فيه إلا أعيان الرجال الذين قاموا بدعاوة قلبوها بها الوضع القديم رأساً لعقب وجاؤوا بشريعة جديدة أو أنهجوا مسلكاً جديداً فحازوا لذلك شهرة وذكراً وكذلك سمي بعض العصريين كتابه الأبطال الثلاثة ويعني بهم عاهل العروبة ملك العراق المرحوم فيصل الأول الشريف الحسني وملك إيران رضا خان ورئيس جمهورية تركيا مصطفى كمال.

إذا كانت البطولة عنوان المحسن ومجمع الكمالات فلا شك ولا أرتيا بأن أبي الفضل العباس الأكبر ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهما السلام» قد تكاملت فيه صفات المكارم وأجتمعت له مزايا الكمال وحاز جلّ الفضائل الموجبة للتنويه والإطراء له مدحًا وتقريرًا لأنَّه كما سترى كان شجاعاً شديداً الأساس ذا نجدة عظيمة وثبات مدهش وكان عالماً فقيهاً حكيمًا وخطيباً بليناً وشاعراً فصحيحاً ووفياً أبيتاً وكريماً جزاداً صاحب مواسات وإيثار وكان ورعاً زاهداً عابداً، وقد وصفه أبو الفرج الأصبهاني في كتاب مقاتل الطالبيين بقوله: كان العباس بن

على رجلاً وسيماً جسماً يركب الفرس المطهم ورجله تخطان في الأرض وكان يسمى قمر بنى هاشم ويلقب السقا ويسمى أهل النسب أبا قربة الخ.

وقد جمعت هذه الفقرات من صفات أبي الفضل «عليه السلام» الوسافة وهي عبارة عن بداعه الشكل والمنظر ويعبر عنها بالملاحة وحسن الملامح ولطافة الشكل، وقمر بنى هاشم نعت له بالجمال الذي هو أصل الوسامه لأن الوسامه رونق الجمال تبرزه الملامح وتظهره الشمائل وأثبتت له نوراً من حيث أنه قمر هذه القبيلة الممتازة بحسنه وجمالها، وطول القامة بقوله: رجله تخطان الأرض، والجسامه وهو عبارة عن كونه ممتلىء الاعضاء والبدن والبطولة وهو كذلك فإنه بطل العلقمي، وقد قال الأسديون الذين دفنتوا الشهداء للإمام زين العابدين «عليه السلام»: بقي بطل على المسناة، وقد قال الأزري (رحمه الله) في تأييده: بطل أطل على العراق مجلبياً فأعصوصبت فرقاً تمور شامها والحلبي (رحمه الله) في تأييده:

بطل تورث من أبيه شجاعة فيها أنوف بنى الضلاله ترغم

قمر بنى هاشم حسن وجماله

ومن صفات العباس بن أمير المؤمنين «عليه السلام»: الحُسن والجمال؛ لأنه قمر بنى هاشم وقد كساه الله تعالى ثوب الجمال ورداه برداء الحسن البديع وذاك مما يزيده فضلاً ويكتبه مجدًا حيث أن المال رداء الله الذي ألبسه لأنبياءه وأمتن به على أهل الخير والصلاح وكما كساه الله الأتقياء البررة فقد سريل به الملوك العظاء والأشراف الكبار.

إن العرب لمدح بالحسن وصباحة الوجه ساداتها وزعماءها ومن المحقق لدى كل أحد أن تشويه الخلقة علامة المقت الرباني غالباً وأن الدمامه من العيوب عند ذوي العقل، وهنا قصة يجدر إيرادها وإن طالت.

قال الميداني في مجمع الأمثال^(١): قال المفضل: إن كبيش بن جابر أخا ضمرة ابن جابر من بنى نهشل كان عرض لأمة لزرارة بن عدس يقال لها رشية كانت سبية أصابها زراة من الرفيدات وهم حي من العب فولدت له عمراً وذؤباً وبرغوثاً فمات كبيش وترعرع قال أذهبني بهؤلاء الغلمة فع nisi بهم وجه ضمرة وخبريه من هم وكان لقيط عدواً لضمرة فأنطلقت بهم إلى ضمرة فقال: ما هؤلاء؟

(١) مجمع الأمثال ١/٨٦.

قالت: بنوا أخيك فأنتزع منها الغلمة وقال: الحقي بأهلك فرجعت فأخبرت أهلها بالخبر فركب زراره وكان رجلاً حليماً حتى أتىبني نهشل فقال: ردوا علي غلمتي فسبه بنو نهشل وأهجروا له فلما رأى ذلك أنصرف فقال له قومه: ما صنعت؟ فقال: خيراً ما أحسن ما لقيني به قومي فمكث حولاً ثم أتاهم فأعادوا عليه أسوأ ما كانوا قالوا له فأنصرف فقال له قومه: ما صنعت؟ فقال: خيراً قد أحسن بنو عمي وأجملوا، فمكث بذلك سبع سنين يأتיהם في كل سنة فيردونه بأسوأ الرد في بينما بنو نهشل يسرون ضحى إذ لحق بهم لاحق فأخبرهم أن زراره قد مات، فقال لهم ضمرة: يا بني نهشل قد مات حليم إخوتكم فاتقوهم بحقهم، ثم قال ضمرة لنسائه: قفن أقسم بينكن الثكل وكانت عنده هند بنت كرب بن صفوان وأمرأة يقال لها خليدة من بني عجل وسبية من عبد القيس وسبية من الأزد من بني طمثان وكان لهن أولاد غير خليدة فقالت لهند وكانت لها مصافية: ولني الثكل بنت غيرك على سبيل الدعاء فأرسلتها مثلاً، فأخذ ضمرة شقة بن ضمرة وأمه هند، وشهاب ابن ضمرة وأمه العبدية، وعنوة بن ضمرة وأمه الطمنانية فأرسل بهم إلى لقيط بن زراره وقال: هؤلاء رهن بغلمانك حتى أرضيك منهم، فلما وقع بنو ضمرة في يد لقيط أساء ولايتهم وجفاهم وأهانهم، فقال في ذلك ضمرة بن جابر: صرمت إخاء شقة يوم غول وإخوته فلا حللت حلالي كأنني إذ رهنت بني قومي دفعتهم إلى صهب السبال ولم أرهنهم بدم ولكن صرمت إخاء شقة يوم غول وحق إخاء شقة بالوصال

فأجابه لقيط:

أبا قطن إني أراك حزيناً وإن العجلول لا يبال حنيناً
أفي أن صبرتم نصف عام لحقنا ونحن صبرنا قبل سبع سنينا

قال ضمرة:

لعمرك إبني وطلاب حبي وتركبني في الشرط الأعدادي
لمن نوكى الشيوخ وكان مثلبي إذا ما ضل لم ينعش بهاد
ثم إنبني نهشل طلبوا إلى المنذر بن ماء السماء أن يطلبهم من لقيط فقال
المنذر: نحواً عندي وجوهكم، ثم أمر بخمر وطعام ودعا بلقيط فأكلوا وشربوا حتى
إذا أخذت الخمر منها قال المنذر للقيط: يا خير الفتى ما تقول في رجل اختارك

الليلة على ندامى مضر؟ قال: أقول: إنه لا يسألني شيئاً إلا أعطيته أية غير الغلمة فقال المنذر: أما إذا أستثنيت فلست قابلاً منك شيئاً حتى تعطيني كل شيء سألك، قال فذاك لك، قال: فإني أسألك الغلمة أن تهفهم لي، قال: سلني غيرهم، قال: ما أسألك غيرهم فأرسل لقيط إليهم فدهفهم إلى المنذر فلما أصبح لقيط لأمه قومه فندم، فقال في المنذر:

فإنك لو غطيت أرجاء هوة مغمومة لا يستشار ترابها
بشوبك في الظلماء ثم دعوتنى لجئت إليها سادراً لا أهابها
فأصحابت موجوداً على ملوماً كأن نضيتك عن حائض لي ثيابها
قال: فأرسل المنذر إلى الغلمة وقد مات ضمرة وكان صديقاً للمنذر، فلما دخل عليه الغلمة وكان يسمع بشقة ويعجبه ما يبلغه عنه فلما رأه قال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، فأرسلها مثلاً، قال شقة: أبى اللعن وأسعدك إلهك إن القوم ليسوا بجزر وإنما يعيش الرجل بأصغريه لسانه وقلبه، فأعجب المنذر كلامه وسره كلما رأى منه فسماه ضمرة باسم أبيه فهو ضمرة بن ضمرة إلخ.

وإنما ازدراه المنذر لأنه كان دمياً تقتحمه العين لدمامته كما صرح بذلك غير الميداني من رواة هذه القصة كالسيوطى في المزهر ومثلها قصة عمرو بن شاس الأستاذ وشهرتها أعظم من شهرة قصة ضمرة وهي مطولة.

ومختصرها عن الميداني في مجمع الأمثال^(١) بعد القصة السابقة قال: وقرب من هذا ما يحكى أن الحجاج أرسل إلى عبد الملك بن مروان بكتاب مع رجل فجعل عبد الملك يقرأ الكتاب ثم يسأل الرجل فيشيقه بجواب ما يسأل فيرفع عبد الملك رأسه إليه فيراه أسوداً فلما أعجبه ظرفه وبيانه قال متمثلاً:

فإن عراراً إن يكن غير واضح فإني أحب الجون ذا المنكب العم
قال له عرار: هل تدرى من عرار؟ أنا والله عرار بن عمرو بن شاس
الأستاذ الشاعر، إنتهى، وقبل هذا البيت:

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم
قاله عمرو بن شاش لزوجته ضرة أم عرار وقد عنفته على حبه وعيرته
بسواده.

وقال الحافظ السيوطي جلال الدين الشافعى في المزهر^(٢): قال ابن

الكلبي: وفدي الصقعب بن عمرو النهدي في عشرة من بنى نهد على النعمان بن المنذر وكان الصقعب رجلاً قصيراً دمياً تقتحمه العين وكان شريفاً بعيد الصوت فنظر الآذن إلى أعظمهم وأجملهم فقال: أنت الصقعب؟ قال: لا، قال للذي يليه في العظم والهيئة: أنت هو؟ قال: لا، فأستحي فقال: أيكم الصقعب؟ قال الصقعب: ها أنا ذا فأدخله إلى النعمان فلما رأه قال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، فقال له الصقعب: أبىتك اللعن إن الرجال ليسوا بالمسووك يستنقى فيها إنما الرجل بأصغريه بلسانه وقلبه وإن قاتل قاتل بجنان وإن نطق نطق ببيان، فقال له النعمان: الله أبوك كيف بصرك بالأمور؟

قال: أنقض منها المفتول وأبرم منها المسحول وأجليلها حتى تجول، وليس لها بصاحب من لم ينظر في العواقب.

قال: قد أجدت وأحسنت فأخبرني عن العجز الظاهر والفقر الحاضر؟

قال: أما العجز الظاهر فالشاب الضعيف الحيلة التبوع للحليلة الذي يحوم حولها إن غضبت ترضها وإن رضيت تفداها فذاك الذي لا كان ولا ولد النساء مثله، وأما الفقر الحاضر فالذي لا تشبع نفسه وإن كان له قنطرة من ذهب.

قال: فأخبرني عن السوأة السوءاء والداء العباء؟

قال: أما السوأة السوءاء فالمرأة السليطة التي تعجب من غير عجب وتغضب من غير غضب فصاحبها لا ينعم باله ولا يحسن حاله وإن كان ذا مال لم ينفعه، وإن كان فقيراً غيرته به فأراح الله منها بعلها ولا متع بها أهلها، وأما الداء العباء فالجار جار البيت وإن شهدك سافهك وإن غبت عنه سبك وإن قاولته بهتك وإن سكت عنه ظلمك.

فقال له النعمان: أنت أنت فأحسن صلته وصلة أصحابه، إنتهى والحكايات كثيرة فأطلبهما.

السر في قبح الدمامنة ورأي الطبيعين:

فكمما أن الدمامنة من العيوب المحقرة والنواقص المحسوسة من حيث أنها تشويه للخلقية وتشويه الخلقة من صفات الشياطين ومردة الجان وقصة الجاحظ إذ ساقته المرأة إلى الصانع ليصنع لها تمثال شيطان على صورته مشهورة، والدمامة وحلاكه اللون من سماء الزنج وقد قرر علماء الطبيعة أن الألوان أفضلها المعتدل في البياض كالحمرة المشربة ببياض ناصع وهو اللون الذهبي ويطلق عليه اسم السمرة كألوان العرب وذلك عندهم دليل اعتدال مزاج الأنثى وسلامة الرحم من الآفات.

وشر الألوان السوداء لأنه ناشئ من خروج الرحم عن سمت الاعتدال بغلبة الحرارة في النضج الشديد الموجب للأحتراق فيكتسي الجنين من ذلك سواداً حالكاً كألوان الزنوج ومن شاكلهم من الحبسة والنوبة، والبياض المفرط وهو الذي تسميه العوام البياض الفاهي أي الذي لا رونق له ولا رواء فيه قد سلب النور والإشراق وتطلق العرب على أهل هذا اللون صهيب السبال، والسبلة هي اللحية إذ الغالب على أبيض اللون الشديد البياض أن تكون لحيته صهباء بين الحمرة والبياض وتسميتها العوام شقرة وصهبة وهذا ناشئ عن ضعف المزاج عن النضج وفساد قوة الرحم النارية التي تتمم نضج المولد فيخرج حينئذ شديد البياض أصحاب الشعر أزرق العينين كألوان سكان أوروبا الشمالية وأتراك آسيا الغربية.

وكلا اللونين عند علماء الطبيعة خارج عن حد الاعتدال فخير الألوان أعدلها وهو ما أشرب بحرمة وعلاه نور وإشراق وهذا هو لون العرب وسكان الأقطار المتوسطة وقد قال شاعر العرب:

هجان عليها حمرة في بياضها تروق لها العينان والحسن أحمر
والبياض المشرب بحرمة تسميه العرب القدماء السمرة وليس السمرة التي
تعرفها العوام ويسمونها الحنطاوية بل التي يسميها علماء الطبيعة بالذهبية التي تشبه
لون الأبريز وكلما علت الوجه لمعات إشراق وتلألؤ وأساريء إضاءة وأنوار على
حد ما قيل :

كأن دنانيرأ على قسماتهم

جمال النبي ﷺ وأهل بيته «عليهم السلام»

كان أجمل وأكمل بحكم العقل وذلك لون وجه أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» وهو أيضاً لون الأنبياء «عليهم السلام» ولون سيد الرسل وخاتم الأنبياء محمد ﷺ وأهل بيته الهداة فإن نبينا محمد ﷺ ولا نظير له في العالم كله كان «عليه الصلاة والسلام» عظيم النور يهتدي إليه الناس في الظلماء بنور جبينه وأبنته سيدة النساء فاطمة الزهراء «عليها السلام» يجتمعن النساء فيغزلن على إشراق وجهها وتلألؤ غرتها، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين «عليهم السلام» كان يستدير النور على جماههم أستدارة الظاهرة على البدر فصباحة الوجه من دلائل الفضل وإمارات الخير، قال الشاعر لمدحه:

أنت شرط النبي إذا قال حقاً أطلبوا الخير من صباح الوجوه

وهو عقد لحديث نبوي نصه «أطلبوا الخير عند حسان الوجه»، وقال آخر: لقد قال الرسول مقال صدق وخير القول ما قال الرسول إذا الحاجات فرت فأطلبوها إلى من وجهه حسن جميل

أنواع الجمال:

هو نوعان: نوع يدرك بالبصر كإشراق الوجه وأحمراره وملاحة العينين وأمثال ذلك فهو الحسن والصباحة، ونوع يدرك بالفكر مما تظهره الملامح والهيئات من تناسب الأعضاء في الشكل وحسن التخطيط وإبداع الخلقة وإتقان الصورة من حيث التركيب البديع وظرافة الأعطاف وقد اختلفوا فمن قائل أن الحسن هو النوع الأول والجمال هو النوع الثاني، ومنم من يقول بالعكس.

قال في الشرح الجلي^(١): من الزينة البدنية الحسن والجمال والملاحة؛ فالحسن في اللغة هو تناسب الأعضاء ولطافتها.

وقال القيصري في شرح ثانية ابن الفارض: الحسن شيء يدرك بالذوق ولا يوصف.

وقال في محل آخر من الشرح: الحسن عبارة عن تناسب الأعضاء ولطافتها وعليه فإنه يدرك ويحد، وقيل: يدرك ولا يوصف.

قلت: وجه الجمع بين هذا القول وبين عبارتي القيصري أن الحسن ينقسم إلى أربعة أقسام وهو الحسن الحادث:

الأول: حسن حسي وهو تناسب الأعضاء.

الثاني: حسن عقلي وهو في المعاني المدركة بالعقل كالعدل والرحمة.

الثالث: حسن روحاني وهو ما كان في الأخلاق خاصة.

الرابع: حسن شرعي وهو في الأمور الدينية كلزوم الجماعة والاعتقاد الصحيح ويضاده القبح في الأقسام الأربع.

وأما الحسن القديم الذي يضاف إلى الله فهو رتبة خامسة خارجة عن المفهومات الأربع وهذا لا يضاده قبح كما يضاد الحسن المتعارف إلخ.

ثم قال^(٢): ويرادف الحسن البهجة والوسامة الحسن، وأما الجمال فقال بعضهم هو عين الحسن وقال آخرون أثر يظهر في الإنسان من إدمانه على التغذى بالجميل وهو الشحم وكان ذلك الأثر هو السمن.

(٢) الشرح الجلي: ص ١٧٥.

(١) الشرح الجلي: ص ١٧٤.

وقال بعد كلام: ونقل في المصباح عن سيبويه أن الجمال رقة الحسن وعليه يكون الجمال حسناً خاصاً، وقيل: الجمال هو الحسن لكن تختلف أسماؤه بأعتبار الأعضاء كما قال السهيلي في شرح السيرة.

قال الأصمعي: الجمال في الأنف والملاحة في الفم.

وقال العارف النابلسي في شرح الفصوص: الجمال الصوري هو إشراق وجه الروح إلى جهة الجسم ويفيد ما حكي أن المأمون أستعرض عسکره يوماً فرأى رجلاً قبيح المنظر فأستدعاه وأستطقه فوجده غبياً غير فصيح، فقال لأصحابه: أسقطوا هذا من ديوان الند، قالوا: ولم ذاك؟ قال: لأن الروح لها نور وجمال فإذا أشرق نورها على ظاهر الشخص كان جمالاً، وإذا أشرق على باطنها كان ذكاء وفصاحة هذا الرجل لم يشرق فيه نور الروح لا في الظاهر ولا في الباطن فهو لا خير فيه.

وقيل: الحسن حسن الخلق بفتح الخاء، والجمال حسن الخلق والخلق والفعل؛ قاله البوريني في شرح ديوان ابن الفارض.

ثم قال^(١): وأما الملاحة فقال في الصحاح أنها البهجة وحسن المنظر.

ثم قال بعد كلام: قال السهيلي: الحسن يتعلق بالمفردات فلا يوصف به إلا ما كان مفرداً كقولك هذا خاتم حسن والجمال يتعلق بالمركبات الجميلة فإذا أجتمع من ذلك جمع وصف صاحبها بالجمال أي مثل الإنسان إذا كان له جملة أعضاء حسنة فإنه حينئذ يوصف بالجمال.

قلت: قد وصف الله تعالى بالجمال وهو متنزه عن التركيب ولكن بالنظر إلى جملة من حسن أسماءه وصفاته وأفعاله تعالى فإنها كلها حسنة ولهذا ورد في حديث الجامع الصغير: إن الله جميل يحب الجمال، قال المناوي: أي له الجمال من كل وجه فهو تعالى يحب أسمائه وصفاته ويحب ظهورها على الخلق فإنه عليم يحب العلماء، كريم يحب الكرماء إلى غير ذلك فهو يحب من تخلق بصفاته، إلخ.

وفي المزهر للحافظ السيوطي^(٢): قال الثعالبي في فقه اللغة: عن ثعلب عن ابن الأعرابي: الصباحة في الوجه والوضاءة في البشرة والجمال في الأنف والملاحة في الفم والحلوة في العينين والظرف في اللسان والرشاقة في القد واللباقة في الشمائل وكمال الحسن في الشعر، إنتهى.

(٢) المزهر: ص ٢٦٣ / ١.

(١) الشرح الجلي: ص ١٧٦.

وكل واحد يجري على مبلغ أجهزه في كلام العرب ولكن ليس لذلك مناط واحد فكما يقولون ما سمعت يقولون أيضاً فلان حسن الوجه وفلان جميل الصورة وبهي الطلعة، ويصفون الباري تعالى بالجميل ويعنون به جميل الفعل كما سمعت ولقد تمثل الشاعر مع ظرافته وبدعه أسلوبه حيث يقول:

خلقت الجمال لنا فتنـة وقلـت لنا يا عبـادي أتقـون
وأنت جـمـيل تـحـبـ الجـمـال فـكـيفـ عـبـادـكـ لـاـ يـعـشـقـون

وقد موه هذا الشاعر الظريف وسبك الجد بالهزل فأوهم أن الله تعالى جميل يحب جمال الصورة وهذا لطف وظرافة قواه على هذا التجاور بعض الأحاديث الضعيفة من أن الله تعالى جميل يستحي أن يذب صاحب الوجه الجميل بالنار فليصنه عن معصية الله، أو ما هذا معناه، وجمال الله تعالى جمال صفات الصورة منزله عنها ومحبته للجمال ليست كمحبتنا نحن للصور الجميلة على جهة الشوق والتلذذ بل محبته للجميل من الفعال والصورة لو قلنا بها محبة إكرام وإجلال.

وحيث أن الحسن والجمال من خيرات الله وفواضله التي أفضها على عباده ومن نعمه التي أسداها إلى خلقه فهو يحب من ظهرت عليه تلك النعمة إذا قام بواجب شكرها في تأدبة ما افترض عليه من فرائضه وسنته وإذا لم يقم بذلك الواجب وقابله بجعود النعمة والكفران لزمه ما لزم كافري النعم من المقت والبغض لهم.

قال في الرياض الخزعلية^(١): ونعمـةـ الجـمـالـ أـولـ نـعـمـةـ أـنـعـمـ اللـهـ بـهـاـ عـلـىـ الإـنـسـانـ هـيـ وـإـنـ كـانـتـ أـقـلـ مـنـ غـيرـهـ إـلاـ أـنـهـ مـنـ الـخـيـرـاتـ التـيـ يـتـوـصـلـ بـهـاـ الإـنـسـانـ إـلـىـ حـاجـاتـ وـمـهـمـاتـهـ وـذـلـكـ لـأـنـ الـقـبـيـعـ مـذـمـومـ وـالـطـبـاعـ عـنـهـ نـافـرـةـ وـحـاجـاتـ الـجـمـيلـ إـلـىـ الإـجـابـةـ أـقـرـبـ وـجـاهـهـ فـيـ الصـدـورـ أـوـسـعـ فـهـوـ مـنـ هـذـاـ الـوـجـهـ جـنـاحـ مـبـلـغـ إـلـىـ الـحـاجـاتـ كـالـمـالـ وـالـجـاهـ إـذـ هـوـ نـوـعـ قـدـرـةـ إـذـ يـقـدـرـ الـجـمـيلـ الـوـجـهـ عـلـىـ تـنـجـيزـ حاجـاتـ لـاـ يـقـدـرـ عـلـيـهـ الـقـبـيـعـ إـلـخـ.

وليس غرضنا بيان معنى الجمال وحقيقة على الدقة الحكمية بل يكفي معرفته بهذا الأسلوب وإنه من نعم الله تعالى على العباد وإنه من صفات الأنبياء، وأنه ممدوح عند العرب، ويعد في مكارم أشرافهم وساداتهم، أما حسن النبي يوسف فقد كفانا القرآن الكريم نعته، وأما نبينا محمد ﷺ فقد أتفق علماء الفريقيين السنة

والشيعة على أنه أجمل البشر وتعدادهم في المقام ونقل أقوالهم يوجب تطويلاً.

صفة النبي محمد ﷺ

قال الطبرسي (رحمه الله) في كتاب مكارم الأخلاق عن الحسين بن علي «عليهما السلام» قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي وكان وصافاً لرسول الله ﷺ عن حلية النبي وأنا أشتاهي أن يصف لي شيئاً منها أتعلق به، فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر، أطول من المربع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل إذا انفرقت عقيصته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه وهو ذا وفرة، أزهر اللون، واسع الجبين، أزرج الحواجب، بينما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، أدعج، ضليع الفم، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادناً، متماساً، سواء البطن، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عدى الثديين والبطن، مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعلا الصدر، طويل الزنددين، رحب الراحة، سبط القصب، شلن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، خمسان الأخمصين، مسع القدمين، ينبو عنهما الماء، إذ زال زال قلعاً، يخطو تكتيماً ويمشي هوناً، سريع المشية، إذا مشى كأنما ينحدر من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة إلخ.

وقال الأ بشيبي الشافعي في المستطرف^(١): وإلى سيدنا محمد رسول الله ﷺ ينتهي الحسن والجمال، ثم ذكر ما ذكرنا وذكر قول حسان بن ثابت في رسول الله: وأحسن منك لم تر قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء خلقت مبرئاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما اتشاء

صفة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وقد مر قول ابنه محمد بن الحنفية في خطبته: إحساؤاً عن القمر الزاهر والبدر الباهر.

قال محمد بن علي بن شهر آشوب (رحمه الله) في كتاب المناقب^(١): عن جابر وابن الحنفية أنه «عليه السلام» كان رجلاً دحذاً ربع القامة، أزج الحاجبين، ادعج العينين، أنجل يميل إلى الشهلة، كان وجهه القمر ليلة القدر حسناً وهو إلى السمرة، أصلع، له حفاف من خلفه كأنه إكليل، وكأن عنقه إبريق فض وهو أقرب ضخم البطن، عريض الصدر، محض المتن، شن الكفين، ضخم الكسور، لا يبيّن عضده من ساعده، قد أدمجت إدماجاً، له لحية قد زانت صدره، غليظ العضلات، خمس الساقين إلخ.

صفة سيدتنا فاطمة الزهراء بنت رسوله ﷺ

قال المازندراني في كتاب المناقب المذكور^(٢): أنس بن مالك قال: سألت أمي عن صفة فاطمة «عليها السلام» فقالت: كانت كأنها القمر ليلة القدر، والشمس كفرت غماماً وخرجت من السحاب، وكانت بيضاء بضة، إنتهى. ويذكر غيره أن النساء يجتمعن فيغزلن على ضوء وجهها.

وقد قال الحسين «عليه السلام» لابن أخيه الحسن المثنى: اخترت لك أبنتي فاطمة لأنها أكثرهن شبهاً بأمي فاطمة، وفاطمة بنت الحسين كانت عظيمة الجمال حتى قيل إن امرأة مردودتها سكينة لمنقطعة القرین.

صفة الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ

وحيث قد أتفق الناس أنه شبيه رسول الله ﷺ في الخلقة والخلق لم نرى في التطويل حاجة.

صفة الحسين بن علي «عليهما السلام» سبط رسول الله ﷺ

قال علي دده الحنفي في محاضرات الاوائل والأواخر^(٣): وحملته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء «عليها السلام» ستة أشهر وما سمع بمولود في ستة أشهر إلا يحيى بن زكريا «عليه السلام» وكان له جمال عظيم ونور يتلألأ في جبينه و Oxide يضيء حواليه في الليلة الظلماء، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ، إلخ.

وقد ذكر بعض أرباب المقاتل أن الأسديةن لما جاؤوا لدفن الشهداء بعد أرتحال عسكر عمر بن سعد لم يعرفوا أحداً منهم لأن رؤوسهم قطعت إلا الحسين «عليه السلام» فإنهم عرفوه بأنواره الساطعة فإنه قد جلل القتلى بأنواره، ولجماله

(١) المناقب ٣/١٦٣. (٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤/٢٢.

(٣) محاضرات الاوائل والأواخر: ص ٧٢.

الباهر وحسن البديع يقول عدوه وهو يقرع ثنایاه بمحضرته: أما إنه كان غلاماً صبيحاً، ويقول عدوه وهو الآخر الشامت بقتله ويهتز فرحاً مرحأ:

يا حبذا بردك في البدين ولونك الأحمر في الخدين
كأنما حف ببوردتين شفيت نفسي بدم الحسين
وقد قال بعض الشهداء معه وهو الغلام الذي قُتل أبوه معه:

أميري حسين ونعم الأمير سرور فؤاد البشير النذير
علي وفاطمة والدها فهل تعرفون له من نظير
له طلعة مثل شمس الضحى له غرة مثل بدر منير
ورثاه السوسي الشاعر بقوله:

يا قمراً غاب حين لاحا أورثني فقداك المناحا
ورثاه الكعبي الشاعر بقوله:

ومجرح ما غيرت منه القنا حسناً ولا أخلقن منه جديداً
قد كان بدرأً فاغتدى شمس الضحى مذ أبسته يد الدماء لبوداً
وهو كثير في مراثيه، والجمال من المواهب الإلهية والمنع الربانية لبني
هاشم فقد كانت العرب تسمى عبد مناف البدر، وتسمى هاشم بن عبد مناف
وإخوته أقداح النصار، والنضار الذهب، ولقبوا عبد المطلب بالبدر، ووصفوا
أولاده بأنهم جمال جون وهي البيض من الإبل لجمالهم وعظم أجسامهم، وقالوا في
العباس بن عبد المطلب بأنه فساطط أبيض لجماله وعظمته، سرى الجمال على
أعقاب بني هاشم فكان أبو الفضل العباس بن علي يسمى قمر بني هاشم، وكان
علي بن الحسين الأكبر «عليهما السلام» كفلقة قمر طالع، وكذلك القاسم بن
الحسن ووصفه عدوه بذلك، وعبد الله الرضيع بن الحسين الشهيد رمي بالسهم
على بريق رقبته فإنها كانت تلمع على عضد أبيه «عليه السلام»، وفي بني العباس
من يضرب به المثل في الجمال كالامين بن الرشيد وأبي عيسى بن الرشيد^(١)
والمعتر بن المتكفل والمكتفي وجعله مادحه ثالث الشمس والقمر فقال:

(١) قال الشعالي في ثمار القلوب ص ٣٧: كان أبو عيسى بن الرشيد أحسن أهل زمانه حتى أنه كان أحسن من أخيه الأمين وهو المضروب به المثل في الحُسن، وكان يقال لأبي عيسى يوسف الزمان، وفي ص ٤٨: كان يقال لكل من محمد الأمين وأخيه أبي عيسى يوسف الزمان لفطر جمالهما، ويقال: إن جمال ولد الخليفة إنتهى إليهما فما رأى الناس مثلهما إلا المعتر بعدهما، وذكر كلاماً مطولاً فراجعه.

والله لا قبلتها ولو أنها كالبدر أو كالشمس أو كالمنتفي

مدح العرب ساداتها وأشرافها بآيات جمال

إن ثناء العرب على العظام منها في غاية الكثرة فمن ذلك ما ذكره الراغب في المحاضرات: قال ابن عنقاء الفزارى:

كأن الثريا علقت فوق نحره وفي أنفه الشعري وفي وجهه القمر

وقال أوس بن حجر:

تجرد في السرير أبيض ناصع مبين لعين الناظر المتoscum

وقال أبو قيس بن الأسلت في أبي أحىحة سعيد بن العاص الأموي ذكره الجاحظ في البيان والتبيين:

كأن البختري غداة جمع يداعهم بلقمان الحكيم

بأزهر من سراة بنى لؤي كبدر الليل راق على النجوم

وقال دريد بن الصمة الجشمي فارس هوازن:

أبلغ نعيمًا وأوفى إن لقيتهما إن لم يكن كان في سمعيهما صم

فلا يزال شهاب يستضاء به يهدي المقاتب ما لم تهتك الحرم

أخذه ابن قيس الرقيات في مدح مصعب بن الزبير فقال:

إنما مصعب شهاب من الله تجلت بنوره الظلماء

وكذب في قوله في عبد الملك بن مروان:

يعتلل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

لم يكن عبد الملك جميلاً إنما كان مشوهاً أبخر، ولشدة بخره كان يتسلط

الذباب عليه ولذلك قيل له أبو الذبان.

قال المبرد في الكامل^(١): قال عبد الملك بن مروان لأسيلم بن الأحنف الأستدي: ما أحسنت ما مدحت به فاستغفاه فإبى أن يعف عنه وهو معه على السرير فلما أبى إلا أن يخبره قال قول القائل:

الآن أربك المخبون هل لكم بسيد أهل الشام تحبوا وترجعوا

من النفر البيض الذين إذا اعزوا وهاب الرجال حلقة الباب فعقوا

له حوك بردية أجادوا وأوسعوا
وفرق المذاري رأسه فهو أنزع

إذا النفر السود اليمانون تمموا
جلى المسك والحمام والبيض كالدمى
وقال نصيб الشاعر :

أقرت لنجوahم لؤي بن غالب
يحيون بسامين طوراً وтارة يحيون عباسين شوس الحواجب
وقال الكميت الأسدى في إحدى الهاشميات المشهورة :

إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقرب
بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب

وقال الأصم الباهلي وذكره الأمدي في المختلف والمختلف :
قتيبة أبطال مساعير بالقنا خضارمة عند اللقاء بحور
إذا القمر منهم مضى لسبيله بدی قمر يجلوا الظلام منير

وقال البرج المري في زفر بن هاشم من آل سنان رؤساء بنى مرة :
بحجر في جنابهموا حداء
لو أنك تستتضيء بهم أضافوا
ونور ما يغيبه المساء
دماؤهموا من الكلب الشفاء
ومكرمة دنت لهم السماء

يبكون أثر عمائام حمر
بهمما آباءهم لمكارم الذكر

وقال سبيع بن الخطيم التيمي لزيد الفوارس الضبي :
زيداً سعى سعياً غير مكفور
أنصاره بوجوه كالدنانير
كالورق تنظر في ألوانها الحور

كالفحل قدام اليراع الجون

من النفر البيض الذين إذا أنتجوا
يحيون بسامين طوراً وтارة يحيون عباسين شوس الحواجب

وقال الكميت الأسدى في إحدى الهاشميات المشهورة :
إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقرب
بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب

وقال الأصم الباهلي وذكره الأمدي في المختلف والمختلف :
قتيبة أبطال مساعير بالقنا خضارمة عند اللقاء بحور
إذا القمر منهم مضى لسبيله بدی قمر يجلوا الظلام منير

وقال البرج المري في زفر بن هاشم من آل سنان رؤساء بنى مرة :
أرى الخلان بعد أبي حبيب
من البيض الوجوه بنى سنان
لهم شمس النهار إذا استقلت
بناء مكaram وأساة كلم
فلو أن السماء دنت لمجد

وقال حبيب بن حباش الغنوبي :
تركت سليم إذا أضافوا أمرهم
جعلت على بيض الوجه نمت

وقال سبيع بن الخطيم التيمي لزيد الفوارس الضبي :
إن ابن ضرار حين أندبه
سالت برأس الحي حين دعى
ليس الهجان إذا ما كنت منتلاً

وقال المرار العجلي الراجز :
أبلغ مثل القمر المبين

وقال ابن عنقاء الفزارى في عميلة الفزارى وقد تقدم منها بيت:
 رأني على ما بي عميلة فاشتكى إلى ماله حالى أسر كما جهر
 على حين لا باد يرجى ولا حضر
 له سيماء لا تشق على البصر
 وفي جيده الشعري وفي وجهه القمر
 ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر

أتاني فأسانى ولو ظن لم ألم
 غلام رماه الله بالحسن يافعاً
 كأن الشريا علقت في جبينه
 إذا قيلت الفحشاء أغضى كأنه

وقال قيس بن عاصم سيد أهل الوير:

خطباء حين يقول قائلهم بيض الوجوه مصاقع لسن
 وقال قطن بن حارثة الكلبي العليمي في رسول الله ﷺ لما وفد عليه:
 رأيتك يا خير البرية كلها نبت نضاراً في الأرومة من كعب
 أغر كأن البدر سنة وجهه إذا ما بدأ للناس من خلل العصب
 أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه ورشت اليتامي في السغاية والجدب

وقال كعب الأنصاري شاعر النبي ﷺ فيبني هاشم:

يا هاشما إن الإله حباكموا ما ليس يبلغه اللسان المفصل
 قوماً وفرعهم النبي المرسل قدماً وفروعهم كلها
 بيض الوجوه ترى بطون أكفهم تندى إذا اغبر الزمان الممحل

وقال المعذل البكري في مدح النهاس بن ربيعة العتكي من أبيات:
 كأن دنانيرأ على قسماتهم إذا الموت للأبطال كان تحاسيا

وقال الطائي:

فتى عزلت عنه الفواحش كلها فلم تختلط منه بلحام ولا دم
 إذا ما رمى أصحابه بجبينه سرى ليلة الظلماء لم يتکهم
 وقال النابغة الذبياني في الحارث ابن أبي شمر الغساني ملك عرب الشام في
 عصر الرومان:

هذا غلام حسن وجهه
 للحارث الأكبر فالحارث الأ
 ثم لعمرو ولعمرو وقد
 مقبل العمر سريع التمام
 صغر فالأعرج خير الأنام
 أسرع في الخيرات منهم إمام

خمسة آباء هموا ما هموا هم خير من يشرب صوب الغمام
وقال حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ في آل جفنة ملوك غسان:
أبناء جفنة حول قبر أبيهموا قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقابل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

ذم الدمامـة

كما أنهم يمدحون بالجمال ويعدونه من سيماء السيادة يذمون بالدمامة
ويجعلونها عيباً في الرئيس ويتخذونها دليل المقت، ففي قول كعب بن زهير بن
أبي سلمى في قصيدة التي مدح بها النبي ﷺ المعروفة بـ«بانت سعاد»:
إذا عرَّدَ السواد التنابيل

دليل على ما قلناه فإنه عاب الأنصار بالقصر والدمامة، وقال آخر في نفسه:
وكيف أرجى أن أسود عشيرتي وأمي من سلمى أبوها وخالها
رأيتكما سوداً جعاد ومالك مخصرة بيض سبات نعالها
قال الأ بشيحي الشافعى في المستطرف^(١): أراد رجل أن يكتب كتاباً إلى
بعض أصحابه فلم يجد رجلاً يرسله معه إلا رجلاً وخشن الصورة بشعر المنظر، فلم
يقدر على تحليله لفروط دمامته فكتب إلى أصحابه: يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات
الله تعالى وقدره فدعه يذهب إلى نار الله وسفره.

وجاءت امرأة إلى صائغ فقالت له: أصنع لي تمثال شيطان، فقال: إني لم
أره، فذهبت فرأت الجاحظ فقالت: تفضل معي، فأقبل معها إلى الصائغ فقالت
له: هذا، وذهبت، فبهت الجاحظ وسأل الصائغ، فأخبره بما أرادت، وفي
الجاحظ يقول الشاعر:

لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانياً ما كان إلا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه وهو العمى في عين كل ملاحظ
ولو أن مرآة جلت تمثاليه ورآه كان له كأعظم واعظ
حج مخنت فرأى رجلاً قبيح الوجه يستغفر الله، فقال له: يا حبيبي! مالك

تبخل بهذا الوجه على جهنم! .

وقال بعضهم لرجل: طلع لي دمل (دبلي) في أقبح المواقع، فقال: كذبت هذا وجهك ليس فيه شيء.

وخرج رجل قبيح المنظر إلى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها أحسن منه وجهاً فقال:

لَمْ أَرْ وِجْهًا حَسَنًا مِنْذُ دَخَلْتُ الْيَمَنَ
فِي شَقَاءِ بَلْدَةٍ أَحْسَنَ مِنْ فِيهَا أَنَا

انتهى. وفي فرسان العرب جماعة يعابون بالسوداد ويقال لهم غربان العرب وأغربة العرب، منهم: عترة الفوارس العبسي فارسهم وبطفهم وشاعرهم، ومنهم السليمي ابن السليمية السعدي فارسبني تميم وهو سليم المقائب، والشنيري الأزدي أحد اللصوص، وخفاف بن ندبة السلمي فارسبني سليم وهو قاتل مالك بن حمار الشمخي سيدبني فزاره، وعبد الله بن خازم أمير خراسان وفارسبني سليم وهو ابن عجل، ومنهم الحباب أبو عمير بن الحباب السلمي سيدبني سليم في الإسلام أيضاً، ومنهم هفان بن عقبة بن أبي معيط الأموي، ومنهم تأبط شرًا الفهيمي أحد لصوص العرب وغيرهم وهؤلاء أشهر العرب نجدة وأبعدهم صوت وصيتاً في الفصاحة والفروسيّة وإنما دخلهم الخلل من جهة السوداد فإذاً هي عيب من العيوب لا يغطي، والجمال صفة فضل لا تنكر.

جمال أبي الفضل العباس «عليه السلام»

فأبو الفضل العباس الأكبر بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» ممن وسمهم الله بمبسم الجمال والوسامة وكساهم أردية الحسن كرامة منه لأنهم أهل الكرامة، وهذا أمر لا يحتاج إلى إثباته بأكثر مما ذكرنا وقد سمعت ما قاله أبو الفرج وكذلك غيره، فكونه يلقب بقمربني هاشم أمر معروف عند المؤرخين وحسبك بمن يكون قمر هذه العشيرة الفائقة على عامة البشر بجمالها الباهر وحسنها الزاهر وقد أكثر الشعراء من نعته بالجمال في مراثيه الكثيرة وأول من فتح لهم هذا الباب سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين «عليه السلام» ففي أسرار الشهادة للفاضل الدربندي (رحمه الله)^(١): قال فيه الحسين «عليه السلام» لما وقف عليه:

أَبَا ابْنِ أَبِي نَصْحَتْ أَخَاكَ حَتَّى سَقَاكَ اللَّهُ كَأسًا مِنْ رَحْيَقٍ

(١) أسرار الشهادة: ص ٣٢٣.

ويا قمراً منيراً كنت عوني على كل النوائب في المضيق
وهي أربعة أبيات نذكرها تماماً في محل آخر، وقال الأزرى (رحمه الله):
الله أكبر أي بدر خر من أفق الهدایة فأستشاط ظلامها
وقال السيد جعفر الحلى (رحمه الله) وهو يخبر أن الحسين «عليه السلام»
مشى إليه حين سقط:
فمشى لمصرعه الحسين وطرفه بين النساء وبينه متقسم
ألفاه محجوب الجمال كأنه بدر بمنحطوم الوشیع ملثم
وللمؤلف من قصيدة:
قمر العشيرة ليثها مقدامها فناص أسد الخيس في الأخیاس
حيث قد عرفت بعض صفات العباس بن أمير المؤمنین «عليهما السلام»
البدنية وهي الجسامه والوسامة وأمتداد القامة وطول العنق والساعدين مع عبالتهم
فنعرفك الآن بعض صفاته النفسيه وأخلاقه الحميده ومزاياه الكريمه.

صفات الحباس النفسية

وهي الأخلاق

الأخلاق والصفات النفسية

صفات العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهم السلام». وهي صفات النفس المعروفة بالأخلاق وهو أن الصفات النفسية منها ما هو راجع إلى معنى قائم بالنفس من حيث الخلقة والفطرة وتسمى هذه بالغرائز والسجايا ويطلق عليها الجبلية والطبيعية، ومنها ما هو راجع إلى النفس بواسطة عروضها لها من حيث تحصيلها بالممارسة والاكتساب وتسمى بالصفات والحالات النفسية وإنما هي هيئات وعوارض لها طارئة عليها بواسطة قوة أستعدادها للقبول فيقال لها صفة وحالة وهيئة بهذا الاعتبار، وإن توسط بعض الفلاسفة فأطلق على القسمين إسم الحال والحق إنهم نوعان يطلق عليهم إسم الأخلاق وقد يقال إن الأخلاق هي النوع الأول، والثاني تخلق لكن يرجع التخلق إلى الخلق بكثرة التمرин وقوة الرياضة على التهذيب، وفي المقام آراء مختلفة، وللفلسفه مذاهب شتى :

فبعض ينفي الأخلاق الطبيعية و يجعل الجميع من العوارض فيقول: لا شيء من الأخلاق الطبيعي للنفس وإنها كلها مكتسبات بالرياضة والتمرين وحمل النفس على المحمود والمذموم تدريجي وبالألفة والعادة.

وبعض يقول: كل الأخلاق طبيعية، و اختلف أهل هذا القول بين قائل بقبول التهذيب وبين قائل بعدم قبولها للتهذيب وهذا قول ساقط والوجدان يشهد ببطلانه.

ومن الفلاسفة من قال بما ذكرنا أولاً من أن الأخلاق تنحصر في نوعين ذاتية ومكتسبة وهو قول أكثر المحققين منهم وهو الصحيح حيث إننا كتبنا في كتابنا «السياسة العلوية» شرح عهد مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» لمالك الأشتر «رضوان الله عليه» فصلاً مطولاً تركنا التوسع هنا.

قال ابن مسكويه الخازن (رحمه الله) في كتاب تهذيب الأخلاق على هامش

المبدأ والمعاد لصدر الدين الشيرازي (ملا صدرا)^(١): الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رؤية وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء فيغضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، وكالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادات والتدرُّب وربما كان مبدأه بالرؤبة والتفكير ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً ولهذا اختلف القدماء في الخلق: فقال بعضهم: الخلق خاص بالنفس غير الناطقة، وقال بعضهم: قد يكون للنفس الناطقة فيه حظ.

ثم اختلف الناس أيضاً اختلافاً ثانياً فقال بعضهم: من كان له خلق طبيعي لم يستقل عنه، وقال آخرون: ليس شيء من الأخلاق طبيعياً للإنسان، ولا نقول إنه غير طبيعي وذلك إنما مطبوعون على قبول الخلق بل نتقل بالتأديب والمواعظ إما سريعاً أو بطئاً وهذا الرأي الأخير هو الذي نختاره لأننا نشاهد عياناً، ولأن الرأي الأول يؤدي إلى أبطال قوة التمييز والعقل وإلى رفض السياسات كلها وترك الناس همجاً مهملين، وإلى ترك الأحداث والصبيان على ما يتყق أن يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم وهذا ظاهر البشاعة جداً.

أما الرواقيون فظنوا أن الناس كلهم يخلقون أخيراً ثم بعد ذلك يصيرون أشارةً بمحالسة أهل الشر^(٢) والميل إلى الشهوات الرديئة التي لا تcum بالتأديب فينهمك فيها ثم يتوصل إليها من كل وجه ولا يفكر في الحسن منها والقبح.

وأما قوم آخرون كانوا قبل هؤلاء فإنهم ظنوا أن الناس خلقوا من الطينة السفلية وهي كدر العالم فهم لأجل ذلك أشارة بالطبع وإنما يصيرون أخيراً بالتأديب وفيهم من ليس هو في غاية الشر فيمكن أن ينتقل من الشر إلى الخير بالتأديب من الصبيان ثم بمحالسة الأخيار وأهل الفضل.

وأما جالينوس فإنه رأى أن الناس فيهم من هو خير بالطبع وفيهم من هو شرير بالطبع وفيهم من هو متوسط بين هذين ثم ذكر احتياجاته ولا فائدة فيه.

(١) تهذيب الأخلاق بهامش المبدأ والمعاد: ص ٣٨٥.

(٢) ربما يقوى مذهب الرواقيين الحديث النبوى وقوله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواء اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه» الحديث دل بنصه على أن الله تعالى يفطر الناس على الخير وإنما هم يكتسبون الشر والكفر بمتابعة الأشرار.

ثم قال: أما أرسطاطاليس فقد بين في كتاب الأخلاق وفي كتاب المقولات أيضاً أن الشرير قد ينتقل بالتأديب إلى الخير ولكن ليس على الإطلاق لأن يرى أن تكرير الموعظ والتأديب وأخذ الناس بالسياسات الجيدة الفاضلة لا بد أن يؤثر ضروب التأديب في ضروب الناس فمنهم من يقبل التأديب ويتحرك إلى الفضيلة بسرعة، ومنهم من يقبله ويتحرك إلى الفضيلة بإبطاء ونحن نؤلف من ذلك قياساً وهو هذا: كل خلق يمكن تغييره ولا شيء مما يمكن تغييره هو بالطبع فإذاً لا خلق ولا واحد منه بالطبع، والمقدمتان صحيحتان والقياس منتج في الضرب الثاني من الشكل الأول.

أما تصحيح المقدمة الأولى وهي كل خلق يمكن تغييره فقد تكلمنا عليه وأوضحناه وهو بين من الصبيان ومما أستدللنا به من وجوب التأديب ونفعه وتأثيره في الأحداث والصبيان ومن الشرائع الصادقة التي هي سياسة الله لخلقنا.

وأما تصحيح المقدمة الثانية وهي لا شيء مما هو بالطبع أبداً فإن أحداً لا يروم أن يغير حركة النار التي إلى الأسفل ولو رامه لما صح له شيء من هذا ولا ما يجري مجرىه أعني الأمور التي هي بالطبع فقد صحت المقدمتان وصح التأليف في الشكل الأول وهو الضرب الثاني وصار برهاناً إلخ.

وسنذكر جملة من كلامه فيما يأتي وسيتضح أن مدعاه غير تمام وإنما نذهب إلى وجود أخلاق طبيعية للنفس وإنها تفهر بالرياضة وتغلب بالسياسة حتى تكون في أقصى درجة من الضعف لا تكاد تذكر، وتغيير ما بالطبع سهل بالمعالجة فالحديد الذي طبعه الرسوب في الماء قد وجدناه يقبل المعالجة حتى يصير طافياً على وجه الماء كما يأتي مع شواهد كثيرة.

قال شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع في كتابه الذي ألفه للخليفة المعتصم العباسي وسماه «سلوك المالك في تدبير الممالك» ونصه^(١): الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية وينقسم هذا إلى قسمين وهما ما يكون طبيعياً من أصل الخلقة كمن يحركه أدنى شيء نحو الغضب، وكمن يجبن من أيسر شيء وكالذي يفزع من أدنى شيء، وما يكون مستفاداً بالعادة ومبدأ ذلك بالتفكير والرواية ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير عادة وملكة يقارب الطبيعي إلخ.

(١) سلوك المالك في تدبير الممالك: ص ١٦.

وقد مضت مقالته في نسب العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام». قال صاحب مجلة الحقائق وهو أبو النصر يحيى السلاوي^(١): الأخلاق والسمجايا الخلقة من جهة تطلق على الطبيعة والسمجية كما في قول القائل - هو زهير بن أبي سلمى :-

ومهما تكن عند أمرء من خلقة وإن خالها تخفي على الناس تعلم
يجمع على خلائق كقول ليid:

فاقنع بما قسم الملك فإنما قسم الخلائق بيننا علامها
فيقال: نعم الخلقة العفة ورجل خلائق بالمجد أي مخلوق له ومفطور عليه،
ومن جهة على الخلق بمعنى المخلوقات كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾^(٢)
أي مخلوقه ويجمع أيضاً على خلائق خلاف قولك «خلقت الأديم» إذا هيأته
للتفصيل وقدره قبل القطع، ومنه قول الحجاج: ما خلقت إلا فريت، وما وعدت
إلا وفيت، وكلا هذين المعنيين ليس مراداً عندنا وإنما المراد جهة الخلق المحظوظ
فيه التخلق بمعنى التطبع.

ثم قال بعد كلام: الأخلاق السبية من حيث إمكان تمرير النفوس عليها
حسنة كانت أو سيئة كما يدل عليه ما ورد في الآثار الصحيحة من حديث «تخلقوا
بأخلاق الله» لأن صريح الأمر يستلزم كون المأمور به مقدوراً عليه وإلا لزم عليه ما
لا يخفي من الحرج والمشقة ولا يقال ربما كان ذلك من باب الأخذ بالاحتياط في
العمل مقدوراً كان أو غير مقدور رجاء أن يصادف ساعة أزلية تستميل النفس إليه
وتمررها عليه لأننا نقول هذا هو عين ما أردناه من كون المأمور به مقدوراً أن تكون
الفطرة الطبيعية مخلوقة لله بصفة راسخة ثابتة في النفس غير قابلة للتتحول والانتقال
إلا بأمر مسلم لا نزاع فيه ويكون الأخذ في الأسباب مزاولة بالرياضيات اللاحقة
مقدوراً للعبد من حيث مباشرته للعمل مسلم أيضاً، وأما كون ذلك العمل مقروراً
بالنتيجة فلا شبهة لأحد في أنه متوقف على مصادفة العناية وإلا لكان كل أحد
قادراً بالذات على تحويل فطرته كيف شاء إلخ.

ولم تحصل لهذا الأديب المعرفة بالفرق بين الأخلاق الغريزية والأخلاق
الكسبية وإن قبول النفس للتآديب والرياضية - كما سذكر - مما يوجب إزالة ما في
النفس ومحوه بتاتاً أو يوجب قهره وغلبته كالماء الذي من طبيعته البرودة فإن

مماسته للنار أو مجاورته لها أو إبرازه للشمس والحرارة الموجبة لتسخينه وتغيير صفتة قد أستقوت على طبيعته الباردة وقهرتها وغلبتها حتى حولتها من صفة البرودة إلى صفة الحرارة والطبيعة غير زائلة بالكلية بحيث لو زال هذا القاهر لعادت إلى أصلها.

وأما الأخلاق المكتسبة من مجاري العادات فإنها تزول بالكلية كما تزول النقوش والأصباغ العارضة للأجسام وقد ذكر في «سلوك المالك» في الفرق بين السجایا والأخلاق ما لفظه^(١): اختلف العلماء في الفرق بين السجایا والأخلاق فذهب قوم إلى أن السجایا مالم تظهره الطباع والأخلاق ما أظهرته، وسميت الأخلاق أخلاقاً لأنها تصير كالخلقة والشيم كالسجایا والغرائز ممتزج بالطبع، والنحائز ما ظهر بالقوة. وذهب قوم إلى أن السجایا مالم يتغير بطبع ولا تطبع والأخلاق ما يتغير بهما، وزعم أكثر أهل الطب أن السجایا والأخلاق تابعة لمزاج البدن فتكون مستقيمة بصحته ومتغيرة بفساده، وذهب المتندين إلى أن الله تعالى ركب في النفوس بحسب إرادته وجعل اختلاف الأخلاق كاختلاف الصور التي ليست لها علة غير إرادته إلخ.

الألف والعادة خلق مكتسب

قال في مجلة الحقائق^(٢): المؤلفات والعوائد: **الألف** والعادة شيئاً معلوماً في اللغة والاصطلاح في بعض الأحوال دون بعض وذلك لأن **الألف** قد يطلق على السجية الراسخة في النفس بمعنى الميل الطبيعي التي هي مفطورة عليه كقولك: ألغت النفوس الخير والفت الشر، ويؤيده دليل جيل جيل النفوس على حب من أحسن إليها، ويشترك فيه حينئذ الإنسان وغيره لما هو مشاهد من تأثير حب الراحة والإحسان في النفوس لسائر الحيوان، وتارة على ما يؤلف بالطبع والعادة فيكون بمعنى الميل الذي يحصل بواسطة البواعث النفسية المجردة عن القياس والحصر أو بعض الأسباب المتنوعة كقولك ألغت المكان إذا طاب لك فيه المقام لمصلحة أو حكمة، وألغت الوطن إذا غلب على نفسك حبه لمجرد ميل الفطرة الطبيعية إلى ترجيح سقط الرأس في الغالب، وألغت الإبل المرعى إذا اعتادت الرتوع فيه لخصب أو ضرورة، وتتفاوت الأميال بقدر تفاوت أنسابها في الضعف

(١) سلوك المالك في تدبير الممالك: ص ٣٣.

(٢) مجلة الحقائق: ص ١٤.

والقوة لأنها في الإنسان أشد منها في بقية أنواع الحيوان وذلك لاستجماعه القوى النفسية وأستعداد طبيعته الملوكات أكثر من غيره كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَّا نَسَنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١) إذ لا يخفى أن أحسن التقويم في الآية الشريفة هو عبارة عن التمهيد والتعديل المعنوي المفطورة عليه النفوس البشرية من نحو اختصاصها بالذاكرة والمفكرة والمدبرة وغيرها من الأمور المستعدة للقيام بالوظائف النفسية تحت رئاسة العقل المتصرف لأنك لو نظرت إليها من حيث القوى والاستعدادات الحسية لرأيتها أفقر أنواع الحيوان لما تستعين به على تحصيل المانع ودفع المكاره.

إذا علمت هذا ظهر لك جلياً أن الألف منه ما هو جوهرى الرسوخ في النفوس لا يقبل الانفكاك عنها ومنها ما هو عرضي يتمكن منها بالمزاولة تارة ويزول أخرى؛ أما الأول فهو الذي لا دخل للعادة فيه كما قدمنا، وأما الثاني فقد يشمل العادة كقوله تعالى: ﴿لَإِيلَّافِ قُرَيْشٍ إِلَّا فِيهِمْ رِيحَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيفِ﴾^(٢) أي لا اعتمادهم ذلك وقد لا يشملها كقولهم هذا ألف فلان أي محبوبه، وبما أن القسم الشامل للعواائد مما يتربّ عليه كثير من المنافع والمضار فقد رأينا أن نبحث عن أسبابه وموانعه ونشير إلى بعض مضاره ومنافعه إلخ.

الميل والانجذاب الطبيعيان:

إن للنفوس ميلاً وانجذاباً طبيعيين ونفرة وتمرداً غريزيين؛ أما الميل والانجذاب فإلى الأمور الشهوانية وميلها هذا طبيعي وأنجذابها جبلي فيما أنها مزجت بقوة سبعة تنجدب بجبلتها وتنقاد بأماليها إلى قتل النفوس وإزهاق الأرواح البشرية وأستلاب أموال المتمولين بأنواع العدوان من النهب والسرقة والتغريم وما أشبهه وبما أنها مزجت بقوة شيطانية لها ميل جذابة وأنقياد شديد إلى استعمال الحيل والمكائد والخداع وما شاكل ذلك، وبما أنها مزجت بقوة بهيمية تميل بطبعها وتنجدب بسجيتها إلى عامة الملاذ الشهوانية من المطعومات والمناكح وسائر الملاذ الدنيوية.

وأما نفرتها وامتناعها فعن قبول صالح الأعمال ومكارم الأخلاق وسائر الطاعات والمقربات غير أن النفوس الروحانية الخالصة المصفاة عن هذه الشوائب المكدرة فإنها غير منجذبة ولا ميالة إلى هذه الأدناس المستهجنة في باب الصلاح

(١) قريش: ٤٠.

(٢) التين: ٤.

والتفوى بل ميلها وأنجذابها للأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة كنفوس الأنبياء والصلحاء البررة من أئمة أهل البيت الهداة ولباقي النفوس المتلوثة بهذه القوى المتلبسة بحل الأمور الهجينة التي تجذبها إليها القوى الثلاثة التي أشار إليها بقوله تعالى: «وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْمُوَرَّى»^(١) وقوله «عليه السلام»: إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي أتباع الهوى، وقوله «عليه السلام»: ثلات مهلكات: شح مطاع وهو مُتَّبع وإعجاب المرء بنفسه.

قال الشاعر العرب:

وإنك مهما تعطي بطنك سؤله وفرجك نالا غاية الذم أجمعوا
وسماها الله تعالى مرة لوماة لأنها تلوم على أفعال الخير، وسمتها مرة
أخرى أمارة بالسوء لأنها تأمر بأقتراف الموبقات من الجرائم.

فإذا لامتك أيها الإنسان نفسك اللوامة على فعل الصالحات فوبخها، وإن أمرتك النفس الأمارة بفعل القبيح فأعصها ولا تطعها وقصر من عنانها، وإذا جمحت بك إلى الشهوات فأقبض على لجامها، وإذا طمحت لنيل المستلزمات فأزجرها ولا تدعها وجماحها فإنها أردىك في متردى عميق ورمت بك في فج سحيق.

وُسْنَهَا كَمَا تَسَاسُ صَعَابُ الْخَيْلِ، وَرَضَهَا كَمَا تَرَاضَ الْجَامِحَاتُ فَإِنَّهَا
بِالرِّيَاضَةِ تُسَلِّسُ وَتُنَقَّادُ، وَلَا تَقْلِ أَيْهَا الْأَرِيبُ إِنَّ مَا بِالْطَّبِيعِ لَا يَزُولُ، وَلَا تَشَدُّ مَا قِيلُ :
فضح التطبع شيمة المطبوع

فقد أوقفنا الوجدان ولدنا العيان على قبول النفوس للرياضية والتأديب وأثر ذلك بين حتى في الحيوانات البكم ونحن نورد لك نبذة مما قاله العلماء في رياضة النفس وقبولها الأخلاق الحميدة على ما صرخ به الحديث النبوى وقد رجع  من بعض غزواته: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس في حملها على التقوى ثم نذكر لك ما راضت به الأمم الحرة والشعوب المتمدنة  الحيوانات الصماء ومرناتها أبدع التمارين فقبلتها وأعتادتها.

حقيقة الرياضة والمحايدة

قال الشريف الجرجاني في كتاب التعريفات^(٢): الرياضة عبارة عن تهذيب

الأخلاق النفسية فإن تهذيبها تمحيصها عن خلطات الطبع ونزعاته . وفي مصطلحات الصوفية للفتوحات المكية^(١): الرياضة رياضة أدب وهو الخروج عن طبع النفس ورياضة طلب وهو صحبة المراد الله وبالجملة هي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية .

وفي التعريفات^(٢): المجاهدة في اللغة المحاربة في الشرع محاربة النفس الإمارة بالسوء بتحميلها على ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع .

وفي مصطلحات الصوفية^(٣): المجاهدة حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال .

وقال الفيروزآبادي في القاموس: راض الفرس ذله .

وقال فخر الدين الطريحي (رحمه الله) في مجمع البحرين^(٤): في حديث علي «عليه السلام» لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعمواً وتقنع بالملح مأدوماً، قيل: أراد بالرياضة هنا منع النفس الحيوانية عن مطاوعة الشهوة والغضب وما يتعلق بهما ومنع النفس الناطقة عن متابعة القوى الحيوانية من رذائل الأخلاق والأعمال كالحرص على جمع المال وأقتناه الجاه وتوابعهما من الحيلة والمكر والخداعة والغلبة والغضب والحدق والحسد والفجور والانهماك في الشرور وغيرها، وجعل طاعة النفس للعقل العملي ملكة لها على وجه يوصلها إلى كمالها الممكن لها وإزالة الموانع الدنيوية عن خاطره والمعين على ذلك أضعاف القوة الشهوانية والغضبية بأضعف حواسة بتقليل الأغذية والتنوّق فيها فإن لذلك أثراً عظيماً في حصول الكمال والتشاغل بحضوره ذي الجلال .

ويمكن أن يقال: إن المراد بالرياضة منع النفس عن المطلوب من الحركات المضطربة وجعلها بحيث تصير طاعتها لモلاها ملكرة لها .

وقوله «عليه السلام» «إنما هي نفسي أروضها بالتقى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر» قال بعض الشارحين: قوله «إنما هي نفسي» أي إنما همتني وحاجتي أروضها رياضة النفس مأخذة من رياضة البهيمة وهي منعها عن الإقدام على حركات غير صالحة لصاحبها فالقوة الحيوانية التي هي مبدأ الإدراكات والأفعال

(١) مصطلحات الصوفية للفتوحات المكية: ص ٥.

(٢) التعريفات: ص ١٣٨.

(٣) مصطلحات الصوفية: ص ٥.

(٤) مجمع البحرين: ص ٢١٢ و ٢١٣.

إذا لم تكن مطيعة للقوة العاقلة في تحصيل مراداتها فتكون هي أمرة والعاقلة مؤتمرة كانت بمنزلة البهيمة التي لم ترض فهي تتبع الشهوة تارة والغضب أخرى، وتستخدم القوة العاقلة، وإذا ما راضتها القوة العاقلة حتى صارت مؤتمرة لها مستمرة على يقتضيه العقل العملي تأتمر بأمره وتنتهي بنهاية كانت العاقلة مطمئنة لا تفعل أفعالاً مختلفة المبادىء وكانت باقي القوى مسالمة لها.

ثم قال الشارح: لما كان الغرض من رياضة النفس نيل الكمال الحقيقى فلا بد من الاستعداد وكان ذلك الاستعداد موقوفاً على زوال الموانع الخارجية والداخلية كانت للرياضة أغراض ثلاثة حذف كل مرغوب ومحبوب وهو حذف الموانع الخارجية، الثاني تطويق النفس الأمارة للنفس المطمئنة فينجذب التوهم والتخيل عن الجانب الأسفل إلى الجانب العلوي وتتبعها سائر القوى فتزول الدواعي وهو حذف المانع الداخلة، الثالث توجيه السر إلى الجنبة العالية لتلقي السوانح الإلهية وأقتناصها ويعين على الأول الزهد الحقيقى وهو الإعراض عن متاع الدنيا وطيباتها بالقلب، وعلى الثاني العبادة المشفوعة بالفكر في ملوك السماوات والأرض وعظمته الله والأعمال الصالحة المنوبة لوجهه خالصاً وعبر عن هذه الأمور المعنوية بالتقوى التي يروض بها نفسه، إنتهى، وله كلام آخر في المجاهدة تركته^(١).

وقال في سلوك المالك^(٢): الفضائل تنقسم إلى قسمين: أحدهما ما أوجب ثناء المخلوقين وهو ما عاد نفعه عليهم، والثاني ما أقتضى ثواب الخالق وهو ما قصد به وجه الله تعالى ونقول: إن الأخلاق غرائز كامنة تظهر بالاختيار وتتهر بالاضطرار وللنفس أخلاق تحدث عنها بالطبع ولها أفعال تصدر عنها بالإرادة فيما ضربان: أخلاق الذات وأفعال الإرادة، والإنسان مطبوع على أخلاق قلما حمد جميعها أو ذم سائرها وإنما الغالب أن بعضها محمود وبعضها مذموم فتعذر لهذا التعليل أن تستكمل فضائل الأخلاق طبعاً وغريزة ولزم لأجله أن يتخللها رذائل الأخلاق طبعاً وغريزة فصارت غير منفعة في جبلة الطبع وغريزة الفطرة عن فضائل محمودة ورذائل مذمومة، وإذا استقر ذلك فالسعيد من غلت فضائله على رذائله فقدر بوفور الفضائل على قهر الرذائل وسلم من شين النقص وسعد بفضيلة الفضل فالإنسان يستحق الحمد على الفضائل المكتسبة لأنها مستفادة بفعله ولا يستحق

(١) مجمع البحرين: ص ٢١٢ و ٢١٣.

(٢) سلوك المالك في تدبير الممالك: ص ٣٨.

على الفضائل المطبوعة وإن حممت فيه لوجودها بغير فعله، ومن القبيح أن يتحرز المرء من أغذية البدن كي لا تكون ضارة ولا يعني بتهذيب أخلاق نفسه ومداواتها بالعلم الذي هو غذاؤه كي لا يكون باطلأً ضاراً وإذا كنا نعني بجميع أعضاء البدن وخاصة بالأشرف منها فالحرى أن نعني بأجزاء النفس وخاصة بالأشرف منها وهو العقل، وكما أن الأمراض التي تعرض للبدن إن لم يعلم الطبيب الأسباب الفاعلة لها لم يتمكن من علاجها فكذلك علل النفس ينبغي أن نعني بقلع أسبابها فمتنى أحس الإنسان بأنه قد أخطأ وأراد أن لا يعود ثانياً فلينظر أي أصل في نفسه حدث ذلك منه فيحتال في إزالته وبعد فلو لم يكن إلى تغيير الأخلاق سهل لما كان للأقويل التي أودعتها الحكماء كتبها في إصلاح الأخلاق معنى إذا لم يرج لها نفع ولا جدوى وكذلك لم يكن للمواعظ التي يقصد بها ذواوا الأخلاق الذميمة من الأشرار معنى إذا لم نطبع في انتقالهم عما هم عليه من الشر، إنتهى.

ولابن مسكونية كلام مطول في هذا، وكلام مولانا رسول الله ﷺ ومولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» كثير أودعته الكتب المعتمدة ومنها نهج البلاغة، وفي تحصين العارفين من كلام النبي ﷺ ما يخص هذا^(١).

رأي المصنف في رياضة الصوفية

أما طريقة الصوفية في المجاهدة النفسية والرياضة الأخلاقية فخارج عن طور الاعتدال وكلما خالف تحديد الشرع الأقدس وتعاليمه الصالحة الملائمة للأذواق والمناسبة للقدرة البشرية فليس من المحمود وإن تخيله المتخيل وتوهمه الطان المخطئ إنه من المحمود.

وحقيقة الأمر إن المجاهدة المحبوبة والرياضة المطلوبة شرعاً وعقلاً هي حمل النفس الشامسة على ما تقدر عليه وتطبيق النهوض به وإن كان بكلفة ومشقة عليها ولكن تلك الكلفة مقدورة للنفس والنفس مستطيبة لها ليست بخارج عن حد الوسع والطاقة وإنما شقت وصعبت لمخالفة العادة والألفة لا لعدم القدرة.

وقد يكون التكليف مقدراً لشخص غير مقدور لآخر لأن النفوس البشرية مختلفة بحسب الاستعداد لتحمل المشاق والمصاعب من وجهين:

الأول: إن النفوس تتفاوت في القوة والضعف ونقص البنية وتماميتها فإنك تجد إن بعض الأشخاص يحمل مقدار وزنة النجف ويمشي به بلا كلفة مقدار

(١) انظر: تحصين العارفين على هامش المبدأ والمعاد لملا صدرا: ص ٤٠٩.

نصف ساعة وأكثر ولا يلحقه من ذلك عناء شاق ولا تعب مؤلم ، وآخر لا يقدر على حمل رطل واحد ويلحقه إن حمله مشقة شاقة وعناء مفرط وصعوبة شديدة وأعتبر ذلك في الأكراد الذين يحملون الرزم الثقيلة حتى قيل وكذلك تجد رجلاً ضعيف المعدة كليل الهاضمة يجتزي في اليوم والليلة بقرص واحد وتجد آخر قوي الهاضمة لا يكفيه في اليوم والليلة عشرة أقراص وقد قيل شعراً :

لنا صديق بطنه كالهاوية كأن في أمعاءه معاوية
فلكل واحد منهما في المجاهدة شكل خاص ورياضة محدودة لا تزيد على ما يستطيع فإن من يجتزي بالقرص يمكنه المجاهدة بترك الأكل يوماً وليلة، وصاحب العشرة أقراص تكون مجاهدته بالتقليل بمعنى ترك النصف أو الثلثين مما اعتاده لا ترك الكل إلا يوماً كنهار الصوم وكذلك سائر الأوصاف في سائر الأصناف ، والصوفية يأخذون الجميع بالسلوك في الرياضة على نهج واحد وهو خطأ محض .

والثاني : إن لبعض النفوس البشرية تأييد رباني وفيض ملكوتني يفيض عليها بالفيض الإلهي فيوجد لها نشاطاً زائداً على العادة ويوحي لها أستعداداً كاملاً في القوة الروحية على حد ما قيل :

وإذا حللت الهدایة قلباً نشطت للعبادة الأعضاء
فتقوى تلك النفوس المؤيدة بتأييد الله تعالى على تحمل المصاعب ومكافحة الأهوال وحمل ما لا يطاق لغيرها وهي نفوس الأنبياء والأوصياء ، وفي الحديث النبوى : أعظم الناس بلاء الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأمثل فالمثل ، وإليه يشير مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» بقوله : ما قلعت بباب خير بقوة جسدانية ، أي أقتلعته بقوة الإمداد الرباني والمساعدة الإلهية بما أودع الله فيه من القوة الخارجة عن حد مقدرة الطبيعة وفوق طاقة البنية الجسمانية فليس لي ولا لك التشبه بهم في كل الأعمال الشاقة فلا تقس نفسك ونفسك الضعيفة التي لا يمكنها النهوض بما نهضوا به لأنهم «عليهم الصلاة والسلام» عانوها وكابدوا مصاعبها بقوة خارجة عن الاستعداد والقوة الطبيعية فصلاة ألف ركعة في اليوم والليلة مع مزاولة باقي الأشغال ليس في قدرتك ولا قدرتك إنما ذلك الأمر الصعب قد ساعدتهم عليه التأييدات الربانية وأعانتهم عليه العناية الإلهية بما أودعه الله فيهم من القوة الباهرة ومنهم من صفاء النفس ما لم يكن لغيرهم وقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه وقد نهاهم عن صوم الوصال ، فقالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : أنا لست مثلكم أن لي ملكاً يطعمني ويسقيني .

ومن هنا قالوا: إن تكاليف الأنبياء أشد الأووصياء ثم الأمثل فالأمثل وهذا هو المعروف على ألسنة المحدثين بالخصوص فإن النبي ﷺ كان مكلفاً بتكميل لم تكلف بها الأمة كصلاة الليل الواجبة عليه دون أمته لقوله تعالى: «وَمِنْ أَلَيْلٍ فَتَهَجَّذُ بِهِ، نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَن يَعْثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً»^(١) وكتكليفه بالمنع من خائنة الأعين لقوله ﷺ: ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين، وأمثال ذلك مما هو معروف في محله مما اختص به دون أمته لعدم أحتمال الأمة ذلك التكليف الذي لا تتحمله إلا تلك النفس القدسية المهدبة المصفاة بالتهذيب الإلهي والتصفيه الربانية وإن أستعداد نفوسهم في القوة والقدرة أمر بدائي فإن رسول الله ﷺ كان مع ربطه حجر المجاعة على بطنه ومعاناته تلك العبادة العظيمة كان يطوف على نسائه كلهن في ليلة واحدة وهن تسع نساء سوى الجواري وصرع ركانة المطلبي وهو المشهور بالقوة حتى ما أستطيع أن يتحرك، وحمل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: على عاتقه يوم مكة لرمي الأصنام عن ظهر الكعبة فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: خُيُلْ لِي أَنِّي بَلَغْتُ السَّمَاوَاتِ عَلَى أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ حَمْلَ النَّبِيِّ ﷺ بَرَكَ تَحْتَهُ حَتَّى مَا أَسْتَطَاعَ أَنْ يَتَحَرَّكَ وَذَلِكَ مَشْهُورٌ فِي السِّيرَةِ وَالتَّارِيخِ، وَإِنَّ امِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ «عليه السلام» يقتات القرص البابس من الشعير ويقتلع باب حصن خير وكان لا يفتحه إلا سبعون أو أربعون رجلاً كما قال ابن أبي الحديد: ياقالع الباب الذي عن رده عجزت أكف أربعون وأربع

وقد نقل عنه «عليه السلام» أنه قال: ما اقتلعت بباب خير بقوة جسدانية يعني إنه أقتلعه بتلك القوة التي أمد الله بها زيادة على ما يحصل للنفوس بوساطة الغذية وما هو لها بحسب أستعدادها الطبيعي الحصول من المواد الغذائية فإذا قلعه لباب خير يafaضه إلهية لا بقوة غذائية كما في الملائكة الروحانية الذين منعوا التغذية.

ومن المعلوم أن علياً «عليه السلام» كان قليل التغذية يأكل القرص الجشب البابس من الشعير بنخالته ويطوي الليلي والأيام وكان مع ذلك إذا قبض على إنسان أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفس وكان يأخذ البطل العظيم فيرفعه على طول قامته ثم يضرب به الأرض فيهشم عظامه كما صنع ذلك بحريث فارس أهل الشام يوم صفين فليست هذه القوة للغذاء وإنما هي من إفاضات الله تعالى التي أفضى مثلها على الملائكة الذين عدموا التغذية بتاتا وإنما غذائهم التسبيح.

وصاحب هذه القوة العظيمة عجز عن النهو من برسول الله ﷺ لما أراد

حمله لطرح الأصنام عن ظهر الكعبة، ولما حمله النبي ﷺ على منكبه كان أخف محمول عنده حتى قال «عليه السلام»: خُيِّلَ لِيْ أَنْ لَوْ شَتَّتْ لَمْسَتْ السَّمَاءَ؛ هَكَذَا ذَكْرُهُ الْحَافِظُ النَّسَائِيُّ فِي خَصَائِصِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

فهم «عليهم السلام» شاركوا غيرهم في التأثير بالمؤثرات في النفوس البشرية ولكنهم كانوا أقوى أحتمالاً للمصاعب والصعب بما اختصوا به من مزيد العناية والتأييد الإلهي، وهذا سيد الشهداء الحسين بن علي «عليهما السلام» لما أشتد به العطش وبأصحابه يوم كربلاء ظهر من أصحابه من التشكي والتالم ما لم يظهر منه وحتى كان كأنه ريان الكبد فهو «عليه السلام» بصبره وقوته ملكته الروحانية لم يظهر منه أدنى تأثير وأقل أنفعال حتى أن أصحابه ما علموا بعطشه إلا بمقاييسه حاليه حالتهم وما عرفوا شدة عطشه حقيقة إلا عندما أشتكى إليه ولده علي الأكبر «عليه السلام» العطش فقال له: هاك لسانني فمصه، فلما فعل بكى وقال: والله إن لسانك أليس من لساني، ويتضمن هذا الفعل من الأسرار الحكمية أربعة أمور:

(١) يقصد الحسين «عليه السلام» أن يخفى ما به من الجهد ليتضاعف له الأجر بالصبر والكتمان.

(٢) يقصد بإخفائه ثبيت نفوس أصحابه فإنه إذا جزع أشتد وجدهم وحزنهم.

(٣) يقصد أن يتأسى به ولده في تحمل المصاعب والأجر على قدر العنااء والمشقة.

(٤) إن علي الأكبر «عليه السلام» أول قادم رسول الله ﷺ من أهله فيكون أول مشتبك إلى رسول الله ﷺ ما حل بالحسين «عليه السلام» ولهذا قال عند آخر رمق من حياته: هذا جدي رسول الله ﷺ قد سقاني بكأسه الأولى شربة لا أظمأ بعدها وإن لك كأساً مذخورة، القصة مفصلة في مقتل الحسين «عليه السلام» ويحفظها عامة الذاكرين وخطباء المنابر ولم يصرح الحسين «عليه السلام» بعطشه إلا بعد قتل جميع أنصاره وذلك حيث ورد المشرعة وأقحم فيها جواده الحرون المعروف بالميمون والملقب بذى الجناح فإن الجواد غمس فمه في الفرات ليشرب، فقال له الحسين «عليه السلام»: أنا عطشان وأنت عطشان، فرفع الجواد رأسه كأنه قد فهم.

وقد وصف هذا الصبر وهذا الثبات أخوه أبو الفضل العباس «عليه السلام» على ما يذكره الخطباء والعهدة عليهم إنه قال له: أما أنت يا أخي لو وزنت

السماءات والأرض بصرك وثباتك لرجحت وإنني لأخيك بشأوك، وفيه يقول رائيه:

لله درك ياصبور على الأذى ولأنك أقدر قادر يتخلص وأشار آخر إلى عظيم المحن التي تحملها الحسين «عليه السلام»: وقد تحمل من أرذاءها مهناً لم يحتملها نبي أو وصي نبى وهذا حالات الأنبياء والأوصياء فمجاهمتهم لأنفسهم ورياستهم لها إنما هو على حسب قابليةهم وأستعدادهم فليس لي ولك إلا ما نقدر عليه وليس لنا تكلف ما فعلوه ونحن عنه عاجزون فإن كان موسى بن جعفر الإمام الكاظم «عليه السلام» قطع الفلاة الموحشة والمفارة المقفرة من غير زاد ولا ماء ولا راحلة - كما في حديث شقيق البلخي المشهور - فليس لي ولا لك أن نقطعها كذلك إذ لا يبلغ توكلني وتوتكلك درجة توكله على الله ولسنا بصدده إيراد خرافات الصوفية التي موهوا بها وسموها رياضة ومجاهدة وإنما جلّ غرضنا وغاية اهتمامنا في بيان أن النفس على مافيها من السجايا الجبلية والطبع الغريزية قابلة للتهدیب وإن تلك الأخلاق الراسخة في النفس والثابتة من أصل الخلقة لا تمنع التهدیب ولا يمنع من قبولها للتربية إلا من لا عقل له ولا يمكن لأحد أن يقاوم هذا العالم منذ أول نشأته إلى اليوم، ومن منع من قبول الطبائع للتغير فقد هدم أساس الشرائع الإلهية من أصلها وقلب المؤسسات المدنية رأساً على عقب؛ فالحضارة في تأسيس المدارس وسن الأنظمة والقوانين وفرض التعاليم والتمرينات على الأحداث كلها إنما شرعت لحمل النفس على قبول الأخلاق التي ليست من طبعها ولم تألفها وقمع ما فيها من الشيم والسجايا التي لا تلائم الفكر الحر والعقل السليم.

قبول الحيوانات للتربية والتعليم

وقد أوقفنا الوجدان ودللتنا الخبرة والتجربة على قبول الحيوانات للتربية والتهدیب فهذا الصقر الكاسر والسبع المفترس قد مرتنا على الاصطدام فألفاه وأعاداه ومشيا مع المعلم لهما مشية السامع المطيع من ذوي العقول، وهذا الفيل الهائج قد مرن على ممارسة الحرروب وحمل الأثقال فأذعن لسانسه وأنقاد له، وهذا الكلب قد مرن على الحراسة فقام بواجهه، وكثيراً ما سمعنا من أهل الخبرة الذين يخرجون مع الإنكليز لصيد الطير يزعمون أن الإنكليز لا يخرجون للصيد إلا كلابهم معهم فإذا رمى بعضهم طائراً وقع أسرع الكلب إليه وأحتمله بفمه ووضعه

أمام صاحبه، ولا أزيدك بهذيب كلب الصيد المسى بالسلوقي خبرة على العلم الوجданى وقد أخبر الله تعالى في القرآن بقبولها التربية والتمرين على الصيد، وهذه البغال والخيول والحمير قد قبلت التهذيب وقد وصفوا الجياد من الخيول قديماً وحديثاً بقبول الثقافة حتى شاع أن الأصائل لتقف عند فرسانها حين سقوطهم، وأما القروود (الشواذى) والبيغا (بي بي توتى) (بي بي متوه) بلغة البصريين فأمرهما أشهر في قبول التربية والتأثير بالتهذيب من كل حيوان وما هذه إلا حيوانات عجماء لها طبائع ذاتية وغرائز جبلية تمنعها من قبول التهذيب والتربية ومع ذلك فقد قهرت قوة التربية والتهذيب تلك القوى الطبيعية.

قال علي أحمد الشهیدي أحد المعاصرین المصریین فی کتاب «تاریخ العالم»^(١): قالت جریدة «الستاندرد» بأحد أعدادها الصادر في سنة ١٩٠٠ م: إن بعض الحیوانات أوقات معينة تتناول فيها طعامها فإذا جاء میقات الطعام لا تتقدم عنه لحظة ولا تتأخر، وإن العقرب إذا تحققت وقوعها في خطر الموت قتلت نفسها، وإن خیول جند الفرسان لا تخطئ في تمیز الملابس الخاصة بفرقتها، وإن الأفیال إذا حمى وطیس الحرب لا تخطئ في التمیز بين أصحابها وجند العدو، وطیور الزاغ والنسر والباز تفرق بين من كان متسلحاً ببندقیة أو غير متسلح، ومن أنواع القروود ما يستخدم في ما لا يستطيعه إلا الإنسان فهي بارعة في الخدمة على الموائد «سفرجیه» وإشعال النار في المطبخ والکنس ومساعدة الفرن بإلقاء الوقود في الفرن وفي تنظیف الأخذیة «بالفرجة» وهي تحمل الأحمال الخفیفة كالشیالین وتختفر المنازل فلا تؤذن للغیر بالدخول إليها وتحمل الرسائل وتعمل عمل السعاة وقد تعمل عمل المربیات في تدبیر الأحداث وإذا ذهب القرد إلى فراشه أصلح وسادته وتغطی باللحف.

هذا الذي ذكرته تلك الجریدة وهو في الحقيقة مشاهد أمامنا على الدوام فضلاً عما نراه من البيغا التي تتکلم كما نتكلم، والكلب الذي يخدم الخدمة المنزليّة فائتمنه الإنسان فسماه الخادم الأمين حتى في قضاء المأکولات سواء كانت في اللحوم وما شابهها مما قضى على كثير من العلماء بالاشغال في هذا الموضوع زمناً طويلاً إلى أن وجد أخيراً أن أرقى الحيوانات بالانعطاف إلى الأحياء التي هي أرقى منها كما نعطف نحن إلى المعبودات العليا التي هي أرقى منها.

(١) تاریخ العالم: ص ٧٤.

الجواد المدرب وذكاء الخيل

وقد ذكرت «جرائد برلين» رواية دوى صوتها في الخافقين ومقتضى تلك الرواية أنه يوجد رجل ألماني أسمه «هرفون أوستن» مقيم في شمال برلين تفرغ لدرس طبائع الحيوانات منذ أربعة عشر سنة حتى لاحظ على بعض أفراسه نباهة زائدة فأخذ في العناية به وتعليمه وتشقيفه على أحدث طرق التعليم المدرسي بأروبا حتى وإنه يجib على كل مسألة تطرح إليه جواباً وهو يقرأ الخط ويعرف قيمة النقود والأعداد ونحوها، وإذا نظر الساعة عرف الوقت تماماً، وإذا أريته صورة أحد الأشخاص الذين يعْرِفُهم عَرْفَه حَالاً لَكِنْ لَا يَظْهُرُ مَعْرِفَتُه بِالنُّطُقِ بَلْ يَجَابُ عَلَى مَا يُطْرَحُ إِلَيْهِ مِنْ الْأَسْئِلَةِ بِتَحْرِيكِ الرَّأْسِ فَإِنْ أَرَادَ نَعْمَ حَنْيَ رَأْسَه وَإِنْ أَرَادَ لَا هَزَّهُ، أما الأسئلة الحسابية فإنه يجib عليها بالنقر في الأرض بحافره الأيمن، وإذا أراد تأكيد جواب بما ينوب عنه رفع الصوت عند الآدميين رفس الأرض بحافره الأيسر رفساً شديداً إلى غير ذلك من التعاليم التي أهلته لمساوات تلاميذ المدرسي الابتدائية ممن بلغ سنهم الثالثة عشر من عمرهم ولذلك سماه صاحبه باسم «حنا النبيه».

قالت «مجلة الهلال» في وقتها وشاء أمر هذا الفرس في برلين وتألفت لجنة من علماء الحيوان لمشاهدته وأمتحانه على مرءاً من المتفرجين الكثيرين رجالاً ونساء فتحقق عندهم أنه يفعل ذلك عن نباهة وتفكير لا عن سلقة وعادة من ضمن أسئلة اللجنة المذكورة أنهم سألوه على سبيل المزاح عن عدد الحضور وعن عدد الذين يتقلدون النظارات منهم وعن السيدة التي على رأسها قبعة خضراء فأجاب أجوبة سديدة حتى أندھش الحضور أندھاشاً أداهم لسوء الظن بصاحبها والممتحن فأخرجوهما من مكان اللجنة ليختبرنوه فلم يتأخر عن أية إجابة كانت، ومن النكت اللطيفة أن أحد الحضور تقدم إليهم وأفهمه أنه إذا نظف معلفه بخرقة كافئه على ذلك بزيادة علف فتلتفت حنا المذكور يميناً وشمالاً حتى وقع نظره على خرقه بيد أحد الحضور فألتقطها بفمه وأسرع إلى أصطبله وأخذ ينظف معلفه بتلك الخرقة حتى نظفه تماماً ثم بعد ذلك أعاد الخرقة إلى صاحبها الأصلي فأندھش الحضور أندھاشاً عظيماً، وأشتهر أمره حتى تسابقت الأغنياء لمشتراه بالمتلاع الطائلة إلى أن وصل ثمنه (٧٠٧) جنيهاً ولكن صاحبه أبي أن يبيعه مهما بلغ ثمنه قوله إنه لا يطيق فراقه.

قال المراسل - لجريدة وورلد ووك - الإنكليزية وقد يظهر ذلك غريباً ولكنني رأيته يعني بفعل ذلك ورأيت فيه نهاية غريبة لتمييز الألوان فوضعوا أمامه عشر لوناً متحاذية وأخذ أستاذه يسأله عن كل لون منها وهو يدل بحافره عليها وله مهارة غريبة في أداء الألحان الصفيرية حتى يميز بين النغمة وأجزائها ، إنتهى كلامه .

ونقل جرجي زيدان في عجائب الخلق وغيره من علماء الحديث ما يقارب هذا عن رجل أمريكي ثقى جواداً وفي نقل الأقوال تطويل ولا غرابة في ذكاء الخيل وقد ذكر المتأخرون في التربية للخيل العربية وهي الأصائل بالرياضة المسميات بالتجبيش أمراً مدهشاً وقد ذكر القدماء أن الجواد إذا سقط فارسه وقف عليه وحام حوله وربما حامى عنه ، وقد روى مثل هذا أرباب المقاتل فذكروا أن جواد الحسين «عليه السلام» المسمى بالحررون والملقب بذى الجناح المشهور بالميمن لما سقط الحسين «عليه السلام» جعل يحمل ويدور حوله ويمرغ ناصيته بدمه ثم جعل يقدم بيديه من دنى منه من الأعداء ليمسكه فيخطئه بحافره حتى أيس من نهوض الحسين «عليه السلام» رجع إلى الخيمة ملحاً بالصهيل كأنه ينذر العيال ويخبرهم بقتل الحسين «عليه السلام» والحكايات عن الخيل العربية بمثل هذا كثيرة .

وقد شاهد البصريون في القرن الرابع عشر الهجري (بصيراً يرقص) رأوه في السركس الهندي الذي جلب إليهم من الهند وليس من طبيعة البعير الرقص لولا الرياضة والتمرين ولم تكن العرب القديمة على فطرتها وبساطتها وعراقتها في الجهل كما يقال ممن يجهل قبول النفس للثقافة وإن الطباع تتغير بالمحاجة والأخلاق لها قابلية التهذيب بضرور التعليم والرياضة وقد أكثر من ذلك شعراً لهم ، قال بعضهم :

عليك بالنفس فأستكملي فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وقال آخر :

لا تنهى عن خلق وتائي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
 فأبدأ بنفسك وأنهها عن غيها فإذا أنتهت عنه فأنت حكيم
 تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى كيما يصح به وأنت سقيم

وقال آخر يذكر تأثير النفس بالمحاجة :

صاحب أخا ثقة تحضى بصحبته فالطبع مكتسب من كل مصحوب

كالريح آخذة مما تمر به نتناً من النتن أو طيباً من الطيب
وقال آخر يصف كيفية التخلق بأخلاق الحمد:
فإن أعجبتكم خصال أمرء فكنه تكن مثلما يعجبك
وهو كثير في شعر العرب وقد طال بنا المقام.

أخلاق العباس «عليه السلام» وسجاياه

وقد تبيّن أن الأخلاق تكون مكتسبة بالعادات وطبائع قابلة للتهذيب فإذا كانت أخلاق الشخص الغريزية كلها صالحة وسجاياه كلها فاضلة وصاحب مدة حياته وطيلة عمره أهل الخصال الحميدة والأخلاق المرضية فقد ازداد فضلاً على فضل وكماً على كمال.

ولا غرو أن يكون من أكمل البشر طبعاً واكتساباً فالعباس الأكبر ابن أمير المؤمنين «عليهما السلام» جامعة الفضائل وكلية الكمالات بما أن نفسه الهاشمية منطبعة بمكارم الأخلاق والشيم بحسب فطرتها وأصل خلقتها ولا يشركهم في هذه الفضيلة أحد من الناس وقد أوضح لنا هذه الحقيقة سيدنا وإمامنا السجاد زين العابدين علي بن الحسين «عليه السلام» بقوله في خطبته المشهورة في مجلس اللعين يزيد ابن معاوية: «أيها الناس! أعطينا ستاً وفضلنا بسبع الغ» والدلالة عليه أيضاً وجданية وشاهدتها معها إذ لا يوجد في الهاشميين بخيل ولا جبان ولا غبي وإن وجد فالعلة من جهة الأمهات وقد قال معاوية بن أبي سفيان الخصم الألد لبني هاشم: (إذا لم يكن الهاشمي جواداً لم يشبه أصله) وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: «نحن أفعص وأسمع وأحمى لما وراء ظهورنا من بني أمية».

فالعباس الشهيد «عليه السلام» من لباب بني هاشم وصميم عبد مناف وقد زاده فضلاً على فضل صحبته لأهل الفضائل وخدمته لسادات أرباب المكارم فقد قضى حياته وأفنى عمره في صحبة أكرم الخلق بعد النبي ﷺ شمائلاً وشيماء وأفضلهم أخلاقاً ومزايا وأكملهم طباعاً وسجايها، وتزداد المرات بالجلاء صفاء والسيف بالصقالة رونقاً فـأمير المؤمنين وهو والده الأكرم وأبوه سيد أرباب الفضائل قد شهد له عدوه الكاشر وخصمه الألد معاوية بن أبي سفيان وقد قال له الثقي: جئتكم من عند الغبي البخيل الجبان علي بن أبي طالب، فقال معاوية: لا تقل هذا فإنه أشجع العرب وأفعص قريش وأجودها، أما والله لو كان له بيت

من تبر وبيت من تبن لأنفق تبره قبل تبنيه، إلى آخر ما ذكره ابن قتيبة في تاريخه الإمامية والسياسة.

والحسن والحسين «عليهما السلام» أخواه خير الإخوة وأفضل الأشقاء وقد شهد لهما رسول الله ﷺ في تشبيههما به وهو ﷺ على خلق عظيم فأكتسب العباس «عليه السلام» بصفتهما زيادة على ما في جبلته وفطرته من سجايا الخير وشيم الصلاح ما أمتنع به على عامة أرباب الأخلاق الحميدة والصفات الكريمة.

للمؤلف:

أبو الفضل اقتدى في كل فضل بوالده علي ذي المعلى
وبالسبطين من فاقا البرايا جميعاً بالخلائق والفعال
فما مثل الوصي وصي طه
سوى من لا يكون له مثيل
نبي الله خيرة ذي الجلال
وفي العباس من كرم السجايا
كثير ليس يحصر في مقال
وإياته وصدق في المقال
وفاء نجدة زهد وعلم
عفاف ظاهر حلم وجود
وبأس صادق عند النزال
نحن أجملنا الكلام في ذكر محسن أخلاق العباس بن أمير المؤمنين
«عليهما السلام» فوجب أن نذكرها تفصيلاً ليتفق بذلك القراء.

كرم العباس الأكبر وسخاؤه

الجود من صفاتبني هاشم الراسخة

نحن لا نبرهن على إثبات ذلك بأكثر مما خلدتة الآثار التاريخية أن هذه القبيلة أعني الهاشمية ليس فيها غير الججاد الذي لا يجارى، الكريم الذي لا يبارى.

قال الشعالي في ثمار القلوب^(١): كان يقال أربعة كانوا ومحال أن يكونوا: زبيري سخي، ومخزومي متواضع، وهاشمي شحيح، وقرشي محمب آل محمد ﷺ، إنتهى.

وقد تحري علماء المثالب أن يقدحوا في بني هاشم بوجود بخيل يتقربون بثلبه إلى قلوب بني أمية بما وجدوا في قديمهم أحداً بل ولا في حديثهم فرداً

(١) ثمار القلوب: ص ٩١.

يجعلونه موضعًا للثلب حتى قيام الدولة العباسية فأوجدت لهم سانحة الفرصة ذاك الخليفة الجبار أبا جعفر المنصور فعدوه فيهم بخيلاً وزادوا في القدح عليه بأن قالوا: إنه قد تجاوز حد البخل إلى أبغض منه وأمقت وهو الشح والحرص فكان يحاسب على الدائق فأشتق له من هذا الفعل لقب «الدواينيقي» ولعل الدائق ربع الفلس، وأنكر ذلك عليهم المعتصبون له فقالوا: إنه لم يكن بخيلاً ولا الشح من صفته ولم يكن بالحرirsch المبغوض ولا الشحيح الممقوت فكيف وداره إدارة عظيمة لإدارار الصلات والعطايا على السائلين وهباته موفرة للعلماء كعمرو بن عبيد وأضرابه مما لا ينكر، ومحاسبته على الدائق ليست من باب البخل وإنما هي من باب الحزم واليقظة تحرزًا من الخيانة فإن من تفطن للدائق لا يختان في الألف.

وقد رأى عبد الله الجواد بن جعفر الطيار في السوق يماكس في درهم، فقيل له: العجب منك تعطي الألوف وتماكس في الدرهم، فقال: ذاك مالي جدت به وهذا عقلي لم أجده به، ومعناه أن التغافل عما يحمل عليه جود وعما لا يحمد عليه جهل؛ فالمنصور إلى مثل هذا ينظر.

وأيضاً رأى قيس بن سعد بن عبادة وهو أحد الأجواد بالمدينة يلتقط التمر الساقط تحت النخل ويجمعه، فقيل له: أتفعل هذا وأنت تجود بما تجود به؟ فقال قيس: الذود إلى الذود إيل فكما لم ينس هذان الكريمان إلى البخل بسبب هذين الفعلين فلا ينبغي أن ينسب المنصور بسبب هذا الفعل إلى البخل.

ويشهد لدعوى المعتصبين النافين عنه البخل ما ذكره أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد^(١) عن أبي العيناء قال: دخل المنصور من باب الذهب فإذا بثلاث قناديل مصطفة فقال: ما هذا، أما واحد من هذا كان كافيًا يقتصر من هذا على واحد، قال: فلما أصبح أشرف على الناس وهم يتغدون فرأى الطعام قد خف من بين أيديهم قبل أن يشعروا، قال: يا غلام! علي بالقهرمان، قال: مالي رأيت الطعام قد خف من بين أيدي الناس قبل أن يشعروا؟ قال: يا أمير المؤمنين! رأيتك قد قدرت الزيت فقدرت الطعام، قال: فقال: وأنت لا تفرق بين الزيت يحترق في غير ذات وهذا طعام إذا فضل فضل منه وجدت له آكلًا، أبطحلوه وبطحوه فضربه سبع درر الخ، لكن الانصاف أن المنصور كان بخيلاً وهذا الفعل متكرر منه وهو المحاسبة على الدائق وأخباره بالبخل تتدقق كالسيل الجارف لا يحول دونه سد منيع وخروج الفرد والفردين لا يستلزم نقصاً.

(١) تاريخ بغداد ١٠/٥٦.

فإذا أستبان أن هذه القبيلة لا بخيل فيها سوى المنصور فبالقطع يكون العباس ابن أمير المؤمنين «عليهما السلام» من الأجواد وعلى أي قول أعتمدنا على قول القائل أن الأخلاق سجايا وغرائز أو على قول من يقول إنها مكتسبة وموروثة فيهما والكرم سجية وغريزة في قومه وسبيل ذلك واضح فإن سجايا بني هاشم الكرم وكونها مكتسبة وإنها تحصل بطول الصحبة والتمرين فتالـف وتعتـاد وتقوم العادة مقام الطبع فلا شك إنه «عليه السلام» قد عاشر أكرم الخلق وأجودهم آباء عليا وأخويـه الحسن والحسـين «عليـهم السلام» وإنما لم يـشهر شهرـة غيرـه بالـكرـم لـعدـمـ اـنـفـصالـهـ عنـ خـدـمـتـهـمـ وـخـاصـةـ خـدـمـةـ أـخـيـهـ الحـسـينـ «عليـهـ السـلامـ»ـ حـتـىـ فيـ حـيـاةـ أـبـيـهـ وـأـخـيـهـ الحـسـينـ «عليـهمـ السـلامـ»ـ وـأـنـهـ كـانـ مـلـازـمـاـ لـهـ كـالـحـاجـبـ لـهـ كـمـاـ سـيـجيـءـ فـخـفيـ ذـكـرـ كـرـمـ بـكـرـمـ أـخـوـيـهـ الـحـسـنـ وـالـحـسـينـ «عليـهمـ السـلامـ»ـ وـالـشـمـسـ تـخـفيـ أـنـوارـ الـكـواـكـبـ كـمـاـ قـالـ النـابـغـةـ الـذـبـيـانـيـ لـلـنـعـمـانـ بـنـ المـنـذـرـ:

(١) إنه جاد بنفسه لأخيه الحسين «عليه السلام» وقد قال أبو تمام الطائي
لممدوحه : وجاد بالنفس إذ ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود
وكثيراً ما يوجد الجواد بماله وإن كان خطيراً ويبخل بنفسه وقد قال الياافعي
الشافعي في تفضيل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» على عثمان بن
عفان ويدذكر أن علياً «عليه السلام» جاد بالنفس وعثمان بالمال :
ليس الذي يبذل الأموال محتسباً في نصرة الدين سمحاً فيه بالمال
كباذل نفسه لله محتسباً في كل هيجا لجند الكفر قتال
كل حميد ولكن ليس جود فتى فالمال كالجود بالروح الزكي الغالي
وقال بعض من رئي أصحاب الحسين «عليه السلام» :

جادوا بأنفسهم عن نفس سيدهم وقد رأوا لبؤتهم من بعده عاراً وحرى بمن يرى اللبؤ بعد إمامه في الدنيا عاراً وشناراً أن يوجد له بنفسه الغالية ويبدل له روحه العزيزة.

(٢) يدل على سخاء أبي الفضل بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» إيثارة للعطاشى من أهله على نفسه كما سندكره في الإثمار حتى قضى عطشاً وقد مدحت

العرب كعب بن مامه الأيادي واثنت عليه الثناء العظيم لأنه آثر رفيقه بحصته من الماء حتى قضى عطشاً وجعلوه في أعلى مرتبة الجود.

(٣) قضاوه الحاجات حيأً وميتاً كما لقب بهذا السبب قاضي الحاجات وباب الحوائج؛ أما قضاوه لها في حياته فظاهر من حيث أنه كان منقطعاً لخدمة أخيه الحسين «عليه السلام» ومن قصد الحسين «عليه السلام» فإنما يقصده أولاً لأنه الباب والحاچب فتقضي الحاجات علي يده وقد ظهرت في كربلاء منه آثار مشهورة بقضاء الحاجات مرت في السقاية.

أما قضاوه الحاجات بعد شهادته إلى اليوم فحدث ولا حرج وسيأتي في الجزء الثالث في فصل كراماته بعض الحكايات وقد مدحه بعض الشعراء بالسخاء وقضاء الحاجات فقال:

للشوس عباس يريهم وجهه
والوفد ينظر باسماً محتاجها
باب الحوائج ما دعته مروعة
في حاجة إلا ويقضى حاجتها
بأبي أبا الفضل الذي من فضله
السامي تعلمت الورى منها جها
زج الثرى من عزمه فوق السما
حتى علت في تربة أبراجها
قطعت يداه وطالما من كفه
السامي تعلمت الورى منها جها
ذكر هذه الأبيات صاحب معالي السبطين، وللمؤلف فيه أيضاً:

أبو الفضل ذو كرم باهر يحيى الوفود وزواره
بطلق المحييا كبدر السماء وقد حسد البدر أنواره
وما الغيث مثل نداكفه على الجدب واصل أمطاره
فما الجود غير قضا حاجه
إذا غبت عنه وفات العيان
بأن أبي الفضل أصل النجاح
 وإن رام أنكارها حاسد
فإن تنسى هذا أتنسى السماح
وذي غاية الجود عند الكرام
ونوّه بشبل علي الفخار
وقد مدح الدهر تذكره
وما لقب «عليه السلام» بأبي الفضل إلا لكونه ذا فضل ظاهر حسبما ذكرنا،

ولذا قيل فيه:

أبا الفضل يا من أسس الفضل والإبا أبا الفضل إلا أن تكون له أبا

علم العباس الأكبر «عليه السلام» وفقه

لا أحسب أن أحداً يشك أو يرتاب في علم العباس الأكبر «عليه السلام» وأنه من الفقاء العظام والعلماء الأعلام، لا أرتاب في قوله إن جاحد ذلك مجازف مغامر بل متجاوز طور الأدب الديني معادم الحياة.

نعم أنا أقول بكل صراحة غير مشكك ولا مرتاب أنه لا أحد أعرف بحقائق الأديان ولا أعلم بنواميس الشريعة الإسلامية وأحكام الدين المقدس من رجل ذهب حياته في خدمة الأنئمة سادات العلماء في أقطار الأرض ومرجعهم في سائر الفنون كأبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأخويه الحسن والحسين «عليهم السلام» حتى أنه «عليه السلام» لم يفارق تلك الأعتاب المقدسة لحظة واحدة ولم يبتعد عن تلك الأبواب المحترمة خطوة، فليله ونهاره ملازم لخدمتهم ملازمة الظل الذي الظل مع حرصهم على تثقيف الأبعد وتعليم الغرباء فكيف لا يثقفون الأقارب ولا يعلمون الأرحام، ومن المعلوم أن بالملازمة يحصل العلم سمائياً وتعلماً وقد قيل: ولد الفقيه نصف فقيه، والمساivors من الفلاسفة مشوا في ركب أرسطو كما أن الرواقيين منهم لازموا رواقه فأمتاز الفريقان في فن الفلسفة وشهر الجمعان بالحكمة.

فكيف لا يمتاز العباس الأكبر «عليه السلام» وهو خريج كلية الحقائق وتلميذ أساتذة الحق وجهابذة الملة وفطاحل علماء الشريعة المقدسة، ومن تخرج من تلك المدارس الروحانية العرفانية وجعل في الصف المقدم من صفوف تلك الكليات الراقية وبالحري أن يفوز بالنجاح وأن يحصل له الامتياز على من عدى أساتذته العظام وأساتذة علماء الأمة قاطبة ومعلمي علماء الإسلام عامة الفنون.

وقد أقام عمر بن الخطاب، علي بن أبي طالب مقام الأستاذ وأقام نفسه مقام التلميذ وهو السلطان وال الخليفة ورجع إلى قوله رجوع أصغر الطلاب إلى رأي المعلم الأكبر ورأس المدرسين وقد صرخ مراراً عديدة في مقالات شتى تختلف لفظاً وتتفق معنى؛ فمرة يقول: لا عشت لزمان لا أراك فيه يا أبا الحسن، ومرة يقول: أطال الله بقاك، ومرة يقول: معظلة ولا أبو حسن لها، ومرة يقول: لولا علي لهلك عمر، ومرة يقول: لمن أنكر حكم علي «عليه السلام»: وقعت عليك

عين الله في حرم الله، ومرة يقول: أقضانا علي، هذه المقالات تكررت من الخليفة عمر بن الخطاب.

كما شاع قول عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ: العلماء ثلاثة: عالم بالشام وعالم بالعراق وعالم بالمدينة يعني نفسه وابا الدرداء وعلياً «عليه السلام» وهو عالم المدينة.

ثم يقول: وعالم الشام وال العراق محتاجان إلى عالم المدينة وهو مستغن عنهما.

وكما شاع قول عبد الله بن عباس حبر الأمة: علمي وعلم جميع أصحاب محمد ﷺ في جنب علم علي «عليه السلام» كالقرارة في المثعنجر.

والعباس الأكبر أبوه الأنزع البطين الذي قال فيه ابن الأثير في النهاية: الأنزع من الشرك، البطين من العلم، وقد قال فيه رسول الله ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وقال هو «عليه السلام» عن نفسه: هذا سقط العلم، هذا لعب رسول الله ﷺ يعني صدره الشريف، علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب.

وكيف لا ينخرط في سلك العلماء من هذا أبوه وأخوه الحسن والحسين «عليهم السلام» وإنهما أفاضا شؤبوباً واحداً من علومهما على أخيهما محمد الأكبر بن الحنفية فأصبح من جهابذة العلماء ولم يلزمهما ملازمة العباس وإن لازمها أكثر من غيره عدى العباس الشهيد فإنه أكثر منه ملازمة لهما وأعظم مواضبة فلا شك أنه الوحيد في الفقاهة والعلم.

ولعل الجاهل بحقائق الأشياء يتطرق التشكك في أن العباس الأكبر «عليه السلام» لو كان فقيهاً عالماً لاشتهر بذلك شهرة أخيه محمد بن الحنفية وعد في صف علماء الهاشميين وهذه تخيلات وأوهام، لم يشتهر محمد بن الحنفية في حياة أبيه وأخويه الحسن والحسين «عليهم السلام»:

ومن ورد البحر استقل السواقيا

كلا لا ترد الناس السواقي والبحار طامية ولا تحتسيسي الأوشاال والأنهار طافحة فلما جفت تلك الأنهر ونضبت تلك البحار وبقي الجدول جاريا ورده الوارد وأستقى منه الظمآن؛ فمحمد الأكبر والعباس الأكبر في حياة أبيهما وأخويهما سواء في عدم الشهرة العلمية ولو بقي العباس الأكبر بقاء محمد بن الحنفية لرزق في العلم صيتاً ونال شهرة ولسارت بمعارفه الركبان لكن:

عجل الخسوف عليه قبل أوانه فمحاه قبل مظنة الأبدار وقد كان أبو الفضل العباس «عليه السلام» معروفاً بالعلم فهذا الحافظ العسقلاني الشافعي يصرح في كتاب الإصابة فيما روى عن أمير المؤمنين علي «عليه السلام» من أعلام الصحابة وأعيان التابعين ثم يقول: ومن بقية التابعين عدد كثير من أجلهم أولاده محمد بن عمر والعباس الخ، ومحمد هو ابن الحنفية وعمر هو الأطرف.

على أن العباس «عليه السلام» قد صدرت منه أمور يوم الطف دلت على وفور علمه كنفشه الماء من يده تأسياً بالإمام الحسين «عليه السلام» وإيثاره له كما سندكره في الإيثار والمواسات وهذه مسألة فقهية وهي أن الإيثار راجح شرعاً لورود الأدلة السمعية من الآيات والروايات وما دلت عليه الأدلة السمعية فهو راجح شرعاً فهذه من مسائل الفقه وما صدرت منه تلك الفعلة الحميدة على جهة الفطرة والبداهة بل على جهة الاختيار للمحبوب المطلوب شرعاً.

وكقوله «عليه السلام» في خطاباته الموجهة تجاه أخيه الحسين «عليه السلام» كما يجيء في آدابه نحو قوله: «سيدي يا بن رسول الله ﷺ»، ولم يخاطبه بأخي لعلمه أن مرتبة الإمامة فوق كل مرتبة ومهما كان الأخ فلا ينبغي أن ينزل نفسه للإمام إلا منزلة العبد فيخاطبه خطاب المملوك للمولى بسيدي، والمخاطبة بالأخوة دليل المكافأة ولا يكفي الإمامة شيء كالنبوة وهذا من الفقه في الدين والأدب الرأقي وتفخيم ذي الشأن مستحب شرعاً ومطلوب عقلاً.

قال أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين^(١): قال معاوية: إني لأحب أن ألقى رجلاً قد أتت عليه سن وقد رأى الناس يخبرنا عما رأى، فقال بعض جلسائه: ذاك رجل بحضرموت، فأرسل إليه فأتي به، فقال له: ما أسمك؟ قال: آمد، قال: ابن من؟ قال: ابن آبد، فقال: ما أتى عليك من السن؟ قال: ٣٦٠ سنة، قال: كذبت ثم تشغل عنه ثم أقبل عليه فقال: ما أسمك؟ قال: آمد، قال: ابن من؟ قال: ابن آبد، قال: كم أتى عليك من السن؟ قال: ٣٦٠ سنة، قال: فأخبرنا عما رأيت من الأزمان أين زماننا هذا من ذاك؟ فقال: كيف تسأل من تكذب؟! قال: ما كذبت ولكن أحبيت أن إعلم كيف عقلك.

قال: يوم شبيه بيوم، وليلة شبيهة بليلة، يموت ميت ويولد مولد فلولا من

(١) كتاب المعمرين: ص ٧٩.

يموت لم تسعمهم الأرض، ولو لا من يولد لم يبق أحد على وجه الأرض.
قال: فأخبرني هل رأيت هاشماً؟

قال: نعم رأيته طوالاً حسن الوجه يقال إن في عينيه برة أو غرة بركة.

قال: فهل رأيت أمية؟

قال: نعم رأيته رجلاً قصيراً أعمى يقال إن في وجهه لثراً أو شؤماً.

قال: فهل رأيت محمداً؟

قال: ومن محمد؟ قال: رسول الله.

قال: ويحك هلا فخمت كما فخمه الله فقلت رسول الله، الخ.

وليس أبو الفضل «عليه السلام» ممن يجهل واجب تفخيم الإمام عقلاً وأحترامه تديناً. للمؤلف:

ألا إن عباس بن حيدر عالم بواجب دين الله والراجح الشرعي يعظم أرباب الإمامة موفياً لهم حقهم في الأصل للحق والفرع وكقوله «عليه السلام» لأخوته الأشقاء الذين هم من أمه أم البنين: تقدموا يابني أمي لا حتسبيكم فإنه لا ولد لكم، وهذا القول منه «عليه السلام» مشهور رواه عامة أرباب المقاتل واختلفوا في ضبط العبارة، فالطبراني المؤرخ هذا لفظه في تاريخه^(١) قال: وزعموا أن العباس بن علي قال لإخوته من أبيه وأمه عبد الله وجعفر وعثمان: يابني أمي! تقدموا حتى أرثكم فإنه لا ولد لكم ففعلوا فقتلوا إلخ.

وهذا في ظني تصحيف والأصل حتى أراكم فصحفه الراوي بيارثكم.

وأما أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري فللفظه في الأخبار الطوال^(٢): ولما رأى ذلك العباس قال لإخوته عبد الله وجعفر وعثمان بنى علي «عليه وعليهم السلام» وأمهن جميعاً أم البنين العامرية الوحيدة: تقدموا بنفسي أنتم فحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه فتقدموا جميعاً فضاربوا أمام الحسين «عليه السلام» بوجوههم ونحوهم إلخ.

وأما أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني فللفظه في مقاتل الطالبيين عن الضحاك المشرقي قال: قال العباس ابن علي لأخيه من أبيه وأمه عبد الله بن علي: تقدم بين يدي حتى أراك وأحتسبك فإنه لا ولد لك فتقدمن بين يديه الخ، ومثله ذكر في أخيه عثمان وجعفر.

وأما الشيخ المفید أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان فلفظه في كتاب الإرشاد: فلما رأى العباس بن علي «عليهما السلام» كثرة القتلى في أهلة قال لإخوته من أمه وهم عبد الله وجعفر وعثمان: يابني أمي! تقدموا أمامي حتى أراكم قد نصحتم الله ولرسوله فإنه لا ولد لكم الخ، وهذا بعينه لفظ الشيخ المحقق جعفر بن نما الحلي في مثير الأحزان.

ويتتجزء من جميع هذه الأقوال ثلاثة أمور كلها تدل على فقاہته وعلمه:

الأول: قوله: «تقديموا لأراكم قد نصحتم الله ولرسوله» الخ، جهة الفقاہة في هذا إنه «عليه السلام» قد علم أن أفضل الجهاد ما كان بالنفس والنفیس، أما نفسه فعازم على بذلها لأخيه الحسين «عليه السلام» وهو واثق بذلك من نفسه، وأما النفیس وليس لديه هناك أنفس من إخوته الأشقاء فأحب أن يقدمهم ويكون قد بذل في الجهاد نفسه ونفسيه ولا شك بتضاعف الأجر على ذلك وحسبك بقصة الخنساء وحثها أولادها الأربع على الجهاد يوم القادسية فقتلوا جميعاً، وأطلب قصتهم من التاريخ وأرجازهم تشهد لما نقول، ويتفرع على مسألة تقديم العباس «عليه السلام» لإخوته من الفروع الفقهية ما خفي على كثير من مهرة الفن وأساتذة الصنعة مثل مسألة الشكر على النعمة.

وال Abbas «عليه السلام» يرى من أتم نعم الله عليه وأفضلها عنده الشهادة في سبيله ومن إتمامها أن يرزقها الله تعالى لإخوته الذين هم أعز ما لديه من حاضري إخوته بعد الحسين «عليه السلام» فإذا تفضل الله عليهم بالشهادة ورزقهم إياها فقد أسعدهم وأنالهم كرامته فوجب عليه الشكر الذي يجب عقلاً وشرعًا عند تجدد كل نعمة إذ شكر المنعم واجب بالإدلة العقلية والنقلية.

الثاني: الاحتساب فقوله «عليه السلام» «تقديموا لأحتسبكم» وفي هذا الاحتساب يتضاعف الأجر لعلمه أنه إذا توالت الفوادح وتواترت المصائب وصبر عليها الصابر محتسباً فقد تضاعف أجره عند الله ولا إشكال أنه إذا شاهد مصارع إخوته الأشقاء واحداً بعد واحد فقد تضاعف له العناء والأسف ولو أنهم قتلوا قتلة واحدة كان لها حكم المصيبة الواحدة ولكن المصائب تتعدد بقتل الواحدة تلو الواحدة فتضاعف لذلك الأحزان، ومن فروع هذه المسألة الفقهية مسألة الصبر فإن الذي يبتلى بفقد الأعزاء وأنفس الأشياء وأغلاها عنده ثم يصبر ويحتسب يكون له الأجر المضاعف ويجزيه الله تعالى أفضل جزاء الصابرين وقد حصل لأبي الفضل العباس «عليه السلام» في هذه القتلة ثلاثة أشياء توجب الكراهة ومزيد الحباء عند

الله تعالى: الشهادة والشكرا والصبر، وهذا من عجيب الفقه الذي يتحرّك الفقيه العليم في مثل ذلك الموقف الحرج والمقام الصعب ذي الأهوال والتهاويل الذي طارت منه الأذهان وأندهشت فيه الفكر وحارت الألباب.

الثالث: المسألة الفرضية الميراثية وهي المشهورة عند الفقهاء وهذه مسألة فقهية مقتربة بفكرة ثاقب يجري مجرى الإعجاز في التكهن بالحوادث المستقبلة وذلك أن فقه هذه المسألة على مذهب أهل البيت «عليهم السلام» والعباس «عليه السلام» منهم أن الأم هي الوراثة لبنيها المفقودين والأخ منها أو من غيرها محجوب عن الميراث بها ولا يرثون مع الأم إلا بشرط اعتبارها الفقهاء وإن فقدت الأم فأبن الأخ الشقيق يحجب الأخ لأحد الأبوين هذا مذهب العباس وأهل بيته، فهو «عليه السلام» يعرفه ويعلمه وعند القضاة من أهل السنة أهل التعصي أن الأخ يحجب الأم هكذا كانت الحال في الدور الأموي طيلة حكمتها الجائرة فنظر العباس «عليه السلام» وأصاب بفكرةه الثاقبة أن الأمر في ميراث إخوته إن قتلوا بعده سينزع من يد أمه قهراً ولا ينظر إلى مذهب أهل البيت «عليهم السلام» وإنما يؤخذ بفتوى قضاة العامة فرأى من الحزم أن يقدم إخوته أمامه فيقتلوا فإذا قتلوا ورثهم هو لأنه الأكبر وأولى من عمر الأطرف لتقربه إليهم بالأبوين فإذا حاز ميراثهم حياً ورثه ابنه عبيد الله بعد قتله فتضعف حجة المخاصم لابنه عبد الله حتى على مذهب فقهاء السنة.

وقد وقع الأمر على مقتضى حدس العباس «عليه السلام» فإن عمر الأطرف نازع عبيد الله ابن العباس إلى قضاة العامة وأعانته السلطة الأموية الجبارية ثم صولح على شيء يسير رضا به وهذا جور في الحقيقة وتحامل لم يغضبه مذهب من جميع فرق المسلمين؛ أما على مذهب أهل البيت «عليهم السلام» فواضح أن الميراث للأم البنين، وعلى مذهب السنة أيضاً لا يجوز أن يعطى لعمراً الأطرف شيء ومحمد بن الحنفية أكبر منه وهو حي وعبيد الله بن النهشلية حي أيضاً ونسبتهما إلى ولد علي «عليه السلام» كنسبة عمر الأطرف ولكن تلك العصور مات فيها الحق والعدل وأحياناً الجور والعدوان وقد عرفت صحة فراسة العباس «عليه السلام» في النزاع على ميراث الأخوة الشهداء.

وقد رأى بعض من يدعى الفقاہة وهو بعيد عنها كذب القضية لأنه يزعم أن قدر العباس الأكبر «عليه السلام» أجل من أن يلحظ أمر الدنيا فيطلب من إخوته الميراث وأنكر أن يكون قال ذلك وقال: إنما قال: أحتسبكم فقط وغفل في ذلك

غفلة عظيمة من حيث ظن أن كلما تعلق بأمور الدنيا بعيد عن طلبه الصالحة الأخيار وأهل الفضل من الأتقياء البررة فليس لهم غرض بكل شئونها ومطالبها.

ولم يدرى المغفل أن بعض الأمور الدنيوية هي أمور أخرىوية لأن بر الصالحة وأهل الفضل والديانة من أفضل الطاعات وأجل القربات وهي إنما تقع بالأموال فتكون المسألة دنيوية دينية، ألم يدرى هذا المغفل أن رسول الله ﷺ وهو سيد الأتقياء وقدوة الصالحة ومن لا تسوى عنده الدنيا ذرة من الذر كيف أهتم في أمر فدك وبقية أملاكه في وادي القرى وغيره حتى جعلها طعمة لأبنته فاطمة الزهراء «عليها السلام» ولم يترك ذلك سائراً على ما يقتضيه حق الوراثة الشرعية لعلمه ﷺ أنها ستدفع عن الميراث وتمكنع منه فأحتاط لها بإعطائها ذلك نحلة وجعله لها طعمة لكي تنقطع عنه أطماع الطامعين ويتوفر على أبنته الكريمة حقها ولا تكون عالة على أحد من الناس ومع ذلك فقد حدث ما حدث.

وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» أزهد أهل الدنيا قاطبة بعد رسول الله ﷺ وأبعدهم من حطام الدنيا وهو الذي كان يكتس ببيوت الأموال ويصلّي فيها ويختتم على جراب قوته لثلا ينخل وقد أنتهت إليه عامة طرق الزهاد وأخباره متواترة في العزوف عن الدنيا حتى طلقها ثلاثة وقد أهتم في أمر البغيضة وعين أبي نizer حتى جعلهما وقفا لنواب الحسن والحسين «عليهما السلام» دون سائر بنيه هذه سنة الصالحة وسيرة النقباء.

فأبو الفضل العباس «عليه السلام» أعلم من هذا الغبي المتهم والمغفل المتتكلف لما لا يلعلم فإنه «عليه السلام» قد سار سيرتهما وأقتفي أثرهما فأهتم بأمر ولده الطفل وأحتاط في مدافعة خصمه وهو عم الشحبي الطامع بغير حق حتى أنه ترك مذهب أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» فسعى في حرمان ورثة أخيه الطفل الصغير والمرأة الضعيفة التي بقيت بلا كاسب أعتداء منه عليهما وبغيها بعلة أنه الأبن وإنه العم ويتعصب له الأمويون أهل الجور والعدوان في حرمان ذرية من حاربهم وقام بالسيف عليهم حتى تصبح ورثة العباس «عليه السلام» عالة يتکفرون.

فأحتاط العباس «عليه السلام» لهم بهذا ولو لا ما فعله «عليه السلام» ما قبل عمر بن علي المصالحة على اليسير ويترك ما تثبت به في الحكم الجائز وليس هذا مما ينافي الإخلاص أو يخل بالتقوى والورع حتى لا ينبغي أن ينسب إليه فقد كان الزهاد والأتقياء يعملون في صالح صاحبي الوراثة بأن يوصوا لهم بحصة معينة من أموالهم لتقويتهم على طاعة الله تعالى فنعم العون على طاعة الله المال وقد عرفت

ما صنعه أمير المؤمنين «عليه السلام» في تخصيص الحسن والحسين «عليهما السلام» وقد نقلها علماء الفريقين الشيعة والسنّة ولو لا الإطالة لأوردناها ولعل الكثير من القراء له إلمام بها وأطلع.

وإذا كانت هذه سيرة رسول الله ﷺ وسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وبقية الأتقياء وأرباب الديانة فأي غضاضة في هذا الأمر الذي أراده العباس «عليه السلام» والحق يشهد أنه «عليه السلام» قصد السنن الثلاثة المؤكدة في الشريعة الإسلامية وهي الشكر والصبر وصلة الأرحام لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَزْلَادِكُمْ لِلذَّكِرِ مِثْلُ حَظِّ الْأَنْشَيْنَ﴾^(١) وقد جاء في المثل ولد الفقيه نصف فقيه، وأنا أقول: الفقه كله مجتمع عنده ومنسوب إليه لأنّه ابن أعلم الناس وأخواه مما أعلم الناس وأفقههم.

للمؤلف فيه:

جئني بمثل أبيه كنز علومها هيئات يوجد أو فتى كأخيه إن الفتى كأبيه في أخلاقه قد قيل إن الأبن سر أبيه فهذا علم العباس «عليه السلام» بالعلوم النقلية ويأتي بعضها في فصاحته.

علم العباس «عليه السلام» بالعرفانيات:

أما علمه بعلم المعقول فله يد في العرفانيات وقد دلنا منظومه على مقدراته العرفانية ومنزلته في علم المعقول وقد تحقق لدينا أن مرتبتة في هذا الفن هي المرتبة الراقية والمتزلة السامية وذلك حيث يقول:

فليس هذا من فعال ديني ولا فعال صادق اليقين وهذا القول منه يدل دلالة قوية على كونه من علماء الفلسفة الماهرين وأساطير الحكم القديرين لأن مراتب المعرفة بوجود الحق باري الخلق والسلوك إلى رب الارباب له خمسة مراتب مترتبة طولاً حسبما رتبها سيد المتألهين وإمام الحكماء الموحدين أبوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وهي:

(١) اليقين.

(٢) علم اليقين.

(٣) عين اليقين.

(٤) حق اليقين وهو صدق اليقين.

(٥) الوصول، وهذه المرتبة الخامسة كما سند ذكر قوله «عليه السلام» لا يصل إليها خلق سوى محمد ﷺ وأهل العزم وأوصياء محمد ﷺ فقد تكون لبعض العارفين الرتبة الأولى وهي اليقين ثم لا يتجاوزها، وقد تحصل لبعضهم الرتبة الثانية وهي علم اليقين ثم لا يعودوها، وقد تحصل لبعضهم الرتبة الثالثة وهي عين اليقين، وقد تتكامل في بعضهم المعرفة فيصل إلى الدرجة الرابعة، وهي حق اليقين أو صدق اليقين وهذا قليل، والأوحدى الماهر من وصلها وقد أنتهت معرفة أبي الفضل العباس «عليه السلام» لصفاء نفسه وإضاءة أنوار عقله إليها، ومن جهة تحصيله العلمي من وجهتي النظر والتفكير وتقلیداً لأئمة الهدى الذين لهم كمال المعرفة والعلم بما وراء الحقيقة كأنهم قد عاينوا معاينة وشاهدوا مشاهدة.

وأولئك هم أبوه سيد العارفين بعد رسول الله ﷺ وأخوه الحسن والحسين «عليهما السلام»، وحق اليقين هو صدق اليقين فإن من لم يصب حق اليقين فليس بصادق اليقين فمن صفت نفسه الشفافة وأستضاء بأنوار عقله الهادي المدرك للمحجبة وأستند في إشاراته إلى مكاشفات المكاشفين من أئمة الدين الذين عصموا من الزلل وأختصوا بوعي الله تعالى وإيحائه ومنحهم خاصة فضيلة الإلهام وفطّرهم على إصابة الحقائق لما ركب فيهم من قوة الحدس فلا شك في وصول تابعهم والمقتدي لهم إلى درجة صدق اليقين.

توضيح درجات اليقين

وحيث أن هذه الدرجات الخمسة مغلقة على غير الأفذاذ من العلماء والنوار من الحكماء لزمنا إيراد شرحها على اختصار لتشترك عامة طبقات القراء في معرفتها.

قال العلامة الحلي «رحمه الله عليه» في رسالة شرح فيها كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» الخمس العجيبة ونصه في الرسالة المطبوعة ملحقة بالرضاعيات^(١): إعلم أن للبيان مراتب:

أولاً: اليقين المجرد بواسطة التقليد الممحض والتصديق بقول النبي ﷺ بحيث لا يدخل الشك والوهم والظن فيه.

ثانياً: اليقين الذي حصل بعد التقليد بواسطة العلم من جهة البرهان العقلي.

(١) رسالة العلامة الحلي في شرح كلمات أمير المؤمنين عليه السلام الملحقة بالرضاعيات: ص ١٦٣.

ثالثاً: اليقين الذي حصل بواسطة المشاهدة.

رابعاً: اليقين الذي يحصل بواسطة القرب.

خامساً: اليقين الذي حصل بواسطة الوصول وهذه اليقينيات الثلاثة حاصلة للسالكين دون غيرهم وأنا أضرب لك مثلاً تفطن به مراتب اليقين وهو أن دهقاناً عارفاً بأسرار الدهقنة إذ أخبر أحداً لم ير في عمره الشجرة والثمرة بأن وضع في موضع كذا شجرة يخرج منها زهر يحول ثمرة إذا أكلتها وجدت ذوقها فيسأل المخبر إلى ذلك الموضع وشاهد الشجرة ثم الثمرة ثم أكل من الثمرة ووجد ذوقها وحصل له كمال اليقين بأن الدهقان كان صادق القول إلخ.

ثم شرع (رحمه الله) بعد كلام في ذكر الكلمات الخمسة وشرحها فقال^(١): أما بعد، فقد التمّس مني أخ في الدين أن أكتب رسالة موجزة في شرح كلام سيد الوصيين وإمام العارفين علي بن أبي طالب «عليه السلام» حين سأله كمبل بن زياد النخعي (قدس سره) عن الحقيقة، فقال صلوات الله عليه: مالك والحقيقة؟

قال كمبل: أولست صاحب سرك؟

قال: بلى ولكن يرش عليك ما يطفع مني.

قال كمبل: أو مثلك يخيب سائلاً؟

قال «عليه السلام»: الحقيقة كشف سمات الجلال من غير إشارة.

قال كمبل: زدني.

قال «عليه السلام»: محو الموهوم مع صحو المعلوم.

قال: زدني.

قال «عليه السلام»: هتك الستر عند غلبة السر.

قال زدني.

قال «عليه السلام»: جذب الأحادية بصفة التوحيد.

قال: زدني بياناً.

قال «عليه السلام»: نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هيكل التوحيد آثاره.

قال: زدني.

(١) رسالة العلامة الحلي في شرح كلمات أمير المؤمنين عليه السلام المحلقة بالرضاعيات:

فقال «عليه السلام»: أطفئ السراج فإن الصبح قد طلع.

ثم قال (رحمه الله) في تفسيرها: لا يمكن الجواب في كشف الحقيقة إلا من آثارها على طريق الرمز والإشارة كما قال «عليه السلام» «الحقيقة كشف سمات الجلال من غير إشارة» وذلك لأن الله تعالى محظوظ بصفاته، وصفاته الجلالية تتعلق بذاته، وصفاته الجمالية تتعلق بأفعاله؛ فالسالك الطالب للحق إذا سلك المفاوز الجسمانية وعبر من الروحانية وصل إلى صفات الجمال ثم إلى صفات الجلال فإذا تجاوزهما تجلى له الحقيقة.

وقوله: «من غير إشارة» إشارة إلى أن الله تعالى متنزه عن أن يكون مشاراً إليه أو يكون له حد أو نهاية لأن هذه الصفات من صفات المحدثات.

إلى أن قال كميل: «زدني» وهو في عين السلوك يريد الوصول الذي هو نهاية مراتب السالكين، فأجاب «عليه السلام» بما أجاب وهو إشارة إلى مرتبة اليقين المجرد ولم يقنع كميل بذلك والتمس مرتبة علم اليقين فأجاب عنه ثانياً بقوله «محو الموهوم مع صحو المعلوم» لأن الحقيقة إذا كشفت من صفات الجلال التي يتعلق بالذات وأدرك أثره السالك أنمحى وهمه وزال عنه شكه وظنه وشاهد آثار الحقيقة بنور علم اليقين.

ولم يقنع كميل بعلم اليقين والتمس منه مرتبة عين اليقين فأجاب بأنها «هتك الستر عند غلبة السر» وذلك لأن الإنسان إذا محن مظنونات وهمه عند أنكشاف سمات الجلال عن الحقيقة فيصبحوا المعلوم ويعلم بعد علم اليقين علامات الحقيقة ويسكر السالك من شراب الوجود.

إلى أن قال: ثم لم يقنع كميل بمرتبة عين اليقين والتمس مرتبة حق اليقين فأجاب «عليه السلام» «جذب الأحادية بصفة التوحيد» معناه أن من هتك ستره من غلبة السرور وسكر من شراب الوجود الحقيقي ثم نفس من سكره ويجلس على سرير الصحو ويلمع أن ليس في الوجود إلا الله وينفي الاثنينية بالكلية تمكن من التوحيد الحقيقي وهو أن لا يرى في الوجود إلا الله الواحد الحق مع وجود كثرة المكونات ويعلم أن الآثار مظاهر أفعاله، والأفعال مظاهر صفاته، وصفاته ثابتات لذاته، وهذه مرتبة علية في علم التوحيد.

ثم لم يقنع كميل بمرتبة حق اليقين والتمس حقيقة حق اليقين فأجاب «بنور يشرق من صبح الأزل» يعني من ينفي الاثنينية ويتتمكن من التوحيد الحقيقي ولم ير في الوجود سوى الله المعبد تجلى الحق عليه بصفاته الذاتية فعند ذلك يصير عبداً

ربانياً وهو وإن كان بين الخلق يكون مع الحق والحق معه فالبُحْرَ يسمع وبه يبصر وبه ينطق وبه يبطش كما ورد في الحديث الرباني «لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوفل حتى أحببته فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً فبي يسمع وببي يبصر وببي ينطق وببي يمشي».

وقوله «عليه السلام» «نور يشرب من صبح الأزل فتلوح على هيائل التوحيد آثاره» عن السلاك الواصلين إلى الحق المشرفين بتجلي الصفات الذاتية للفظ آثاره إشارة أن لا يكون تجلي بالحقيقة على الدوام بل تكون آثاره متجلية.

ثم جاوز كمبل هذه المعرفة وكاد يشرع في مقام لو ثار إليه طائر لأحرق جناحه ولما سأله الزيادة عن هذه المرتبة التي هي مرتبة الوصول أجاب عنه «عليه السلام» «اطف السراج فإن الصبح قد طلع» ومنع عن هذا وأعلم أنه هذه المرتبة آخر مراتب الكمال وليس وراء عبادان قرية وهي مرتبة الوصول وهذه المرتبة ووسط ونهاية؛ فالنهاية لمحمد ﷺ والوسط لعلي «عليه السلام» والبداية لمريديه ومتبقي آثاره على وجه الشريعة والطريقة حذو النعل بالنعل والقدة بالقدة نيابة، فالمريد يأخذ المعارف والحقائق عن الولي والولي يأخذ من النبي ﷺ ولذا كانوا خير الأمم وتمنى جميع الأنبياء أن يكونوا منهم لأنهم عاينوا بنور النبوة أنه يكون لأمة محمد ﷺ هذه المرتبة وقال ﷺ علماء أمتي كأنبياءبني إسرائيل وهم العاملون بأحكام الشريعة ودقائقها، إنتهى ملخصاً.

وجعل عبد الله الأنصاري الصوفي الحنبلي في منازل السائرين درجات اليقين

ثلاثة :

(١) علم اليقين.

(٢) عين اليقين.

(٣) حق اليقين، راجعه مع شرحه^(١)، وأهمل اليقين الذي هو أول الدرجات لأنه أكتفى بتقسيمه إلى ثلات والخارج عنها هو اليقين المجرد ولم يذكر الدرجة الخامسة التي هي الوصول لأنه بصدق بيان صفات السائرين والساكين وهذا أقصى ما يصلون إليه؛ فالوصول إلى الدرجة الخامسة يختص بالأنبياء والأوصياء فوافق تقسيم العلامة.

وقد أستبان أن أبا الفضل العباس «عليه السلام» في أرقى درجة اليقين

(١) منازل السائرين: ص ١٢٢.

العرفاني التي لا يمكن أن يتجاوزها إلا من كان معصوماً بالعصمة الإلهية التي هي حقيقة النبوة والإمامية فيصدق قوله «عليه السلام»: فليس هذا من فعال ديني ولا فعال صادق اليقين بالإقبال بكليته على مواجهة رب الأرباب والمجاورة له في دار البقاء والتخلّي عن هذه الدار الفانية ذات الأكدار والشواغل الكثيرة الموجبة لحجب المريد عن مواصلة المراد والحاليل بينه وبين التجليات الحقيقة، فإذا قطع هذه العلاقة الدنيوية فهو صادق اليقين في الشوق المستغرق به من عشق الذات التي جلت عن مثل هذه الإطلاقات ودنى منها بإخلاص التوحيد دنو الواحد المتفاني في محبة مراده الأعظم وليس علوم أهل البيت «عليهم السلام» بمكتتبة ومحصلة بدراسة المصنفات وقراءة المؤلفات وإنما هي منح ربانية وإضافات إلهية يفيضها عليهم واهب العقول وصاحب الموهب العالية منذ عهد الطفولية.

ومن تبحر في معاني تلك الأذواق العجيبة تحير وأذهله الأمر عن التفكير، فهذا أبو الفضل العباس «عليه السلام» يحدثنا عنه أخطب خوارزم الحنفي في مقتله بما لفظه: قيل: كان العباس «عليه السلام» الذي يسمى السقاء يوم كربلاء وزينب ولدا على «عليهما السلام» صغيرين وكانت عند أبيهما العباس «عليه السلام» عن يمينه وزينب عن شماله، فألتفت إلى العباس «عليه السلام» وقال: قل واحد، فقالها، فقال: قل اثنين، فقال: إنني أستحيي أن أقول اثنين باللسان الذي قلت به واحد، فقبل بين عينيه وألتفت إلى زينب فقالت له زينب: يا أباها! أتحبنا؟ قال: نعم أولادنا أكبادنا، فقالت: يا أباها حبان لا يجتمعان في قلب مؤمن حب الله وحب الأولاد فإن كان لا بد فالشفقة لنا والحب لله خالصاً، فأزداد لهما حباً وقيل: بل القائل الحسين «عليه السلام» الخ.

وتعجب كيف أدرك وهو طفل أن الواحد لا يبني لأن الثنوية شرك والوحدةانية إخلاص وهذه مسألة غامضة عويصة زل فيها الكبار من العقلاة المفكرين وأبو الفضل في سن الطفولية يدرك بفطنته أن الواحد قائم بذاته لا يبني وإذا كانت هذه مقدراته الحكيمية وهو طفل فطيم فكيف لا يدرك بفطنته وهو في سن الرشد والأكمال درجة صدق اليقين العرفانية التي أعيت معرفتها على جماعة من علماء الناس.

للمؤلف:

الله قد منح العباس مقدرة وفطنة زل عنها فكر سocrates

أصاب وهو صبي في تفكره وكم حكيم كبير فكره خاطئ

فصاحة العباس الأكبر (عليه السلام)

لا خفاء أن قريش أفعى العرب وبلغتهم نزل القرآن، وأفعى قريش هم ببني هاشم، وأفعى من بني هاشم رسول الله ﷺ وبعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وسيدة النساء فاطمة الزهراء والحسن والحسين (عليهم السلام)، ولا ريب أن من الفصحاء الخطباء محمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس وابن الطيار ومن نسائهم زينب الوراء وأم كلثوم بنتا أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة وسكنة بنتا الحسين (عليه السلام) وتعداد الفصحاء من هذه القبيلة تطويل وشهرتها تغنى عن إيراد الحجج.

والعباس الأكبر فرع من تلك الشجرة اليانعة المثمرة، وغضن من تلك الدوحة الباسقة التي تفيأت بظلها طوائف الإسلام.

أما فصاحة قريش مضافاً إلى شهادة القرآن بفصاحتهم من حيث نزوله بلغتهم ولسانهم وقد شهدت لهم العرب بالفصاحة وأقرت لهم بالبلاغة.

قال الجاحظ في البيان والتبيين^(١): قال معاوية يوماً: من أفعى الناس؟ فقال قائل: قوم أرتفعوا عن لخلخانية الفرات وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكة بكر، ليست لهم غمامة قضاعة، ولا طمطمائية حمير، قال: ومن هم؟ قال: قريش، قال: ومن أنت؟ قال: من جرهم، إنتهى.

וללحافظ جلال السيوطي من المزهر في فصاحة النبي ﷺ وقريش فصلاً فراجعه^(٢).

إذ ليس قصتنا استيفاء القصص التي تبرهن على فصاحة القرشيين فقد جعلهم العرب حكماء، ومن شهد له قريش من الشعراء تقدم وما سميـت المعلقات إلا لتعليقها على كعبتهم.

واما رسول الله ﷺ فقد صـح قوله: أنا أفعى من نطق بالضـاد بـيد أـني من قـريـش وأـسـترـضـعـتـ فـيـ بـنـيـ سـعـدـ، وـقـدـ عـرـفـتـ أـنـ قـريـشاـ أـفعـىـ عـرـبـ وـيـتـلـوـهـمـ فـيـ فـصـاحـةـ هـواـزـنـ، وـأـفعـىـ هـواـزـنـ سـعـدـ بـنـ بـكـرـ بـنـ هـواـزـانـ.

واما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وليس الغرض أن نعرفه

للناس بالفصاحة فإنه هو الذي عرف الناس نفسه وشهد له الأعداء والخصماء الألداء، فهذا معاوية بن أبي سفيان وهو الذي يجهد على إسقاطه بكل ما وجد إليه سبيلاً حتى فرض لعنه على المنابر ما أستطاع إنكار فصاحته وجوده وشجاعته.

روى ابن قتيبة أحد أئمة الحديث من أهل السنة في تاريخه المعروف بالإمامية والسياسة^(١) قال: ذكروا أن عبد الله بن أبي ممحجن الثقفي قدم على معاوية وقال له: يا أمير المؤمنين! جئتك من عند العبي العجباً البخيل ابن أبي طالب.

فقال معاوية: الله أنت! أتدري ما قلت؟ أما قولك العبي فوالله لو أن ألسن الناس جعلت لساناً واحداً لكتافها لسان علي، وأما قولك إنه جبان فشكلك أمرك هل رأيت أحداً قط بارزه إلا قتلها، وأما قولك بخيل فلو كان له بيتان أحدهما من تبر والأخر من تبن لأنفذ تبره قبل تبنيه إلخ.

وإيراد الحجج لهذا الغرض تطويل لكننا نقول: هل سمعت برجل قبله أو بعده أن حفظ كلامه يجعل من حفظه في الدرجة العليا من الفصاحة ولو كان أعجمي اللسان لم نعرف ذلك لغيره فإن كلامه حفظه رجالان أعمجيان فأصبحا من أشهر كتاب الدنيا يضرب بيلاغتهم الأمثال لحد اليوم وهم عبد الحميد الكاتب - كاتب مروان الحمار - آخر ملوكبني أمية في المشرق، وابن المقفع صاحب رسائل البلاغة كاتب آل سليمان بن علي منبني العباس وهو صديق عبد الحميد الكاتب.

أما عبد الحميد فذكر الجهشياري في كتاب الوزراء^(٢) ما لفظه: قيل لعبد الحميد ابن يحيى: ما الذي مكنك من البلاغة وخرجك فيها؟ قال: حفظ كلام الأصلع - يعني علي بن أبي طالب «عليه السلام» -، إنتهى، وذكره غيره.

وأما ابن المقفع فقال السندي في تعلقة البيان والتبيين^(٣): والظاهر أنه تخرج في البلاغة على خطب الإمام علي «عليه السلام» ولذا كان يقول: شربت من الخطب رياً ولم أضبط لها روياً ففاضت ثم فاضت فلا هي نظاماً ولا غيرها كلاماً، إلخ.

وقد أعترف معاوية بن أبي سفيان للحسن بن علي «عليهما السلام» بالفصاحة وقد طلب منه أن يخطب أهل الشام بمشورة ابن العاص وقد إسقاطه ولما نزل قال معاوية لعمرو: والله ما قصدت إلا هتكى، ما كان أهل الشام يرون أن أحداً

(١) الأمامية والسياسة ١/٩٧. (٢) كتاب الوزراء: ص ٥٤.

(٣) تعلقة البيان والتبيين ١/١٠٩.

مثلي حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا.
أما الحسين بن علي «عليه السلام» فقد تقدم في الجزء الأول فصاحت
فراجعيه.

وعلى كل حال ففصاحةبني هاشم لا يستریب بها كل ذي معرفة بأساليب
الكلام وفنونه ولا يشك فيها أرباب التمييز للكلام الفصيح.

أما أبو الفضل العباس «عليه السلام» فمعروف بفصاحة اللسان، قال الفاضل
الدربيendi في الأسرار^(١): قد ذكر أن بعض الأبطال تهدده وكان جريئاً ذا سطوة
مرهوبة، وإن العباس «عليه السلام» لم يكتثر بموقفه فأجابه قائلاً له بثبات ورباطة
جأش: إني أرى كلامك كالسراب الذي يلوح فإذا قصد صار أرضاً بواراً والذي
أملته أن أستسلم لك فذاك بعيد الحصول صعب الوصول، وإنني يا عدو الله
ورسوله معود للقاء الأبطال والصبر على النزال ومكافحة الفرسان وبإله المستعان،
ومن كملت هذه الصفات فيه فليس يخاف من برز إليه، ويلك أليس لي اتصال
برسول الله ﷺ؟! أنا غصن متصل لشجرته، وزهرة من نور ثمرته، ومن كان من
هذه الشجرة فلا يدخل تحت الذمام، ولا يخاف ضرب الحسام، وأنا بن علي لا
أعجز عن مبارزة القرآن، وما أشركت لمحنة بصر، ولا خالفت رسول الله ﷺ
فيما أمر، وأنا منه الورقة من الشجرة وعلى الأصول تنبت الفروع فأصرف عنا ما
أملت فما أنا من يأسى على الحياة أو يجزع من الوفاة فخذ في الجد أصرف
عنك الهزل، وأنشأ يقول:

صبراً على جور الزمان القاطع ومنية ما إن لها من دافع
لا تجزعن فكل شيء هالك حاشى لمثلي أن يكون بجازع
فلئن رمانا الدهر منه بأسمهم وتفرق من بعد شمل جامع
فلكم لنا من وقعة شابت لها قم الأصغر من ضراب قاطع

ومن شعر العباس «عليه السلام» وذكره^(٢):

لله عين رأت ما قد أحاط بنا من اللثام وأولاد الدعيات
يا حبذا عصبة جادت بأنفسها حتى تحل بأرض الغاضريات
الموت تحت ذباب السيف مكرمة إذ كان من بعده سكنى لجනات
ويأتي بعض أشعاره في باب شهادته في الجزء الثالث، أما خطبه المشهورة

(١) أسرار الشهادة: ص ٣٢٠.

(٢) أسرار الشهادة: ص ٣٢٠.

على ألسنة خطباء المنابر الحسينية والتي يقول فيها هذه ثيابنا قد لبسناها أكفاناً لنا
معروفة عندهم أما أنا فلم أقف لها على مصدر أعتمد التقل عنده.

للمؤلف فيه «عليه السلام»:

ورث الفصاحة من أبيه وإنه
من عصبة فاقوا الأنام فصاحة
سيان السنهم وحد سيفهم
ما فيهموا إلا خطيب مصقع
قس ابن ساعدة إذا قايس ته

شجاعة العباس الأكبر «عليه السلام»

من صفات العباس بن أمير المؤمنين «عليه السلام» الشجاعة.

بيان ما هي الشجاعة وحقيقةها:

فإن هذا من لوازם هذا الفصل ولأن أظهر صفات أبي الفضل العباس الأكبر هي الشجاعة وإن كانت بقية صفاتة ظاهرة ونحن قد كتبنا في كتابنا «السياسة العلوية» شرح عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» للأشر فصلاً مطولاً في الشجاعة نلخصه هنا ونورد له إتماماً للفائدة.

الشجاعة عرض أم غريزة:

لا شك أن الشجاعة من الغرائز النفسية والطبائع المرتكزة في القوى الذاتية لكنها تقوى وتضعف بحسب الممارسة فأشبّهت الهيئات والملكات وأستحق المتصرف بها المدح والإطراء.

معنى الشجاعة لغة:

العرب تسمى الحية الذكر وهو العربد «العربيد» بلسان العوام الشجاع فأطلقته على الرجل الجريء المقدام خواص الأهوال والغمرات وذلك لأن العربد «العربيد» في لعابه السم المتلف وكذلك الرجل الشجاع في سيفه التلف وفي ملاقاة كليهما المخاطرة ومظنة الهلاك والعطبر.

قال ابن الأثير في النهاية: الشجاع - بالضم والكسر - الحية الذكر، وقيل: الحة مطلقاً.

وقال الفيومي في المصباح المنبر: شجم - بالضم - شجاعة قوي قلبه

وأستهان بالحروب جرأة وإقداماً فهو شجيع وشجاع، وبنو عقيل تفتح الشين حملأً له على نقشه وهو جبان وبعضهم يكسر للتخفيف.

وقال الدميري في حياة الحيوان: الشجاع - بالضم والكسر - الحية العظيمة التي تثبت على الفارس والراجل وتقوم على ذنبها وربما بلغت رأس الفارس وتكون في الصحاري.

وذكر مثل هذا الطريحي في مجمع البحرين وقال: الشجاع الأقرع حية قد تمعط فروة رأسها لكترة سمها، والشجاعة شدة القلب عند البأس، وقد شجع الرجل شجاعة قوي قلبه وأستهان بالخطوب جرأة وإقداماً.

وقد تبع صاحب القاموس في قوله الشجاع الشديد القلب عند البأس ويشهد لهذا التفسير ما حملته الانباء التاريخية التي يعول عليها من آثار بعض الشجعان الذين قد شق عن قلوبهم فوجد في غاية الصلابة، فقد حمل إلينا الأثر الصحيح قصة حمزة بن عبد المطلب «سلام الله عليه» فإنه لما أُستشهاد في أحد وتشاغل عنه المسلمون لما دهمهم من الأمر المزعج بالهزيمة، عمدت هند بنت عتبة أم معاوية ابن أبي سفيان إلى بطنه فشققتها وأستخرجت قلبه وأرادت أكلها فلما لأكتها وجدتها مثل الصخرة الصماء فلفظتها من فمهما فلما وصلت إلى الأرض نزت ووثبت إلى فوق، ومن هنا قيل لهند آكلة الأكباد وسمى ابنها معاوية ابن آكلة الأكباد تعيراً له بذلك وذماً.

وهكذا نقل المؤرخون في أخبار شبيب بن يزيد الشيباني رأس الخوارج الصفرية وهو الخارج على الحجاج الثقي وصاحب الحروب المشهورة فإنه لما غرق في دجيل الأهواز شق عن بطنه وأستخرج قلبه فكان إذا ضرب به الأرض نزا إلى فوق وثبت قدر قامة.

وعلى تفسير الدميري فهو غير العreibid بل أعظم منه وخاص بالفلوات لا يكون في غيرها.

معنى الشجاعة وحقيقة عقلاء

قال الشريف الجرجاني في التعريفات^(١): الشجاعة هيئه حاملة للقوة الغضبية بين التهور والجهن بها يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها كالقتال مع الكفار مالم يزيدوا على ضعف المسلمين.

وقال أحمد بن أبي الربيع في سلوك المالك^(١): الشجاعة وهي علة الإقدام وأن لا ينهم عن الشدائـد والمخاوف وقوامها في القوة الغضـبية.

وقال^(٢): القوة الغضـبية وهي الحـيوانية السـبعـية ومسـكنـها القـلب ويـشارـكـ الإنسانـ بهاـ الحـيـوانـ وأـحدـ قـواـهاـ حـبـ الـغـلـبةـ وـالـرـياـسـةـ وـبـهاـ يـدـفـعـ مـاـ لـاـ يـوـافـقـ بـدـنـهـ وـنـفـسـهـ فـإـنـ أـعـتـدـلـتـ فـصـاحـبـهاـ يـوـصـفـ بـالـشـجـاعـةـ وـالـفـروـسـيـةـ وـقـوـةـ الـقـلـبـ وـإـنـ خـرـجـتـ عـنـهـ،ـ فـإـمـاـ إـلـىـ الـزـيـادـةـ فـإـنـهـ يـوـصـفـ بـالـتـهـورـ وـكـثـرـةـ الـغـضـبـ أوـ الـنـقصـانـ فـإـنـهـ يـوـصـفـ بـالـعـجـبـ وـضـعـفـ الـقـلـبـ.

وقال ابن مسکویہ الخازن فی تهذیب الأخلاق بعد کلام: ثم إن صاحب الجود والشجاعة إذا عم غيره بفضلـهـ وـتـعـدـيـاهـ رـجـيـاـ بأـحـدـهـماـ وـأـحـتـشـمـ،ـ وهـبـ بالـأـخـرـىـ وـذـلـكـ فـيـ الدـنـيـاـ فـقـطـ لـأـنـهـماـ فـضـيـلـاتـانـ حـيـوـانـيـتـاـنـ،ـ ثـمـ قـالـ:ـ أـمـاـ الشـجـاعـةـ فـهـيـ فـضـيـلـةـ النـفـسـ الـغـضـبـيـةـ وـتـظـهـرـ فـيـ إـلـيـانـ بـحـسـبـ أـنـقـيـادـهـاـ لـلـنـفـسـ النـاطـقـةـ الـمـمـيـزةـ وـأـسـتـعـمـالـ ماـ يـوـجـبـهـ الرـأـيـ فـيـ الـأـمـوـرـ الـهـائـلـةـ أـعـنـيـ أـنـ لـاـ يـخـافـ مـنـ الـأـمـوـرـ الـمـفـزـعـةـ إـذـ كـانـ فـعـلـهـاـ جـمـيـلاـ وـالـصـبـرـ عـلـيـهـاـ مـحـمـودـ إـلـخـ.

أما العرب فلا تستطيع أن تعرف الشجاعة بأكثر من أنها غريزة من غرائز النفس وطبيعة من طبائعها، أخبر المؤرخون في غزوة الخندق ويوم الأحزاب أن عمرو ابن ود العامری قائد جيش الأحزاب لما أقتحم الخندق على أصحاب رسول الله ﷺ وطلب المبارزة منهم وجبوا عن لقائه قال يسمعهم:

ولقد بحـثـتـ مـنـ النـداءـ بـجـمـعـكـمـ هـلـ مـنـ مـبـارـزـ وـوـقـفـتـ إـذـ جـبـنـ الشـجـاعـ مـوـاقـفـ الـقـرـنـ الـمـنـاجـزـ إـنـ الشـجـاعـةـ فـيـ الـفـتـىـ وـالـجـوـدـ مـنـ خـيـرـ الـغـرـائـزـ فـأـجـابـهـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ مـبـارـزـةـ وـإـنـشـادـاـ:

لـأـتـعـجـلـنـ فـقـدـ أـتـاكـ مـجـبـ صـوتـكـ غـيرـ عـاجـزـ ذـوـ نـيـةـ وـبـصـيـرـةـ وـالـصـدـقـ مـنـجـيـ كـلـ فـائـزـ إـنـسـيـ كـذـلـكـ لـمـ أـزـلـ مـتـسـرـعـاـ نـحـوـ الـهـزاـهـزـ

الـصـفـاتـ الـمـنـدـرـجـةـ تـحـتـ الشـجـاعـةـ،ـ

حيـثـ أـنـ حـقـيـقـةـ الشـجـاعـةـ صـبـرـ وـثـبـاتـ وـحـمـلـ النـفـسـ عـلـىـ مـكـروـهـ وـمـقـوتـ

(١) سلوك المالك في تدبير الممالك: ص ١٨.

(٢) نفس المصدر: ص ٢٠.

لأنها بالطبع تحب البقاء وتكره الفناء ومن لوازمهما الجبلية الفطرية التعااظم والبذخ لأن من خاض الأهوال ولم يبالي بالمعاطب يستشعر في نفسه عظمة ويعتريه تباذخ وشموخ وحيث أن للنفس الإنسانية حاكمية على الشجاعة فوجب أن تفهر تلك النخوة الغضبية وتكسر تلك السورة الشيطانية وقمعها وكسرها بما يسمى عند العقلاء حلماً وعند المتشرعين عفوأً فاندرجت تحت الشجاعة أمور هي كما نص عليها ابن مسكونية في تهذيب الأخلاق^(١) ولفظه: الفضائل التي تحت الشجاعة: كبر النفس، النجدة، عظم الهمة، الثبات، الصبر، الحلم، عدم الطيش، الشهامة، أحتمال الكدة، والفرق بين هذا الصبر والصبر الذي في العفة أن هذا يكون في الأمور الهائلة وذلك يكون في الشهوات الهائجة.

أما كبر النفس فهو الاستهانة باليسير والأقتدار على حمل الكرامة فصاحبها أبداً يؤهل نفسه للأمور العظام مع استخافه لها.

وأما النجدة فهي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع.

وأما عظم الهمة فهي فضيلة للنفس تحتمل بها سعادة الجد وضدها من الشدائيد التي تكون عند الموت.

وأما الثبات فهو فضيلة للنفس تقوى بها على أحتمال الآلام ومقاومة الأهوال خاصة.

واما الحلم فهو فضيلة للنفس تكبر بها الطمأنينة فلا تكون شغبة ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة.

واما السكون الذي يعني به عدم الطيش فهو إما عند الخصومات وإما في الحروب التي يذب بها عن الحرير أو عن الشريعة وهي قوة للنفس تقرر حركتها في هذه الأحوال لشدتها.

واما الشهامة فهي الحرص على الأعمال العظام توقفاً للأحداث الجميلة.

واما أحتمال الكدة فهو قوة للنفس تستعمل آلات البدن في الأمور إلخ.

الشجاعة بالتمرين والممارسة:

لم نجد في سير الشجعان منذ القديم إلى اليوم من حاز صفات الكمال في الشجاعة وأنتفت عنه رذائلها أجمع إلا نبينا محمد ﷺ وأهل بيته الكرام حسب المعروف من سيرهم في حروبهم الدينية وهو مشروح على تفاصيل تاريخية مذكورة

(١) تهذيب الأخلاق بهامش المبدأ والمعاد: ص ٣٨١.

في محلها وقد أخبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» في خطبته عن أن الشجاعة بالممارسة والتمرين في بعض خطبه وكان يصحب أولاده معه يشهدهم الحرب وكل ذلك مشهور.

الشـجـاعة بين نقـيـضـين ذـمـيـمـين:

قد حررنا في العدالة في كتابنا «السياسة العلوية» أنها معتبرة في جميع الأشياء عند عامة العقلاة من الفلاسفة وغيرهم فإن تجاوز الحد في الإفراط والتفريط مذموم ولذا قالت العرب في أمثالها: كل شيء تجاوز حده أنعكس إلى ضده، وقال شاعرهم:

كلا طرفي قصد الأمور ذميم

فالإفراط في التأخر مذموم لأنـه جـبنـ، والإفراط في التقدم أيضـاً مذموم لأنـه تـهـورـ يـجـرـ إلى العـطـبـ؛ فالـتـهـورـ والـجـبـنـ مـذـمـوـمـانـ لأنـهـما خـارـجـانـ عنـ حدـ الـاعـتـدـالـ وقد سمعت كلامـ أـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ الرـبـيعـ ومـثـلـهـ كـلـامـ اـبـنـ مـسـكـوـيـةـ فيـ تـهـذـيبـ الـأـخـلـاقـ^(١).

التفـرقـة بين التشـجـع والـشـجـاعة

هذه التـفـرقـةـ غـامـضـةـ جـداـ نـظـرـاـ إـلـىـ المـظـاهـرـ الـحـربـيـةـ وـالـمـخـاطـرـاتـ بـالـنـفـوسـ لأـجـلـ الـغـايـاتـ الـمـتـشـعـبـةـ وـالـمـقـاصـدـ الـمـتـنـوـعـةـ عـلـىـ الـأـخـصـ إذاـ قـلـنـاـ أـنـ الشـجـاعةـ منـ الـمـلـكـاتـ الـمـكـتبـةـ بـالـمـارـسـةـ وـالـتـمـرـينـ وـإـنـهـاـ كـسـائـرـ الـهـيـنـاتـ النـفـسـيـةـ فـيـشـتـبـهـ عـلـيـنـاـ مـعـرـفـةـ الـشـجـاعـ منـ الـمـتـشـجـعـ حـقـيقـةـ وـلـعـلـ التـفـرقـةـ سـتـظـهـرـ مـتـجـلـيـةـ إـذـ خـلـيـ المـقـامـ عنـ الـأـغـرـاضـ وـبـعـدـ الـغـايـاتـ بـحـيـثـ لـاـ تـنـالـ تـبـيـنـ الـشـجـاعـ منـ الـمـتـشـجـعـ عـلـىـ حدـ ماـ قـيـلـ:

إـذـ اـشـتـبـكـتـ دـمـوعـ فـيـ خـلـودـ تـبـيـنـ مـنـ بـكـىـ مـمـنـ تـبـاكـىـ
فـالـشـجـاعـ يـقـدـمـ بـطـبـعـهـ وـجـبـلـتـهـ التـيـ فـطـرـ عـلـيـهـ مـنـ الـإـقـدـامـ أـنـفـةـ مـنـ التـأـخـرـ
وـالـإـحـجـامـ وـإـنـ لـمـ تـكـنـ هـنـاكـ غـاـيـةـ مـقـصـودـةـ، فـقـدـ ذـكـرـ الـمـؤـرـخـونـ أـنـ عـمـيرـ بـنـ
الـحـبـابـ السـلـمـيـ فـارـسـ مـضـرـ بـلـ فـارـسـ الـعـربـ فـيـ عـصـرـهـ، كـانـ فـيـ جـيـشـ عـبـيدـ اللهـ
ابـنـ زـيـادـ لـمـ أـلـقـىـ مـعـ إـبـراهـيمـ بـنـ الـأـشـتـرـ، وـكـانـ عـمـيرـ يـبغـضـ آلـ مـرـوانـ بـسـبـبـ وـاقـعـةـ
مـرجـ رـاهـطـ وـأـنـهـ يـتـذـكـرـ مـصـارـعـ قـومـهـ فـيـهـ وـكـانـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ اـبـنـ الـأـشـتـرـ مـوـدةـ فـأـنـسـلـ إـلـيـهـ
فـيـ اللـيـلـ وـأـوـعـدـهـ أـنـ يـنـهـزـمـ أـوـلـ النـاسـ لـيـكـسـرـ جـيـشـ اـبـنـ زـيـادـ، فـلـمـاـ نـشـتـبـتـ الـحـربـ

(١) تـهـذـيبـ الـأـخـلـاقـ: صـ ٣٨٤ـ.

أنف من الفرار وثبت في مركزه فلم يتزحزح حتى جعل الله النصر لابن الأثغر
وقتل ابن زياد وتحطم جيشه وفضن الله ذلك الجمع بأسره هذه شيمة الشجاع.

أما المتشجع فإنه يجبن عند فقد الأغراض والغايات فإنه أقدم حيث أقدم
مكرهاً لنفسه حاملاً لها على ضد إرادتها و اختيارها نظراً منه لمقصوده وطمعاً بنيل
غرضه وطلباً لما يظنه متوقفاً على الإقدام، وتظهر التفرقة أيضاً في محل آخر وهو
إذا تابعت الأخطار واتصلت الأهوال فإن المتشجع لا يقوى على إكراه نفسه كل
وقت ولا يستطيع إيقافها كل حين فيفتضح، وأوردنا في كتابنا «السياسة العلوية» في
فصل الجبن ما يناسب هذا المقام.

والشجاع كلما تابعت عليه الأخطار والشدائد وأشتدت الأهوال والغمرات
أطاعتني نفسه في الثبات والصبر وقد قال شاعر الأنصار عمرو بن الأطنابة في
الجاهلية:

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمي أو تستريح
وقال رأس الأزارقة من الخوارج قطري بن الفجاءة المازني:
أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأهوال ويحك لا تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لن تطاعي
وقد أبدع هذا المارق في تسليه نفسه على الحياة وتأنيبها في إرادة الفرار
بالأجل الطبيعي حيث أن قصدها هو البقاء الذي لا يحصل لها وليس لها زيادة يوم
واحد على أجلها المقدر لها فضلاً عن بقاءها الأبدي، وفي الشعر المنسوب لأمير
المؤمنين علي «عليه السلام»:

أي يوميك من الموت تفر يوم لا يقدر أئم يوم قدر
يوم لا يقدر لا تحذر ومن المقدر لا ينجو الحذر
وقد قال شاعر الصحابة ثالث أمراء النبي ﷺ يوم مؤتة عبد الله بن رواحة
الأنصاري يوبخ نفسه وقد تريشت عن الإقدام وقد قتل أصحابه جعفر الطيار وزيد
بن حارثة:

يا نفس إن لم تقتلني تموتي

ثم تقدم فقاتل حتى قُتل، وما قاله صحيح فإن الذي لا يقتل حميداً سيموت
ذمياً، و اختيار القتل عند العظماء وأهل الأقدار العظيمة والأخطار من الكباء
أحسن وأجمل من الموت على الفراش، وقد قال مولانا أمير المؤمنين علي «عليه

السلام» - وهو سيد الشجعان وأمير الفرسان -: لألف ضربة بالسيف في سبيل الله
أهون علىي من موتة على فراش، وقال شاعر العرب الطرماح بن حكيم الطائي:
أعوذ بربِّي أن تكون منيتي على شرجع يعلى بخضر المطارات
وقال آخر من شعراء العراق يذكر موت أربد الفزارى الذى رد على أمير
المؤمنين «عليه السلام» كلامه فقال الأشتر: من لهذا أيها الناس؟ ففر أربد وتبعته
همدان وغيرها فقتلوه ضرباً بتعالهم في سوق البراذين:
أعوذ بربِّي أن تكون منيتي كمامات في سوق البراذين أربد
تعاونه همدان خفق نعالهم إذا رفعت عنه يد وضعفت يد
وقد استبان حال الشجاع من المتشجع فإن نفس الشجاع إذا كرهت الإقدام
قهرها والمتشجع تقهّرها.

قال ابن مسکویه الخازن في تهذیب الأخلاق^(١): حال من يعمل أعمال الشجعان وليس بشجاع وذلك أن من باشر الحروب وأقدم على ركوب الأهوال بعض ما يوصل إليه المال أو لبعض الرغبات التي لا تحد كثرة فإن مثل هذا يعمل عمل الشجعان ولكن يعمله بطبيعة الشره لا بطبيعة الفضيلة التي تدعى شجاعة وذلك أنه يخاطر بنفسه الشرفة ويصبر على المكاره العظيمة طمعاً في المال وما يوصل إليه بالمال وقد رأيت أهل الشقاوة يعملون عمل الأعفاء وعمل الشجعان وهم أبعد الناس عن كل فضيلة وذلك أنهم يصبرون عن الشهوات كلها ويصبرون على عقوبات السلطان وضرب السياط وقطع الأعضاء والجراحات التي للرؤوس منها وينتهون فيه إلى أقصى الصبر حتى للطلب وسمل العيون وقطع الأوصال وضروب التمثيل طلباً للاسم وذكراً بين قوم في مثل حالهم من سوء الاختيار ونقصان الفضائل وقد ي العمل عمل الشجعان من يخاف لأئمة عشيرته أو عقوبة سلطان أو سقوط جاه وما أشبه ذلك، وقد ي العمل عمل الشجعان من أتفق له أن يغلب أقرانه مراراً كثيرة فهو يقدم ثقة منه بالعادة الجارية وجهلاً بمواعي الاتفاقيات وقد ي العمل عمل الشجعان العشاق وذلك أنهم يركبون الأهوال في طلب المعشوق لرغبتهم في الفجور وحرصهم على متعة العين منه لا طلباً للفضيلة ولا اختيار الموت الجميل على الحياة الرذيلة كما يفعل الشجاع بالحقيقة.

وإن شجاعة الأسد والفيل وأشباههما من الحيوان فإنها تشه الشجاعة

(١) تهذيب الأخلاق: ص ٤٣١.

وليست بشجاعة حقيقة وذلك أنها قد وثبتت بقوتها وأنها تفوق غيرها فهي تقدم لا بطبيعة الشجاعة بل ل تمام القدرة وثقة النفس بالغلبة وما كان منها سبعاً فهو مع هذه الحال مزاح العلة في السلاح الذي عنده فهو كصاحب السلاح إذا أقدم على الأعزل وليس بهذه شجاعة مع عدم الاختيار الذي استعمله الشجاع وذلك أن الشجاع خوفه من الأسر أشد من خوفه من الموت لذلك يختار الموت الجميل على الحياة القبيحة على أن لذة الشجاع ليست تكون في مبادي أمره فإن مبادي الأمور تكون مؤذية لكنها تكون في عواقب الأمور وتكون أيضاً باقية مدة عمره وبعد عمره لا سيما إذا حامي عن دينه وعن اعتقاداته الصحيحة ووحدانية الله عز وجل الشريفة التي هي سياسة الله وسنته العادلة التي بها مصالح العباد في الأولى والآخرة، فإن مثل هذا إذا فكر في قصر عمره وعلم أنه لا محالة سيموت بعد أيام ثم كان محباً للجميل ثابتاً على الرأي الصحيح فهو لا محالة يحمي عن دينه ويمنع العدو من استباحة حريمه والتغلب على مدینته وأنف من الفرار ويعلم أن الجبان إذا اختار الفرار فإنما يستبقي شيئاً هو لا محالة فإنه زائل وإن تأخر أياماً معدودة ثم هو في هذه الحياة البسيطة ممقوت مكدر الحياة بالذل وضروب الصغار، وهذه حال الشجاع مع قوة نفسه يعني مفارقة شهواته وأستسلامه فإن حالته تلك الحالة الأولى بعينها.

ومن جميع كلام الإمام «صلوات الله عليه» مع صدوره عن حقيقة الشجاعة إذا قال لأصحابه: أيها الناس! إن لم تُقتلوا تموتوا والذي نفس ابن أبي طالب بيده ألف ضربة بالسيف على الرأس أهون من ميتة على فراش ، تبين له أن جميع ما أحصيناه للإنسان ليس بمصدر دين وإن كان يشبهه في الصورة وذلك أنه ليس كل من يقدم على الأهوال فهو شجاع ولا كل من يخاف من الفضائح فهو شجاع وذلك أن من لا يفزع من ذهاب شرفه وفضيحة حرمه أو عند حدوث الرجفان والزلزال والصواعق والزمانات والأمراض أو عدم الأعوان والأصدقاء أو عند أضطراب البحر وهو الأمواج وهواء هائج فهو بأن يوصف بالجنون أولى من أن يوصف بالشجاعة، وكذلك من خاطر بنفسه في وقت الأمن والطمأنينة بأن يثبت من سطح عال أو يصعد مرتفعاً صعباً أو يحمل نفسه على خوض ماء غزير وهو لا يحسن السباحة أو يشاور جملأ هائجاً أو ثوراً صعباً أو فرساً لم يرض من غير ضرورة تدعوه إلى ذلك بل مراده الشجاعة وإظهار مرتبة الشجعان فهو بأن يسمى مطرداً مائقاً أولى منه بأن يسمى شجاعاً.

وأما من خنق نفسه خوفاً من الفقر أو الذل فأهلكها بالسم أو شبهه من باب الضيم فهو بأن يوصف بالجبن أولى منه بأن يوصف بالشجاعة وذلك أن الإقدام وقع منه بطبيعة الجبن لا بطبيعة الشجاعة فإن الشجاع يصير على ما يرد عليه من الشدائـد صبراً جميلاً ويعمل أعمالاً تليق بتلك الحالة ولذا يجب أن يعظم الشجاع ويشع بنفسه وحقيقة على السلطان خاصة والقيم بأمر الدين والملك أن ينافس فيه ويجل قدره ويعلي خطره ويميزه من سائر من يشتـبه به ممن ذكرنا.

وقد تبين من جميع ذلك أن الشجاع هو الذي يستهين بالشدائـد في الأمور الجميلة ويصبر على الأمور الهائلة ويستخف بما يستعظمه عوام الناس حتى الموت بالاختيار والأمر الأفضل ولا يحزن على ما لا درك فيه ولا يضطرب عندما يفـدحـه من المصائب ويكون غضـبه إذا غضـبـ بمقدار ما يجب وفي الوقت الذي يجب وكذلك يكون أنتقامـه على هذه الشرائـط فإنـ الحـكمـاء قالـوا: (إنـ منـ لاـ يـنتـقمـ يـلـحقـ قـلـبهـ ذـبـولـ)، فإذا انتقامـ عـادـ إلىـ حـالـتـهـ منـ النـشـاطـ وهذاـ الـانتـقامـ إذاـ كانـ بـحـسبـ الشـجـاعـةـ كانـ مـحـمـودـاـ وإذاـ لمـ يـكـنـ كـذـلـكـ كانـ مـذـمـومـاـ فقدـ نـقـلـ إـلـيـنـاـ فـيـ الـأـخـبـارـ المـأـثـورـةـ عـمـنـ أـقـدـمـ عـلـىـ سـلـطـانـ قـوـيـ وـرـامـ أـنـ يـنـتـقـمـ مـنـ فـيـهـلـكـ نـفـسـهـ مـنـ غـيرـ أـنـ يـضـرـ سـلـطـانـهـ روـاـيـاتـ كـثـيرـةـ وكـذـلـكـ حـالـ مـنـ أـقـدـمـ عـلـىـ قـرـنـ قـوـيـ أـوـ خـصـمـ أـلـدـ لـاـ يـسـتـطـعـ مـقاـوـمـتـهـ فـإـنـ الـانتـقامـ مـنـ يـعـودـ وـبـالـأـ عـلـيـهـ وـزـيـادـةـ فـيـ الذـلـ فـإـذـنـ لـيـسـتـ تـمـ شـرـائـطـ الشـجـاعـةـ وـالـعـفـةـ إـلـاـ لـلـحـكـيمـ الـذـيـ يـسـتـعـمـلـ كـلـ شـيـءـ فـيـ مـوـضـعـهـ الـخـاصـ بـهـ وـيـقـدـرـ أـقـسـاطـ الـعـقـلـ لـهـ فـكـلـ شـجـاعـ عـفـيفـ حـكـيمـ وـكـلـ حـكـيمـ شـجـاعـ عـفـيفـ، إـنـتـهـيـ كـلـامـهـ (رحمـهـ اللهـ).

نقد كلام ابن مسكونيه

في كلام هذا الفيلسوف مجال للنظر واسع النطاق لأنـهـ علىـ قولهـ يـنـبـغـيـ أنـ لاـ يـكـونـ مـنـ طـبـعـهـ الـجـرـأـةـ وـالـإـقـدـامـ شـجـاعـاـ حـتـىـ تـحـصـلـ لـهـ مـلـكـةـ التـمـيـزـ كـالـسـبـاعـ وـأنـ يـكـونـ عـلـىـ ثـقـةـ مـنـ الـانتـصـارـ وـالـغـلـبةـ وـعـلـىـ يـقـيـنـ مـنـ الـمـنـعـةـ وـهـوـ مـخـالـفـ لـمـاـ عـلـيـهـ الـعـقـلـ وـفـيـ خـرـقـ لـلـرـأـيـ الـعـامـ مـنـ عـدـةـ وـجـوهـ:ـ مـنـ حـيـثـ أـنـفـاقـهـمـ عـلـىـ شـجـاعـةـ الـأـسـدـ وـقـدـ وـصـفـوـهـ بـالـشـجـاعـةـ كـقـوـلـ بـعـضـهـمـ فـيـ مـمـدوـحـهـ:

وـكـذـاكـ مـجـرـأـةـ بـنـ ثـورـ كـانـ أـشـجـعـ مـنـ أـسـامـهـ
وـهـوـ كـثـيرـ فـيـ شـعـرـ الـعـربـ.

وـمـنـ حـيـثـ أـنـهـ صـرـحـواـ بـأـنـ الشـجـاعـةـ مـنـ الـغـرـائـزـ الـنـفـسـيـةـ فـيـ الـحـيـوانـ وـمـنـ

الطبائع المرتكزة في أصل خلقة الإنسان وقد تقدم قول عمرو بن عبد ود العامري فارس قريش الذي قتله أمير المؤمنين «عليه السلام» يوم الخندق.

وذكر المبرد في الكامل في أخبار الأزارقة ما لفظه^(١): قال مصعب للمهلب: أشر عليّ برجل أجعله بيني وبين عبد الملك، قال: أذكر لك واحداً من ثلاثة: محمد بن عمير بن عطارد الدارمي، أو زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي أو داود ابن قحذم، قال: أو تكفيوني؟ قال: أكفيك إن شاء الله، فولاه الموصل فشخص إليها المهلب وصار مصعب إلى البصرة فقال: من يكفيوني أمر الخوارج ويُفَدِّ إلى أخيه؟ فأختلف الناس، فقال قوم: ول عبيد الله بن أبي بكرة، وقال قوم: ول عمر بن عبيد الله بن معمر، وقال قوم ليس لهم إلا المهلب فأرددوه إليهم، وبلغت المشورة الخوارج فإذا رأوا الأمر بينهم فقال قطري بن الفجاء المازني: إن جاءكم عبيد الله بن أبي بكرة أتاكم سيد سمع جواد كريم مضيق لعسركه، وإن أتاكم عمر بن عبيد الله أتاكم شجاع بطل فارس جاد يقاتل لدينه وملكه وبطبيعة لم أر مثلها لأحد قد شهدته في وقائع مما نوادي في القوم الحرب إلا كان أول فارس يطلع حتى يشد على قرنه فيضربه، وإن رجع المهلب فهو من قد عرفتموه إنأخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر يمدده إذا أرسلتموه ويرسله إذا مددتموه ولا يبدءكم إلا أن تبدؤوه إلى أن يرفضه فینتهزها فهو الليث المبیر والشعلب الرواغ والبلاء المقيم، فولي عليهم عمر بن عبيد الله الخ وهو كثير وفي استيفائه شذوذ عن المقصود.

ومن حيث أن الغضب بزعمه ينفي حقيقة الشجاعة وهذا بدائي البطلان للاتفاق على أن حمزة بن عبد المطلب كان من أشجع العرب وكان لا يصر ما بين يديه إذا غضب في الحروب ولهذا السبب اختار وحشى قتله يوم أحد دون النبي ﷺ ودون علي «عليه السلام».

ومن حيث زعمه أن الواثق بالغلبة والقدرة لا يسمى شجاعاً وبهذه العلة نفي شجاعة الأسد والفيل وهذا في غاية السقوط للقطع بأن رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين «عليه السلام» أشجع الخلق وهمما واثقان من أنفسهما بالغلبة لكل مبارز والمنعنة من كل قرن وكيف لا يكون واثقاً بالغلبة من يعلم أنه كيف يموت، قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيْتٌ وَلَهُمْ مَيْتُونَ﴾^(٢)، وقال له: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣).

(١) الكامل للمبرد: ٣٠ الزمر:

(٢) ١٨٥/٣.

(٣) المائدة: ٦٧.

وأما أمير المؤمنين «عليه السلام» فقد أخبره النبي ﷺ بكيفية قتله، ذكر ابن الأثير في أسد الغابة وابن عبد البر في الاستيعاب والعسقلاني في الإصابة والمحب الطبرى في الرياض النضرة وذخائر العقبى^(١) وغيرهم ولفظه^(٢): عن فضالة بن أبي فضالة قال: خرجت مع أبي إلى ينبع عائداً لعلّي «عليه السلام» وكان مريضاً فقال له أبي: ما يسكنك بمثل هذا المنزل لو هلكت لم يلوك إلا الأعراب أعراب جهينة فأحتمل إلى المدينة فإن أصابك بها قدر وليك أصحابك وصلوا عليك وكان أبو فضالة من أهل بدر، فقال له «عليه السلام»: لست بميت من وجهي هذا إن رسول الله ﷺ عهد إلى أن لا أموت حتى أضرب ثم تخضب هذه - يعني لحيته - من هذه - يعني هامته - فقتل أبو فضالة معه بصفين؛ خرجه ابن الصحاك، إنتهى.

وهذا الحديث مع الأحاديث الواردة أن قاتله أشقي الآخرين وهو ابن ملجم المرادي «لعنه الله» يحصل القطع بأنه واثق بالمنعه والغلبة وهو أشجع الشجعان وقد قال في صفين لابنه محمد وقد أراد مبارزة عبيد الله بن عمر: إنك ترجو أن تقتله ولا آمن أن يقتلك وأما أنا لو بارزته لقتلته.

ومن حيث زعمه أن من ثبت حمية وأنفة وقاتل تعصباً أو بقصد السلب والنهب لا تدينأ واعتقاداً لا يعد شجاعاً وهذا أيضاً يخالف مذهب العقلاء قاطبة فقد ثبت عندهم شجاعة قوم كثيرين ليسوا بأصحاب دين وأعتقد مثل فرسان العرب في الجاهلية وقاد الأمم الفاتحين وقد قاتل مع النبي ﷺ جماعة من الشجعان مقاتلة الاستماتة وهم مع ذلك منافقون مثل ق Zimmerman الظفرى من الأوس قاتل يوم أحد وقتل عدة من فرسان قریس وكان شجاعاً مشهوراً وكانت له نكایة في أعداء النبي ﷺ من المشركين وأصابته جراحات شديدة قتاله، فقيل له: أبشر يا ق Zimmerman بالجنة، فقال: أجنة من حرمل والله ما قاتلنا إلا على الأحساب ثم ضرب نفسه بمشقص كان في يده فقتلها، فقال رسول الله ﷺ: إن الله يؤيد دينه بالرجل المنافق، هكذا أوردها علماء السيرة وفي الإكثار من هذا تطويل.

ثمرة الشجاعة وفوائدها

هي نوعان: دينية ودنيوية، ولكل واحدة منها ثمرة وفائدة.

(١) هؤلاء من علماء السنة الشافعية إلا ابن عبد البر فإنه مالكي.

(٢) الرياض النضرة ٢٢٣/٢.

فالدينية ثمرتها إشادة الدين وإظهار الحق ونشر العدل وإبطال الجور والأظاليل التي تتتجها بدع المجرمين.

وأما الدنيوية ففائتها حفظ شؤونه وبلغ غاياته ونيل مقاصده وبهما معاً حميته الشرف والجاه وصيانة العرض.

مظاهر الشجاعة وأسبابها المهيجة لها والمثيرة لعواطف الفرسان:

أما مظاهرها فكثيرة، أشهرها الثبات عند انفضاض الجمع وتقوض الصفة هزيمة وهرباً، والإقدام عند إحجام الباقيين والإسراع إلى إجابة الداعي للمصاولة وتلبية طالب النزال والمبرزة.

قال الأ بشيبي في المستطرف^(١): والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه:
الأول: إذا التقى الصفان وتزاحف العسكران وتکالحت الأحداق بالأحداق
برز من الصفة إلى وسط المعركة يحمل ويكر وينادي هل من مبارز.

والثاني: إذا شب القوم وأختلطوا ولم يدرى أحدهم من أين يأتيه الموت يكون رابط الجاش ساكن القلب حاضر اللب لم يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلب الملك لأموره القائم على نفسه.

الثالث: إذا أنهزم أصحابه يلزم الساقية ويضرب في وجوه القوم يحول بينهم وبين عدوهم يقوى قلوب أصحابه ويرجي الضعف ويمدهم بالكلام الجميل ويشع نفوسهم فمن وقع أقامه، ومن وقف حمله، ومن كبا فرسه حماه حتى يأس العدو منهم وهذا أحدهم شجاعة، إنتهى كلامه.

بل هذا مفقود إلا أن يكون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» فإن أبو الحسن جمع هذه المزايا الثلاثة:

أما في اللقاء الجماعي فقد شهدت به بدر وغيرها من غزوات رسول الله ﷺ فإنه يتقدم الصفة ويجيب الداعي، فقد أباد قريشاً وأفني جماعتها يوم بدر وقتل أبطالها مثل الوليد بن عتبة وحنظلة بن أبي سفيان والعاص بن سعيد وطعيمة ابن عدي ونوفل بن خويلد وهو ابن العدوية وهو من شياطين قريش وجبابرتها، وهو الذي قرن بين أبي بكر بن أبي قحافة وابن عميه طلحة بن عبيد الله بحبيل شدهما فيه معاً وسحبهما ولذلك سمي بالقرئيين وغير هؤلاء من الأبطال سل عنهم التاريخ.

وقتل يوم أحد أصحاب اللواء وهم ثلاثة عشر من آل عبد الدار فيهم كيش

الكتيبة، وقتل غيرهم من قريش، وقتل عمرو بن عبد ود العامري بطل الأحزاب وفارس قريش وهو فارس يليل حمى أصحابه من ألف فارس منبني بكر، وقتل مرحباً بطل اليهود وأبا جرول فارس هوازن يوم حنين كل ذلك مبارزة.

أما المقام الثاني فشهادته كثيرة؛ طلب «عليه السلام» يوم البصرة شرابة فجاءه بعض ولد أخيه جعفر الطيار بعسل فذاقه فقال: إن عسلك هذا طائفي، فقال: العجب منك يا عم في مثل هذا اليوم تعرف الطائفي من غيره، فقال: يا ابن أخي! ما ملأ صدر عمك من هذا الجمع شيء، وقد ورد أنه «عليه السلام» إذا أشتد القتال ينام، فقد ذكروا أن أصحابه يوم البصرة جاؤه بأحد أولاد بديل بن ورقاء الخزاعي قتيلاً فوجده يخنق نعاساً، ووُجد في بعض أيام صفين يصلّي وسط المعركة، وذكروا أنه لما انهزمت ميمنته يوم صفين وأنهزم القلب أيضاً ثبتت المسيرة مشى إليها على تؤدة يستثبتهم ومعه أولاده وبعض أصحابه والشهداء كأنها رش المطر عليهم، فقال له قائل: يا أمير المؤمنين! لو أسرعت في مشيتك حتى تصل إلى من ثبت من أصحابك، فقال: لعلي يوم لن يعوده، وأمثال هذه الأمور مشهورة.

أما المقام الثالث فشاهده يوم أحد وحنين فر الناس عن رسول الله ﷺ ثبت يوم أحد يكافح الأعداء من الجهتين يحميهم من الطلب ويحميهم عن رسول الله ﷺ وإن بعض المنهزمين وصل هزيمته إلى المدينة وبعضهم ذهب على وجهه وهو عثمان بن عفان كما نص عليه الحلباني الشافعي وغيره أنه جاء بعد اليوم الثالث من الواقعة فقال له النبي ﷺ: ذهبت فيها عريضة، وعيره ابن عوف بذلك كما رواه البخاري، وغيره، وتسلق أبو بكر وعمر وأخرون الجبل فأuctصموا به، ويوم حنين انهزم ذلك الجيش الضخم ولم يثبت إلا تسعه نفر كلهم منبني هاشم وتأسفهم من الأنصار فقتل الأنصاري وحف السبعة بالنبي ﷺ وأمير المؤمنين «عليه السلام» يحميهم جميعاً بسيفه يجالد الأعداء فرد هوازن على أعقابهم حتى تراجع المنهزمون من المسلمين.

الأسباب والدواعي للشجاعة

والمحاجة لثبات الشجاع حتى يقتل أو يظفر كثيرة أظهرها نصرة الدين وحمية النفس تفادياً من المذلة وأنفة من عار الفرار وخوفاً من وصمة الجبن وترفعاً عن هوان الأسر؛ فالحياء من الناس والخوف من الله تعالى لما وعد المنهزم الفار من

الزحف من العذاب الخالد أوجبا للشجاع الثبات في الحroma والصبر في هول المعرك وخوض الغمرات الطامية في المعارك الطاحنة.

قال الراغب الأصبهاني في المحاضرات^(١): الأسباب المشجعة: قال الجاحظ: الأسباب المشجعة قد تكون من الغضب والشراب والهوج والغيرة والحمية وقد تكون من قوة الدفاع وحب الإقدام وربما كان طبع الرحيم والسخي والبخيل والجزوع والصبور، وربما كان للدين لكن لا بداعي الرجل للدين ما لم يشيشه بعض ما تقدم لأن الدين مجتب مكتسب ولا يكاد يصلح ما بالطبع وقيل لا يصدق القتال إلا ثلات: متدين وغيران وممتعض من ذل، إنتهى.

نقد المؤلف للجاحظ

قد خبط الجاحظ تخبط العشواء وسار سير المتعسف في مجهلة بيداء فخلط بين التشجع والشجاعة فإن صاحب الشراب والأهوج والمغضب في حال غضبه ليسوا بشجعان وإنما هم متشجعون وجعله بقية العناوين قسمة للطبع غلط محض لأن الشجاعة من الطبائع في سائر الحيوان فضلاً عن البشر، فالباري تعالى لما خلق الحيوانات أودع في طبائعها ما لو أرادت غيره لم تقدر عليه كالشجاعة في السباع وكواسر الطيور حتى قيل أن النمر إذا فاتته الفريسة قتل نفسه، والجبن في القردة والأغنام وما شاكلها، وجبن الصفرد يضرب به المثل، وكذلك الإنسان إلا أن الله تعالى أودع فيه قوة التمييز والإدراك ليتقي بها الأخطار المحيطة به، وركب فيه قوة قاهرة لسائر القوى إذا أراد استعمالها وهي قوة العقل وجعلها في الإنسان دون سائر الحيوان فلما تسلط هذه القوة القهارة على تلك الطبائع وصرفتها كيف شاءت بعد أن راضتها وساستها أكسبتها سلاسة وانقادت لها أصبحت تلك الغرائز بفضل تلك القوة تشبه الملائكة المكتسبة فلذلك تقوى بالمارسة وتضعف بضدها، وسر ذلك أنه جلّ وعلا بحكمته وعلمه بأنه سيكلف الإنسان بتتكليف يقوم بها تكون سبباً لاستحقاق الثواب والعقاب في حال الموافقة والمخالفة أودع فيه قوة تكون قاهرة لطباعه قادراً على تصريفها كيف شاء فلذلك خاطب من كلفهم بفرض الجهاد بالصبر والثبات، والحيوان لما لم يكن من الحكمة تكليفه وتوجيه الأوامر والنواهي إليه جعل في طبيعته قوة قاهرة له لم يقدر على اكتساب معاشه إلا بها ولو لا ذلك لجبن عن تحصيل قوته وهلك جوعاً.

وما قاله في الشجاعة الدينية وأن الشجاعة للدين ما لم تكن مصحوبة ببعض

الأسباب المتقدمة الخ فكلام لا حقيقة له ولا مصداق، نعم تتوقف حماية الدين وحياطة الملة في المتدين على كونه شجاعاً بالطبع، وزادت المتدين ديانته رسوخاً في الثبات فحسن العقيدة موجب له عدم الفرار عن موقف الزحف فيكون أحد الدواعي لعدم الانهزام الديانة كما يكون الداعي الآخر هو الحمية؛ فالموقف الذي توجب الحمية فيه الثبات ويحرمه الدين كما في محاربة المسلم للمسلم لا يرى المتدين ذلك الثبات فيه لازماً وتراه الحمية حتماً وإلى هذا يشير قول سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين بن علي «عليهم السلام»:

الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار
فالبصيرة في الدين والحمية في النفس كل واحد منها سبب تام على أنفراده
ومظهراً من مظاهر الشجاعة لا نظير له .

سئل بعض العرب عن سبب تفاني العرب أيام صفين بحيث كانوا لا شامي ولا عراقي يولي الدبر حتى وقع البوار وكاد يعمهم الدمار، فأجاب بما معناه أنهم التقوا وعند بعضهم بصيرة الدين وعند بعضهم حمية النفس لأنهم قريبوا عهد بالجاهلية فتفانوا لذلك .

فمحض الديانة لا يكفي ولو أنضمت إليه أكثر الأسباب التي ذكرها كالغضب الذي يطفئ جمرته الخوف والرعب، فكم من متدين لا يشك في تدينه شديد الغضب والغيظ على الكافرين قد أسلم نفسه للأسر طمعاً في الحياة ورجاء للسلامة، وأخر أشد منه بأساً ونجدة وأقوى عزماً ومضاء وأعظم شجاعة لم تخدعه بوارق الأطماع في الحياة الفانية، وحسبك شاهداً سرية الرجيع وملخصها أن الصحابة الذين بعثهم النبي ﷺ دعاة لأهل البدية إلى دين الإسلام ومبشرين به ومعلمين لأحكامه وكانوا ستة نفر يرأسهم عاصم بن أبي الأقلع الانصاري (رحمه الله) حمي الدبر فغدرت بهم هذيل وطلبوها منهم أن يستأسروا فامتنع من ذلك أربعة وأختاروا القتل على الأسر وهم عاصم زعيم السرية، ومرثد بن أبي مرثد الغنوبي حليف حمزة بن عبد المطلب، وخالد بن البكير هؤلاء الثلاثة جابهوا القوم بالامتناع من الأسر وعاصم يرتجز:

ما علتي أنا جلد نابل والقوس فيها وتر عنابل
تزل عن صفحتها المعابر الموت حق والحياة باطل
وكلما حم الإله نازل بالمرء والمرء إليه آيل
إن لم أقاتلكم فإنني هابل

وكان عاصم قتل رجلين من آل عبد الدار يوم أحد فندرت أمهما وهي سلافة امرأة من الأنصار كانت متزوجة في قريش إن ظفرت برأس عاصم أن تشرب في قحفيه الخمر، فلما قتل أرادوا أخذ رأسه لبيعه منها فإنها بذلك فيه أموالاً طائلة فحمله الله منهم بالدبر وهي الزناير فكان يسمى لذلك حمي الدبر وكان نذر الله أن لا يمس شركاً ولا يمسه شرك فوفى الله له حتى بعد موته فإنه أرسل سيلًا احتمله فالقاه في البحر، وخضع الثلاثة الباقون ورغبوا في الحياة فأستأسروا وهم عبد الله بن طارق وزيد بن الدثنة وحبيب بن عدي بليع الأرض، والثلاثة من الأنصار فلأنوا ورقوا ورغبوا في الحياة فأعطوا بأيديهم فأسروا ثم إن عبد الله بن طارق اختار سبيل أصحابه المقتولين فأجتذب يده من الوثاق وأخترط سيفه فقاتل حتى قتل، وأخذت هذيل صاحبيه زيداً وحبيباً فباعتھما بمكة من قريش فقتلواهما رشقاً بالنبال رضوان الله عليهما، ولهمما قصة مشجية وساء رسول الله ﷺ مصابهما لأنهم جعلوهما هدفاً للنبال وتركوهما من غير دفن، فأرسل عمرو بن أمية الضميري فأحتمل خشبة خبيب ولما أحس به الحرس رمى بها في بعض الشعاب فابتلت الأرض بخشبته فسمى بليع الأرض ولا يشك أحد فضلهما وصلابتھما في دينهما مع شجاعتهما فكانت موتة أصحابهما أفسر وأذكر.

نعم، الشجاع المتدين يأنف أن يعتذر مما يعتذر منه الشجاع المنافق لأنه يثق بحمد العاقبة وسعادة الأبد بنيل الجزاء المضاعف والجزاء الجزييل الذي لا يرتخيه الشجاع الفاسق لذلك يفر ويعتذر، هرب الحارث بن هشام المخزومي يوم بدر عن أخيه أبي جهل «لعنه الله» وعن عشيرته فغيرته قريش فأعتذر عن ذلك بقوله:

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى علو كرسي بأسم مزبد
وشمت ريح الموت من تلقاءهم أقتل ولا يضرر عدو مشهدي
ففرت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بإياب يوم مفسد
ولما سمع كسرى هذه الأبيات قال: قاتل الله العرب لقد حست كل شيء
حتى الفرار، وأنهزم بعض قواد عبيد الله بن زياد من الخوارج فغضب عليه فقيل
له: قد غضب عليك الأمير، فقال: يغضب وأنا حي خير من أن يرضي وأنا ميت،
وهذا الباب واسع جداً.

الشجاعة مفخرة للعرب

الشجاعة مفخرة من مفاخر العرب ورداء مجد من أردية الإسلام وقد ندب إليها الشارع المقدس وأكدها في سبيل نصرة الدين وإحياء الحق، وفي آيات

القرآن ما يغنى عن إيراد متون الأحاديث الحاضنة على الثبات والصبر في وجوه أعداء الدين والمحرضة على الإقدام والإفحام في لقاء المشركين فإنه تعالى يقول: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾^(١)، ويقول: ﴿إِذَا لَقِيْتُمْ فِتْنَةً فَاثْبِتُوْا﴾^(٢) ويقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَدْلُوْا الَّذِينَ يَلُوْنَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيْكُمْ غُلْظَةً﴾^(٣) أراد بالغلظة الشدة وقوة القلب لا شراسة الأخلاق وفضاضة الطباع لقوله تعالى في صفة المؤمنين: ﴿أَشِدَّهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَةٌ يَتَوَلَّهُمْ﴾^(٤).

ثم نهى تعالى عن الفرار بقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوْهُمْ أَذْبَارَ﴾^(٥) وَمَنْ يُولِّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقَنَالٍ أَوْ مُتَحَيْزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾^(٦). ثم إنه تعالى أخبر عن محبته لأهل الثبات على مراكزهم مصطفيين مترافقين تراصين البناء فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُوْنَ فِي سَبِيلِهِ، صَفَّا كَانُهُمْ بِئْنَ مَرْضُوشٍ﴾^(٧).

فالشجعان في الجهاد إذا لزموا مراكزهم وترافقوا تراصين البناء ولم يتركوا فرجة يقتسمها العدو أدركوا من عدوهم ما طلبوا ولم يدرك منهم عدوهم ما طلب فلذلك كان الله تعالى يحبهم، وقد أستوفينا هذا البحث في كتابنا «السياسة العلوية» في فصل الحرب والجيوش والقيادة والتنظيمات فراجعه فإنه مسهب.

ما قبل في الشجاعة والشجعان

عن محاضرات الراغب الأصفهاني^(٨): قيل: الشجاعة صبر ساعة. أحسب أن هذا القائل الذي حكم عنه الراغب أخذ كلامه هذا من قول مالك الأشتر يوم صفين لأهل العراق: أعيروني جمامحكم ساعة فقد بلغ الحق مقطعاً. قال الراغب: كتب زياد إلى ابن عباس: صفت لي الشجاعة والجبن والجود والبخل؟ فقال: الشجاع من يقاتل عمن لا يعرفه، والجبان يفر عن عرسه، والجoad يعطي من لا يلومه حقه، والبخيل يمنع من نفسه. شاعر:

يفر جبان القوم عن أُمّ نفسه ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه

(٢) الأنفال: ٤٥.

(١) آل عمران: ٢٠٠.

(٤) الفتح: ٢٩.

(٣) التوبة: ١٢٣.

(٦) الصاف: ٤.

(٥) الأنفال: ١٦.١٥.

(٧) المحاضرات ٥٧/٢.

وسئل فيلسوف عن الشجاعة فقال: جبلة نفس أية.
وقيل: الرجال ثلاثة: فارس وشجاع وبطل؛ فالفارس الذي يشد إذا شدوا، والشجاع الداعي إلى البراز والمجيب له، والبطل الحامي لظهورهم إذا أنهزوا إلخ.

وللشجاع مراتب عند العرب؛ قال الجاحظ في البيان والتبيين^(١): قال أبو عبيدة: يقال للفارس شجاع فإذا تقدم ذلك قيل بطل فإذا قدم شيئاً قيل بهمة فإذا صار للغاية قيل أليس، العجاج:

أليس عن حوبائه سخي

أشعار العرب في الشجاعة كثيرة منها قول بعضهم:

إذا استلب الخوف الرجال قلوبها صبرن على الموت النفوس الغواليا
حذار الأحاديث التي غب يومها عقدن بأعناق الرجال المخازيا

وقال أعشى بن قيس بن ثعلبة الأعشى الأكبر:

جعل الإله طعامنا في مالنا رزقاً تضمنه لنا لن ينفدا
ضمنت برزق عيالنا أرماحنا ملاً المراجل والصريح الأجردا

وقال أبو فراس الحمداني:

صبور وإن لم تبق مني بقية
وقور وأحداث الليالي تنوشني وللموت حولي جينة وذهاب

وقال السلامي:

إذا فاجئته الخيل لم ينتظر بها لحوق رجال وأجتماع مقابر
قد أنبأتنا الآثار التاريخية المعتمدة بصدور هذه الفعلة الكريمة لرجال القبيلة؛
أما الرجل فهو مسلم بن عوسرجة الأستدي الشهيد مع الحسين «عليه السلام» حسبما
ذكرنا في ترجمته من كتابنا (أعلام النهضة الحسينية) وقد قال ثابت بن ربيع:رأيته
ونحن بسلق آذربيجان قتل ستة من المشركين قبل أن تلتهم خيول المسلمين.

وأما القبيلة فهم بنو تميم فقد فعلوا ذلك يوم الكلاب الثاني وهو يوم الصفقة
وقصة هذا اليوم من أطول القصص وأفاضعها هولاً قتل فيها ملوك اليمن الأربع
وسائل قوادهم.

والشاهد من القصة برواية المبرد: قال ضمرة بن لبيد الحمامي: أُنظروا إذا سقطت النعم فإن أتكم الخيل عصباً العصبة تنتظر الأخرى حتى تلحق بها فإن أمر القوم هين، وإن لحق بكم القوم ولم ينتظروا بعضهم بعضاً حتى يردوا وجوه النعم فإن أمرهم شديد وتقدمت سعد والرباب في أوائل الخيل وألتقاوا بالقوم فلم يلتفتوا إليهم وأستقبلوا النعم ولم ينتظروا بعضهم بعضاً ورئيس الرباب النعمان بن الحسحاس ورئيسبني سعد قيس بن عاصم، وأجمع العلماء أن قيس بن عاصم رئيسبني تميم إلى آخر القصة^(١).

غايات الشجعان ومقاصدهم

وقد استبيان لك مع جميع ما ذكرنا أن لكل شجاع غاية ينحوها وهدف يرمي إليه إما قصد تأسيس مملكة وإشادة سلطنة أو دفاع عن وطن أو تخلص عن ذل واستبعاد أو اكتساب رفعة ووجاهة أو نيل مرتبة سامية وما شاكل ذلك من المقاصد العقلائية وأنبلها المحاماة عن الإعراض والكفاح على الدين والمحاماة عن عظيم من العظماء الروحانيين كل هذه الغايات من مقاصد الشرف ومناهي المجد والسؤدد وهي مقدرة عند جميع ذوي العقول ومحترمة لدى كافة النبلاء وأقربها للammad وأحرارها بالتجليل والاحترام من كان دفاعه نصرة للحق والعدل وتشيداً للدين ومكافحة للأستبداد الممقوت والجور الصارم والمدافعة عن نفس يجب حفظها بكل ما يمكن الوصول إليه (كنفس النبي والإمام) المعصوم المفترضة طاعتها على الخلق أجمعين وجميع هذه الغايات النبيلة.

من مقاصد أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين علي «عليهما السلام»:

فإن غرضه الأقصى الذي ينحوه وهدفه الأبعد الذي يسدد الرمية إليه هو نصرة الدين وحماية الإمام الحسين «عليه السلام» إمام الحق والعدل الذي قام يكافح أستبداد ولادة الجور من آل حرب ورعاة النفاق والفسق وما حيى الإسلام وما حقي السنة ومحيي البدعة والأضاليل من بني أمية وقد صرخ أبو الفضل «عليه السلام» ببعض مقاصدته ك قوله:

أذب عن دين النبي أحمد

وك قوله:

إني أحامي أبداً عن ديني وعن إمام صادق اليقين

(١) انظر: العقد الفريد ٣/٣٦٣.

وك قوله :

نفسي لنفس السيد الظهر وقا

صرحت كل هذه الأشعار التي لا شبهة أنه قائلها بأن أقصى غاياته المدافعة عن إمامه الحسين «عليه السلام» ونصرة دين الله الذي قهرته سلطة بني أمية وأذله أستبدادهم الجبار ومحقته أثرتهم الفاجرة.

شجاعة العباس الأكبر

أما شجاعته «عليه السلام» فهي المثل الأعلى ووصفها الأكمل ونعتها الأتم وهي عظيمة الأثر في صفوف أهل الكوفة شديدة النكা�ية فيهم وقد تفنن الشعراء في نعنه بالشجاعة فنوناً ستلوا عليك بعضها هنا وفي فصل تأبينه.

حضور العباس «عليه السلام» صفين

قد شهد قبل كربلاء صفين وفي بعض الكتب الفارسية أنه كان محارباً ويشهد له ما ذكره الخطيب الخوارزمي الحنفي في كتاب المناقب أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» لبس ثياب ابنه العباس في بعض أيام صفين لما بрез لقتال كريب فارس أهل الشام وحيث أن هذه القصة تشتبه بقصة العباس بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب لزمنا نقل القصتين ليارتفاع الإشكال ويزول الشك فإنه ذكرهما معاً لفظه: ثم خرج من عسكر معاوية كريب بن أبرهة من آل ذي يزن وكان مهيباً قوياً يأخذ الدرهم فيغمره بإيهامه فتذبذب كتابته، فقال له معاوية: إن علياً يبرز بنفسه وكل أحد لا يتجرأ على مبارزته وقتاله، فقال كريب: أنا أبرز إليه فخرج إلى صف أهل العراق ونادى: ليبرز إلي علي، فبرز إليه مرتفع بن وضاح الزبيدي فسألة: من أنت؟ فعرفه بنفسه فقال: كفؤ كريم ثم تكافحاً فسبقه كريب بالضربة فقتله ونادى: ليبرز إلي اشجعكم أو علي، فبرز إليه شرحبيل بن بكر وقال لكريباً: ياشقي! ألا تفكراً في لقاء الله ورسوله يوم الحساب من سفك الدم الحرام؟ فقال كريب، إن صاحب الباطل من آوى قتلة عثمان وهو صاحبكم ثم تكافحاً ملياً فقتله كريب، ثم برع إليه الحارث بن الجلاج الشيباني وكان زاهداً صواماً فواماً وهو يقول:

هذا علي والهدى حقام عليه نحن نصرناه على من نازعه
ثم تكافحاً فقتله كريب فدعا علي «عليه السلام» ابنه العباس وكان تماماً كاملاً

من الرجال فإمره أن ينزل عن فرسه وينزع ثيابه ففعل فلبس على «عليه السلام» ثيابه وركب فرسه ولبس ابنه العباس «عليه السلام» ثيابه وركب فرسه لثلا يجبن كريب عن مبارزته، فلما هم على «عليه السلام» بذلك جاء عبد الله بن عدي الحارثي وقال: يا أمير المؤمنين! بحق إمامتك أئذن لي في مبارزته فإن قتلته وإلا قتلت شهيداً بين يديك، فإذا ذكر له على «عليه السلام» فتقدم إلى كريب وهو يقول:

هذا علي والهدى يقوده من خير عيدان قريش عوده
لا يسلم الدهر ولا يروده وعلمه معاجز وجوده
فتصالاً ساعة ثم صرעה كريب ثم برب إلهه علياً «عليه السلام» متذمراً وحذره
الله وسخطه فقال كريب: أترى سيفي هذا؟ قد قتلت به كثيراً مثلك، ثم حمل على
علي «عليه السلام» بسيفه فأتقاه بجحافته ثم ضربه على «عليه السلام» على رأسه
فشقه حتى سقط نصفين وأنثأ على «عليه السلام» يقول:

النفس بالنفس والجروح قصاص ليس للقرن بالضراب خلاص
إلى آخر القصة، وفيها يذكر أن أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» أمر ابنه
محمد بن الحنفية بملازمة مصرع كريب لأجل منازلة من يثور طالباً بدمه وذكر أن
محمدأً قتل في هذا الموقف سبعة أبطال من الثنائيين يطلبون بدم كريب، وقد ذكرنا
القصة بطولها في كتاب «الميزان الراجح».

ثم ذكر قصة العباس بن ربيعة بما لفظه^(١) قال: برب اليوم التاسع عشر من
حرب صفين من أصحاب معاوية عثمان بن وائل الحميري وسماه المسعودي وغيره
غرار بن أدهم وكان يدع بمائة فارس وله أخ يسمى حمزة يعدهما معاوية للشدائد
فجعل عثمان يلعب برممه وسيفه والعباس بن الحارت^(٢) بن عبد المطلب ينظر إليه
من ناحية مع سليمان بن صرد الخزاعي فقال له العباس^(٣): أبرز إليه وقد نهاني
أمير المؤمنين «عليه السلام» وفي نفسي أني أقتله فبرز إليه العباس وهو يقول:

بطل إذا غشي الحروب بنفسه حصـد الرؤوس كـحـصـد زـرع مـثـمر
فتـكافـحا مـليـاً فـلم يـظـفـر أحـدـهـما بـصـحـابـهـ، فـقال سـليمـان للـعبـاسـ: أـلا تـجدـ
فرـصـةـ فـقالـ فـيـ شـجـاعـةـ ثـمـ أـنـشـنـىـ عـلـيـهـ فـضـرـبـهـ فـرـمـىـ رـأـسـهـ وـوـقـفـ مـكـانـهـ فـبـرـزـ إـلـيـهـ أـخـوهـ

(١) المناقب للخوارزمي: ص ١٤٩.

(٢) العباس بن ربيعة بن الحارت في النسخة سقط.

(٣) في النسخة سقط ولعلها كما ذكر المؤرخون أنه دعاه إلى البراز فقال: أبرز وقد نهاني على
عليه السلام.

حمزة فأرسل إليه علي «عليه السلام» ونهاه عن مبارزته وقال له: إنزع ثيابك وناولني سلاحك وقف مكانني وأنا أخرج إليه فتتكر علي «عليه السلام» وخرج إلى حمزة فظن حمزة أنه العباس الذي قتل أخيه فضربه علي «عليه السلام» فقطع أبطه وكتفه ونصف وجهه ورأسه فعجب اليمانيون وهابوا العباس وبرز إلى علي «عليه السلام» عمرو بن عبس الجمحي وكان شجاعاً فجعل يلعب برممه وسيفه، فقال علي «عليه السلام» هلم للمكافحة فليس هذا وقت للعب، فحمل عمرو على علي «عليه السلام» حملة منكرة فاتقاه علي «عليه السلام» بجحافته ثم ضربه علي «عليه السلام» على وسطه فأبان نصفه وبقي نصفه على فرسه، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: ما هذه إلا ضربة علي «عليه السلام» فكذبه معاوية قال: قل للخيل تحمل عليه فإن ثبت مكانه فهو علي فحملوا عليه فثبت لهم ولم يتزعزع وجعل يقتل فيهم حتى قتل منهم ثلاثة وثلاثين رجلاً إلخ.

وهذا صريح أن العباس الأكبر كان فارساً بصفين كامل الأبهة والعدة يقف في صف المجالدين فيستعيض أمير المؤمنين «عليه السلام» آله ولباسه فلا يفرق بينهما وقد صرخ الكربلائي في معالي السبطين بأنه كان محارباً^(١) وقال: قال الطريحي: إن العباس «عليه السلام» كان مع أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» في الحروب والغزوات ويحارب شجعان العرب ويجالدهم كالأسد الضاري حتى يجدلهم صرعى، وفي يوم صفين كان «عليه السلام» عوناً وعضاً لأخيه الحسين «عليه السلام» وإن الحسين «عليه السلام» في فتح الفرات وأخذ الماء من أصحاب معاوية وهزم أبا الأعور عن الماء.

ثم قال: قال الحاج شيخ محمد باقر البرجندى القائنى فى كتابه المسمى الكبريت الاحمر: قال بعض من يوثق به بأن يوماً من أيام صفين خرج شاب من عسكر أمير المؤمنين «عليه السلام» وعليه لثام وقد ظهر منه من آثار الشجاعة والهيبة والسطوة بحيث أن أهل الشام قد تقاعدوا عن حربه وجلسوا ينظرون إليه وغلب عليهم الخوف والخشية فما برق إليه أحد، فدعى معاوية برجل من أصحابه يقال له ابن شعثاء وكان يعد بعشرة آلاف فارس فقال له معاوية: أخرج إلى هذا الشاب فبارزه، فقال: يا أمير المؤمنين! إن الناس يعدونني بعشرة آلاف فارس فكيف تأمرني بمبارزة هذ الفتى؟ فقال معاوية: فما تصنع؟ فقال: يا أمير! إن لي سبعة بنين أبعث إليه واحداً منهم ليقتله، فقال له: إفعل، فبعث إليه بأحد أولاده

(١) معالي السبطين ٢٦٧ / ١

فقتله الشاب ثم بعث إليه بأخر فقتله الشاب حتى بعث جميع أولاده فقتلهم الشاب فعند ذلك خرج ابن شعناء وهو يقول: أيها الشاب! قتلت جميع أولادي والله لأنك أباك وأمك ثم حمل اللعين وحمل عليه الشاب فدارت بينهما ضربات فضربه الشاب ضربة قده نصفين فألحقه بأولاده فعجب الحاضرون من شجاعته عند ذلك صاح أمير المؤمنين «عليه السلام» ودعاه وقال: إرجع يابني لثلا تصيبك عيون الأعداء، فرجع وتقدم أمير المؤمنين «عليه السلام» وأرخى اللثام عنه وقبله بين عينيه فنظروا إليه فإذا هو قمر بنى هاشم العباس بن أمير المؤمنين^(١)، الخ.

اعذار المؤلف عن التواريχ العجمية

وكانني أسمع بعض القراء لكتابنا هذا من منتحلي الثقافة ومدعي التنوير وزمرة من المتجددين الذين لا يريدون إثبات فضيلة لأهل هذا البيت النبوى المفخم وفئة من المتفقهين بلا معرفة وتمييز وهناك فثام يضرعون لأوهام وخیالات يسمونها بالعقل، والعقول بريئة من كل فکر سطحي وخیال وهمی سيقولون إذا مرروا بهذه الحکایات: كيف أعتمد مؤلف «كتاب بطل العلقمي» في نقل هذه الحکایات على الكتب الفارسية والتواريχ الأعجمية ومؤلفوها يتمسكون بالواهیات ويعتمدون المراسيل ولو شهد العباس بن علي «عليهم السلام» صفين وكان في صف المحاربين لذكره المؤرخون أساتذة فن التاريخ كالطبری والجزری والمسعودی وأضرابهم؟!

فيظن من لا معرفة له ولا إمام بحقائق الأشياء أن هذه المقالة مبنية على أساس محکم وبناء مرصف في رکن وثيق وهي لدى التحقيق على جرف منهاه قد جرفه السیل، وعلى رأس منار متداعی الأركان قد زعزعته العواصف وھدته القواصف.

المؤرخون الذين لهم شهرة لم يضيّعوا كل حادثة ولم يقفوا على كل قضية من القضايا التاريخية فبعض الواقع قد وصل إليهم نبأه وبعضها لم يصل والذي لم يصلهم أكثر مما وصل إليهم، وقد فات الطبری ما أستدركه عليه الجزری، وذكر المسعودی مالم يذكره اليعقوبی، وهكذا فما وصل إليهم فقد ذكروه، وما لم يصل إليهم لم يبق في طي الخفاء المظلم بل برقت بارقة من ذلك العلم فأضاء لطالبيه وأسفر لرائديه فأقتضبوا منه شارده وأحتبلوا قنيصه فكان كالمستدرک على من فاته

(١) انظر ما نقله عن الكبريت الأحمر الفارسي المطبوع في إیران ٢ / ٢٤.

العلم به، وقد أستدرك الحاكم النيسابوري على صحيحي مسلم والبخاري من الأحاديث الصحيحة على شرطهما ما ساوي حجم الكتابين معاً، والصحاح الباقية الأربع أو الثمانية بناء على جعل الصحاح عشرة عندهم كالاستدراك أيضاً على الصحيحين هذا من ناحية أهل السنة والجماعة.

وأما من ناحية أهل التشيع فقد أستدرك المرزا النوري على وسائل الشيعة للحر العاملی ما ساوي حجمها فليكن ما رواه هؤلاء العلماء من الأعاجم كالمستدرک على التواریخ المشهورة وليس بأقل من متفرقات الأغانی لأبی الفرج.

على أن المؤرخین الشهیرین الطبری والجزری ذکراً أشهراً رجال الإسلام شجاعة وتقديماً فیمن حضر صفين القعقاع بن عمرو التميمي فارس العرب وهو الذي كتب خالد بن الولید إلى أبي بکر يطلب منه أن يمدھ بجيš فأمده بالقعقاع وحده، فقال عمر بن الخطاب: أتمدھ برجل واحد؟ فقال أبو بکر: لا یهزم جيش فيھا هذا ولم یضبطا له قصة تدل على نباھة ذکره في تلك الحرب التي تسبیق فيھا أبطال الإسلام على إحياء الذکر الخالد مع منافسة الشرف بين القطرین المتقابلين على أنھما في حرب الجمل ذکر له في صف على «عليه السلام» صوتاً وملنا تاریخيھما من آثاره في المغازی والفتوحات الإسلامية في مجالدة الفرس والروماني فأوردا له ما یدھش الألباب ويحیر الفكر، وفي حربه مع علي «عليه السلام» بصفین ذکرا للخاملین من العرب أثراً ولم یذکرا له ولنظیره في الشجاعة عبید الله بن الحر الجعفی مع زعمھما أنه شهد مع معاویة صفين وكذلك نظیره في الشہرة مالک بن مسمع البکری مع شهرة هذین الرجالین وسیر أثرھما في الحروب الإسلامية فإذا جاز أن یقال أھملا ذکر هؤلاء الأبطال لعدم علمھما بما صدر منھما في ذلك الموقف جاز مثل ذلك في العباس بن أمیر المؤمنین «عليھما السلام» وإذا جاز أن یقال إنھما لم یدونا كلما كان من الواقع لأن في أستیفائھما ما یربی على حجم الكتابین بالضعف قلنا أن موقف العباس الأکبر مما لم یدوناه دونه علماء الفرس.

واما الاستبعاد لصغر السن وأن الممارسة للحروب مظهر الشجاعة فمسلم في غير أهل البيت «عليھم السلام» فإنھم أهل بيت الشجاعة والبطولة وإن صغر السن لا یحول بينھم وبين الشجاعة وعدم مباشرة الحروب لا یقصر بهم عن البطولة والفروسية.

هذا أبوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» قد شهد بدرأ ولم يمارس حرباً قبلها وكانت سنه دون العشرين سنة وقد علمت ما جرى منه على صناديد قريش طواغيت العرب وجبارتها حتى أفنى شجعانهم وأباد أبطالهم وفر منه أبطال لا يخطر ببال أحدthem إنهم يفرون ولا يتخيّل متخلّل إنهم ينهزمون مثل عمرو بن عبد ود العامري الذي قتلته يوم الخندق وهو قائد الأحزاب، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي وهو صهره أحد من أفتحم الخندق مع عمرو بن عبد ود، والحارث بن هشام المخزومي شقيق أبي جهل وغيرهم.

وهذا أخوه محمد بن الأكبر المعروف بابن الحنفية ولد في آخر خلافة عمر بن الخطاب شهد البصرة مع أبيه وهو صغير السن ولم يشهد قبلها حرباً فأبدى من الفروسيّة ما أبهر الفرسان الماهرين وتعجب له أبطال العرب، فقد كان أبطال الصحابة من الأنصار كخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وغيره من كمات الأنصار يفضلونه بالشجاعة على كل أحد سوى أبيه وأخويه الحسن والحسين «عليهما السلام» فهو في تلك الحرب الطاحنة حامل لواء أبيه الأعظم ولا يحمل اللواء إلا الممتاز في الشجاعة.

وهذا مسلم بن عقيل بن أبي طالب «عليه السلام» كان صغيراً وعلمت ما فعل بأهل الكوفة قام يجالد بلدة كالكوفة أعظم بلد في ذاك العصر ولم يعنه فيها أحد وكلها عليه مقاتلة وخاذلة حتى كانت النساء والصبيان يرمونه بالحجارة وأطنان القصب فيها النيران من أعلى السطوح ومع ذلك كله وشدة العطش والجوع يبيد كل جيش يلقاه حتى أضطرّب اللعين ابن زياد غضب على قائده ابن الأشعث وقال: رجل واحد يثلم فيكم هذه الثلامة العظيمة فكيف لو لقيتم الأعظم منه بأساً الأشد مراساً يعني الحسين «عليه السلام»، فكان جواب ابن الأشعث وفق ما نقول من أنه لم يكن بقاياً ولا جرمقاناً بل هو أحد أسياف عبد المطلب يعني أن شجاعتهم غريزية وبالطبع لا لزوم لها بالممارسة والاختبار.

وهؤلاء فتيانبني أبي طالب الذين قتلوا يوم الطف فقد ظهر لهم من الشجاعة ما لم يظهر لكماء الأبطال على صغر السن وعدم مباشرة الحرور فإن علي بن الحسين الأكبر «عليهما السلام» سنه يوم الطف ثمانية عشر سنة - على المشهور - وقيل أقل وقيل أكثر، والقاسم بن الحسن «عليهما السلام» سنه خمسة عشر سنة وقيل أقل وقيل أكثر، وكل واحد منها كان قبل حرب الطفوف ربيب ترف وأليف نعمة وكذلك عبد الله ابن مسلم بن عقيل كان سنه أحد عشر سنة وقيل أكثر.

وأما كون الفارس الذي قتله العباس «عليه السلام» يعد بعشرة آلاف فقد يجوز مثل ذلك ويصدر فقد ادعى عمران بن حطان السدوسي الخارجي الصفري أن مجذأة بن ثور البكري السدوسي فتح بلدة وحده فيما ذكر المبرد في الكامل ولفظه^(١):

وحدثت أن أمراًة عمران بن حطان السدوسي قالت له: أما حلفت أنك لا تكذب في شعر؟ فقال لها: أو كان ذلك؟ قالت: نعم، قلت:

فكمذاك مجذأة بن ثور كان أشجع من أسامة يكون رجل أشجع من أسد؟ فقال لها: ما رأينا أسدًا فتح مدينة قط ومجذأة بن ثورة فتح مدينة ألغ وفتح مدينة واحد يقابل عشرة آلاف.

وأيضاً قد ذكر المؤرخون جمِيعاً في مقتله أنه هو والبراء بن مالك الأنصاري أخو أنس بن مالك قتل كل واحد منها على باب تستر مائة رجل من الأعاجم وأقتحما الباب فقتلوا وكان ذلك سبب فتح المدينة وقد ذكروا أن فيها جيشاً عظيماً حشدة الهرمزان لصد هجمات العرب المسلمين فغير عجيب أن يقابل الرجل عشرة آلاف.

ونحن لا نذكر أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» لأنه أعظم من أن يقاس به أحد وإلا فقد كان جيش النبي ﷺ أثني عشر ألفاً فهزمه هوازن فيجب أن يكون جمع هوازن مكافئاً لجيش النبي ﷺ إن لم يكن أكثر وردهم أمير المؤمنين علي «عليه السلام» وحده بسيفه فقد قابل أكثر من عشرة آلاف ولكن لا يقاس بعلي «عليه السلام» إنسان ولكن حسبك بالأشر الشعبي وأمثاله ما يكون لك شاهداً على وجود أشخاص يعدون بالألاف.

إثبات شجاعة العباس بن علي «عليهما السلام»

ويكفي لإثبات شجاعته «عليه السلام» ما كان منه يوم كربلاء: أما عدد من قتلهم ف مختلف فيه: ففخر الدين الطريحي (رحمه الله) ومن وافقه من العلماء «رضوان الله عليهم» فيقولون قتل ثمانين بطلاً، وصاحب الكبريت الأحمر وصاحب أسرار الشهادة وصاحب نور العين الشافعي فيقولون: ثمانمائة فارس، والجمع بين القولين سهل بحمل الثمانين على المشاهير من الأبطال وبباقي العدد على ما دونهم، وبين هذين القولين أقوال بالزيادة والنقصان وأنا أذكر القولين وأترك ما عداهما.

قال فخر الدين الطريحي (رحمه الله) في المنتخب^(١): روي أن العباس بن علي «عليهما السلام» كان حامل لواء أخيه الحسين «عليه السلام» فلما رأى جمع عسكر الحسين «عليه السلام» قتلوا وإخوته وبني عمه بكى وإلى لقاء ربه أشواق وحزن فحمل الراية وجاء نحو أخيه الحسين «عليه السلام» وقال: يا أخي! هل من رخصة؟ فبكى الحسين «عليه السلام» بكاء شديداً حتى أبتلت لحيته بالدموع ثم قال: يا أخي كنت العلامة من عسكري ومجمع عددي فإذا أنت قتلت يقول جمعنا إلى الشتات وعمارتنا تبعت إلى الخراب، فقال العباس «عليه السلام»: فذاك روح أخيك ياسidi قد ضاق صدرني من حياة الدنيا وأريد أن آخذ الثار من هؤلاء المنافقين، فقال الحسين «عليه السلام»: إذا غدوت إلى الجهاد فأطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء.

فلما أجاز الحسين «عليه السلام» أخاه العباس بربك كالجبل العظيم وقلبه كالطود الجسيم لأنه كان فارساً هماماً وبطلأً ضراغاماً وكان جسوراً على الطعن والضرب في ميدان الكفاح وال الحرب، فلما توسط الميدان وقف وقال: يا عمر بن سعد! هذا الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ يقول لكم: قتلتم أصحابه وإخوته وبني عمه وبقي وحيداً فريداً مع أولاده وعياله وهم عطاشى قد أحرق الظماً قلوبهم فأمسقوه شربة من الماء فإن أطفاله وعياله وصلوا إلى الهلاك وهو يقول لكم: دعوني أذهب إلى طرف الروم والهند وأخلني لكم الحجاز والعراق وأشرط لكم أنني غداً في القيامة لأخاصمكم عند الله حتى يفعل الله بكم ما يريد.

فلما أوصل إليهم العباس «عليه السلام» الكلام عن أخيه الحسين «عليه السلام» فمنهم من سكت ولم يرد جواباً، ومنهم من جعل يبكي، فخرج الشمر وشيث بن ربعي «لعنهما الله» فجاء نحو العباس «عليه السلام» وقالاً: يا ابن أبي تراب! لو كان وجه الأرض ماء وهو تحت أيدينا ما سقيناكم منه قطرة إلا أن تدخلوا في بيعة يزيد، فتبسم العباس ومضى إلى أخيه الحسين «عليه السلام» وعرض عليه ما قالوا فطاطاً رأسه إلى الأرض وبكى حتى بل أزيقاً فسمع الحسين «عليه السلام» الأطفال وهم ينادون: العطش العطش.

فلما سمع العباس «عليه السلام» رمى بطرفه إلى السماء وقال: إلهي وسيدي! أريد أن أعتد بعذتي وأملأ لهؤلاء الأطفال قربة من الماء، فركب فرسه وأخذ رمحه والقربة في كتفه وكان قد جعل عمر بن سعد لعنه الله أربعة آلاف

(١) منتخب الطريحي ١ / ٢٧ مجلس ٤.

خارجي موكلين على الماء لا يدعون أحداً من أصحاب الحسين «عليه السلام» يشرب منه، فلما رأوا العباس «عليه السلام» قاصداً إلى الفرات أحاطوا به من كل جانب ومكان، فقال لهم: يا قوم! أنتم كفرة أم مسلمون؟ هل يجوز في مذهبكم ودينكم أن تمنعوا الحسين وعياله شرب الماء والكلاب والخنازير يشربون منه والحسين «عليه السلام» مع أطفاله وأهل بيته يموتون من العطش أما تذكرون عطش القيامة؟

فلما سمعوا كلام العباس «عليه السلام» وقف خمسائمه رجل فرمي بالنبال والسهام فحمل عليهم فتفرقوا هاربين كما يتفرق عن الذئب الغنم وغاص في أوساطهم حتى قتل منهم على ما نقل ثمانين فارساً فهمز فرسه إلى الماء وأراد أن يشرب ذكر عطش الحسين «عليه السلام» وعياله وأطفاله فرمي الماء من يده وقال: والله لا أشربه وأخي الحسين «عليه السلام» وعياله وأطفاله عطاشى، لا كان ذلك أبداً، ثم ملاً القرية وحملها على كتفه الأيمن وهمز فرسه وأراد أن يوصل الماء إلى الخيمة فأجتمع عليه القوم فحمل عليهم فتفرقوا عنه وسار نحو الخيمة فقطعوا عليه الطريق فحارهم محاربة عظيمة فصادفه نوفل الأزرق فضربه على يمينه فبراها، فحمل العباس «عليه السلام» القرية على كتفه الأيسر فضربه نوفل على كتفه الأيسر فقطعها من الزند، فحمل القرية بأسنانه فجاء سهم فأصاب القرية فأنفرت وأريق الماء، ثم جاء سهم آخر فوق في صدره فقلب عن فرسه إلى الأرض فصاح بأخيه الحسين «عليه السلام»: أدركني، فساق الريح كلامه إلى الخيمة فلما سمع كلامه أتاه فرآه طريحاً فصاح: وا أخاه! واعباساه! واقرة عيناه! واقلة ناصراه! ثم بكى بكاء شديداً وحمل العباس «عليه السلام» إلى الخيمة، إنتهى.

وهذا حديث كتبناه كما وجدناه وهو يخالف المشهور من وجوهه:
أحدهما: كون الذي قطع يديه نوف الأزرق المشهور عند المؤرخين أن الذي قطع يديه زيد بن رقاد الجنبي من مذحج وحكيم بن الطفيل السنبي من طيء.

ثانيهما: إن الحسين «عليه السلام» حمله إلى الخيمة يعني خيمة الشهداء المشهور أنه بقي في مكانه.

ثالثهما: إن الحسين «عليه السلام» تنازل لأهل الكوفة عن مخاصمتهم عند الله بدل سماحهم له بالأنصراف حيث شاء وهذا لا يصح بعد أن قتل أصحابه

وأهل بيته ولكن الطريحي فقيه معتمد وهو أعرف بمسلكه وعلينا نحن بيان العلل المانعة.

وأما القائلون بأن العباس «عليه السلام» قتل ثمانمائة فارس فنص الدربندي في أسرار الشهادة^(١): وفي رواية عبد الله الأهوazi عن جده قال: قال إسحاق بن حبيبة «لعنه الله» لما أقبل العباس «عليه السلام» بالجواب فثرا عليه كالجراد الطائر فصبرنا جلدہ كالقنفذ.

قال: فحمل عليهم العباس فتفرقوا عنه هاربين كما يتفرق عن الذئب الغنم وغاص في أوساطهم فقتل على ما نقل ثمانمائة فارس الخ والحديث مطول.

ترجيح قول الطريحي (رحمه الله):

هذا أمر لا يحتاج إلى البيان في اختيار أي الأقوال أقرب إلى المعقولية وإن كان لا منافاة بينهما لما ذكرنا ولكنني أجده في مدرك التفكير أن العباس «عليه السلام» لا يجسر كل أحد على الدنو منه لشهرته بالشجاعة فلا يدنوا منه إلا الجريء المقدم ولا أجده من تهون عليه نفسه إلا عدد الثمانين مما دون وقد سمعنا من بعض المطلعين على سبيل المذكرة أن الأشتراط النخعي يوم صفين كان يقتل العدد الذي يقتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» عرف ذلك من تكبيره لأنه لم يقتل بطلاً إلا كبير فيعد الأشتراط التكبير فيجد ما قتله هو بعد ذلك التكبير والسر في هذا هو ما ذكرنا من أن المقدم على أمير المؤمنين علي «عليه السلام» أقل من يقدم على الأشتراط، وكان الناس يوصي بعضهم ببعضًا بعدم مبارزته.

فقد قال معاوية بن أبي سفيان لحريث مولاه وكان فارس أهل الشام: أتق علياً وضع رمحك حيث شئت وقال لعمرو بن العاص وقد أشار عليه بمبارزة أمير المؤمنين «عليه السلام» يا عمرو! إنما أردت قتلي لتصفو لك الشام، أما علمت أن ابن أبي طالب ما بارزه أحد إلا وسقى الأرض من دمه وكان عبيد الله بن عمر بن الخطاب من أشجع العرب مع معاوية يوم صفين دعا محمد بن الحنفية إلى المبارزة فأجابه محمد ونهاه أمير المؤمنين «عليه السلام» وقال: أنا أبرز إليه، فلما رأه ابن عمر مقبلاً ولـى منصرفًا وقال: لا حاجة لي في مبارزتك، القصة بطولها.

فالشجاعة العباسية فرع الشجاعة العلوية قدت منها قدًا وهذا الشبل من ذاك الأسد، قد قيل فيه:

بطل تورث من أبيه شجاعة فيها أنوف ذوي الضلالة ترغم

(١) أسرار الشهادة: ص ٣٢١.

وكان أبو الفضل العباس «عليه السلام» يوم كربلاء إذا استلهم أحد من أنصار أخيه الحسين «عليه السلام» شد على القوم وأستنقذه وليس المحاماة عن الأصحاب وأستنقاذ من أحاطت به الجيوش يوم كربلاء إلا له ولأخيه الحسين «عليه السلام» وهو حامي الكل، نعم ذكر المؤرخون ومنهم أبو جعفر الطبرى في التاريخ^(١) قال: فأما الصيداوي عمر بن خالد وجابر بن العارث السلمانى وسعد مولى عمر بن خالد ومجمع بن عبد الله العائذى فإنهم قاتلوا في أول القتال فشدوا مقدمين بأسيافهم على الناس فلما وغلوا عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم وقطعوهم من أصحابهم غير بعيد فشد عليهم العباس بن علي فأستنقذهم فجاوزوا وقد جرحوا فلما دنا منهم عدوهم شدوا بأسيافهم فقاتلوا في أول الأمر حتى قتلوا في مكان واحد، إنتهى.

للمؤلف:

أفديك ياقمر العشيره منجدأ
للواقعيين بشدة الأحوال
ما زلت تنجد في الحروب من اغتندي
أنيجت صحبك ضارباً ثبع العدى
وتتركت جند المارقين جزائرأ
فرقت جمع بني الخنا فتفرقوا
أنقذت صحبك والمنية أحدقـت
لكن رأوا رفض الحياة غنيةـة
علماً بأن الفوز بعد فراقها
وقد أكثر الشعراـء من نعت العباس الأـكبر «عليـه السلام» بالشجاعة ويأتيـ في
تأيـنه ذكر ذلك ومنه قول بعضـهم:

ومن قد كان للأـجي عصاماـ
ماـح بـحـومةـ الـهـيـجاـ أجـاماـ
ليـقـريـهاـ جـسـومـهـمـواـ طـعـاماـ
بعـزـمـ يـقـطـعـ العـضـبـ الـحـسـاماـ
هو العـباسـ ليـثـ بـنـيـ نـزارـ
هزـبـرـ أـغـلـبـ تـخـذـ أـشـتـبـاكـ الرـ
فـمـدـتـ فـوـقـهـ العـقـبـانـ ظـلـاـ
أـبـيـ عـنـدـ مـسـ الضـيمـ يـمـضـيـ

وفاء العباس الأكبر «عليه السلام»

ومن صفات العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» الوفاء، وهذا الخلق من أظهر أخلاقه الفاضلة وأشهر سجاياه الكريمة فقد كان «عليه السلام» وفياً كريماً والوفاء شيمة موروثة له من أسلافه الكرام وسجية طبع عليها وهو غلام، والوفاء من أكرم خصال العرب ومن الصفات المحمودة التي حرض الشارع المقدس عليها وأكد الالتزام بها ونهى عن ترك التخلق بها.

مظاهر الوفاء:

كثيرة منها الثبات على البيعة وإمضاء العهد والوعد وإخلاص الطاعة للنبي والإمام المفروضة طاعته من الله تعالى نصاً ونحن قد كتبنا في كتابنا «السياسة العلوية» فصلاً مطولاً في الوفاء نقتضب منه موضع الحاجة هنا ليعرف على التحقيق ما هو الوفاء وما ثمراته وما فوائده.

معنى الوفاء لغة:

قال الفيروزآبادي في القاموس: وفي بالعهد كوعي وفاء ضد غدر كأوفي، والشيء وفي كصلٍ ثم وكثير.

وقال ابن الأثير في النهاية^(١): أوفي الله ذمتك أي أتمها ووفت ذمتك أي تمت، وأستوفيت حقي أخذته تماماً.

وقال الفيومي في المصباح المنير^(٢): وفيت بالعهد والوعد أفي به وفاء، والفاعل وفي، والجمع أوفياء وأوفيت به إيفاء وقد جمعهما الشاعر فقال: أما ابن طوق فقد أوفي بذمته كما وفي لقلاص النجم حاديهما
قال أبو زيد: أوفي نذره أحسن الإيفاء به، ثم قال كلام: وفي الشيء بنفسه يفي إذا تم، إنتهى.

وقد استبيان من جميع هذه الفقرات أن الوفاء هو التمام والإتمام ومما لا شك فيه أن العباس الأكبر شهيد الطف قد تم على بيعة الحسين «عليه السلام» وأتم وعده له بالنصرة فلم يغير ولم يبدل.

معنى الوفاء عرفاً وعقلاً

أما معناه العرفي فهو كاللغوي لا يختلف عنه وهو معناه الشرعي، وأما معناه العقلي فقد قال الشريف الجرجاني في التعريفات^(١): الوفاء هو ملازمة طريق المواساة ومحافظة عهود الخلطاء، إنتهى.

والوفاء من نتائج العفة عند الفلاسفة لأنهم قالوا: أصول الفضائل أربعة: الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة.

مدح الوفاء وتأكيد الالتزام به:

آيات القرآن لا خفاء فيها على القارئ وهي كثيرة كقوله تعالى: ﴿بِئَابِهَا الَّذِينَ مَأْمُنُوا أَوْفُوا بِالْعُهُودِ﴾^(٢)، وكقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾^(٣)، وكقوله في مقام المدح: ﴿وَالَّذِينَ هُرُبَ لِأَمْتَانِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾^(٤)، وكقوله في مقام النهي: ﴿وَلَا تُنْقُضُوا الْأَيْمَنَ بَعْدَ تَوْكِيدهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾^(٥)، وكقوله في مقام الوعيد: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٦)، وهي كثيرة، وكذلك الأحاديث مشهورة ومستفيضة وقد أوردنا كثيراً من الروايات في الوفاء في كتابنا «السياسة العلوية» وذكرنا فيه كثيراً من أشعار العرب وحكاياتهم ونورد هنا جملة من حكايات الأولياء ليتفق بها الناظر ويقتدي بأهلها من أحب الوفاء وأشتاق إلى هذاخلق الكريم والصفة الفاضلة مع كونها ذات معنى شريف فقد تشتمل على ما يرقق النفس ويزيدها بسطة وأنشراحـاً.

ثمرة الوفاء وفوائده:

فأطمئنان النفس وثقتها به ولو لا الوفاء ما أطمأن شخص بشخص، ولا وثق إنسان بإنسان، وبالوفاء جرت المعاملات على نظام العدل وقطعت جرائم التعديات، وبه أنتظمت أمور الراعي والرعية إلى غير ذلك من الثمرات التي لا تجهلـ.

قال فخر الدين الطقطقي في الفخرى^(٧): ووفاء الملوك وهو الأصل في تسكين القلوب وطمأنينة النفس ووثوق الرعية بالملك إذا طلب الأمان منه خائفـ.

(١) التعريفات: ص ١٧٤.

(٢) المائدة: ١.

(٣) الإسراء: ٣٤.

(٤) المؤمنون: ٨.

(٥) النحل: ٩١.

(٦) الفتح: ١٠.

(٧) الفخرى: ص ٢١.

أو أراد المعايدة منه معاهد، إنتهى.

وليس وجوب الوفاء خاصاً بالعهد بل يجب الوفاء بالوعد أيضاً وبالنذر وبالبيعة وللجار والتزيل وبالطاعات كلها؛ لأن الله تعالى أخذ العهد والميثاق على العباد وهم في الأصلاب حين قال: ﴿أَسْتُ بِرَبِّكُم﴾^(١) وأشهدهم بذلك على أنفسهم وقد ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة أن الحجر الأسود يشهد من أستلمه من العباد بالموافقة للحج وإذا وجب ذلك بحسب الميثاق المأخذ على العباد وجب الوفاء به على الإنسان ويجب قيام كل عضو من الإنسان في الوفاء بتكليفه الخاص به.

وذلك إن الباري تعالى بحكمته وبديع صنعه جعل لهذا النوع البشري عقلأً وجعله به يعي الخطاب ويفهم المراد ثم خلق له خمسة حواس جعلها خادمة للعقل ونزلها منزلة الجوايس للملك يتجلسون له الأخبار ويحفظونها في محفظة وثيقة كمحفظة جوايس الملك السياسي فيعرضونها عليه وأولئك الجوايس الذين يعرفون بالحواس الخمسة وهي السامعة والبصرة والشامة والذائقة واللامسة وحيث أن الملك السياسي منذ الطفولة يحتاج إلى تثقيف وتهذيب وتربيبة عالية ليحسن السياسة وتدبير الملك فلا بد له من مهذبين أستاذة فنيين ومعلمين جهابذة ماهرين يدرسوه كتب السياسة ويمرنونه على تفننات عظماء الرجال ليصبح ماهراً في السياسة خريتاً في الكياسة.

فهذا الملك الروحاني الذي هو العقل يحتاج إلى التهذيب العلمي والتنقيف العملي لأن صفة الكمال لله تعالى وحده وكل مخلوق له يحتاج إليه أبتعث الله الأنبياء وارسل وأنزل الكتب السماوية عليهم وتتابع الوحي والإيحاء من قلبه إليهم على أيدي السفرة الكرام من الملائكة البررة والغرض من ذلك تهذيب هذا الملك الروحاني الذي هو العقل والملكة الكيسة السيدة المحترمة التي هي النفس الإنسانية.

فالأنبياء «عليهم السلام» هم المصلحون للبشر فحددوا الحدود وبينوا الأحكام عن الله تعالى التي هي سياسة الخالق للمخلوق وجعلوها نوعين: جعلوا نوعاً منها موظفاً على الملك والملكة وما العقل والنفس وهذا هو اعتقاد وحدانية الله تعالى واعتقاد صفاته الكمالية والجلالية ونفي الفد والنند والشريك عنه إلى آخر ما قوله العلماء في علم الكلام وفن الحكمة.

واعتقاد النبوات وأنه لا بد منها لتميم النقص العقلي وسد خلله وتشييد

الأركان الكمالية فإن النبي مرشد للعقل والعقلاء وحاكم عليهما ومبين لما جهلا ومظهر لما خفي عليهما.

واعتقاد الإمامة وأنها منصب ديني بفرض إلهي وتعيين رباني وهي تبع للنبوة في الفرض العالى إلا أن النبوة للتأسيس والتشريع، والإمامنة للمحافظة عن زيف التحرير والتبديل لثلا يقال كان على عهد النبي ﷺ كذا وأنا أرى كذا فإن في ذلك إبطال للنبوة وهدم لمؤسساتها.

واعتقاد أن هناك داراً غير هذه الدار يجب فيها استيفاء أجر العمل الذي يوجب المجازات طاعة وعصياناً كما أن هنا دائرة كبرى تعرض فيها أعمال الموظفين تنظر في الأعمال الجنائية ودائرة أخرى لاستيفاء رواتب الموظفين والعمال وتسليم المقرر مقابل عملهم ودائرة استيفاء الراتب غير دائرة الجنائيات فالجندى والشرطى يخدمان ويستحقان أجر العمل إن أحسناه ولهم التربيع في الرتبة وإن أساءاً استحقوا العقوبة بالسجن أو الطرد أو انحطاط الرتبة على مقدار الجنائية يكون الجزاء إلى آخر ما هو معروف في القوانين المدنية.

النوع الثاني ما وظف على أعون الملك وأتباع الملكة وهي الجوارح والأعضاء وهذا النوع يقسم أقساماً:

منها فروض بالفعل كالصلة والصوم.

ومنها فروض بالترك كالغيبة والسعاية والبهتان.

ومنها للتهذيب فقط ويشبه في السياسة تمرين الجندي والتلميذ في الفنون الحربية والرياضية وهذا أيضاً في نوعين أفعال ويقال لها مستحبة، وتروك يقال لها مكرورة ويلزم الجمع اسم السنن ومثال ذلك الصلاة في المسجد مستحبة وفي الحمام مكرورة.

ومنها غير فروض بل أحکام وحدود كالقطع في السرقة، والرجم والجلد في الزنا، والقصاص في القتل وما شابهها من الحدود والأحكام تجري في المعاملات والمصاهرات وما شابه ذلك وعلى منهاجها شرعت القوانين المدنية وجميع ذلك مشرح تفصيلاً في الكتب الفقهية فمن ترك شيئاً من هذه الوظائف الأصلية والفرعية فقد خالف الوفاء بالعهد المؤكدة والميثاق الذي واثق الله تعالى به عباده حين قال: «أَلَّا تُرِكُوكُمْ»^(١).

وقد كتبنا في كتابنا «السياسة العلوية» فصلاً مطولاً بينا فيه بسط التكاليف على جميع الأعضاءمثال ذلك اللسان وتتكليفه الشرعي الذكر والشكر القراءة

والصدق وقول كلمة العدل وغير ذلك من الأفعال المذكورة هناك، ومن تكليفه في الترور ترك الغيبة والبهتان والكذب بأنواعه وذوق المحرمات كالأشربة المذهبة للعقل وغير ذلك وليس هذا الكتاب موضع ذكر ذلك وإن كان عظيم الفائدة كثير النفع.

الوافون من العرب:

أما الأولياء من العرب فكثيرون ونحن نورد بعض الأقاصيص المحكية من وفاءهم وندع الكثير لطالبه.

قال صلاح الدين الصفدي الشافعي في شرح لامية العجم^(١): وأما الوافون فكثير منهم أوفى بن مطر المازني كان جاوريه رجل ومعه امرأة فأعجبت أخاً أوفى وكان لا يصل إليها مع زوجها فوثبت عليه فقتله فبلغ ذلك أوفى فقتل أخيه وقال: سعيت على قيس بذمة جاره لأمنع عرضي إن عرضي ممنع والحارث بن عباد أسر عدي بن ربيعة وهو مهلهل وكان طلبه وهو لا يعرفه فقال له: إن دللتك عليه - يعني مهلهلاً - فأنا أمن؟ فأعطاه ذلك، فقال: أنا عدي بن ربيعة، فخلى سبيله.

والسمّول بن عاديا اليهودي ذبح ابنه وهو ينظر إليه من الحصن ولم يدفع لقاتله دروع أمرئ القيس التي عنده وقصته مشهورة.

وعوف بن محلم الشيباني وكان من وفاءه مروان بن زنباع العبسي قد وتر عمرو بن هند اللخمي فجعل على نفسه إن لا يؤمنه حتى يضع يده في يده، ثم إن مروان غزى بكر بن وائل فأسره رجل منبني تيم الله ولم يكن عرفه فخاف مروان أن يبلغ عمرو بن هند مكانه فيبعث إليه من يأخذه منه فسمع أمّ أسره تقول لابنها: كأنك أسرت مروان، فقال مروان: وما تأملين من مروان؟ فقالت: مائة بعير، قال: هي لك إن أديتموني إلى عوف بن محلم، قالت: ومن لي بالوفاء؟ فأخذ مروان عوداً من الأرض وقال: هذا لك بالوفاء فحمله ابنها إلى قبة عوف بن محلم فلم يجده فأجارته أبنته خماعة ويبلغ عمرو بن هند مكانه فيبعث في طلبه فأبى عوف أن يسلمه إلا أن يؤمنه، فقال: آليت أن لا أؤمنه حتى يضع يده في يدي، فقال له عوف: إني أبر قسمك على أن أجعل يدي بين يدك ويده ففعل وأمن مروان، ثم إن مروان وفي بوعده للعجز بمائة ناقة.

وتشبه هذه القصة قصة حاجب بن زرارة كان قد تدبر هو وأهله أرض العراق فأنكر ذلك والي الحيرة فكتب إلى كسرى ذلك، فكتب إليه كسرى: إن أرادوا أن يرعوا بأرضنا فليقدم علينا وفدهم ويعطونا رهائن منهم، فقدم حاجب بن زرارة فلما وافقه على ما يريد طلب منه الرهائن، فقال حاجب: ليس معي سوى قوسي فخذها، فضحك منه أصحاب كسرى فقال لهم الملك: خذوها منه فإنه لن يسلمها وذهب فوفى بما وعد وذلك معدود في مأثربني تميم الخ.

وهذه قصص اختصرها الصفدي فاختلت.

قال المبرد في الكامل^(١): عن أبي عبيدة قال: كانت السواقط - أي الثمار - بلسان عوام البصريين اليوم - ترد اليمامة في الأشهر الحرم لطلب التمر فأن وافقت ذلك وإنما أقامت بالبلد إلى أوانيه ثم خرج في شهر حرام فكان الرجل منهم إذا قدم يأتي رجلاً من بني حنفة وهم أهل اليمامة فيكتب له على سهم أو غيره فلان جار فلان، والسواقط من ورد اليمامة من غير أهلها وقد كان النعمان بن المنذر أراد أن يجعلهم منها فأجارهم مرارة بن سلمي الحنفي فسوغه الملك ذلك فقال أوس بن حجر يحضر النعمان عليه:

زعم ابن سلمي مرارة أنه مولى السواقط دون آل المنذر
منع اليمامة سهلها وحزونها من كل ذي تاج كريم المفتر
وذكر أبو عبيدة أن رجلاً من السواقط من بني أبي بكر بن كلاب قدم اليمامة
ومعه أخي له فكتب له عمير بن سلمي أنه له جار وكان أخو هذا الكلابي جميلاً،
فقال قرين أخيه عمير: لا تردن أبياتنا بأخيك هذا فرأه بعد بين أبياتهم فقتلها، وأما
المولى فذكر أن قريناً أخو عمير يتحدث إلى أمراة أخي الكلابي فعثر عليه وزوجها
فخاصمه عمير عليها فقتله وكان عمير غائباً، فأتى الكلابي قبر سلمي أبي عمير
وقرين فأستجار به وقال:

وإذا أستجرت من اليمامة فاستجر زيد بن يربوع وآل مجتمع
وأتيت سلمياً فعذت بمقبره وأخو الزمانة عائذ بالأمنع
أقرين أنك لو رأيت فوارسي بعمادتين إلى جوانب سلفع
حدثت نفسك باللوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الأصبع
فأتى قرين إلى قتادة بن مسلمة بن عبيد فحمل قتادة إلى الكلابي ديات

متضاعفة وفعلت وجوهبني حنيفة مثل ذلك فأبى الكلابي أن يقبل، فلما قدم عمير قالت له أمه وهي أم قرين: لا تقتل أخاك وسوق للكلابي جميع ماله، فأبى الكلابي أن يقبل وقد لجأ قرين إلى خاله السمين بن عبد الله فلم يمنع عميراً منه فأخذته عميراً فمضى به حتى قطع الوادي فربطه إلى نخلة وقال للكلابي: أما إذا أبى إلا قتلها فأمهدل حتى أقطع الوادي وأرتحل من جواري فلا خير لك فيه، فقتله الكلابي، ففي ذلك يقول عمير:

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا وكان أبوانا قد تجبر مقابرها
وقالت أم عمير:

تعد معاذراً لا عذر فيها ومن يقتل أخاه فقد ألاما
انتهى، وقد جرى نظير هذه القصة في عصرنا في قبيلة آل ظفير البدوية الشهيرة وكانت تفي للجار على عادة العرب القدماء وكانت مشيختهم لآل سويط فجاور جعيلان السويط وحمود السويط جار من حرب وكانا هما الرئسان فعدا ولد لجعيلان على ولد الحربي فقتله فغضب الحربي وأراد الانتقال عن جوارهم فمنعاه وصار عزم الرئيسين على ذبح ابنهما فذبحاه بجارهما وفأ بالجوار، هذه كانت شيمة العرب والوفاء معدود في مفاحرها.

قال الخفاجي في سر الفصاحة: وأما الوفاء فمن دينهم الذي كانوا يرونه لازماً ومذهبهم الذي كانوا يعتقدونه حقاً حتى صار من تمسك بجوارهم أو تعلق ببعض أطنافهم تبذل النفوس دونه وتراق الدماء في المنع منه، فكم قتل الرجل منهم أقرب الناس إليه نسباً وأمسهم به رحمة، وكم من وقعة عظيمة وحرب جليلة طولها جرها ضيم نزيل أو التعرض لسب جار كالحال في حرب البسوس التي ساقها ما علم من قتل كليب لناقة حارة جساس وأستفحلت لذلك وتمادت حتى شهدتها الأجنة شيئاً، فاما المسؤول ورضاه بقتل ابنه دون الدروع التي كانت وديعة عنده وأبو داود الأيادي في قوته بجاره فمما هو متداول لا خفاء بتقصير جميع الأئم عنه، إنتهى.

ومن هنا تعرف أن أهل الكوفة ليسوا من أحرار العرب ولا من نجباءهم فليست فيهم شيء للأحرار ولا سجايا الكرام بل هم أجلاف الأجلاف وأنذال الأنذال لم يقوموا بواجب الوفاء الإسلامي الذي أوجبه شريعة الإسلام للحسين «عليه السلام» وهو الطاعة التي لزمتهم من الجهة التي ذكرنا في التكليف، ولا وفوا بالوعد لأنهم وعدوه بالنصرة حين كاتبوه، ولا وفوا بالعهد لأنهم عاهدوه إن

قدم عليهم أخرجوا عمال بني أمية، ولا وفوا له بالبيعة لأنهم بايعوا، فهذه أمور أربعة أوجب الشرع الوفاء بها وغدر بها أهل الكوفة ولم يقوموا بواجب الوفاء العربي الجاهلي الذي أوجبه شرف النفس والنجابة العربية من الوفاء للجبار والنزيل لأنه أصبح جارهم بكرباء ونزيلاً لها بعراص الطفواف وما وفوا له بمنته عليهم فكافؤه بيده عندهم حيث سقى منهم ألف فارس قد أشرفوا على التلف ولو لاه لقطع العطش أعناقهم فخالفوا جميع هذه الأصول المقدسة في الشرع، المحترمة في الجاهلية فجدوا في حربه وأجتهدوا وما قصروا عن فعل كل قبيح مموج ولاقوا عن ارتكاب كل ذميم ممقوت فأرتكبوا عظام الأمور ومستفظعات الأفعال من ذبح الأطفال وقتل النساء وهتك الأستار إلى آخر ما هو مذكور في قصة مقتله «عليه السلام».

والعرب كانت تشكر المنة الياسيرة حتى النساء فقد كان دريد بن الصمة الجشمي فارس هوازن أغار ربيعة بن مكدم الكناني رمحأ في بعض الواقع ثم إن كنانة أسرت دريداً فلما نظرته أمراً ربيعة وهي ابنة جذل الطعان نادت: يامعشر كنانة! قد فضحتم في مجدكم، إن أسيركم هذا قد أغار فارسكم يوم الطعن رمحأ، فقاموا إليه وحلوا وثاقه وأطلقوه مكافئة له باليد الياسيرة التي أسدتها لربيعة بن مكدم، والحسين «عليه السلام» مع تلك اليد البيضاء التي أحيا بها ألف فارس وألف فرس كافتته أجلاف أهل الكوفة بتحريم الماء عليه وعلى عياله.

وقصة مروان القرظ العبسي الذي أجاره عوف بن محلم الشيباني إنما كان مكافئة له لأنه أجار ابنته خماعة فأجاره عوف مكافئة بيده وسنعيد القصة بنصها لتعرف مقدرة العرب على المكافأة ووفاءها باليد وسقوط أهل الكوفة في حفة النذالة وهو الجلدية.

قال الميداني في مجمع الأمثال^(١): أوفى من عوف بن محلم كان من وفائه أن مروان القرظ بن زنباع غزى بكر بن وائل فقصوا أثر جيشه فأسره رجل منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمه فلما دخل عليها قالت له أمه: أنك تختال بأسيرك لأنك جئت بمروان القرظ، فقال لها مروان: ما ترجين من مروان؟ قالت: عظم فدائه، قال: وكم ترجين من فدائه؟ قالت: مائة بعير، قال: ذلك لك علَيْ على أن تؤديني إلى خماعة بنت عوف بن محلم، وكان السبب في ذلك أن ليث بن مالك المسمى بالمنزوف ضرطاً لما مات أخذت بنو عبس فرسه وسلبه ثم مالوا إلى خباءه فأخذوا

(١) مجمع الأمثال ٢/٣٣٣.

أهلها وسلبوا أمرأته خماعة بنت عوف بن محلم وكان أصابها عمرو بن قارب وذوآب بن أسماء فسألها مروان القرظ من أنت؟ فقال: أنا خماعة بنت عوف بن محلم فأنتزعها من عمرو وذوآب لأنه كان رئيس القوم وقال لها: غطي وجهك^(١) والله لا ينظر إليه عربي حتى أرتك إلى أبيك، ووقع بينه وبينبني عبس شر بسببيها. ويقال: إن مروان قال لعمرو وذوآب: حكماني في خماعة، قالا: قد حكمناك يا أبا صبهان، قال: فإنني أشتريتها منكما بمائة من الإبل وضمها إلى أهله حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسن كسوتها وأخدمها وأكرمتها وحملها إلى عكا ظ فلما إنتهى بها إلى منازلبني شيبان قال لها: تعرفي منازل قومك ومنزل أبيك؟ فقالت: هذه منازل قومي وهذه قبة أبي، قال: فانطلقي إلى أبيك فانطلقت وخبرت بصنيع مروان، فقال مروان فيما كان بينه وبين قومه في أمر خماعة وردها إلى أبيها.

ردت على عوف خماعة بعدها خلاما ذواب غير خلوة خاطب
 ولو غيرها كانت سبية رمحه ل جاء بها مقرونة بالذائب
 ولكن القى عليها حجابها ر جاء ثواب أو حذار العواقب
 فدافعت عنها ناشباً وقبيله وفارس يعبوب وعمرو بن قارب
 ففاديتها لما تبين نصفها بكوم المتألي والعشار الضوارب
 صهابية حمر العتانيين والذرى مهاريس أمثال الصخور مصاعب
 في أبيات مع هذه فكانت هذه يد مروان عند خماعة وذكر باقي القصة كما
 نقلناها عن الصفدي .

هكذا كانت شيم الأحرار وشهمة العرب الأماجد فإنهم يأنفون لابنه الرئيس أن تؤسر أو تسلب أو يجرى عليها بعض الهوان لذلك أنف هذا العربي الكريم لأبناء زعيم ربيعة وإن كان عدواً له ولقومه وأستاء لأنكسارها فاختار مباعدة قومه على هوان هذه الكريمة فرأى من واجب الشرف العربي الغيرة على هذه العقبة لتحفظ من الهوان فأشتراها من قومه بما له بعد خصم شديد وكساها فاخر الكسوة وعين لها خادمة تخدمها مناسبة لقدرها ثم حملها فأوصلها إلى قومها.

أن العروبة الصميمة تريك في أبناءها رونق الشهمة والمجد لا كلفيف

(١) هذه القصة ترجم أنف من يزعم أن العرب أهل سفور لأنها صريحة بلزوم الحجاب للحرائر والمسيبة تعتبر جارية لذلك تسفر .

الأوباش وحالة الأمم أهل الكوفة الزاعمين التأصل في العروبة، كلا والله هم أبعد منها بعد الشري عن الشري، فلو كانت عربتهم خالصة من شوب الأختلاط وعربتهم محضة صافية من كدوره سوء الانتساب لفعلوا فعل الأحرار وتنافسوا في مآثر المجد العربي يوم طف كربلاء فمنعوا من أسر عقيلة سادات البشر وأنفوا من سبي مخدرة الوحي المحجوبة بحجاب الجلال الحوراء زينب بنت أمير المؤمنين «عليه السلام» التي هي أشرف من خماعة جداً وأباً وأخاً وعمّا وحالاً فأصبحت بين أولئك العلوج الأجلاف كما قيل:

تمسك باليسرى حشا قلبها وتعقد باليمنى مكان الخمار
يقول ذلك العربي الحر لخماعة: غطي وجهك والله لا يراك عربي، وبنت رسول الله ﷺ بين هؤلاء الفجرة اللئام كما قيل:

تصفح البلدان صورة سبها أشكال بارزة بذل المثل
ومن عجيب وفاء العرب ما ذكره الميداني في مجمع الأمثال من قصة الحارث ابن ظالم المري^(١): من وفاء الحارث أن عياض بن ديهث مر برعاء الحارث بن ظالم وهو يسوقون فسوقى فقصر رشاؤه فأستعار من أرشية الحارث فوصل رشاؤه فأروى إليه فأغار عليه بعض حشم النعمان فأطردوا إليه فصالح عياض: يا جاراه! يا جاراه! فقال الحارث: متى كنت جارك؟ فقال: أما وصلت رشائي برشائك فسبقتك إبلي فأغير عليها والماء في بطونها، قال: جوار ورب الكعبة، فأتى النعمان فقال: أبيت اللعن أغار حشمك على جاري عياض بن ديهث فأخذوا إليه وماله فاردده عليه، فقال النعمان: أفلأ تشد ما وهي من أديمك؟ يريد أن الحارث قتل خالد بن جعفر بن كلاب في جوار الأسود بن المنذر، فقال الحارث: هل تعدون الحلبة إلى نفسي فأرسلها مثلاً، فتدبر النعمان كلمته فرد على عياض ماله و أهله.

وقال الميداني في قولهم «أوفي من أبي حنبل» هو أبو حنبل الطائي ومن حدثه أن أمرئ القيس نزل به ومعه أهله وماله وسلاحه ولأبي حنبل أمرأتان جدلية وتغليبية فقالت الجدلية: رزق أتاك الله به ولا ذمة له عليك ولا عقد ولا جوار فأرى لك أن تأكله وتطعمه قومك، وقالت التغليبية: رجل تحرم بك وأستجارك وأختارك فأرى لك أن تحفظه وتفي له، فقام أبو حنبل إلى جذعة من الغنم فأحتلبها وشرب

لبنها ومسح بطنه وحجل ثم قال:
 لقد آليت أغدر في جداع وإن منيت أمات الرباع
 لأن الغدر في الأقوام عار وإن الحر يجزي بالكراع
 فقالت الجدلية وقد رأت ساقيه حميشتين: ما رأيت كاليوم ساقى واف، فقال
 أبو حنبل: هما ساقا غادر شر، إنتهى.

أبو حنبل هذا من رجال العرب المشهورين وكان عزيزاً منيعاً حمي الأنف
 أجار الجراد لما وقع بجواره فحمله من أن يصاد فما قدر أحد أن يصيده حتى طار
 عن جواره وبه يفتخر شاعر طيء حيث يقول:

ومنا ابن مر أبو حنبل أجار من الناس رجل الجراد
 وزيد لنا ولنا حاتم غيث الورى في السنين الشداد

في أبيات، والأوفاء كثieron ولا أزيدك على أن العرب تفي بأكثر مما ذكرت
 وأنها تتمسك للوفاء بأضعف سبب كوصل الرشاء بالرشاء، ورهن قوس لا يساوي
 درهمين، وربما أعطى الرجل منهم عوداً لا قيمة له فيفي ولا يغدر، هذه
 كانت شمائل العرب الأحرار وسجايا الكرام الأمجاد لا كأهل الكوفة الغدرة الذين
 لوثوا تاريخ العرب بدنس أعمالهم ودنسوا عرض المجد العربي النقي فأصبحوا لا
 تمسكهم الأيمان المغلظة ولا العهود المؤكدة ولم يأنفوا لجار يضام ولا لنزيل
 يهتضم فهم أدباء الأدنياء وحالة العرب اختلطت عربتهم بالنبطية والفارسية
 فأصبحوا من هذا وذاك لفيفاً ونجوا نتاج البغل من الحمار والبرذون فلا هم عرب
 ولا هم أعجماء كما أن البغل لا فرس ولا حمار؛ فالهياكل البدنية والأشكال
 الصورية عربية منظراً وملمحاً، والأفعال نبطية، والأعمال فارسية مخبراً وتجربة لا
 يفون بعهد ولا يثبتون على وعد ولا يشكرون النعمة ولا يرون أثراً للصناعة العظيمة
 ويقابلون الإحسان بالإساءة كما جاء في المثل العالمي «جزاء الإحسان بـكان»
 هؤلاء السفلة قابلو الحسين «عليه السلام» مقابلة من لم يعرق جبينه حياء ولم يبال
 بأقتراف ما شوه سمعة الكرام فيقولون له بكل صلافة قحة ووقاحة بشعة: إنزل على
 حكم الأمير.

من ذلك الأمير ينزل على حكمه ياسفة الأمة وأوباش العرب؟ هو ابن
 العاهرة الفاجرة وسليل الدعي المفتضح الذي هو ساقط بين المهددين، ويا للأسف
 ينزل ابن رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة على حكمه! تلك والله تزول منها

الرواسي وتندك الرواسخ وتزلزل الأرض بقطرتها.

للمؤلف:

دعوا يارعايا السوء ما لوث المجد
فهل لحسين في البرية مشبه
وإن لواء الحمد في الحشر خافق
أسيان من أحبي الشريعة والهدى
أمية تهدي للضلال غواتها

أحکمتموا في سيد السادة العبدا
أباً فاق في أخلاقه الغر أو جدا
على رأسه فأستوجب الشكر والحمد
ومن خاض في الأشراك بدء ومرتدا
وآل على المرتضى تهلك الرشدا

وقاء العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» والنصل عليه

وهذا ظاهر لأن جميع أفعال العباس بن علي «عليهما السلام» يوم الغاضرة وفاء منه بحق الطاعة المأمورة في الميثاق على البشر والوفاء برعاية حق الإمام «عليه السلام» والوفاء بالبيعة، والوفاء بالوعد له بالنصرة، والوفاء برعاية حق الصحابة والجوار إلى غير ذلك من أنواع الوفاء المحمود الذي أداه أبو الفضل «عليه السلام».

للمؤلف:

أوفي الأماجد في عهد وفي عدة
شبل الوصي وفي للسبط بيعته
فقام بالطف والهندي في يده
يستحصد القوم حصد الزرع مجتهداً
وفي ذمام وفاء غير منكورة
إذ أخلفت وعده أهل المعاذير
كشعـلة النار في ظلماء ديجور
بـذـي الفـقـار فـسـائل يوم عـاشـور

(١) كامل الزيارة: ص ٢٥٦ طبع النجف.

إباء العباس الأكبر «عليه السلام»

ومن صفات العباس الأكبر النفسية الإباء، هذا الخلق النفسي من أميز أخلاقه وأشهر صفاتـه، ولا تقصـر شهرته عن شهرة الشجاعة، والإباء هو من شيم الـاحرار وشمائل الـكرام ومن إـمارات المـجد ودلـائل النـجابة وعزـة النـفس وأحد نـتائج الشـجاعة التي هي إـحدى فـضـائل النـفـس وأـصـولـها الـأـربـعة، فإنـ النـفـس الـعـزيـزة يـحـدـثـ لـهـاـ اـمـتـنـاعـ عـنـ قـبـولـ الضـيـمـ وـالـرـضـوخـ لـذـلـ الـأـسـبـابـ فـمـتـىـ ماـ سـمـيـتـ ضـيـماـ أوـ أـرـيدـ بـهـاـ هـوـانـاـ نـفـرـتـ نـفـرـةـ الـمـهـرـةـ الـعـرـبـيـةـ عـنـ ذـلـ صـلـصـلـةـ الـلـجـامـ، وـمـثـلـ هـذـهـ النـفـسـ الـحـرـةـ وـالـرـوـحـ الـكـرـيمـ الـمـوـتـيـنـ الـلـتـيـنـ سـتـلـاـقـيـهـمـاـ لـاـ مـحـالـةـ وـلـاـ بـدـ لـهـاـ مـنـ أـحـدـهـمـاـ الـمـوـتـةـ الـحـمـيـدةـ عـلـىـ حـدـودـ السـيـوـفـ الـمـسـلـوـلـةـ وـالـمـوـتـةـ الـذـمـيـةـ عـلـىـ فـرـاشـ الـمـذـلـةـ وـالـهـوـانـ، فـتـخـتـارـ أـحـمـدـ الـمـوـتـيـنـ.

وليس لامة من الأمم ولا لشعب من الشعوب ما للعرب في سبيل الإباء، وليس بنفوس سائر الأمم ما بنفوس العرب من الأنفة عن ذل الاهتمام، فقد يضحـيـ العـرـبـيـ العـرـيقـ فـيـ السـوـدـ الصـمـيـمـ فـيـ الـمـحـتـدـ نـفـسـهـ الـنـفـيـسـةـ وـيـلـقـحـ حـرـبـاـ شـعـواـءـ مـهـوـلـةـ كـثـيرـةـ الـأـخـطـارـ ذاتـ تـهـاـوـيلـ وـشـدـائـدـ فـيـ قـبـالـ كـلـمـةـ لـاـ تـحـتـمـلـهـاـ النـفـسـ الـعـرـبـيـةـ لـمـاـ فـيـهـاـ مـنـ الـوـصـمـةـ لـشـرـفـهـ وـالـاهـتـضـامـ لـمـجـدهـ عـنـ نـفـسـهـ اوـ عـلـىـ نـاقـةـ تـؤـخذـ مـنـهـ قـهـراـ اوـ تـطـرـدـ عـنـ الـمـرـعـىـ وـمـاـ شـاـكـلـ ذـلـكـ، كـمـاـ هـوـ سـبـبـ أـكـثـرـ حـرـوبـ الـجـاهـلـيـةـ.

أما الإباء المـحـبـوبـ لـكـلـ نـفـسـ حـرـةـ فـيـ كـلـ دـورـ مـنـ أـدـوارـ حـيـاةـ الـبـشـرـ وـهـوـ الـذـيـ أـكـدـتـهـ الشـرـائـعـ السـمـاـوـيـةـ وـالـكـتـبـ الـمـقـدـسـةـ وـنـدـبـتـ إـلـيـهـ الـأـسـفـارـ الـمـنـزـلـةـ مـنـ عـنـ اللهـ تـعـالـىـ فـهـوـ إـباءـ الـذـيـ يـكـونـ فـيـ سـبـيلـ دـفـعـ الـأـسـبـابـ الـجـائـرـ وـمـقاـمـةـ الـأـسـتـعـمـارـ الـجـبارـ، ذـاكـ هـوـ إـباءـ الـحـرـ وـهـوـ مـرـ الـمـذاـقـ كـرـيـهـ الطـعـمـ إـلاـ فـيـ فـمـ مـنـ أـسـتعـذـبـهـ عـلـىـ مـجـاجـةـ مـذـاقـهـ وـمـرـارـةـ طـعـمـهـ وـلـاـ نـعـلـمـ مـؤـسـساـ لـهـذـاـ إـباءـ غـيرـ الـحـسـينـ بـنـ عـلـيـ «ـعـلـيـهـمـاـ السـلـامـ»ـ وـأـقـتـفـيـ أـثـرـهـ أـهـلـ بـيـتـهـ الـأـحـرـارـ الـأـمـاجـدـ أـبـاءـ الـضـيـمـ وـحـمـاءـ الـأـنـوفـ فـأـقـتـدـيـ بـهـ وـبـهـمـ سـائـرـ مـنـ عـافـ الذـلـ وـتـرـفـعـ عـنـ الرـضـوخـ لـلـهـوـانـ، وـلـذـكـ يـقـولـ قـائـلـهـمـ وـقـدـ صـمـمـ عـلـىـ الـمـوـتـ مـسـتـدـفـعـاـ بـهـ ضـيـمـ الـحـيـاةـ وـمـؤـثـرـاـ عـزـ الـمـنـيـةـ عـلـىـ ذـلـ

العيشة الدنيا:

وإن الأولى بالطف من آل هاشم تأسوا فسروا للكرام التأسيا

معنى الإباء لغة وعقلاً

معنى الإباء لغة:

قال في القاموس: أبي الشيء يأباء إباء وإباء بكسرهما كرهه، والأبية التي تعاف والتي لا ترید عشاء، وأبيت الطعام كرهته، ورجل أبياً محركة أمتتع فهو آب وأبي.

وقال في المصباح: أبي الرجل يأباء إباء بالكسر والمد إباهة أمتتع فهو آب وأبي.

وقال في النهاية: الإباء أشد الامتناع.

معنى الإباء العقلي:

هو كالمعنى اللغوي وهو الامتناع من المذلة وهو كما علمت نتيجة الشجاعة.

قال في سلوك المالك^(١): الانفة وهي نبو النفس عن الأمور الدنيا.

وقال^(٢): وأن يحدث عن تركيب الشجاعة مع العفة الغيرة على الحرم وإنكار الفواحش.

وقال ابن مسکویه في تهذیب الأخلاق^(٣): وأما الشجاعة فإن صاحبها يسمى آنفاً وغيوراً، الخ.

وما ذكره هذا الفيلسوف مقتبس من كلام العرب فإنهم يرون تضحيه النفس في سبيل حفظ الشرف وعدم الأنقياد للسلطة الجائرة متجاوزاً حد الشجاعة ويسمون الاتصاف بها إباء وأنفة وحمية فيقولون للمتصف بها: حمي الأنف وأبي الضيم، ويقولون: فلان غيور فخور أنف، وفلان ذو أنفة كل هذه الألفاظ تطلق على من تجاوز وصف الشجاعة إلى وصف أرقى منها وأنبل وكانت هذه الصفات من مميزات بنی هاشم وشعار الحماة من آل عبد المطلب لذلك يقول راثي الحسين «عليه السلام»:

قل بقوم بهم يحمي الطريد واستقام الكون فيهم والوجود

(١) سلوك المالك في تدبير المالك: ص ٢٦.

(٢) نفسه: ص ٣٣.

.

(٣) تهذیب الأخلاق: ص ٣٧٩.

**أبرغم منكموا ساد يزيد يا أباه الضيم ما هذا القعود
والموالي اليوم سادتها العبيد**

واختص بها الحسين بن علي «عليهما السلام» وأهل بيته دون سائر العرب، فإذا قيل أبي الضيم لا يتبادر منه إلا الحسين «عليه السلام» والتبادر علة الحقيقة فإن موقف الحسين «عليه السلام» في كربلاء بإزاء تيار العدو المتلاطم وثباته في ذلك الموطن الحرج الذي تزل فيه أقدام الشجعان مما أدهش العقول وحير الأفكار وأذهل الألباب حتى أصبح ذلك السيد العظيم نحيرة المجد والشرف وضحية الفخر والسؤدد، وما ضحى تلك النفس الكريمة التي لا ثمن لها في هذا العالم إلا في سبيل إحياء الدين وإشادة المجد ولذلك أصبح أسوة الأشراف وقدوة العظام المتأثرين بعده كما تمثل بعضهم وقد ليم على الإقدام: وإن الأولى بالطف، البيت المتقدم.

وقال المقتدر الخليفة العباسي لأمه حين صمم على لقاء مؤنس المظفر وقد لاحت أمارات الخذلان على جيشه: سلام عليك أنه يوم الحسين.

وتتمثل مروان بن محمد بن مروان المنبوذ بالحمار آخر ملوكبني أمية لما استقتل بشعر سأطي ذكره.

أسباب الإباء وثمراته

وهي كثيرة أهمها في النظر من حيث السببية هي عزة النفس فإن النفس متى كانت عزيزة أمنت عن كل وصمة تمس الشرف وعافت كل دني محترق يدنس المجد والسؤدد وهان عليها الموت مع العز، وأهم الثمرات في الإباء هو التخلص مما يلحق المجد من عار الأبد وخزي الدهر فإن الراضخ للهوان المحتمل لأهتمام سيعيش قليلاً وينتقل إلى الفناء ذمياً ممقوتاً مع تحمله عناء الذل الطويل والخزي الوبيـل، والأبي يعيش قليلاً عزيزاً ويموت كريماً حميداً، ما ذكره حر إلا وأثنى عليه، ولا نعت عند شهم إلا قرظه وأطراه، ولا ثار ثائر في طلب مكرمة أو تفادياً من جور أو تخلصاً من ذل إلا هتف باسمه ونوه فيه تنويه مخلص مقتدياً به أقتداء المأمور بإمامـه العـادـلـ.

الإباء من خصاص العرب:

أما كون الإباء من طباع العرب وشيم أرباب اللسان الفصيح خاصة دون سائر الأمم فهذا أثر ظاهر للعيان وقد اسفرت الصحف التاريخية والأسفار الأثرية الصحيحة عن ضبط وقائع العرب التي طحنت رحا حروبها بشراً كثيراً والتهمت

خلقاً عظيماً فدارت معاركها الشديدة على أقطاب الإباء زمناً طويلاً حيث كانت العربية حرة والعروبة محضة لم تختلط بلغيف روما ولا أخلاق فرنجة ولا أوزاع الكيانية فما حرب البسوس الطاحنة وحرب داحس والغبراء الماحقة إلا نزعة من نزعات الإباء ونفثة من نفاثات الأنفة من تهور المتعاظمين كلب بن ربيعة وحديفة ابن بدر.

قال الخفاجي في سر الفصاحة^(١): وأما الغيرة والأنفة والصبر والجلد فمعلوم منهم حتى نسبوا إلى الفظاظة وذكروا بالقساوة وعلل ذلك بإكثارهم أكل لحوم الإبل وإدمانهم التقوت بها وزعموا أن في طباعها قساوة القلوب^(٢) ومن عادتها غلظ الأكباد وهذا وهم متى هب في أحدهم نسيم الصباة ودببت في مفاصله نشوة الهوى لانت تلك المعاطف ورقت تلك الشمائل وعاد ذلك العز ذلاً وفرقاً وصارت تلك النخوة توسلأً وخضوعاً لكنه مع العفاف من الريب والبعد من التهم والمساوات بين الظاهر والباطن والاتفاق بين الغائب والبادي، إنتهى.

وقال جميل مدور في حضارة الإسلام في دار السلام بعد أن وصف شقاوة أهالي مرسيليا من أروبا^(٣) قال: فأين هذا من حضارة العرب وصلاح أمرهم وأتساع المعاش بين أيديهم وأحتذائهم أشرف السنن العادلة فكان الله تعالى قد اختص أمتهم من الفضل والنعمة ما حرم منه أمم الغرب فإنما العرب أحلى منهم وأحلم وأعلى وأعلم وأقوى وأقوم وأعطي وأعطف وأحصى وأحصن وأشرى للفخار وأشرف وأنفى للعار وآنف وكفاهم من نعم الله السابقة ما ركب في طباعهم من الأنفة وكبر النفس فأذكر أنك لو رأيتهم يتظلمون إلى الخلفاء من العمال الجائرين ويبذلون نفوسهم دون أحتمال الضيم ولو طرفه عين، الخ ما ذكر مما شاهده في الغربيين من السفور المنافي للغيرة وأصول الديانة.

أشعار العرب في الإباء

أما حالة العرب في الإباء والأنفة فسنورد لك نبذة من أشعارهم يجعلها الآنفون أنموذجاً فعلياً وشذرة من أخبارهم يتخذها الأبيون دستوراً عملياً.
أما الأشعار فكثيرة جداً منها قول خطيب الشعراء وحكيم الأدباء عبد العزيز

(١) سر الفصاحة: ص ٥١.

(٢) يدل عليه قول شاعرهم:

يكي علينا ولا نبك على أحد

لنحن أعظم أكباداً من الإبل

(٣) حضارة الإسلام في دار الإسلام: ص ٢٩٦.

بن نباتة السعدي في الحسين «عليه السلام»:
والحسين الذي رأى الموت في العز حياة والعيش في الذل قتلا

وقال أبو الحسن التهامي:

من فاته نيل العلا بعلومه
فموت الفتى في العز مثل حياته

وقال عمر بن براقة الهمданى:

وكيف ينام الليل من جل ماله
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها
ومن يطلب المال الممنوع بالقنا

وقال الحارث بن الأرقم:

وما ضاق صدري يا سليمى بشخصكم
تروك لدار الضيم والخسف منكر
إذا سامني السلطان ذلاً أبيته

وقال العباس بن مرداش السلمي:

يأبى فوارس لا يعرى صواهله
لا والسيوف بأيدينا مجردة

وقال المسيب بن علس الضبعي:

أبلغ ضبيعة أن البلاد
وقد يقعد القوم في دارهم
ويرتحل القوم عند الهوان
وقد كان سامة في قومه
فساموه خسفاً فلم يرضه

وقال شاعر أسدى:

إنى أمرئ منبني خزيمة لا
لست بمعط ظلامة أبداً

وقال يزيد بن مفرغ الحميري وتمثل بها الحسين بن علي «عليهما السلام»:

وأقلامه فليبغها بحسامه
وعيشه في الذل مثل حمامه

حسام كلون الملح أبيض صارم
مراغمة ما دام للسيف قائم
يعش ماجداً أو تخترمه المخaram

ولكنني في الحادثات صليب
بصير بفعل المكرمات أريب
ولم أعط خسفاً ما أقام عبيب

أن يقبلوا الخسف من ملك وإن عظما
لا كان منا غداة الروع منهزا

فيها الذي قوة مغضب
إذا لم يضاموا وإن أجدبوا
عن دراهم بعد ما أخذبوا
له مطعم وله مشرب
وفي الأرض عن خضمهم مهرب

أطعم خسفاً الناعب نعبا
عجماء ولا أتقى بها عربا

ح مغيرةً ولا دعوت يزيدا
والمنايا يرصنني أن أحيدا

لا ذعرت السوام في فلق الصب
يوم أعطى من المخافة ضيما
وقال آخر:

ولا يقر على ضيما إذا غشما
أمسى وقد ثبت الصفان منهزا

إني أنا المرء لا يغضي على ترة
ألقى المنية خوفاً أن يقال فتى
وقال آخر:

وأقاموا فعل اللئيم الذليل
ت موت الذليل غير جميل

كرهوا الموت فاستبيح حمامهم
إمن الموت تهربون فإن المو

ولا مرتق بمن خشية الموت سلما
لنفسي حياة مثل أن تقدما
ولكن على أقدامنا تقطر الدما
 علينا وهم كانوا أعق وأظلما
يلافي المنايا أي ضرب تيمما

وقال الحصين بن الحمام المري:
ولست بممتع الحياة بسببة
تأخرت أستبق الحياة فلم أجد
فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا
نفلق هاماً من رجال أعزه
أبى لابن سلمى أنه غير خالد

أنخنا فحالفنا السيف على الدهر
فلا نحن أغضينا الجفون على وتر

وقال يحيى بن منصور الحنفي:
ولمانأت عنا العشيرة كلها
فما أسلمتنا عند يوم كريهة

وإن لم أستفدي إلا عناءا
أصابت بي الحمام أو العلاء
أفاض على تلك الكبراء
إذا أنت لدته بالذل قاءا
وقام على براثنه إباءا

وقال الشريف الرضا أبو الحسين الموسوي:
سامضي للتى لا عيب فيها
وأطلب غاية إن طوحت بي
فإنى من أباء الضيما آب
ومنا كل أغلب مستميت
إذا ما ضيما نمر صفحتيه

ولا سوقة إلا الوشيج المقوما
كصاعقة في عارضن قد تبسما

وقال الشداخ الكناني:
أبينا فلا نعطي مليكاً ظلامة
وإلا حساماً يبهر العين لمحة

قال الراغب الأصبهاني الشافعي في محاضرات الأدباء^(١): لما وقعت الهزيمة على مروان بن محمد آخر ملوكبني أمية، أهاب الناس أن يرجعوا فلم يلووا فأنتضى سيفه وقاتل قتال مستقل فقيل له: لا تهلك نفسك ولد الأمان، فتمثل بأبيات قالها الحسين بن علي «عليهما السلام» يوم قتل وهي:

أذل الحياة وذل الممات وكلا أراه طعاماً وبلا
فإن كان لا بد إحداهما فسيراً إلى الموت سيراً جميلاً

انتهى، فالحسين «عليه السلام» المثال الحقيقي للإباء، والمثال الأعلى لكل أحذثة مجد يتحدث بها كريم نفس وحبي أنف، فقد أصبح بما سنه من الإباء وعزّة النفس وامتناعها من الرضوخ للمذلة والهوان أسوة كل ذي نفس عربية شماء، وقدوة كل ذي همة قعساء لم يتأسى به مروان الحمار فقط بل قد سمعت ما قاله المقتدر العباسي ومصعب بن الزبير.

الأيون من العرب والأنقون من زعماهم

هم أقسام: قسم يأنف لاحتضام جار أو نزيل وفي طليعة هذا القسم جساس بن مرة الشيباني المعروف بحامى الذمار ومانع الجار ويلحق به آخرون سلكوا مسلكه.

وقسم يأنف من هوان يمر به يسومه إيه ذو رفة وأقدار، ومن هذا القسم عمرو بن كلثوم التغلبي وقيس بن زهير العبسي.

وقسم يأنف من هتك عرض وهذا كثير في العرب.

وقسم وهو أشرف هذه الأقسام وأذكرها وأفخرها وهو الذي يأنف من الرضوخ لإمرة جبار وضيع وسلطة أثيم معتمدي يروم استعباد الأحرار ويحاول السيطرة على الكبراء بسلطته الجبارية العجائرة ويجهد في إذلالهم بقوته القاهرة، وعند العرب شمم وشموخ وعزّة نفس وكبريات متنمّعة بمجدها السامي وفخرها الشامخ والإباء الذي سن لقمع ولاة الجور وردع أئمة الفجور وحكام الجبروتية هو الذي أسسه أبو الأئمة شهيد كربلاء سبط رسول الله ﷺ أبو عبد الله الحسين بن علي «عليهما السلام» حين نهض تلك النهضة الكريمة وثار تلك الثورة المقدسة المقدرة المحترمة عند جميع الأحرار إلى يومنا هذا وهي التي يتمسك بها أرباب الغيرة والحمية على القوميات الحرة ونصراء العنصرية والمجد القومي كي يحرر

شعبه وقومه من ذل الاستعمار كما حرر الحسين «عليه السلام» العروبة والإسلام من أستعباد الجلفية الأموية القاسية وطغام الأمة السفلة الأنذال.

القسم الأول: من أباء العرب وأحرارها:

جساس بن مرة بن ذهل الشيباني حامي الذمار ومانع الجار من سادات بكر بن وائل من ربيعة قتل كليب بن ربيعة كليب وائل الذي يقال له أعز من كليب وحمى كليب وهو سيد ربيعة قتله جساس وهو صهره فظن العرب أنه قتله بناقة قيمتها مائة درهم وذلك أنها كسرت بيضاً في حماه وقيل بل رعت في حماه مختلطة بابل جساس وأخطاؤها إنما قتله لأنه قد ضامه وأهتضمه بأعتدائه على جاره ونحن نذكر من القصة المطولة ما هو السبب في قتل كليب يستفيد القارئ منه ويعرف الناس عزة العرب وطماحها الشرفي ونرقها المجدى.

قال الجواليني الجنبي في شرح أدب الكاتب^(١): كان سبب ذلك أن كليباً خرج يوماً يدور في حماه فإذا هو بحمرة على بيض لها فلما نظرت إليه صرقت وخفقت بجناحها، فقال لها: أمن روتك أنت وببيضك في ذمتى، ثم دخلت ناقة البسوس الحمى فكسرت البيض فرمها كليب في ضرعها فأستغاثت البسوس بجارها جساس وكان كليب زوج أخت جساس فعدى عليه جساس ومعه عمرو ابن الحارث^(٢) ابن عميه فقتلاه فوقعت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة ولم تسكن الحرب حتى قتل جساس الخ.

هذا ما ذكره الجواليني والمشهور عند علماء السيرة أنها كانت تختلط بابل جساس فترعى في حماه وإن اختلفوا بين من يقول أن الناقة المعروفة بسراب هي للبسوس نفسها وبين من يقول أنها لرجل جرمي كان جار للبسوس خالة جساس.

قال ابن عبد ربه المالكي في العقد الفريد^(٣) في كليب: أجمعت عليه معد كلها وجعلوا له قسم الملك وتأجه ومحبه وطاعته فغير بذلك حيناً من دهره ثم دخله وهو شديد وبغي على قومه لما هو فيه من عزة وأنقياد معد له حتى بلغ من بغيه إنه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويغير على الدهر فلا تخفر ذمته ويقول وحش أرض كذا في جواري فلا يهاج ولا تورد إيل أحد مع إيله، ولا

(١) شرح أدب الكاتب: ص ٢٦١.

(٢) عمر بن الحارث يسمى المزدلف ويقال له ذو العمامة الفردة وهو شيباني وفيه قيل: كالمستجير بعمرو عند كربته

(٣) العقد الفريد ٣٣٥.

توقد نار مع ناره حتى قالت العرب: أعز من كليب وائل، وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهمة وكان كليب قد تزوج جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان وأخوها جساس بن مرة وكانت مرة بنت منقد التيمية خالة جساس بن مرة نازلة في بني شيبان المجاورة لجساس وكان لها ناقة يقال لها سراب ولها تقول العرب «أشأم من سراب» و«أشأم من البسوس» فمررت إيل لكليب بناقة البسوس وهي معقولة بفناء بيتها جوار جساس بن مرة فلما رأت سراب الإبل نازعت عقالها حتى قطعته وتبعـت الإبل فأختلطـت بها حتى أنتهـت إلى كليب وهو على الحوض معه قوسـه وكتـنته فلما رأـها أنـكرـها فأـشـتدـ عـلـيـها بـسـهـمـ فـخـرمـ ضـرـعـها فـنـفـرـتـ النـاقـةـ وهـيـ تـرـغـوـ فـلـمـ رـأـتـهاـ الـبـسـوـسـ قـلـعـتـ خـمـارـهاـ عـنـ رـأـسـهاـ وـصـاحـتـ:ـ وـاـ ذـلـاهـ!ـ وـاـ جـارـاهـ!ـ وـخـرـجـتـ فـأـحـمـسـتـ جـسـاسـاـ الخـ.

هـكـذـاـ قـالـ وـوـافـقـهـ جـمـاعـةـ،ـ وـقـالـ آـخـرـوـنـ:ـ النـاقـةـ لـجـارـ الـبـسـوـسـ وـمـنـهـ المـيدـانـيـ الـحنـفيـ وـنـصـهـ فـيـ مـجـمـعـ الـأـمـثـالـ^(١):ـ هـيـ بـسـوـسـ بـنـتـ منـقـذـ التـيـمـيـةـ خـالـةـ جـسـاسـ بـنـ مـرـةـ بـنـ ذـهـلـ بـنـ شـيـبـانـ قـاتـلـ كـلـيـبـ وـكـانـ مـنـ حـدـيـثـهـ أـنـ كـانـ لـبـسـوـسـ جـارـ مـنـ جـرـمـ يـقـالـ لـهـ سـعـدـ بـنـ شـمـرـ وـكـانـ لـهـ نـاقـةـ يـقـالـ لـهـ سـرـابـ وـكـانـ كـلـيـبـ قـدـ حـمـىـ أـرـضـاـ مـنـ أـرـضـ الـعـالـيـةـ فـيـ أـنـفـ الرـبـيعـ فـلـمـ يـكـنـ يـرـعـاهـ أـحـدـ إـلـاـ إـيلـ جـسـاسـ لـمـصـاهـرـةـ بـيـنـهـمـاـ وـذـلـكـ أـنـ جـلـيلـةـ بـنـتـ مـرـةـ أـخـتـ جـسـاسـ كـانـتـ تـحـتـ كـلـيـبـ فـخـرـجـتـ سـرـابـ نـاقـةـ الـجـرـمـيـ فـيـ إـيلـ جـسـاسـ تـرـعـىـ فـيـ حـمـىـ كـلـيـبـ فـنـظـرـ إـلـيـهاـ كـلـيـبـ فـأـنـكـرـهاـ فـرـمـاـهـ بـسـهـمـ فـشـلـ ضـرـعـهاـ فـوـلـتـ تـرـغـوـ حـتـىـ بـرـكـتـ بـفـنـاءـ صـاحـبـهاـ وـضـرـعـهاـ يـشـخـبـ دـمـاـ،ـ فـلـمـ نـظـرـ إـلـيـهاـ صـرـخـ بـالـذـلـ فـخـرـجـتـ جـارـتـهـ الـبـسـوـسـ وـنـظـرـتـ إـلـىـ النـاقـةـ فـلـمـ رـأـتـ مـاـ بـهـاـ ضـرـبـتـ يـدـهـاـ عـلـىـ رـأـسـهـاـ وـنـادـتـ:ـ وـاـ ذـلـاهـ!ـ ثـمـ أـنـشـأـتـ تـقـولـ:

لـعـمـرـكـ لـوـ أـصـبـحـتـ فـيـ دـارـ مـنـقـذـ لـمـاـ ضـيـمـ سـعـدـ وـهـوـ جـارـ لأـبـيـاتـيـ وـلـكـنـنـيـ أـصـبـحـتـ فـيـ دـارـ غـرـبـةـ مـتـىـ يـعـدـوـ فـيـهاـ الذـئـبـ يـعـدـوـ عـلـىـ شـاتـيـ فـيـاـ سـعـدـ لـاـ تـغـرـرـ بـنـفـسـكـ وـأـرـتـحلـ فـيـاـنـكـ فـيـ قـوـمـ عـنـ الـجـارـ أـمـوـاتـ وـدـونـكـ أـذـوـادـيـ فـيـاـنـىـ عـنـهـمـواـ لـرـاحـلـةـ لـاـ يـفـقـدـونـيـ بـنـيـاتـيـ

زادـ فـيـ سـيـرـةـ بـنـيـ شـيـبـانـ فـيـ هـذـهـ الأـيـاتـ:

فـسـرـ نـحـوـ جـرـمـ إـنـ جـرـمـاـ أـعـزـةـ وـلـاـ تـكـ فـيـهـمـ لـاهـيـاـ بـيـنـ نـبـوـاتـيـ إـذـاـ لـمـ يـقـومـوـ لـيـ بـشـارـيـ وـيـصـدـقـوـاـ طـعـانـهـمـوـاـ وـالـضـرـبـ فـيـ كـلـ غـارـاتـ

فلا آب ساعيهم ولا سد ثغرهم ولا زال في الدنيا لهم شر نكبات قال الميداني : فلما سمع جساس قوله سكنها وقال لها : أيتها المرأة ليقتلن غداً جمل هو أعظم عقراً من ناقة جارك ، ولم يزل جساس يتوقع غرة كليب حتى خرج كليب لا يخاف شيئاً وكان إذا خرج تباعد عن الحي الخ .

وقال ياقوت الحموي **الخارجي** في معجم البلدان^(١) : إن كليباً قال يوماً لأمرأته وهي جليلة بنت مرة أخت جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان وأم جساس هبلة بنت منقذ بن سلمان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكانت أختها البسوس نازلة على ابن أختها جساس ، قال لها : أتعرفين في العرب من هو أعز مني ؟ قالت : أخواي جساس وهمام ، وقيل : قالت : نعم أخي جساس وندمانه عمرو المزدلف بن ربيعة بن الحارث بن ذهل بن شيبان ، فأخذ قوسه فخرج فمر بفصيل لناقة البسوس فعقره وضرب ضرع ناقتها حتى احتلط لبنها ودمها وكانا قد قاربا حماماً فأغمضوا له على ذلك فأستغاثت البسوس ونادت بويلها ، فقال جساس : كفي فسأعقر غداً جملأً هو أعظم من عقر ناقة ، فبلغ ذلك كليباً فقال : دون عليان خرت القتاد فذهبت مثلاً ، وعليان فحل إبل كليب ثم أصابتهم سماء فمرا بنهر يقال له شبيب فأراد جساس نزوله فأمتنع كليب قصداً للمخالفة ، ثم مروا بالأحص فأراد جساس نزوله فخالفه كليب ، ثم مروا ببطن الجريب فجرى أمره على ذلك حتى نزلوا الذنائب وقد كلوا وأعيوا وعطشوا فإغضب ذلك جساساً فجاء عمرو والمزدلف معه وقال : يا وائل ! - هو اسم كليب - طردت أهلنا من المياه حتى كدت تقتلهم ، فقال كليب : ما معناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون ، فقال له : هذا كفعلك بناقة خالتى ، قال : أو ذكرتها ؟ أما إني لو وجدتها في غير إبل مرة - يعني أبا جساس - لا ستحللت تلك الإبل ، فعطف عليه جساس فرسه وطعنه بالرمح فأنفذه فيه ، فلما أحس بالموت قال : يا عمرو ! اسكنني ماء ، يقول ذلك عمرو المزدلف ، فقال له : تجاوزت الأحص وشبيب ، ثم كانت حرب بني وائل وهي حرب البسوس أربعين سنة وهي حروب يضب بها المثل ، الخ .

أما الميداني بعد قوله : إذا خرج تباعد عن الحي بلغ جساساً خروجه فخرج على فرسه وأخذ رمحه وأتبعه عمرو بن الحارث فلما يدركه حتى طعن كليباً فقال : يا جساس ! أغثني بشربة ماء ، فقال جساس : تركت الماء وراءك وأنصرف عنه ولحقه عمرو فقال : يا عمرو أغثني بشربة ماء ، فنزل إليه وأجهز عليه فضرب به

المثل، فقيل:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار
إلى هنا، وتشبه هذه القساوة البدوية قساوة اللعين شمر بن ذي الجوشن
الضبابي سمع الحسين «عليه السلام» يستغيث بشربة ماء فإغاثه بالذبح عاجلاً وفرق
بين القصتين أن كلباً كان طاغوتاً متجرراً كثير العنت والإذلال على قومه يتحرى
إذلالهم بكل ما وجد إليه سبيلاً، والحسين «عليه السلام» كان رؤوفاً رحيمًا باراً
مشفقاً عظيم الإحسان، وصولاً للأمة، منعماً على الرعية، وجميع أيديه على
العرب بيضاء ولكن الشمر ونظراؤه أجلاف جفاة أراذل سفلة.

قال الميداني: وأقبل جساس يركض وركبته بادية، فقال أبوه لمن حوله: قد
أتاكم جساس بداهية، قالوا: ومن أين تعرف ذلك؟ فقال: لظهور ركبتيه فإنني لا
أعلم أنها بدت قبل يومها، ثم قال: ما ورائك يا جساس؟ فقال: والله لقد طعنت
طعنة لتجتمع منها عجائز وائل رضاً، فقال: وما هي ثكلتك أمك؟ قال قتلت
كلباً، فقال أبوه: بئس لعمر الله ما جنيت على قومك، فقال جساس:
تأهب عنك أهبة ذي امتناع فإن الأمر جل عن التلاحي
فإنني قد جنيت عليك حزناً تغض الشیخ بالماء القراب
 فأجابه أبوه:

فإن تك قد جنيت على حرباً فلا وإن ولا رث السلاح
سائليس ثوبها وأذب عنني بها يوم المذلة والفضاح
قال: ثم قوضوا الأبنية وجمعوا النعم والخيول وأزمعوا الرحيل، وكان همام
بن مرة أخو جساس نديماً لمهلهل بن ربيعة أخي كلب فبعثوا جاريتهم إلى همام
لتعلم الخبر وأمروها أن تسره من مهلهل فأتتهما الجارية وهما على شرابهما
فسارت هماماً بالذي كان من الأمر، فلما رأى ذلك مهلهل سأل هماماً عما قالت
الجارية وكان بينهما عهد أن لا يكتم أحدهما صاحبه شيئاً، فقال: أخبرتني أن
 أخي قتل أخيك، قال مهلهل: أخوك أضيق أستاً من ذلك، وسكت همام وأقبل
على شرابهما، فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الخائف،
فلم تلبث الخمر مهللاً حتى صرعته فأنسلا همام فرأى قومه قد تحملوا فتحمل
معهم وظهر أمر كلب ونشب الشر بين بكر وتغلب أربعين سنة الغـ.

فهذه الأنفة كان سببها اهتمام الجار والتزيل والعرب تألف وتحمي في

الجوار لما دون الناقة فإن بعضهم أنف أن يصاد الجراد في جواره، وبعضهم حمى الحيوانات المفترسة لأنها دخلت في جواره.

قال الميداني الحنفي في مجمع الأمثال^(١): ذكر ابن الأعرابي عن ابن الكلبي أن مدلوج بن سويد الطائي خلي ذات يوم في خيمته فإذا هو بقوم من طي معهم أوعيتهم، فقال: ما خطبكم؟ فقالوا: جراد وقع بفنائك فجئنا لتأخذنه، فركب فرسه وأخذ رمحه وقال: لا والله لا يعرضن له أحد منكم إلا قتله، إنكم رأيتموه في جواري ثم تريدون أخذنه، فلم يزل يحرسه حتى حميت الشمس وطار فقال: شأنكم الآن فقد تحول عن جواري، ويقال إن المجير للجراد كان حارثة بن مر أبو حنبيل.

وذكر البيهقي الشافعي في المحسن والمساوي^(٢) أن جماعة من الأعراب أثاروا ضياعاً فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا: أخرجها، فقال: ما كنت لأفعل قد استجارت بي، فانصرفوا وكانت هزيلة فأحضر لها لقاها فجعل يسقيها حتى عاشت فقام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته، فقال شاعرهم في ذلك:

ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقى الذي لاقى مجير أم عامر
أعذ لها لما استجارت بقربه غذاء من ألبان اللقاح الغزائر
وأسمنها حتى إذا ما تملأ فرتها بأنيات لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزء من يجود بمعرفة على غير شاكر
انتهى، فقد بلغ من تهالك العرب على إكرام الجار الغاية التي لا يوصل
إليها، فقد كان عدي بن حاتم الطائي يفت الخبز للنمل ويقول: إنهم جارات،
وقصة الحولاء شبيهة البوسوس فيبني سعد بن تميم أطلبها من مجمع الأمثال^(٣).

القسم الثاني: الأنفين من الهوان؛

للضيم والمذلة لا هتضام أنفسهم عند شموخ ذي سلطة عليم وتطاوله بعظمة الملك وكبراء الزعامة مع كونهم أشراف قبائلهم وسادات قومهم وهم عند أنفسهم من أعز العرب وأمنعها وأدفعها للضيم وهؤلاء منهم قيس بن زهير العبسي فإنه أعتدى عليه حذيفة بن بدر الفزاري في الرهان الواقع بينهما وكان حذيفة سيد غطfan عموماً وزادت رياسته على كل رياضة انتشاراً وشهرة ولضخامة رياسته

(٢) المحسن والمساوي ٩٥ / ٢.

(١) مجمع الأمثال ١٤٩ / ١.

(٣) مجمع الأمثال ٢٥٨ / ١.

وعظمتها لقبته العرب رب غطفان وكان فيه جبروتية وطغيان، وفيه زهو وخيلاء، نحو منحى كليب ونهج منهجه في ظلم العشيرة وإذلال سراتها وسامها الخسف، وبلغ من تجبره وعتوه إنه أراد أن يبني في بلاد غطفان بيتاً يضاهي به الكعبة المشرفة ويصرف إليه حاج العرب فأبىت العرب عليه ذلك وحاربته ومنعه من مقصوده وكان زهير بن جناب الكلبي أحد الواثنين عليه في ذلك هدموا البيت الذي بناه وقيل منعوه عن بناءه.

فلما وجب الرهان بين قيس وحذيفة تمرد من لا يرى له نظيراً وعنى عتو من لا يحسب أن له كفوءاً، فكان أحد من قتله بغية وصرعه ظلمة وأودى به تجبره وهذه الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء دامت أيضاً أربعين سنة وهي كحرب البسوس مطولة نذكر منها السبب الذي أثارها واهاجها بين أبني غطفان عبس وذبيان.

قال الميداني الحنفي في مجمع الأمثال^(١): حرب داحس والغبراء، قال المفضل: داحس فرس قيس بن زهير بن جذيمة العبسي والغبراء^(٢) فرس حذيفة ابن بدر الفزاروي وكان يقال لحذيفة رب معد في الجاهلية وكان من حديثهما أن رجلاً من بني عبس يقال له قرواش بن هني كان يماري حمل بن بدر أخي حذيفة في داحس والغبراء، فقال حمل: الغبراء أجود، وقال قرواش: داحس أجود فتراهنا عليهما عشرأ في عشر فأبى قرواش قيس بن زهير فأخبره فقال قيس: راهن من أحببت وجنبني بني بدر فإنهم قوم يظلمون لقدرتهم على الناس في أنفسهم وأنا نكذ إباء، فقال قرواش: فإني قد أوجبت الرهان، فقال قيس: ويلك ما أردت إلا أشأم أهل بيتك والله لتشعلن علينا شرآ.

ثم إن قيساً أتى حمل بن بدر فقال: أتيتك لأوأضعك الرهان عن صاحبي، فقال لا أوأضعك أو تجيء بالعشر فإن أخذتها أخذت سبقي وإن تركتها ردت حقاً قد عرفته لي العرب وعرفته لنفسي فأحفظ قيساً، فقال: هي عشرون فقال حمل: هي ثلاثون، فتلا حيا وتزايداً حتى بلغ قيس به مائة ووضع السبق على يد علاق أو ابن علاق أحد بني ثعلبة بن سعد.

ثم قال قيس: وأخيرك بين ثلاثة فإن بدأت واخترت فلي خصلتان، قال

(١) مجمع الأمثال ٣٨/١.

(٢) داحس والغبراء كلاماً لقيس بن زهير وقد وهم المفضل ولحذيفة الحنفاء والخطار وعلى هذه الأربعية كان الرهان.

حمل: فابداً، قال قيس: فإن الغاية مائة غلوة وإليك المضمار والميطان أي حيث يوطن الخيل للسبق، قال حرز لهم رجل من محارب فقال: وقع البأس بين أبني بغرض فضمروهما أربعين ليلة ثم استقبل الذي ذرع لهم الغاية من ذات الأصاد وهي ردهة وسط هضب القليب فانتهى الذرع إلى مكان ليس له اسم^(١) فقدادوا الفرسين إلى الغاية وقد عطشوهما وجعلوا السابق الذي يرد ذات الأصاد وهي مليء من الماء ولم يلائم قصة ولا غيرها ووضع حمل حيساً في دلاء وجعله في شعب من شعاب هضب القليب على طريق الفرسين فسمى شعب الحيس لهذا وكم من معه فتياناً فيهم رجل يقال له زهير بن عبد عمرو وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الغاية وارسلوهما من متنه الذرع فلما طلعا قال حمل: سبقت يا قيس، فقال قيس: بعد أطلاع إيناس فذهبت مثلأً، ثم أجدا فقال حمل: سبقتك يا قيس، فقال: رويداً يعدون الجدد أي يتعدىنه إلى الوعث والخباز فذهبت مثلأً، فلما دنوا وقد بربز داحس فقال قيس: المذكيات غلاب - في رواية - غلاء - فذهبت مثلأً، فلما دنوا من الفتية وثبت زهير فلطم وجه داحس فرده عن الغاية ففي ذلك يقول قيس بن زهير:

كما لاقيت من حمل بن بدر وإخوته على ذات الأصاد
فهم فخرروا على بغير فخر وردوا دون غايته جوادي

قال قيس: يا حذيفة! أعطوني سبقي، قال حذيفة: خدعتك، فقال قيس:
ترك الخداع من أجرى من مائة، فذهبت مثلأً، وقال الذي وضع الرهن على يده
أن قيساً قد سبق وإنما أردت أن يقال سبق حذيفة وقد قيل فأدع إليه سبقه، قال:
نعم فدفع إليه الشعلبي السبق.

ثم إن غري بن عميرة وابن عم له منبني فزيارة ندما حذيفة و قال له: قد رأى الناس سبق جوادك وليس كل الناس رأى أن جوادهم لطم فدفعك السبق تحقيق لدعواهم فأصحابهم السبق فإنه أقصر باعاً وكل أحد لن يرتكب، قال لهما: ويحكما أراجع فيها متندماً على ما فرط عجز والله، مما زالا به حتى ندم فنهى حميصة بن عمرو وحذيفة وقال: إن قيساً لم يسبقك إلى مكرمة لنفسه وإنما سبقت دابة دابة فما في هذا حتى تدعى في العرب ظلوماً، فقال: أما إذا تكلمت فلا بد من أخذها، ثم بعث حذيفة ابنه أبا قرفة إلى قيس يطلب السبق فلم يصادفه فقالت

(١) المشهور أن الغاية كانت من واردات إلى ذات الأصاد.

له أمرأته هر بنت كعب: ما أحب أن صادفت قيساً فرجع أبو قرقة إلى أبيه فأخبره بما قالت، فقال: والله لتعودن إليه ورجع قيس فأخبرته أمرأته الخبر فأخذت قيساً زفرات فأقبل متقلباً فلما ينشب أبو قرقة أن رجع إلى قيس فقال له: يقول أبي: أعطني سبقي فتناول قيس الرمح فطعنه فدق صلبه ورجعت فرسه غائرة فأجتمع الناس فأحتملوا دية أبي قرقة مائة عشراء فقبضها حذيفة وسكن الناس فأنزلها على النقرة حتى أنتجهما ما في بطونها.

ثم إن مالك بن زهير نزل للقاء وهي قريب من الحاجر وكان نكح من فزارة امرأة فأتاهها فبني بها وأخبر حذيفة بمكانه فعدى عليه فقتله، ففي ذلك يقول عترة:

فلله عيناً من رأى مثل مالك عقيرة قوم إن جرى فرسان
فليتهمالهم يجريا نصف غلوة وليتهمالهم يرسل لرهان
فأتت بنو جديمة حذيفة فقالت: مالك بن زهير بمالك بن حذيفة ردوا علينا
مالنا، فأشار سنان بن أبي حارثة المري على حذيفة أن لا يرد أولادها معها وأن
يرد المائة بأعيانها، فقال حذيفة: نرد الإبل بأعيانها ولا نرد النسل، فأبوا أن يقبلوا
ذلك، فقال قيس بن زهير:

يود سنان أن نحارب قومنا وفي الحرب تفريق الجماعة والأزل
يدب ولا يخفى ليفسد بيننا دبيباً كما دبت إلى جحرها النمل
فيما بني بغيفن راجعاً السلم تسلماً ولا تشمتا الأعداء ويفترق الشمل
وإن سبيل الحرب وعر مضلة وإن سبيل السلم آمنة سهل
ثم ساق القصة في نشوب الحرب الطاحنة بين عبس وذبيان والمعلوم أن
الخطار كان على الحنفاء^(١) والخطار وهم آل بدر، وداحس والغبراء وهم آل
جديمة والرهان وقع على هذه الأربعة.

ومن الأنفة وقع الصلح بينهما كما وقعت الحرب بينهما.

قال الميداني: فلم تزل عبيس مع بني عامر حتى غزى غزي من بني عامر يوم شواحط بني ذبيان فأسر منهم أنساً أحدهم أخو حبص الضبابي أسره رجل من بني ذبيان فلما انقضت أيام عكاظ أستودعه يهودياً خماراً من أهل تيماء فوجده

(١) الحنفاء هي التي عناها أبو فراس الحمداني بقوله:
كما جرت الحنفاء حتف حذيفة
وكان يراها عذة للشداد

اليهودي يخلفه في أهلة فأجب مذاكيره فمات فوثب حنبص علىبني عبس فقال:
إن غطفان قتلت أخي فدوه، فقال: قيس إن يدي مع أيديكم على غطفان ومع هذا
فإإنما وجده اليهودي على أمرأته فقال حنبص: والله لو قتلته الريح لوديتمه، فقال
قيس لقومه: دوه والحقوا بقومكم فإن الموت في غطفان خير من العياة معبني
عامر، وقال:

لَهُ إِنَّ اللَّهَ قَوْمًا أَرْشَوْا الْحَرْبَ بَيْنَنَا
وَكَانَ مُظْلِومًا وَإِنْ كَانَ شَاطِنًا
فَهَلَا بَنْيَ ذَبِيْلَ أُمَّكَ هَابِلَ رَهْنَتْ بِفَيْفَ الرِّيحِ إِنْ كَنْتَ رَاهِنًا
الْغُ وَلَيْسَ لِلْهُوَانِ حَدٌ فِي نُفُوسِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا لِلْأَنْفَةِ مُنْتَهِيَّ فَقَدْ يَأْنَفَ
مِنْ كَلْمَةِ كَمَا يَأْنَفُ مِنْ ظَلَامَةٍ إِذَا ظَنَ أَنْ فِيهَا إِسْقَاطَ شَرْفِهِ وَإِنْ كَانَتْ فِي شَيْءٍ تَافِهِ
لَا تَقْدِيرَ لَهُ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ وَعَرَبُ الْجَاهِلِيَّةِ تَعْدُهُ عَارًا وَتَرَاهُ سَبَّةً وَمَخْزَةً فَلَا تَجِدُ إِلَى
الْإِغْضَاءِ عَلَيْهِ سَبِيلًا وَهُنَّا قَصَصُ ذَكْرِنَا هَا أَوْلًا وَحَذْفُنَا هَا أَخِيرًا لِلَاختِصارِ كَقصَّةِ
ضَمْضِمِ الْيَرْبُوعِيِّ وَابْنِهِ غَرِّ بْنِ ثَعْلَبَةِ وَقَتْلِهِ إِيَّاهُ، وَكَقصَّةِ مَعَاذِ بْنِ صَرْمِ الْخَزَاعِيِّ
وَجَحِيشِ بْنِ سُودَةَ، وَقَصَّةِ الْجَحَافِ السَّلْمِيِّ وَأَنْفَتِهِ مِنْ كَلْمَةِ الْأَخْطَلِ وَحَدِيثِ وَقْعَةِ
بَنَاتِ قَيْنَ بَيْنَ فَزَارَةِ وَكَلْبِ، وَوَقْعَةِ طَخْفَةِ بَيْنَ بَنَيِّ يَرْبُوعِ وَالنَّعْمَانِ بَنِيِّ الْمَنْذَرِ،
وَوَقْعَةِ ذَيِّ قَارِ بَيْنَ بَنَيِّ شَيْبَانِيِّ وَكَسْرَىِّ.

القسم الثالث: الأنفون لاهتضام الحرم:

ومن هؤلاء عمرو بن كلثوم التغلبي فارس ربيعة وشاعرها وزعيم تغلب بن
وائل وهو أحد أصحاب القصائد السبعة المعروفة بالمعلقات ومطلع معلقته:
إلا هبى بصحنك فأصبحينا ولا تبق خمور الأندرينا
ذكر فيها مآثر قومه، قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء^(١): عمرو بن كلثوم
جاهلي قديم وهو قاتل عمرو بن هند^(٢) قال ذات يوم: هل تعلمون أحداً من
العرب تألف أمه من خدمة أمي؟ قالوا: لا نعلمها إلا ليلى أم عمرو بن كلثوم،
قال: ولم ذاك؟ قالوا: لأن أباها مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل أعز العرب
وبعلها كلثوم بن عتاب فارس العرب وابنها عمرو بن كلثوم سيد من هو منه،
فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستنيره ويسأله أن يزير أمه فأقبل
عمرو بن كلثوم من الجزيرة في جماعة من بني تغلب وأقبلت ليلى في ظعن من بني

(١) الشعر والشعراء: ص ٦٦.

(٢) يسمى محرقاً، ويعرف بمضرط الحجارة.

تغلب وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب ما بين الحيرة والفرات وأرسل إلى وجوه أهل مملكة فحضرها ودخل عمرو بن كلثوم رواقه ودخلت أم عمرو بن كلثوم على هند قبتها وهند أم عمرو بن هند عمة أمرى القيس الشاعر، وليلى بنت مهلهل أم عمرو بن كلثوم أخت فاطمة بنت ربيعة أم أمرى القيس، فدعا عمرو بن هند بمائدة فنصبها ثم دعا بالطرف فقالت هند: يا ليلى! ناوليني ذاك الطبق، فقالت: لتقم صاحبة الحاجة لحاجتها، فأعادت عليها، فلما ألحت صاحت ليلى: واذلاه يا آل تغلب! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه، فقام إلى سيف لعمرو بن هند معلق في الرواق وليس سيف هناك غيره فضرب به رأس عمرو بن هند حتى قتله ونادى فيبني تغلب: فأنتهوا جميع ما في الرواق وأستاقوا نجائه وساروا نحو الجزيرة وابنه عتاب بن عمرو بن كلثوم قاتل بشر بن عدس وأخوه مرة بن كلثوم قاتل المنذر بن النعمان بن المنذر، ولذلك قال الأخطل:

أبني كليب إن عمي اللذا قتلا الموك وفكك الأغلا

يعني بعميه مرة وعمراً أبني كلثوم، وعمرو بن كلثوم هو القائل:

الأهبي بصحنك فأصبحينا

وكان قام بها خطيباً فيما كان بينه وبين عمرو بن هند وهي من جيد شعر العرب وإحدى السبع المعلمات ولشغف تغلب بها قال بعض الشعراء:

إلهيبني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لفخر غير مسؤوم

ومنهم قيس بن عاصم المنقري التميمي السعدي:

سيد أهل الوبر وهو فارس بني تميم وبطلها وزعيمها وأنفة قيس بن عاصم للعرض من وجوه عديدة ولها طرق كثيرة يطول أستيفاؤها منها قصة المجنونة التي أسرها الحوفزان بن شريك الشيباني فأستخلص قيس منه السبي ونجا بتلك الحمقاء فألح عليه قيس حتى حفزه بالرمي وأستنقذها منه، وتقدمت قصتها.

وبلغ قيس من الأنفة في العصر الجاهلي إلى حد سن للعرب دفن البنات أحياء وهو الوئد وتلك المؤودة التي قال الله تعالى عنها: ﴿وَإِذَا آتُوا مَوْءِدَةً سُلِّتْ ۝ ۝ ۝﴾^(١) إلى أن أشرق نور الشريعة المحمدية فغير تلك السنة القاسية.

قال الميداني في مجمع الأمثال^(٢): كان السبب في ذلك أنهم كانوا منعوا

الملك ضريبته وهي الأتاوة التي كانت عليهم فجرد النعمان إليهم أخاه الريان مع دوسر أحد كتائبه وكان أكثر رجالها من بكر بن وائل فأستاق نعمهم وسبى ذراريهم فوفدت وفودبني تميم على النعمان بن المنذر في الذاري وحكم النعمان في ذلك أن يجعل الخيار في ذلك إلى النساء فأي امرأة اختارت زوجها ردت عليه، فاختلفن في الخيار وكان فيهن بنت لقيس بن عاصم فأختارت سببها على زوجها فنذر قيس بن عاصم أن يدس كل بنت له في التراب فوأد بضعة عشر بنتاً، الخ.

هكذا جاءت هذه الرواية ولم يتفرد بها الميداني بل عليها كثير من نقلة الأثر، ويظهر من تصريح آخرين أن سبب وأده للبنات خوف السيدة بتزويج غير الأكفاء لا أن ابنته سبيت وذلك ظاهر في جوابه لأبي بكر بن أبي قحافة لما سأله في حياة النبي ﷺ: لم تشد البنات يا قيس؟ فقال له قيس: مخافة أن يتزوجن مثلك وهذا أقرب إلى ذوق هذا الزعيم إذ لا قدرة للنعمان علىبني تميم حاربه بطن منهم يوم طخفة فكسره تلك الكسرة الفاضحة وأخذوا ليطمة كسرى سيد النعمان وما منعها النعمان منهم ولا حماها وبسببها كانت وقعة الكلاب الثاني المعروفة بيوم الصفقة لما تحروا عن مستعمرة كسرى إلى حدود اليمن فغزتهم ملوك اليمن فكانوا غنيمتهم الباردة.

ومنهم خالد بن جعفر العامري الكلابي:

قتل زهير بن جذيمة العبسي لأجل امرأة من هوازن كما سبق في ترجمته.

ومنهم أكل المرار الكندي الملك:

وهو حجر بن الحارث بن عمرو المقصور غزاه ابن مندلة ملك سليح من قضاة وأسر زوجته هند الهنود وكان غائباً فلما رجع وعلم الخبر أكل المرار غضباً وهو شجر مر لا تسيء البهائم.

قال الميداني في مجمع الأمثال^(١): قولهم: «لا غزو إلا التعقب» أول من قال ذلك حجر بن الحارث بن عمرو أكل المرار وذلك أن الحارث بن مندلة ملك الشام كان من ملوك سليح من ملوك الضجاعم وهو الذي ذكره ابن جوين الطائي في شعره فقال:

هنا لك لا أعطي رئيساً مقادة ولا ملكاً حتى يؤب بن مندله
وكان قد أغاد على أرض نجد وهي أرض حجر بن الحارث وذلك على عهد

(١) مجمع الأمثال ١٣١/٢.

بهرام جور وكان بها أهل حجر فوحد القوم خلوفاً ووُجد حجراً قد غزى أهل نجران فأستاق ابن مندلة مال حجر وأهله وأخذ أمراته هند الهنود ووقع بها فإعجبها وكان أكل المرار شيخاً كبيراً وابن مندلة شاباً جميلاً فقالت له: النجاء فإن وراءك طالباً حيثاً وجمعوا كثيراً ورأياً صليباً وحزماً وكيداً، فخرج ابن مندلة مغداً إلى الشام وجعل يقسم المربع نهاره أجمع فإذا كان الليل أسرجت له السرج يقسم عليها، فلما رجع حجر وجد ماله قد أستيق ووُجد هنداً قد أخذت فقال: من أغارت عليكم؟ قالوا: ابن مندلة، فقال: منذكم؟ فقالوا: بعد ثمان ليالي، فقال حجر: «لا غزو إلا التعقب» فأرسلها مثلاً يعني غزوه الأول والثاني، وقوله «ثمان في ثمان» يعني سبقة بثمان وسليحه في ثمان أخرى.

ثم أقبل يجد في طلب ابن مندلة حتى دفع إلى واد دون منزل ابن مندلة فكم من فيه وبعث سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة وكان من مناكير العرب فقال حجر: إذهب متذمراً إلى القوم حتى تعلم لنا علمهم، فانطلق سدوس حتى انتهى إلى ابن مندلة وقد نزل في سفح الجبل وقد أوقن ناراً وأقبل يقسم المربع ونشر تمراً وقال: من جاء بحزمة حطب؟ فذهب سدوس وأتى بحزمة حطب وألقاها على النار وأخذ قبضة من تمر فألقاها في كناته وجلس مع القوم يستمع إلى ما يقولون وهند خلف ابن مندلة تحدثه، فقال ابن مندلة: يا هندا! ما ظنك الآن بحجر؟ قالت: إني أراه ضارباً بجوشنه على واسطة رحله وهو يقول: سيروا سيروا لا غزو إلا التعقب وذلك مثلما قال زوجها سوء.

ثم قالت هند لابن مندلة: والله ما نام حجر إلا وعضو منه حي، فقال ابن مندلة: وما علمك بذلك وأنهرها، قالت: إني كنت له فاركاً فيينا هو ذات يوم في منزل قد خرج إليه رابعاً فضربت له قبة من قبابه ثم أمر بجزر فنحرت وبشأه فذبحت فصنع ذلك ثم أرسل إلى الناس فدعاهم فأطعمهم فلما طعموا خرجوا فنام كما هو مكانه وأناجالسة عند باب القبة فأقبلت حية وهو نائم باسط رجله فذهبت الحية تنهشه فقبض رجله ثم تحولت من قبل يده تنهشه فقبض يده إليه ثم تحولت من قبل رأسه فلما دنت منه وهو يغط قعد جالساً فنظر إلى الحية فقال: ما هذه يا هند؟ فقلت: ما فطنت لها حتى جلست، فقال: لا والله، وذلك كله بسمع سدوس، فلما سمع الحديث رجع إلى حجر فثار التمر من الكنانة بين يديه وقال:

أناك المرجفون بأمر غريب على دهش وجئتكم بالبيقين
فلما حدث بحديث أمراته مع ابن مندلة عرف أنه قد صدقه فضرب بيده على

المرار وهي شجرة مرة إذا أكلت منها الإبل قلصت مشافرها فأكل منها من الغضب فلم يضره فسمته العرب آكل المرار ثم خرج حتى أغار على ابن مندلة فنذر به ابن مندلة فوثب على فرسه ووقف فقال له آكل المرار: هل لك في المبارزة فأينا قتل صاحبه أنقاد له جند المقتول؟ قال له ابن مندلة: أنصفت وذلك بعين هند، فاختلفا بينهما طعنين فطعنه آكل المرار طعنة جندله بها عن فرسه فوثبت هند إلى ابن مندلة تفديه وأنزعت الرمح من نحره وخرجت نفسه فظفر آكل المرار بجنته وأستنقذ جميع ما كان ذهب به من ماله وما أهل بلاده وأخذ هندًا فقتلها بمكانه وأنشأ يقول:

لمن النار أوقدت بحفيير
لم ينم غير مصطل مقرور
إن من يؤمن النساء بشيء
بعد هند لجاهل مغرور
كل أثني وإن بدارك منها آية الحب حبها خيتوه
إنتهى.

ولسيت أنفة العرب تخصل هذا النوع من الغيرة على الحرم بل يأنفون من الرجل يتحدث إلى نسائهم وقد كان كليب وائل يلقب أخاه مهلهلاً زير نساء لأنه كان كثير التحدث مع النساء ولذلك يقول مهلهل لما أخذ بشار كليب:

فلونشر المقابر عن كليب لخبر بالذنائب أي زير
وفعلت بنو عقيل بجعفر بن علبة الحارثي ما فعلت حتى شهرته لأنه كان يتحدث إلى بعض نسائهم.

فالعرب ليسوا كالأفرنج الذين سلبو الغيرة وعدموا الحمية والذين تختلط نسائهم برجالهم فلا يعرف بعل المرأة من صديقها وهذه الملاعب الرياضية الألمبية والمسارح والسينما وغيرها من المجتمعات العامة وبالأخص الملاهي يحصل فيها ما لا يصبر على أدناه من دبت نشوة الغيرة في مسارب صماماً وتسربت الحمية متوجلة في دماغه فإن ملعب الدنس ولكلاب الذي تطفأ فيه الأنوار الكهربائية ويمد كل رجل من الحضور يده إلى المرأة التي تقع في يده فهي حصته ونصيبه كائنة من كانت فيخلوا بها بدون إنكار ولا تحاش فلا بعلها يأنف ولا حميها يغضب هذا يسمونه مدنية وحرية.

إن هذا مما يشوّه المدنية الحرة ويجهن راقية الحضارة ويمت بها ساقطة إلى الحضيض الأسفل، وما تأبه أيضاً شهامة الأحرار وتمجه نفوس النبلاء الإغيار

ما شاهده النظار من اختلاط نساء الإفرنج برجالهم في المغاطس (المسابح) فإن النساء والرجال يسبحون جميعاً عراة ليس على أج丹هم سوى ما يستر العورتين من لباس اللاستيك وفي أنف العروبة شمم عن مثل هذا وشموخ، إن العربي الممحض ليأنف من المحادثة الساذجة ويغار من الاختلاط البسيط مع الحشمة والوقار والمحافظة على الستر ومع ذلك ليارتفاع بهم مجدهم عن مثل هذه الدنيئة ويتعالى عن أشباه هذه السواقط فهم يرجعون إلى شرف لم يدنس بأداني الأفعال ومجد لم يلوث بذميمات الخصال ففي رؤوسهم نخوة شديدة، وفي أنوفهم شمم غير مستعار فيعطسون بإباء منيع ويرعنون بأنفة عصماء، ويرجعون إلى أنفس حرة وأصول كريمة وعنابر مبرأة من كل وصمة ودنيئة وعار ومذمة.

قال أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال بهامش مجمع الأمثال للميداني^(١): روى بعض العلماء أن عمراً ذا الكلب الهذلي كان عشيقاً لأم خليجة امرأة من قيس فأتتها ليلة فنذر بها قومها فهرب فأتباعوه فمر حتى رفعت له نار فأتتها فوجد عندها رجلاً فسألها طعاماً فدفع إليه تمرات فقال: تمرات تتبعها عبرات من نساء خفرات ومضى فدخل غاراً فجاء القوم يقصون أثره حتى أتوا الغار فقالوا: أخرج إلينا، قال: فلمن دخلته إذن؟! فقالوا لغلام لهم: أدخل فأقتله وأنت حر، فقال عمرو للغلام: وبحكم ما ينفعك أن تتعق بعد أن تموت، فدخل فقتله عمرو وقال: معي أربعة أسهم كأنىاب أم خليجة هي لأربعة منكم، فقتل منهم أربعة فنقبوا عليه من وراء الغار فقتلوه وأتوا بشيابه أم خليجة فوقعت عليها تصرخ وتقول: عطر وريح عمرو، ثم قالت: والله لئن قتلتكموه بما وجدتم عانته وافية، ولا حجزته جافية، ولرب ضب منكم قد أحترشه وثدي قد أفترشه وما أفترشه، ثم أنسأت تقول:

كل أمرء بطول العيش مكذوب وكل من غالب الأيام مغلوب
 وكل حي وإن طالت سلامته يوماً طريقهموا للشر دعوب
 أبلغ هذيلاً وأبلغ من يبلغها يعني مقاولاً وبعض القول تشيرب
 بأن ذا الكلب عمراً خيرهم نسباً ببطن شريان^(٢) يعوي حوله الذيب
 التارك القرن تحت النقع منجدلاً كأنه من دم الأجوف مخضوب

(١) جمهرة الأمثال بهامش مجمع الأمثال ٢/٨٥.

(٢) شريان بئر معروفة إلى اليوم قرب بلدة الزبير الحالية من محافظة البصرة ..

والطاعن الطعنة النجلاء يتبعها متعنجر من نجيع الجوف أسكوب والمخرج الكاعب الحسناء مذعنـة في السبي ينفع من أردانها الطيب تمسيـي النسور إليه وهي لاهية مشـي العذارى عليهمـن الجلابـب فلن تروا عمـرو ما مشـت قـدم وما أـستـحـنت إـلـى أعـطـانـهاـ الـنـيـبـ إـنـتـهـىـ،ـ والـمـشـهـورـ أنـ هـذـهـ الأـبـيـاتـ لـأـخـتـهـ تـرـثـيـهـ بـهـاـ،ـ وـقـصـةـ جـعـفـرـ بـنـ عـلـبـةـ الـحـارـثـيـ مـعـرـوـفـةـ وـذـكـرـهـاـ الـحـموـيـ فـيـ مـعـجمـ الـبـلـدـانـ^(١).

القسم الرابع: الآنفون من الاستعباد الناهضون بالإصلاح

وغرضهم مقاومة الاستعمار الصارم ومكافحة الاستبداد الغاشم ولا نعرف هذا لأحد من رجال الجاهلية وإنما حدث في الإسلام وأول الناهضين به المؤسسين له من كبار المصلحين وعظماء الرجال الذين أنهضتهم الغيرة والحمية على صيانة الشرف وحفظ الدين معاً:

هو سيد الشهداء:

سيد شباب أهل الجنة سبط سيد الأنبياء وشبل سيد الأوصياء إمام أهل الإباء الحسين بن علي «عليهما السلام» فإنما نهضته الإصلاحية وثورته الخطيرة المشهورة في التاريخ الشهيرة في ديوان الإصلاح البشري لم تكن مسببة عن هوان يلحقه في نفسه ولا من أنتقاصل في مجده وشرفه فإن الحسين «عليه السلام» وإن كانت السلطنة لمن دونه في المجد والسلطة للوضيعـاءـ لكنـهـ عـنـ الـمـسـلـمـينـ قـاطـبـةـ فـيـ أـسـمـيـ رـتـبـةـ وـأـعـلـىـ مـكـانـ وـلـهـ عـنـ الـأـمـرـاءـ مـكـانـةـ مـكـيـنـةـ وـمـحـلـ سـامـيـ.

فقد كان «عليه السلام» يأخذ الأموال من عمال معاوية من غير أن يراجع معاوية أو يستأذنه، فلو أقام الحال هذه لم ينقص شرفه ولم يثلم مجده فقد أقام جده وأبواه وأخوه «صلوات الله عليهم أجمعين» زمناً طويلاً والسلطة والسلطنة لغيرهم، وأقام هو «عليه السلام» قبل نهضته والقوم له محترمون يبجلونه غاية التبجيل ولكنه رأى وعاين ما لا يصبر على مثله الحر الكريم، ولا يتحمل أدناه ذو النفس الأبية، والذي يغار على الإسلام والشريعة ويروم الإصلاح في الأمة التي قهرها الاستبداد وأثر فيها نكـدـ الاستـعبـادـ،ـ فقدـ صـدـرتـ منـ عـمـالـ بـنـيـ أـمـيـةـ وـمـلـوكـهـمـ منـ الفـطـائـعـ الشـنـيـعـةـ وـالـأـعـمـالـ الـمـنـكـرـةـ الـمـاـحـقـةـ لـعـامـةـ أحـكـامـ الشـرـيـعـةـ الـمـحـمـدـيـةـ

الناشرة روح المدنية على العالم بأسره فكم دم يراق وحرمة تهتك وأموال تؤخذ جبروتية وغلبة، وفروج تستباح قهراً وتستحل فجوراً إلى غير ذلك من الأمور التي كانت تعملها جبابرة الأمم وفراعنة الملوك الذين أرسل الله إليهم الرسل وأبعت الأنباء المصلحين وأمرهم بمقاومة الاستبداد الجبروتي وأوجب عليهم تغييره ولو بتضحية نفوسهم.

وعلى مثل ذلك نهض الحسين «عليه السلام» نهضته المشهورة وقد صرخ بذلك في كلام له «عليه السلام» في جواب من نهاده عن الخروج وخوفه أعتقد الأمويين: إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي عليه السلام لأمر بينهم بالمعرفة وأنهي عن المنكر، فأختار تلك القتلة الحميضة والتضحية الكريمة في سبيل الإصلاح وتغييراً للبدع وإنكاراً للجور السلطاني على أمة محمد عليه السلام والعدوان الموجه من اللعين الفاجر على عامة المسلمين في أقطار الأرض وقد علمت أن رسول الله عليه السلام كان عظيماً معظماً في قريش يتحاكمون إليه ويرضون بحكمه ويسمونه الصادق الأمين حتى نهض تلك النهضة الإصلاحية التي أوجبت تهذيب العالم من رذائل الأخلاق والعادات الفظة وتقديسه وتطهيره من الأدنس والمنكرات فقاوم الشرك والمنكرات الجاهلية قولأً وفعلاً فعادوا وأظهروا البغض له وتعاونوا في البغي عليه وأصرروا على العناد والتعنت وتمادوا في اللجاج حتى أصبحوا صرعى بغيهم وظللتهم.

وكذلك سبيل كل من قام من المصلحين العظام بنهاية يروم بها قمع الأباطيل وكبح جمحت الأضاليل فإنه يلاقي عراقيلاً شديدة ويواجهه أفعى النكات التي يوجهها ضده أنصار الجور وبغا العداوة والمصلح العظيم لا يقف عند عروض العرائيل في سبيل دعايته ولا تهمه الأخطار التي تحف بمقصده المقدس وغايته الشريفة فلا يرتجف قلبه عند ملاقات المحن والشدائد ولا يكثر بالكوارث الطارقة، ولا يهتم لقلة الأنصار والمساعددين له على دعايته ونشر دعوته، ولا يهن قوى العزم عن السير في تلك الخطة القوية وإن تكبد ما تكبد من المصاعب الشاقة ولاقي من الأهوال المزعجة.

نعم، قل لي أين يوجد مثل الحسين بن علي «عليهما السلام»؟ هيئات أن يوجد مثله في هذا النوع البشري، إنها كلمة حق لا مغالاة فيها ولا شطح، إن رجلاً قام يخطب في أنصاره وأعوانه وقد أحاطت به الأخطار من كل ناحية وأكتنفته الأهوال من كل وجهة ويأمرهم بالتفرق عنه لكيلا يصابوا بمثل ما يصاب

به من التضحية لنفسه التي صمم على تضحيتها وأختارها مذ رأت عينه وسمعت أذنه ما حل بالإسلام وال المسلمين من الوييلات من إراقة الدماء وذبح الأطفال وقتل النساء وشق بطون الحوامل عن الأجنة وهتك الأستار وإباحة الفروج وما لا يسعني إحصاؤه في مثل هذه العجالة فعاهد الحسين «عليه السلام» الأبي الغيور والشهم الحر نفسه أن لا يتريث عن مقاومتهم خطوة، ولا يتوانى عن مناواتهم لحظة حتى يصلح ما أفسدوا، ويداوي كلم ما أجرحوا أو يفتدي الدين بنفسه، ومن كان هذا اعتقاده وإليه جلّ سعيه وأجتهاده فجدير أن يمض بعزم ثابت وجاش رابط منفرداً بتلك النفس العظيمة العديمة المثل، وحرى به أن يقول لمن أكتنفه من أذاذ الرجال ومساعير الحروب المصاليل الذين أنهضتهم حمية الدين معه وأثارتهم عواطف الشعور العربي: هذا الليل قد غشكم فاتخذوه جملأً ولأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سوادكم فإن القوم ليس لهم طيبة غيري فإذا ظفروا بي لهوا عن طلب سواي.

السبب في أمر الحسين «عليه السلام» أصحابه بالتفرق

وإنما أمرهم بالتفرق في مثل هذه الساعة الحرجة والموقف الرهيب مع كونه أحوج ما يكون إلى تكثير المساعدين بدلاً عن تفريق الحاضرين وصرف المدافعين عنه لأمرین:

أحدهما: أن الأمر معه وصل إلى الغاية التي لا يرجو معها البلوغ إلى الغرض الذي يرمي إليه وهو تغيير سنن الجائزين وكبح جماح المتمردين وإنما المتيقن عنده في تلك الساعة هو القتل لا غير والشهادة ليس إلا وأنه مقتول وجد له ناصراً أم لم يجد، وأن مطلوب عدوه قتله دون من تبعه من الناس فأحب أن يتمتعوا بالحياة إلى وقت ويتنهوا بالعيش إلى حين ولكن الكرام أبوها ورفضوها قائلين لم نفعل ذلك لنبق بعدك لا أرانا الله ذلك، وقالت طائفة أخرى منهم: لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لأنّنا ننهوض معك على الإقامة فيها.

ثانيهما: أنه «عليه السلام» أحب مع علمه بثبات أصحابه وقوه عزائمهم ونفوذ بصارفهم وأن نهضتهم دينية أن يكشفها للأمة كشفاً ظاهراً حتى لا يطعن طاعن أو يقدح قادح في سياسته «عليه السلام» فيزعم أن نهضته غير دينية وإنه كان يحاول سلطاناً فأغتر بذلك جماعة من الناس وأخددهم فتوهموا أنه سينال سلطنة ويصيب ملكاً حتى أوقعهم في الخطة التي إنتهت بهم إلى القتل والقوم عرب

يأنفون عن التسلل عنه فراراً ويستهجنون أن يقال لهم تركتم صاحبكم وأسلمتموه عند مترك المنايا للمنون وهربتم ناجين بأنفسكم فأظهر «عليه السلام» للناس بترخيصه لهم في مفارقته ما أgettته نفوسهم وأنطوت عليه ضمائيرهم من الإخلاص الصادق والمحبة العظيمة للتضحية معه وأنهم ما تبعوه إلا على الشهادة ولا زموه إلا لأجل القتل معه ولم يتبعوه على ملك ولا سلطان.

رفض أصحاب الرخصة في الانصراف عنه:

وإنما رفضوا الرخصة في النجاة من الموت وأختاروا القتل معه على الحياة

لأمرین :

أحدهما: حفظ رسول الله ﷺ فيه لقوله ﷺ: أيها الناس! إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وهذا صريح قول بعض خطباءهم لأهل الكوفة: بنسمما خلفتهم محمداً في أهل بيته.

وثانيهما: إنهم يطلبون مثل الذي يطلب من مقاومة الجور والعدوان والتضحية في سبيل إحياء الدين وتقويم الإسلام وإظهار كلمة الحق ونشر العدل والأمن أمة محمد ﷺ لأنهم كلهم من الزهاد وعباد الناس وصلحاءهم وقد قال بعض الكوفيين عقب الواقعة بزمن يوبخ رجلاً كان مع عمر بن سعد: ويلك! قتلت ابن رسول الله ﷺ والعباد الصالحين معه، فقال: ثارت علينا عصابة أيديها على مقابض سيفها لو ونينا عنها ساعة لأتت على الجمع بحذافيره الخ.

صلاحهم وزهدهم مما لا شك فيه، فأخبروا الحسين «عليه السلام» بما عرفه التاريخ من قولهم وفعلهم، فألمح لهم كل قادر بأنهم لم يكن لهم غرض ولا حاجة في هذه الحياة الفانية والعيشة الزائلة فهم لا يطلبون الدنيا التي تركوها ولا يريدون الحياة التي سئمواها وإنما رفضوها لأجل هذه الغاية الشريفة فقالوا معلنين: إنما طلقنا حلائنا وفارقنا ديارنا وأهالينا وأعرضنا عن زهرة دنيانا إلا لكي نفديك بأرواحنا، قال راثيهم:

جادوا بأنفسهم عن نفس سيدهم وقد رأوا لبئرهم من بعده عارا فالحسين «عليه السلام» هو أول من سن الإباء أنفة من الرضوخ للأستبداد الجائر وأسس نهضة الفخر في مقاومة سلطة الأستعباد الصارم.

قال ابن أبي الحديد الكاتب الحنفي المعزالى في شرح نهج البلاغة^(١): سيد

أهل الإباء الذي علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيف اختيارة له على الدنية أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب «عليهما السلام»، عُرض عليه الأمان هو وأصحابه فأنف من الذل وخاف ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان مع أنه لا يقتله فاختار الموت على ذلك، وسمعت النقيب أبو زيد يحيى بن زيد العلوى البصري يقول: كأن أبيات أبي تمام في محمد بن حميد الطائى ما قيلت إلا في الحسين «عليه السلام»:

إليه الحفاظ المر والخلق الوعر
ونفس تعاف الضيم حتى كأنه
هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبتت في مستنقع الموت رجله وقال لها من دون أخْمَصَك الحشر
تردى ثياب الموت حمراً فما بدا لها الليل إلا وهي من سندس خضر
لما فر أصحاب مصعب عنه وتخلف في نفر يسير من أصحابه كسر جفن
سيفه وأنشد:

وإن الأولى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا
فعلم أصحابه أنه أستقتل، ومن كلام الحسين «عليه السلام» يوم الطف
المنقول عنه نقله زين العابدين علي ابنه «عليه السلام»: ألا إن الدعي ابن الدعي
قد خيرنا بين أثنتين: بين السلة والذلة وهيئات من الذلة يأبى الله ذلك لنا رسوله
والمؤمنون وجحور طابت وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبية، وهذا نحو
قول أبيه «عليه السلام»: إن أمرء أمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويفرى جلده
ويهشم عظمه لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره، أنت فكن ذاك
إن شئت وأما أنا فدون أن أعطي ذلك ضرب بالشرفية تطير منه فراش إلهام وتطيع
السواعد والأقدام الخ.

نقد المؤلف لابن أبي الحبيب في إباء الحسين «عليه السلام»

ليس كل مؤلف وإن نبل ولا كل كاتب وإن نبغ يعرف الحقيقة وينكشف له واقع الأمر، فهذا الكاتب البلigh لم يعرف حقيقة الحسين «عليه السلام» ولا مقدار أثر نهضته في سبيل الإصلاح، ما سيم الحسين «عليه السلام» الهوان إلا في آخر خطوة خطها إلى الموت وقالوا له بعد أن قرعهم بقوارع الوعظ اللاذع يوم العاشر من المحرم وأخبرهم بخيانتهم ونكثهم فقالوا: ما ندري ما تقول ولكن أنزل على حكم بني عمك، ومتنى قالوا هذه المقالة بعد مجيء الشمر «لعنه الله» بكتاب ابن

زيادة لعنه الله عصر التاسع «من المحرم» بأن لا يقبل عمر بن سعد «لعنه الله» من الحسين «عليه السلام» إلا النزول على حكمه والاستسلام أو الحرب وكان الشمر هو الذي أشار على ابن زياد بهذا الرأي على ما رواه ثقة المؤرخين فكان جواب هؤلاء ما سمعت، فقال الحسين «عليه السلام»: هيئات لا أعطيكم بيدي إعطاء الدليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد، وإليه أشار السيد حيدر الحلبي (رحمه الله) في رثاءه:

فسامته يركب إحدى اثنتين وقد صرت الحرب أسنانها
 فإذا يرى مذعنًا أو تموت نفس أبي العز إذ عانها
 ف قال لها اعتصمي بالإبا فنفس أبي وما زانها
 إذا لم نجد غير ليس الهوان فبالموت تنزع جثمانها
 فأين منتهى الغاية من مبدأ المدى ومحل الهدف من موقف الرامي أن مبادئ
 النهضة الحسينية منذ عهد معاوية إلى أبتداء بيعة يزيد البيعة العامة وحتى مسيره إلى
 العراق لم يسم هواناً ولم يرد به الإذلال والخضوع وإنما كان غنيمتهم سكوتهم عنهم
 وعدم تعرضه لهم فلو حصل منه ذلك لبني أمية لكانوا عندهم الفائدة التي لا
 تدانيها فائدة ولكنه أبي ذلك نظراً لمصلحة الدين وحمية للإسلام والشريعة فأظهر
 مناواتهم ومبادرتهم والتنديد لأعمالهم وإعابة أفعالهم القبيحة، هذا ديدن الحسين
 «عليه السلام» وأمية تأخذ باللين والإرفاق وهذه العصور الأموية التي عاش بها
 الحسين «عليه السلام» هي ترجمان حقيقة ما قررناه:

أما عصر معاوية بن أبي سفيان فقد كان معاوية يرى أن في الحسين «عليه
 السلام» نخوة إباء متغلغلة في دماغه الكريم وبمعطسه شمم متوجل في خيشومه
 الأشم ويعرف أن الغطرسة الأموية ذات النزوة الجبروتية مملوءة بالتمويليات
 والنيرنجة السياسة الخلابة التي يخدعون بها ضعفاء العقول ليست برائحة على
 الحسين «عليه السلام» ولا مؤثرة فيه حتى ينخدع فينقاد فلذلك كان معاوية مع
 شدته وغلوظته على سلاله علي «عليه السلام» وتذكره لأحقاد بدر وأحد وغيرها وما
 هو بالنافي لمعركة صفين التي دارت رحاها طاحنة لجيشه بيد مديرها صاحب
 الصولة الهاشمية أبي الحسن القرم «عليه السلام» فقد كان ينخدع للحسين «عليه
 السلام» ويلين له جانبه ولا يعامله إلا بالرفق والأناة حيث كان هو «عليه السلام»
 يخطو بقدم المنعة والعز ويمد يد القدرة والتمكين إلى الأموال المحمولة إلى
 معاوية بغیر مراجعة له ولا استئذان منه وهو ملك ذلك العصر المنفرد وسلطان

الوقت المسلط، وإذا كاتب معاوية كاته بكل جواب لاذع ووجه إليه كل خطاب نافذ بما هو أمضى من حدود الأسنة.

أما يزيد بن معاوية فكان على عداوته لأهل البيت «عليهم السلام» وشدة بغضه للحسين «عليه السلام» كان في أشد ما يكون من مراءات جانب الحسين «عليه السلام» خوفاً منه أن يقوم بنهاية دينية أو ثورة تزعزع عرش سلطنته فكان يتوصل إلى إرضاء الحسين وإقناعه بكل ما وجد إليه سبيلاً وأعظم الوسائل عنده أن يعاتبه ويعاتب أشراف قومه فلما علم أن الحق يمنع الحسين «عليه السلام» من الانقياد إليه والاتباع له وأن الدين يوجب عليه النهوض لمكافحة الاستبداد مال إلى العنف والشدة قوله ولأن فعله وبذل له الأماني والمرغبات وقتل في الذروة والغارب وتوسل إلى ذلك بكل وسيلة حتى أنه استغاث بقريش وأستعادهم على الحسين «عليه السلام» وخوفبني هاشم عاقبة الحرب حيث يقول في كلمة يرويها الطبرى المؤرخ في أخبار الدولة العباسية وابن كثير المؤرخ الشافعى الدمشقى وسبط ابن الجوزي الحنفى وآخرون ونصها:

يأيها الراكب الغادى لطريقه على عذافرة فى سيرها قح
أبلغ قريشاً على نأى المزار لها
ووقف بفناء البيت أنشده
هنا تموا قومكم فخرأ بأكمموا
وهي التي لا يدانى فضلها أحد
إنى لأعلم أو ظنأ لعالمه
أن سوف يترككم ما تدعون به
يا قومنا لا تشبو الحرب إذ سكنت
قد غرت الحرب من قد كان قبلكموا
فانصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً

وقد كان الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو والي المدينة ليزيد بن معاوية يعظ الحسين «عليه السلام» وهو الذي كتب إلى ابن زياد ينهاه عن حرب الحسين «عليه السلام» وقد كان أيضاً عمرو بن سعيد الأشدق الأموي الذي خلف الوليد على ولاية المدينة وهو جبار بني أمية قد بذل للحسين «عليه السلام» الأمان مع ضمانه له الحباء والتجليل والاحترام وبعث أخاه يحيى بن سعيد إليه وأستقبله في

الطريق قاصداً إلى العراق ومعه عبد الله الجواد ابن جعفر الطيار ولكن الحسين «عليه السلام» رفض كل سلم لبني أمية وأبى كل مصالحة لهم حيث أنه يرى في مساملتهم تقوية للجور الذي أرتكبوه وإضعافاً للعدل الذي قهروه وخطبه «عليه السلام» مملوءة بهذا كقوله «عليه السلام»: أفلأ ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتَناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً، وإنني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا بربما.

نعم، إنه نزل كربلاء وأحاطوا به وحصروه بتلك الفلاة بغير مادة ولا مدد وظهرت لهم علامات الغلبة ساموه تلك الخطة الذميمة فرفضتها نفسه الأبية وشمخ عن قبولها أنفه الشماء كما قال شاعر الأنصار^(١):

أبْتَ لِي عَفْتِي وَأَبْتَ بَلَائِي وَأَخْذِي الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِيع
وَاعْظَامِي عَلَى الْمُكْرَرِهِ نَفْسِي وَضَرَبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشَيْحِ
بَذِي شَطْبِ كَلُونِ الْمَاءِ صَافِ وَنَفْسُ ما تَقْرَرَ عَلَى الْقَبِيْحِ
لَا دُفَعَ عَنْ مَآئِرِ صَالِحَاتِ وَأَحْمَى بَعْدَ عَنْ عَرْضِ صَحِيحِ
وَقَدْ تَمَثَّلَ الْحَسَنُ «عليه السلام» بِقولِه شاعر الأنصار من الصحابة وقد ليم على الجهاد مع النبي ﷺ وخوف بالموت:

سَأْمَضِي وَمَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتِيْ
إِذَا مَا نَوَى حَقًا وَجَاهَدَ مُسْلِمًا
وَوَاسَى الرِّجَالَ الصَّالِحِينَ بِنَفْسِهِ وَجَاهَدَ مُثْبُرًا وَفَارَقَ مُجْرِمًا

فالنهضة الحسينية لها مبادئ تشتمل على غايات شريفة وهي ما ذكرنا من نشر العدل والأمن في الأمة والتسوية والمساوات في القسم ونشر الأحكام كلها التي فرضتها شريعة الإسلام، ولها خواتم تشتمل على فضائل شتى وهي ما ذكرنا من اختيار القتلة الحميده على الحياة الذميمه وعدم الأنقياد للوضعاء الأدنياء وسعادة سرمدية بـأحياء الذكر في الأجيال المتعاقبة وهي حياة خالدة أبد الدهر.

ولم ينهض أحد من أعيان المسلمين على نهج النهضة الحسينية ولا سلك مسلكه الأباء الذين ذكرهم ابن الحميد الكاتب المعتزلي الحنفي في شرح نهج البلاغة كفتيبة بن مسلم الباهلي ويزيد بن المهلب الأزدي وابني الزبير عبد الله ومصعب.

(١) قائلها: عمرو بن الإطناية الأوسي جاهلي وفيها:
أقول لها وقد جشت وجاشت
مكانك تحمدني أو تستريحني

نقد المؤلف لابن أبي الحميد في عده آل الزبير وغيرهم كالحسين «عليه السلام»

قبل كل مهم ينبعي التنبية على مطلب ترى له أهمية في بادئ النظر فإن الغبي ربما يتوهם من تعداد هؤلاء هنا أنهم في المحل الأرقى والمكان الأرفع من الشرف حتى أنهم ذُكروا هنا في سلسلة الإباء الحسيني والفرق متضح أن من كان مثل الحسين «عليه السلام» الذي هو أشرف الناس بعد جده وأبيه وأخيه «عليهم السلام» بكل معنى من معاني الشريف فلا شك أن في خضوعه ذلة وهران إذ لا أجل منه ولا أشرف فمهما كان تابعاً لأي متبع تصورت كان في ذلك نقص وهو ان وإن بجله المتبع وأجله وعظمته كما ينبغي وكما يراد.

ومن ذكر من الباهلي والأزدي فما هذان والشرف لولا الأنقياد لأهل السلطة والتبعية لأهل السلطنة؛ أما الأسرة والرهاط فلؤم أسرته مشهور في العرب وضاعتهم تضرب بها الأمثال، ومسلم أبو قتيبة كان خادماً وبريداً ليزيد وابن زياد يقف في صف العبيد على أبوابهم، وأما قتيبة فكان خادماً للحجاج بن يوسف ونبيل بتوليته له قيادة الجيوش ولا يخفى هذا على كل عارف بالأثر من له أقل إلمام بالتاريخ، وأما آل المهلب فمع كونهم من أزد عمان يعابون بالملاحة ثم من العتيق أذل أزد عما ينجزون بالحباكة ومع ذلك هم أدعياء في الأزد كما ذكرنا ذلك في كتابنا «الأمالي المنتخبة» في فصل الأدعياء والدخلاء، فنبيل آل المهلب وعظموها بخدمة آل الزبير وآل مروان فشهر المهلب وبنوه في حروب الفتنة وأظهرتهم القيادة والإمرة فما دام أميراً وقائداً فهو من العظام وإن عزل عنها فهو كأفراد الناس ويطلق عليهم المazon ذماً وتهجيناً مما هؤلاء لو خضعوا لسلطان الوقت والهوان، نعم هؤلاء ما نهضوا أنفة وخوفاً من الوصمة بل نهضوا طمعاً في الإمارة وحرضاً على القيادة.

أما ابن المهلب فيعلم أن يزيد بن عاتكة بن عبد الملك بن مروان لا يولي مهليباً لأنحرافه عنهم وبغضه إياهم فأراد ابن المهلب أن يريه قدرته فقد تلك الجماهير وما ساعدته الأقتدار فأحل نفسه وأهله الدمار وأنزلهم دار البوار وهكذا حال قتيبة مع سليمان بن عبد الملك ومن عرف التاريخ وأطلع على كتبه المعتمدة علم أن ما قلناه هو الواقع.

وأما آل الزبير فأولاً ليست أسد بن عبد العزى من قبائل قريش الرئيسة

وخصوصاً آل العوام حتى قيل أنهم أدعية في قريش وإنهم من القبط وأن خويلاً قد تبني العوام القبطي، راجع كتابنا «الأمالي المنتخبة» في الأدعية والدخلاء وإنما شرفوا بصفية بنت عبد المطلب وخدیجة بنت خویلد وهذا الشروق إنما هو بإشراق فضل بنی هاشم عليهم.

وثانياً: لم يزل عبد الله بن الزبير يتطلب رضا معاوية ويطمع في بره ويحمل منه أمض الكلام الخشن الحجب عن الدخول عليه والتکذيب له مواجهة ثم آل الزبير أي هوان لفظوه وقد مشواهم وأبواهم تحت راية امرأة وحضرها حرباً كانوا فيها أذناباً والرأس فيها امرأة من بنى تميم أمثل هؤلاء يقال إنهم أباء ضييم ويعدوا في عداد سيد الشهداء الحسين «عليه السلام» وأهل بيته لا والله حتى يساوي الثرى الثريا والأوج الحضيض فإن تخيل متخيل أن الذين ذكرهم شارح النهج إنهم نهضوا إنكاراً للمنكر ورغبة في نشر المعروف كلا لا يمكن إلا أن يدعى وإن كان باطلأً أنهم قاتلوا إباء للذل وأنفة من المهانة على عادة رجال الجاهلية.

وإلا فكيف يكون من رجال الإصلاح من كان من عظماء الجبارية وكبار مرتكبي الأوزار ورؤوس أرباب الجرائم؟! هذا مصعب بن الزبير قتل من أصحاب المختار ستة آلاف رجل صبراً بعد أن أعطاهم الأمان وكلهم من خيار المسلمين وصلحاء أمة محمد ﷺ حتى قال له عبد الله بن عمر بن الخطاب: إنك لو قتلت عدتهم من غنم أبيك لكان إسرافاً ولم يكلمه بعدها كلمة واحدة، وقتل امرأة المختار وهي عمرة بنت النعمان بن بشير الانصاري وعذبها عذاباً لو كان بحيوان مفترس لم يجز ذلك وفعله بأمر أخيه عبد الله الملحد والملحد لقب عبد الله بن الزبير عند المسلمين وفيها يقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

إن من أعجب العجائب عندي قتل بيضاء حررة عطبرى
قتلت هكذا على غير جرم إن الله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيل
وفيها يقول سعيد بن عبد الرحمن بن ثابت الانصاري من كلمة له:
أتاني بأن الملحدين توافقاً على قتلها لا أحسنوا القتل والسلب
فلا هنأت آل الزبير معيشة وذاقوا لباس الخوف والذل وال الحرب
كانهروا إذ أبرزوها وقطعت بأساففهم فازوا بمملكة العرب
الم يعجب الأقوام من قتل حررة من المحصنات الدين محمودة الأدب

في أبيات بقيتها في تاريخ الطبرى وابن الأثير.

أما عبد الله بن الزبير وهو الخليفة عندهم فقد قطع الصلاة على رسول الله ﷺ في خطبه أربعين جمعة لم يصل عليه ولم يذكره بالنبوة وجمع بنى هاشم وأراد إحراقهم بالنار حتى استنقذهم أبو عبد الله الجدلى صاحب المختار وقتل أخيه عمرو بن الزبير ضرباً بالسياط وقتل محمد بن عمار بن ياسر وجماعة من أخيار أهل المدينة ضرباً بالسياط حتى ماتوا لأنهم ما بايدهم وأعماله وأعمال أخيه مصعب لا تقل عن أعمال يزيد بن معاوية إن لم تزد عليها وكلها مشهورة وأحصيناها في كتابنا «السياسة العلوية» غير أنهم لا يشربون الخمر ولا يقامرون ويتظاهرؤن بإكثار الصلاة والصيام خديعةً ومكرًا وجعلوهما مصيدة لعقول الضعفاء من الناس وقد كشف ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب فإن عبد الله بن الزبير توصل إلى صافية بنت أبي عبيد أخت المختار زوجة ابن عمر وطلب منها أن تكلم زوجها عبد الله بن عمر في أن يبايع له فكلمته وذكرت صلاة ابن الزبير وصومه فقال لها زوجها ابن عمر: أرأيت البغلات الشهب التي كان يحج إليها معاوية؟ قالت: نعم، فقال إياها يريد ابن الزبير بصلاته وصومه.

وأما يزيد بن المهلب وقبيبة بن مسلم فأمرهما في الجور والعدوان وارتكاب فظائع الأمور مماأشتمل عليه التاريخ المعتمد ما كفانا كلفة التطويل بأخبارهما وهما كانوا من عمال الحجاج وحسبك بعامل الحجاج جوراً وتعدياً.

نعم، ربما يكون فهو من رجال العلويين الثائرين بعد الحسين «عليه السلام» لطلب الإصلاح ونشر العدل في الأمة كزيد بن علي ويعيى بن زيد قتيل الجوزجان ومحمد بن عبد الله ذي النفس الزكية قتيل أحجار الزيت وأخيه إبراهيم أحمر العينين قيل إنه سمع طنبوراً في بعض نواحي عسکر فبكى وقال: كيف يفلح جيش فيه مثل هذا، ويعيى بن عمر قتيل شاهي، والحسين بن علي قتيل فخر وغيرهم أضرينا عن تفاصيل أخبارهم حذر التطويل وكان من واجب ابن أبي الحديد أن يذكر المختار بن أبي عبيد الثقفي في أهل الإباء لأنه خرج إنكاراً للجور وغضباً لابن رسول الله ﷺ وأعطى الأمان فعاوه خوف المذلة والصغار ومشى إلى الموت مصلتاً بسيفه وكذلك إبراهيم الأشتر.

إباء أبي الفضل بن أمير المؤمنين «عليهم السلام»

قد بذل له الأمان ولإخوته الأشقاء خاصة غير الأمان الذي أعطي للحسين

«عليه السلام» ولأصحابه عموماً قد قام بطلب الأمان من ابن زياد للعباس «عليه السلام» وإخوته رجلان من أخوالهم وهما عبد الله ابن أبي أنجل الكلابي خاله شقيق أمه أم البنين والشمر بن ذي الجوشن الكلابي الضبابي وكانت له منزلة عند ابن زياد ومكانة مكينة فقاما إليه لما صمم على قتل الحسين «عليه السلام» وطلبا منه الأمان لبني أختهم العباس وإخوته.

ذكر ابن الأثير في تاريخ الكامل^(١) والطبرى في تاريخ الأمم والملوك ولفظه^(٢) أبو مخنف عن الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن شريك العامرى قال: قبض شمر بن ذي الجوشن الكتاب - يعني بقتل الحسين «عليه السلام» - قام هو وعبد الله بن أبي المحل وكانت عمته أم البنين أبنة حزام عند علي بن أبي طالب «عليه السلام» فولدت له العباس وعبد الله وجعفر وعثمان وقال عبد الله بن أبي المحل بن حزان بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: أصلح الله الأمير إن بني أختنا مع الحسين، قال: رأيت أن تكتب لهم أماناً فعلت؟ قال: نعم ونعمه عين، فأمر كاتبه فكتب لهم أماناً فبعث به عبد الله بن أبي المحل مع مولى له يقال له كزمان فلما قدم عليهم دعاهم فقال: هذا أمان بعث به خالكم، فقال الفتية: إقرأ خالنا السلام وقل له: لا حاجة لنا في أمانكم أمان الله خير من أمان ابن سمية.

قال: فأقبل شمر بن ذي الجوشن بكتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد فلما قدم عليه فقرأه فقال له عمر: مالك ويلك لا قرب الله دارك وقبح ما أقدمت به علي والله إني أضنك أنت نهيتها أن يقبل ما كتبت به إليه فأفسدت علينا أمر كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين إن نفس أبيه بين جنبيه، فقال له شمر: وما أنت فاعل؟ أتمض لأمر أميرك وتقتل عدوه وإن فخل بيدي وبين الجندي والعسکر، فقال: ولا كرامة لك وأنا أتولى ذلك منهم، قال: فدونك أنت فكن على الرجال.

قال: فنهض إليه عشية الخميس لتسع ماضين من المحرم، قال: وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين «عليه السلام» وقال: أين بنوا أختنا؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي فقالوا له: مالك وما تريده؟ فقال: أنت يا بني أختي آمنون، فقال الفتية: لعنك الله ولعن أمانك وإن كنت خالنا أتومننا وابن رسول الله ﷺ لا أمان له، إنتهى.

(٢) تاریخ الطبری ٦/٢٣٦.

(١) الكامل في التاریخ ٤/٣٣.

وفي العبارة غلط واضح وقوله «عمته عند علي» والظن أن الأصل أخته كما هو صريح آخر العبارة وقد صرخ الطبرى وغيره أن حزام والد عبد الله وأم البنين يكنى بأبى المحل ذكره في خلافة أمير المؤمنين ولكن سبط ابن الجوزي في التذكرة^(١) ذكر عن الطبرى أن جرير بن عبد الله بن أبي المحل كانت أم البنين عمته فأخذ لهم أماناً هو وشمر وعليه تسميم العبارة، وإن في النسخة المطبوعة سقط، وقولهم في آخر العبارة «أبلغ خالنا» إن ذلك يقال لسائر عشيرة الأم.

أما الشيخ المفيد فذكر أمان الشمر خاصة والسيد ابن طاوس وابن نما كذلك ونص السيد (رحمه الله) في الملهوف^(٢): ورد كتاب عبيد الله بن زياد على عمر بن سعد يحثه على تعجيل القتال ويحذر من التأخير والإمهال فركبوا نحو الحسين «عليه السلام» وأقبل شمر بن ذي الجوشن ونادى: أين بنو أخي عبد الله وجعفر والعباس وعثمان؟ فقال الحسين «عليه السلام»: أجبيوه ولو كان فاسقاً فإنه بعض أخوالكم، فقالوا له: ما شأنك؟ فقال: يابني أخي! أنتم آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد، فقال له العباس بن علي: تبت يداك وبئس ما جئت به من أمانك يا عدو الله، أتأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين بن فاطمة وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟! فرجع الشمر إلى عسكره مغضباً، إنتهى.

ومثله ذكر ابن نما في مثير الأحزان^(٣).

وهذا أمر مشهور عند أرباب المقاتل فلا يتطرقه شك ولا يطرأ عليه أرتيا ب وهذا هو الإباء الحر وهذه هي الحمية الخالصة والأنفة العربية الممحضة فإن عد ابن المهلب وابن الزبير من الآباء الآنفين من المذلة وقد بذل لهما الأمان مرة واحدة وقد تكرر بذل الأمان للعباس وإخوته فكان أربع مرات مرتان له بالأشتراك مع أخيه الحسين «عليه السلام» في أمان عمرو بن سعيد وأمان عبيد الله بن زياد للحسين وأصحابه وقد رفض أبو عبد الله الحسين الأثنين وأبو الفضل معه، ومرتان كانتا له خاصة كما سمعت فرفضهما أيضاً أبو الفضل وقد أحسن مؤبنه بقوله: أبا الفضل يامن أنس الفضل والإباء أبى الفضل إلا أن تكون له أبا

وقال الشيخ محمد رضا الأزري البغدادي من قصيدة:

وأشم لا يحتل دار هضيمة أو يستقل على النجوم رغمها

(١) تذكرة الخواص: ص ١٤٢.

(٢) الملهوف: ص ٧٧.

(٣) مثير الأحزان: ص ٣١.

للمؤلف:

أبو الفضل رد أمان العدى
وقال أخسأوا يا عبيد الورى
أنخضع للذل لا والحفظ
وطعم المنية عند الحفاظ
ألا حبذا الموت موت الكرام
وللحر نفس تعاف الهوان
فيهات نذعن لابن الدعى
وهادي السيف بأيماننا
فلسان غادر أرض الطفوف
وقد تبعتنا طيور السما
سن Shirleyها من لحوم العدا
وقد صدق القول منه الفعال
ونال الفخار وحاز الغلا

للمؤلف أيضاً:

أليس أبوالفضل الذي أسس الإبا
فكم مرة أعطي الأمان فعاشه
تردى ثياب الفخر بيضاً نقية
فنفسي الفدا للمكتسي الحمد والثنا
فما حدثته النفس إن حياته
وما حدثته النفس أن يحيى ساعة
وسن لنا شرع الحفاظ جديدا
وخير فاختار الممات حميدا
أجدن المعالي نسجهن برودا
ومستطعم مر الحفاظ برودا
الذ وأحلى أن يموت سعيدا
يرى حاكماً في المسلمين يزيدا

ومن صفات العباس بن علي «عليه السلام» النفسية المواتات:
والمواسات ربما أشتبهت بالإيثار كما أختلط ذلك على بعض من لا تحقيق
عنه.

الفرق بين المواسات والإيثار

هي: أن الإيثار معناه تقديم من آثرته على نفسك وإن أضرتك، والمواسات
هي المساعدة بين نفسك وغيرك ولا يلزم من المواتات تقديم من واسبت على

نفسك بل يكفي في تحقيقها أن تشاركه في النساء والضراء إذا كانت المosasات في النفس، وفي العسر واليسر إذا كانت المosasات بالمال، والmosasات من الكرم والجود بكل قسميهما أي المosasات بالنفس وبالمال، والتحقيق في ذلك أن المosasات والإيثار وإن كانا شعبة من شعب الكرم الذي هو نتيجة العفة ومن أكمل أخلاق النفس وأجل فضائلها إلا أنهما يفترقان من حيث المورد والسبب.

أما المورد فإن الإيثار مورده حيث يمتنع الأشتراك لحصول المانع كتعذر الوصول إليه أو عدم كفايته للجميع وما شابه ذلك، والmosasات حيث يمكن الأشتراك.

وأما السبب فالإيثار سببه علو الهمة وعظم النفس، والmosasات سببها دماثة الأخلاق ولطافة الشمائل وحسن الثقة بالله تعالى والأعتماد عليه في العسر واليسر.

معنى المosasات لغة:

قال ابن الأثير في النهاية^(١): **الأسوة** والmosasات وهي بكسر الهمزة وفتحها القدوة، والmosasات المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق وأصلها الهمزة فقلبت واواً تخفيفاً.

وقال الفيروزآبادي في القاموس: **والأسوة** بالكسر ولا يكون ذلك إلا من كفاف فإن كان من فضل فليس بmosasات.

وقال الفيومي في المصباح المنير^(٢): **الأسوة** بالكسر والضم القدوة، وتأسست به و Tessiit أقتديت، وأسيته بنفسه بالمد سويته، ويجوز إبدال الهمزة واواً في لغة اليمن فيقال: **واسيته**.

معنى المosasات العقلي:

قال ابن مسكونيه الخازن في تهذيب الأخلاق^(٣): **وأما المosasات** فهي معاونة الأصدقاء والمستحقين ومشاركتهم في الأموال والأقواء.

وقال أحمد بن أبي الربيع في سلوك المالك^(٤): **والmosasات** هي معاونة الأصدقاء والمستحقين وهي تنقسم إلى أقسام: أحدها بالمال كmosasات أهل الحاجة بماله والبر بهم ومراعاتهم، والثاني بالبدن وذلك كنصرة المرء صاحبه

(١) المصباح المنير / ١ / ١٢.

(٢) النهاية / ٣ / ١٣.

(٣) تهذيب الأخلاق: ص ٣٨١.

(٤) سلوك المالك في تدبير المالك: ص ٢٩.

بالمضاربة دونه ، والثالث بالعلم وذلك كتأندب الرجل صاحبه ومداواته بعلمه ، والرابع في الكلام وذلك مناصلة المرء عن صاحبه بالخصوصة عنه ، إنتهى .

وقد أكثر العرب من التمدح بالمواسات ، فقال زهير بن أبي سلمى : على مكثريهم حق من يعتريهموا وعند المقلين السماحة والبذل وعطاء المقل مواسات إذ لا فضل عنده .

وقال رجل منبني عبد الله بن غطفان وقد جاور في طي وهو خائف : جزى الله خيراً طيناً من عشيرة ومن صاحب تلقاهموا كل مجمع وهموا خلطوني بالنفوس ودافعوا ورائي بركن ذي مناكب مدفوع وقالوا أتعلم أن مالك إن يصب نفك وإن تحبس نزرك وننفع وقال المفضل بن المهلب بن أبي صفرة يتندم إذ لم يواسي إخوته إذ قتلوا وقد كان مصمماً على الموت فخدعه أحد إخوته وقال له : أنصرف إن الأمير يزيد يعني أخيه قد انصرف لأنه خاف أن يعلمه بقتله فيستقتل فلما علم بقتل إخوته قال : فضحي عبد الملك أراد أن يقول الناس شيخ أعور مهزوم وكانت عينه ذهبت في الحروب وكان من أبطال العرب فقال يتذكر موقف إخوته المقتولين ويتأسف أن لا يكون قد واساهم :

هل الجود إلا أن نجود بأنفس على كل ماضي الشفتين قضيب وما خير عيش بعد قتل محمد وبعد يزيد والحرون^(١) حبيب ومن هز أطراف القنا خشية الردا فليس لمجد صالح بكسب وما هي إلا رقدة تورث العلا لرهطك ما حنت روائم نيب ثم استقتل في الواقعة الثانية فقتل هو ومن بقي من إخوته .

وترقى بعض العرب إلى مواسات الحيوان فكان عدي بن حاتم يفت الخبر للنمل ويقول : إنهن جارات .

وقال الفرزدق وقد نزل به ذئب فأشركه في طعامه : وأطلس عсал وما كان صاحباً رفعت لناري موهناً فأتاني فلما دنا قلت أدن زورك إبني وإياك في زادي لمشتركان فبئث أفد الزاد بيمني وبينه على ضوء نار مرة ودخان

(١) حبيب بن المهلب بن ابن أبي صفرة الأزدي يلقب الحرون لصبره في الحرب .

الخ، وشعر العرب في المosasات كثير منه قول عروة بن الورد العبسي المعروف بعروة الصعاليك:

أُقسم نفسي في نفوس كثيرة وأحسو زلال الماء والماء بارد

المواسات عند العرب

وأما أمثال العرب في المosasات:

فمنها قولهم «إن أخاك من آساك» قال الميداني في مجمع الأمثال^(١): يقال: آسيت فلاناً بماله وغيره إذا جعلته إسوة لك وواسيت لغة فيه ضعيفة بنوها على يواسى ومعنى المثل أن أخاك حقيقة من قدمك وأثرك على نفسه يضرب في الحث على مراعاة الإخوان، وأول من قال ذلك خزيم بن نوفل الهمداني وذلك أن النعمان ابن ثواب العبدى ثم الشنوى كان له بنون ثلاثة: سعد وسعيد وساعدة وكان أبوهم ذا شرف وحكمة وكان يوصي بنيه ويحملهم على آدابه؛ أما ابنه سعد فكان شجاعاً بطلاً من شياطين العرب لا يقام لسبيله ولم تفته طلبه ولم يفر عن قرن، وأما سعيد فكان يشبه أباغه في شرفه وسؤده، وأما ساعدة فكان صاحب شراب وندامى وإخوان.

• فلما رأى الشيخ بنية دعى سعداً وكان صاحب حرب فقال: يابني! إن الصارم ينبو والجود يكتب والأثر يعفو فإذا شهدت حرباً فرأيت نارها تسعر وبطلها يخطر وبحرها يزخر وضعيتها ينصر وجбанها يجسر فاقلل المكث والانتظار فإن الفرار غير عار إذا لم تكن طالب ثار فإنما ينصرونهم وإياك أن تكون صدر رماحها ونطیح نطاها.

وقال لابنه سعيد وكان جواداً: يابني! لا يدخل الجود فأبذل الطارف والتلاد وأقلل التلاح تذكر عن السماح، وأبللي إخوانك فإن وفيهم قليل وأصنع المعروف عند محتمله.

وقال لابنه ساعدة وكان صاحب شراب: يابني! إن كثرة الشراب تفسد القلب وتقلل الكسب وتجد اللعب فأبصر نديمك وأحمي حريمك وأعن غريمك وأعلم أن الظماء القامح خير من الري الفاضح، وعليك بالقصد فإن فيه بلاغاً.

ثم إن أباهم النعمان بن ثواب توفي، فقال ابنه سعيد وكان جواداً سيداً:

(١) مجمع الأمثال ٤٧/١

لأخذن بوصية أبي ولأبلغون إخواني وثقاتي في نفسي فعمد إلى كبش فذبحه ثم وضعه في ناحية خبائه وغشاه ثم دعى بعض ثقاته فقال: يا فلان! إن أباك من وفي لك بعهده وجاد لك برفده ونصرك بوده، قال: صدقت فهل حدث أمر؟ قال: نعم إني قتلت فلاناً وهو الذي تراه في ناحية الْخَبَأْ ولا بد من التعاون عليه حتى يواري بما عندك؟ قال: إنها سؤة وقعت فيها، قال: فإني أريد أن تعيني عليه حتى أغبيه، فقال: لست لك في هذا بصاحب فتركه وخرج، فبعث إلى آخر من ثقاته فأخبره بذلك وسألته معونته فرد عليه مثل ذلك حتى بعث إلى عدة منهم كلهم يرد عليه مثل جواب الأول، ثم بعث إلى رجل من إخوانه يقال له خزيم بن نوفل فلما أتاه قال له: يا خزيم! مالي عندك؟ قال: ما يسرك وما ذاك؟ قال: إني قتلت فلاناً وهو الذي تراه مسجاً، قال: أيسر خطب فتريد ماذا؟ قال: أريد أن تعيني حتى أغبيه، فقال: هان ما فزعت فيه إلى أخيك: غلام لسعيد قائم معهما، فقال خزيم: هل أطلع على هذا الأمر أحد غير غلامك هذا؟ قال: لا، قال: أنظر ما تقول، قال: ما قلت إلا حقاً، فأهوى خزيم إلى غلامه فضربه بالسيف فقتلته وقال: ليس عبد بأخ لك فأرسلها مثلاً، وأرتاع سعيد وفرغ لقتل غلامه وقال: ويحك ما صنعت وجعل يلومه، فقال خزيم: إن أخاك من آساك، فأرسلها مثلاً، فقال سعيد: إني أردت تجربتك ثم كشف له عن الكبش وخبره بما لقي من إخوانه وما قد ردوا عليه، فقال خزيم: سبق السيوف العذل.

وقالوا: «حميم الرجل وأصله» قال الميداني أيضاً^(١): أول من قال ذلك الخنابس بن المقنع وكان سيداً في زمانه وإن رجلاً من قومه يقال له كلاب ابن فارع وكان في غنم له يحميها فوقع فيها ليث ضاري وجعل يحطمها فأنبى لـه كلاب يذب عنها فحمل عليه الأسد فخطبه بمخالبه خبطة فأنكب كلاب وجثم عليه الأسد فوافق ذلك من حاله رجلان الخبرنابر بن مرة وآخر يقال له حوشب وكان الخبرنابر حميم كلاب فأستغاث بهما كلاب فحاد عنه حميمه وخذه وأعانه حوشب فحمل على الأسد وهو يقول:

أعنته إذ خذل الخبرنابر وقد علاه مكفار خادر
هرامس جهم له زماجر ونابه حرد عليه كاسر
أبرز فإني ذو حسام حاسر إني بهذا إن قتلت ثائر

فعارضه الأسد وأمكن سيفه من حضينه فمر بين الأضلاع والكتفين فخرّ صریعاً وقام كلاب إلى حوشب وقال: أنت حميمي دون الخنابر وانطلق كلاب بحوشب حتى أتى قومه وهو أخذ بيد حوشب يقول: هذا حميمي دون الخنابر ثم هلك كلاب بعد ذلك فأختصم الخنابر وحوشب في تركته فقال حوشب: أنا حميّه وقريبه فقد خذلته ونصرته وقطعته ووصلته وصمت عنّه وأجبته فأحتكم إلى الخنابر، فقال: وما كان من نصرتك إياه؟ فقال:

أجبت كلاباً حين عرد أنفه علاه عبوس مكفر غصنفر
فلما دعاني مستغيناً أجبته وخلاه مكبوباً على الأرض خنبر
مشيت إليه مشي ذي العز إذ غداً وأقبل مختال الخطأ يتبعثر
فلما دنى من غرب سيفي حبوته بأبيض مصقول الطرائق يزهر
فقطع ما بين الضلوع وحضنه إلى حضنه الثاني صفيح مذكر
فخرّ صریعاً في التراب معفراً وقد زار منه الأرض أنف ومشفر
فشهد القوم أن الرجل قال هذا حميمي دون الخنابر، فقال الخنابر عند ذلك: حميم الرجل وأصله وقضى لحوشب بتركته وسارت كلمته مثلاً.

وقالوا: «إن أخا العزاء من كان معك» قال الميداني أيضاً^(١): العزاء السنة الشديدة أي إن أخاك من لا يخذلك في الحالة الشديدة، إنتهى، وفي معناه قول الشاعر:

إن أخاك الصدق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدّعك شتت فيه شمله ليجمعك
ولهذه الأبيات حكاية ظريفة وقعت للمامون العباسي فأطلبهَا، ولآخر في معناه:

وإن وابن عم المرء من شد أزره ومن كان يحمي عنه من حيث لا يدرى فالمواسات عند العرب من أجل مآثرهم التي يمتدحون بها ويفتخرون فيها جاهلية وإسلاماً.

وقد أكدتها الشارع المقدس وحث عليها والأحاديث في الحث عليها كثيرة منها ما رواه الحر العاملي في كتاب وسائل الشيعة^(٢) عن الإمام أبي عبد الله جعفر

بن محمد الصادق «عليهما السلام»: لم يدع أحد معونة أخيه المسلم حتى يسمع فيها ويواسيه إلا أبلي بمعونة من يأثم به ولا يؤجر.

وعن معلى بن خنيس قال: خرج أبو عبد الله الصادق «عليه السلام» في ليلة وقد رشت السماء وهو يريد ظلةبني ساعدة فأتبعته فإذا هو قد سقط منه شيء فقال: بسم الله اللهم رد علينا، فأتيته فسلمت عليه فقال: أنت معلى؟ قلت: نعم جعلت فداك، قال: ألمس بيديك فما وجدت من شيء فأدفعه إلي، فإذا بخنزير متشر فجعلت أدفع إليه ما وجدت فإذا أنا بجراب من خنزير فقلت: جعلت فداك! أحمله عنك، فقال: لا أنا أولى به منك ولكن أمض معى فأتينا ظلةبني ساعدة فإذا نحن بقوم نiam فجعل يدس الرغيف والرغيفين تحت ثوب كل واحد منهم حتى أتى على آخره ثم أنصرفنا فقلت: جعلت فداك! يعرف هؤلاء الحق؟ فقال: لو عرفوا لواسيناهم بالدقة والدقة هي الملح، إلى آخر ما رواه في الوسائل.

ومن طريق أهل السنة ما في حلية الأولياء^(١) للحافظ أبي نعيم الأصبهاني الشافعي عن الحسين بن علي عن أبيه علي «عليهما السلام» قال: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواسات الأخ في المال، إنتهى، والأحاديث كثيرة.

وإذا عرفت معنى المواسات وحقيقةها وأنواعها الأربعه بقي معرفة ثمرتها وفائتها.

فائدة المواسات وثمرتها:

ولها فائدتان مهمتان دنيوية وأخروية:

أما الفائدة الدنيوية فاكتساب الحمد والثناء وهو أول مطلوب للأشراف يشترونه بأغلى الأثمان فالمواسي يجمع أنواع الأربعه وخاصة المواسات بالنفس والمواسات بالمال فإنهما يكسبان المتصرف بهما مجدًا وسؤدداً ويورثانه فخرًا وعزًا ويوجبان له الثناء المؤبد والمدح الخالد ما دام النوع البشري يدب على وجه الكرة الحدباء.

وأما الفائدة الأخرى إن كان الداعي للمواسات هي التقوى وسببيه الصلاح لا كما يفعله أهل الجاهلية من إرادة المدح والتقرير فالاجر المضاعف والحباء الجزييل في جنات عدن التي أعدت للمتقين.

مواسات العباس بن أمير المؤمنين «عليهم السلام»

وكانت مواسات العباس لأخيه الحسين «عليهما السلام» بثلاثة أنواع من المواسات بالنفس والمال والكلام فإن أحتجاجه على أهل الكوفة معروف شرعاً ونثراً وقد نقلته المقاتل والتاريخ، وكانت مواساته له ديانة وقوى لم يرد بذلك إلا وجه الله وصلة رسوله محمد ﷺ وصلة الرحم لم يرد ذكرأ ولا فخرأ ولكن الله تعالى إذا علم من شخص حسن نية وإخلاص نشر فضائله وسير ذكره في الخاقدين وقد مدح العباس بن علي «عليهما السلام» بهذه المواسات أئمة أهل البيت «عليهم السلام»:

فقد قال الإمام جعفر بن محمد الصادق «عليهما السلام» للعباس «عليه السلام» في زيارته المرورية في كامل الزيارة لابن قولويه «رحمه الله تعالى»: «أشهد لقد نصحت الله ولرسوله ولأخيك فنعم الأخ المواسي لأخيه».

وقال مولانا الإمام صاحب الزمان المهدي المنتظر «عجل الله فرجه» في الزيارة المعروفة بزيارة الناحية: «السلام على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين المواسي أخيه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له، الواقي الساعي إليه بمائه، المقطوعة يده، لعن الله قاتله يزيد بن الرقاد الجنبي وحكيم بن الطفيلي الطائي».

أما الشعراء فأكثروا مدحه بالمواسات، قال بعضهم:

أحق الناس أن يُبكي عليه فتى أبكى الحسين بكرباء
أخوه وابن والده علي أبو الفضل المضرج بالدماء
ومن واساه لا يثنى شيء وجادله على ظمأ بما
وقال الشيخ جعفر بن نما الحلبي (رحمه الله):

حقيقة بالبكاء عليه حزناً أبو الفضل الذي واسا أخيه
وجاهد كل كفار ظلوم وقابل من ضلالهموا هداه
فداه بنفسه الله حتى تفرق من شجاعته عداه
وجادله على ظمأ بما وكان رضا أخيه مبتغاه

وللمؤلف من أبيات:

نعم المواسي للحسين بنفسه وبسيفه للدين نعم الآسي

للسيد محسن العاملي:

لا تنسى للعباس حسن بلائه بالطف عند الغارة الشعواء
واسى أخاه بها وجاد بنفسه في سقي أطفال له ونساء
رد الألوف على الألوف بجبهة غراء حد السيف بمعارضاً
وله أيضاً:

واذكر أبا الفضل هل تنسى فضائله في كربلاء حين جد الأمر فالتبسا
واسى أخاه وفادةه بمهرجه وخاص في غمرات الموت منغمساً
للمؤلف أيضاً:

إن الموسات من أخلاق أسرته في العسر واليسر والأسوء والأسوء
فالمستجير بهم يأوي إلى حرم سامي الذرى لاذ فيه سائر الناس
 وكلما كان فيهم من مكارمهم تجمعت لمواسي السبط عباس

من صفات العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» المناصحة للحسين «عليه السلام»

وإمامه، فإنه «عليه السلام» بذل تمام الجهد في نصيحة أخيه الحسين «عليه السلام» وظهرت مناصحته له في الجهاد بين يديه والقيام بواجب الإخلاص والطاعة له.

والنصيحة والمناقصة معناهما واحد ولكن اختلفا بالإضافة إلى ما نسبا إليه من المضادات فإن كان المورد مورداً مشورة وإبداء رأي أو مدافعة قولية فقط فتلك النصيحة، وإن كان مورداً مجازلة لا مجادلة بمقال بل بأجتناب مشرفة وأعتقال يزنيه فتلك المناصحة والمعنى واحد وهو الإخلاص قولاً وفعلاً.

والنصيحة أفضل صفة في النوع البشري كما أن نقاضها وهو الغش أقبح خصلة في الإنسان، والنصيحة تجب لعامة المسلمين إعانة وإرشاداً بحق وإلى حق كما يحرم نقاضها وهو الغش لقوله ﷺ: من غشنا فليس منا يعني المسلمين.

فإن كانت النصيحة للمعصوم كالنبي والإمام كانت أعظم في الوجوب درجة وأبلغ تأكيداً وتطرف بعضهم فقال: هي واجبة لكل من أعتمد عليك ووثق بك وقد كان في طبع جماعة من الأشراف النصيحة حتى للأعداء والأدلة العقلية والنقلية على لزوم النصيحة والالتزام بالمناقصة كثيرة.

معنى النصيحة والمناصحة لغة:

قال الفيروزآبادي في القاموس: نصحه وله نصحاً بالضم نصاحة ونصاحية وهو ناصح ونصح من نصح ونصح والأسم النصيحة ونصح خلص.

وقال ابن الأثير في النهاية^(١): في الحديث: «إن الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم» والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير المنصوح له وليس يمكن أن هذا المعنى بكلمة واحدة جمع معناه غيرها، وأصل النصيحة في اللغة الخلوص يقال نصحته ونصحت له ومعنى نصيحة الله صحة الاعتقاد في وحدانية الله وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتاب الله هو التصديق به والعمل بما فيه، ونصيحة رسوله التصديق ببنوته ورسالته والأنقياد لما أمر به ونهى عنه، ونصيحة الأئمة أن يطيعهم في الحق ولا يرى الخروج عليهم إذا جاروا، ونصيحة عامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم، إنتهى.

هذا مذهب أهل السنة ومحقدهم في صحة إمامية الجائز وينس الاعتقاد لا كرامة لفاجر ولا لجائز إذ الباري سبحانه أوجب مقاومة الجائز وردع الفاجر وكبح جماحه ورده عن الجور إلى العدل فإذا لم يتمكن فلا يرکن إليه ولا يخالطه وليس هذا الكتاب موضع بيان ما ورد في الجائزين فلا تظن أن النبي ﷺ أمر بمناصحة هؤلاء الفجرة الذين عناهم ابن الأثير وأهل مذهبه وإنما الذين تجب لهم المناصحة من الأئمة هم أئمة أهل البيت النبوى الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والنصيحة لهم معناها التصديق بإمامتهم وأنها فريضة من الله ونص من رسوله ﷺ والأنقياد لأوامرهم ونواهيهم، نعم ينصح من لا يجور من الخلفاء معونة للعدل ومساعدة للمساوات.

وقال الميداني الحنفي في مجمع الأمثال^(٢) في تفسير هذا الحديث: الأصل في النصيحة التلقيق بين الناس من النصح وهو الخساطة وذلك أن تلقيق بين التفارق وهذا من حديث يروى عن رسول الله ﷺ وتمامه: قالوا: لمن يارسول الله؟ فقال: الله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم.

قالت العلماء: النصيحة لله أن يخلص العبد العمل لله، والنصحية لرسوله ﷺ أن يصفو قلبه في قبول دعوة النبوة ولا يظهر خلافها، والنصيحة للMuslimين أن لا يتميزوا عنه في حال من الأحوال، وقيل: النصيحة لأئمة المسلمين أن لا يشق

عصاهم ولا يعف فتواهم.

وقال الشريف الجرجاني في التعريفات^(١): النصح إخلاص العمل عن شوائب الفساد والنصيحة هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد، إنتهى.

مظاهر النصيحة وأسبابها وثمراتها

للنصيحة مظاهر وأسباب وثمرات:

أما مظاهرها:

فالمشورة فإن المستشار يظهر نصح المستشير وإذا لم يستشره وعلم مصلحة له وكان مسلماً أظهرها كما سندكره في بعض الحكايات، والمحامات بجد وأجتهاد وبذل الجهد في ما تلزم فيه المحامات والإرشاد للمتعلم والسائل ببذل الجهد في تعليمهما ما ينفعهما وإرشادهما إلى ما فيه مصلحتهما والمحافظة على الطاعات والمواظبة عليها وبيث الدعاية إلى دين الإسلام والإرشاد إلى إماماة من فرض الله إمامتهم من أئمة أهل البيت عليه السلام إثنى عشر.

أسباب المناصحة:

هي كثيرة منها: العفة فإن العفيف يأنف من الغش حتى لعدوه.

ومنها الديانة فإن المتدين يرى من واجبه الديني المبالغة في مصالح المسلمين وفي أي عمل كان وقام به من أعمال وأقوال ترضي الله ورسوله ص.

ومنها: الحباء فإن الحبي لا يغش وإنما ينصح أستحياء من نسبة الغش إليه.

ومنها: الصدق فإن الصادق لا يكذب فيقول له قد نصحتك وهو له غاش.

ومنها: سلامة الذات والفطرة فإن سليم الذات لا يغش ولا يرى النصح إلا لازماً وما ذاك إلا لسلامة نفسه وفطرته على هذا الخلق الحسن.

ثمرات المناصحة:

وأهمها أنها تفيد الاجتماع ويكون داعياً إلى الأنفة ووجباً للثقة والأطمئنان ومن ثمراتها عند المتدين الفوز بما وعد الله من كرامة أرباب العمل الصالح من المخلصين لدينهم.

ومن ثمراتها اكتساب الحمد فإن الناصح ممدوح وله القبول حتى عند الأعداء فإن الناصح له وقع في القلوب وأثر في النفوس كبير.

(١) التعريفات: ص ١٦٦.

الأدلة على فضيلة المناصحة:

ففي الكتاب المجيد آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿إِذَا نَصَحُوا إِلَيْهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١)، وقد حكى النصح عن كثير من أنبيائه كقوله: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾^(٢)، قوله حكاية عن نوح «عليه السلام»: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِيَ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾^(٣)، قوله حكاية عن صالح: ﴿وَنَصَحَّتْ لَكُمْ وَلَكُنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾^(٤).

وأما الأحاديث فهي أيضاً كثيرة منها ما روتها الشيعة: روى ثقة الإسلام محمد ابن يعقوب الكليني (رحمه الله) في أصول الكافي^(٥) عن الإمام الباقي محمد بن علي «عليهما السلام» قال: قال رسول الله ﷺ: لينصح الرجل منكم أخيه كنصحه لنفسه.

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: قال رسول الله ﷺ: إن أعظم الناس عند الله منزلة يوم القيمة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه.

ومما روتته أهل السنة روى النووي الشافعي في رياض الصالحين^(٦) عن جرير ابن عبد الله قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم، متفق عليه.

وروى غير هذا الحديث أحاديثاً ولكن راوي هذا الحديث وهو جرير بن عبد الله البجلي لم ينصح أمير المؤمنين وإمام المسلمين علي بن أبي طالب «عليه السلام» أرسله إلى معاويه وأهل الشام فأقام عندهم مدة متغافلاً عما أرسل إليه حتى أحكم معاوية أمره ثم ترك أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» ولحق بمعاوية رغبة في الحطام الفاني فهدم على «عليه السلام» داره بالكوفة فلم يفني لرسول الله ﷺ بما بايع عليه.

الحث على قبول النصيحة

نحن قد أستوفينا الأحاديث في كتابنا «السياسة العلوية» ونذكر هنا بعضها: روى الكليني في الكافي^(٧) عن أبي العديس قال: قال أبو جعفر «عليه السلام»: يا صالح! اتبع من يبكيك وهو لك ناصح ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش،

(١) التوبة: ٩١.

(٢) الأعراف: ٦٨.

(٣) هود: ٣٤.

(٤) الأعراف: ٧٩.

(٥) رياض الصالحين: ص ٥٨.

(٦) أصول الكافي: ص ٣١٣.

(٧) الكافي: ص ٥٣.

وستردون جميعاً إلى الله، إنتهى، وفي معنى هذا الحديث الشريف ورد المثل العربي قولهم: أمر مبكياتك لا مضحكاتك.

صعوبة قبول النصيحة:

أمر قبول النصيحة صعب لذلك لا يقبله إلا أذى العقلاء ونواذر العلماء.
قال في المستطرف^(١): واعلم أن جرعة النصيحة مرة لا يقبلها إلا أولوا العزم.

وقال الراغب في المحاضرات^(٢): الحث على قبول النصح وإن كان مُرّاً قيل: من أحبك نهاك ومن أبغضك أغراك، وقال بعض الحكماء: ومن أوجرك المرّ لتبرء أشدق عليك ممن أو جرك الحلو لتسقم، وقيل: النصيحة آمن من الفضيحة، إنتهى.

والأنسب للعقل إبداء النصيحة وإبرازها صادفت قبولاً أم لا فإنها إن صادفت قبولاً فقد نال حمداً وأجرأ، وإن لم تصادف قبولاً فقد أكتسب أجرأ وعذراً، وخرج عن صفة الغش المذمومة.

قال ورقة بن نوفل الأسدي أسد قريش:

لقد نصحت لأقوام وقتلت لهم أنا النذير فلا يغركم أحد
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته إلا الإله ويسودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه والخلد قد حاوت عاد فما خلدوا

وقال أوس بن حجر التميمي:

إن قال لي ماذا ترى يستشيرني فلم يك عندي غير نصح وإرشاد

وقال الخبز أرزي البصري:

إن كان حمدي ضاع في نصحكم فإن أجري ليس بالضائع

وقال آخر:

النصح أرخص ما باع الرجال فلا تردد على ناصح نصحاً ولا تلم على الرجال ذوي الألباب والهم

وقال معاذ بن مسلم الفرا النحوي:

نصحتك والنصيحة إن تعدد هوى المنصوح عز لها القبول

فخالفت الذي لك فيه حظ فغالك دون ما أمللت غول

رد النصيحة مقرون بالنكبة

من رد النصيحة فنكب وأصبب بضرر الدنيا أو في الدين، شهدت الواقع التاريخية على تارك النصيحة بالعطب الديني والدنيوي.

أما من رد نصيحة الناصح ونكب في دنياه فكثير منهم يزيد بن المهلب الأزدي، قال في المستطرف^(١) قيل: أشار فيروز حصين على يزيد بن المهلب أن لا يضع يده في يد الحجاج فلم يقبل منه فسار إليه فحبسه وحبس أهله، فقال فيروز بن حصين:

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فأصبحت مسلوب الإمارة نادما
أمرتك بالحجاج إذ أنت قادر فنفسك أولي اللوم إن كنت لائما
فما أنا بالباكي عليك صباة وما أنا بالداعي لترجع سالما

ومنهم عبد الله بن الصمة فارس هوازن وهو أخو دريد البطل المشهور، قال ابن عبد ربه في العقد الفريد^(٢): قال أبو عبيدة: غزى عبد الله بن الصمة وأسم الصمة معاوية الأصغر من بني غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وكان عبد الله ثلاثة أسماء وثلاث كنى؛ فأسماؤه عبد الله وخالد ومعبد، وكناه أبو فرغان وأبو دفافة وأبو وفاء، وهو أخو دريد ابن الصمة لأبيه وأمه فأغار على غطفان فأصابهم إبلًا عظيمة فأطربها فقال له أخوه دريد: النجاء فقد ظفرت، فأبى عليه وقال: لا أبرح حتى أنتزع نقعيتي، والنقيعة ناقة ينحرها من وسط الإبل فيصنع منها طعاماً لأصحابه ويقسم ما أصاب على أصحابه، فأقام وعصى أخيه فتبعده فزاره فقاتلوه وأخوه دريد فبني في القتلى، فلما كان في نصف الليل أتاه فارسان فقال أحدهما لصاحبه: إني أرى عينه تبص فإنزل فأنظر إلى نفسه فنزل فكشف ثوبه فإذا هي تزمر فطعنها فخرج دم قد كان أحثقن، قال دريد: فأفاقت عندها فلما جاوزوني نهضت، قال: مما شعرت إلا وأنا عند عرقوبي جمل أمراً من هوازن فقالت: من أنت أعود بالله من شريك؟ فقلت: بل من أنت ويلك؟ قالت: أمراً من هوازن سيارة، قلت: وأنا من هوازن

وأنا دريد بن الصمة، قال: وكانت في قوم مجتازين لا يشعرون بالواقعة فضمه
وعالجته حتى أفاق، قال دريد يرثى عبد الله أخيه:

أعاذل إن الرزء في مثل خالد
وقلت لعارض وأصحاب عارض
علانية ظنوا بألفي مدجج
محضتهموا نصحي بمنعرج اللوى
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى
وما أنا إلا من غزية إن غوت
فإن تعقب الأيام والدهر تعلموا
تنادوا وقالوا أردت الخيل فارساً
فإن يك عبد الله خلا مكانه
ولا برماً إذا الرياح تناوحت
كميش الأزار خارج نصف ساقه
قليل التشكي للمصاب حافظ
وهون وجدي أنني لم أقل له
ومنهم معاوية بن عمرو بن الشريد السلمي فارسبني سليم وهو أخو صخر
البطل المشهور وأخو الخنساء الشاعرة لأبيها وأمها .

قال في العقد الفريد^(١): قال أبو عبيدة: كان بين معاوية بن عمرو بن الشريد وبين هاشم بن حرملة أحدبني مرة بن غطفان كلام بعكاظ، فقال معاوية: لوددت والله أن قد سمعت بضعائين يندبنا، فقال هاشم: والله لوددت أن قد بريت الرطبة وهي عممة معاوية وكانت الدهر تنظف ماء ودهنا فلما كان بعد تهين معاوية ليغزو هاشماً فهناه أخوه صخر فقال: كأني بك إن غزوتهم علق حمتك حسك العرفط، قال: فأبى معاوية فغزاهم يوم حوزة فرأه هاشم بن حرملة قبل أن يراه معاوية وكان هاشم ناقها من مرض أصابه فقال لأخيه دريد بن حرملة: إن هذا إن رأني لم آمن أن يشد علي وأنا حديث عهد بشكية فأستطرد له حتى تجعله بيدي وبينك، ففعل، فحمل عليه معاوية وأردفه هاشم فاختلفا طعنتين فاردى معاوية هاشماً عن فرسه

الشماء وأنفذ هاشم سنانه من عانة معاوية، قال: وكر عليه دريد فظنه قد أردى هاشماً فضرب معاوية بالسيف فقتله وشد خفاف بن عمرو وهو ابن ندبة على مالك بن حمار الفزارى فقتله وغارت فرس هاشم الشماء حتى دخلت في جيش بني سليم فأخذوها وظنواها فرس الفزارى الذي قتله خفاف ورجع الجيش حتى دنوا من صخر أخي معاوية فقالوا: أنعم صباحاً أبا حسان، فقال: حييت بذلك، ما صنع معاوية؟ قالوا: قُتل، قال: بما هذا الفرس؟ قالوا قتلنا صاحبها، قال: إذاً أدركتم ثاركم، هذه فرس هاشم بن حرملة.

قال: فلما دخل رجب ركب صخر بن عمرو ابن الشريد الشماء صبيحة يوم حرام فأتى بني مرة فلما رأوه قال لهم هاشم: هذا صخر فحيوه وقولوه له خيراً، وهاشم مريض من الطعنة التي طعنه إياها معاوية فقال: من قتل أخي؟ فسكتوا، فقال: لمن هذه الفرس التي تحتي؟ فسكتوا، فقال هاشم: هلم أبا حسان إلى من يخبرك، قال: من قتل أخي؟ فقال هاشم: إن أصبتني أو دريداً فقد أصبت ثارك، قال: فهل كفنتموه؟ قالوا: نعم في بردين أحدهما بخمسة وعشرين بكرة، قال: فأروني قبره، فأرزوه إياه، فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال: كأنكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزعي فوالله ما بث منذ عقلت إلا واتراً أو موتوراً أو طالباً أو مطلوباً حتى قتل معاوية بما ذقت طعم النوم بعده، الخ.

وليس قصدنا سياقة القصة فإنهم أدركوا ثارهم قتل خفاف مالك بن حمار سيد بني شمخ من فزاره وقتل صخر دريد بن حرملة أخي هاشم وقتل عمرو بن قيس الجشمي هاشم بن حرملة، ومن شعر صخر في أخيه معاوية يرثيه وقيل له أهجوا بني مرة، فقال: ما بيننا وبينهم أجل من القذع.

ثم أنشأ يقول:

وعاذلة هبت بليل تلومني ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا
تقول ألا تهجو فوارس هاشم وما بي أن أهجو همواثم ما بيا
أبى الذم إني قد أصابوا كريمتي وأن ليس إهداء الخنا من سماتيا
إذا ما أمرئ أهدى لميت تحية فحياك رب الناس عني معاويا
وهيون وجدي إبني لم أقل له كذبت ولم أبخل عليه بماليا
وذي إخوة قطعت أقران بيتهم كما تركوني واحداً لا أخاً لي
ولهذه الحكايات نظائر وأشباهه.

هلاك من رد النصيحة

أما من رد النصيحة فأهلك نفسه وأتلف دينه وأذهب مروته فكثير وأشهر من ليس هذا الجلباب المخزي وتردى بهذا الرداء الفاضح عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري قاتل الحسين بن علي «عليهما السلام».

قال الطبرى في التاريخ^(١): لما كان من أمر الحسين ما كان، دعا عبيد الله بن زياد عمر بن سعد فقال: سر إلى الحسين فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت إلى عملك، فقال عمر بن سعد: إن رأيت أن تعفيني فأفعل، فقال له عبيد الله نعم على أن ترد لنا عهدهنا، قال: فلما قال له ذلك قال له عمر بن سعد: أمهلني اليوم حتى أنظر، قال: فمضى عمر يستشير نصحائه فلم يكن يستشير أحد إلا نهاء، قال: وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن أخته فقال: أنشدك الله ياخال أن تسير إلى الحسين فتائماً بربك وتقطع رحمك فو الله لئن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلها لو كان لك خير لك أن تلقى الله بدم الحسين، فقال له عمر: أفعل إن شاء الله.

وعن عمار بن عبد الله الجهنمي، عن أبيه قال: دخلت على عمر بن سعد وقد أمر بالمسير إلى الحسين، فقال لي: إن الأمير أمرني بالمسير إلى الحسين فأبىت ذلك عليه، فقلت له: أصاب الله بك مراشك، أجل فلا تفعل ولا تسر إليه، قال: فخرجت من عنده فأتاني آت وقال: هذا عمر بن سعد يندب الناس إلى الحسين، قال: فأتيت فإذا هو جالس فلما رأني أعرض عني بوجهه فعرفت أنه قد عزم على المسير إليه فخرجت من عنده، إنتهى.

وذكر فخر الدين الطريحي في المنتخب^(٢) والفضل المجلسي في البحار^(٣) ما لفظه: ثم ابن زياد نادى في عسكره: معاشر الناس! من يأتيني برأس الحسين ولو الجائزة العظمى وأعطيه ولایة الري سبع سنين، فقام إليه عمر بن سعد وقال: أصلح الله الأمير! أنا أمضي إليه وأمنعه من شرب الماء وآتي برأسه ثم مضى من وقته وساعته ودخل منزله، فدخل عليه أولاد المهاجرين والأنصار وقالوا: يا ابن سعد! تخرج إلى حرب الحسين وأبوك سادس الإسلام^(٤)؟! فقال: لست أفعل ذلك ثم جعل يفكر في ملك الري وقتل الحسين فأضلله الشيطان وأعمى

(١) تاريخ الطبرى ٦/٢٣.

(٢) المنتخب ٢/٩٣.

(٣) بحار الأنوار ١٠/١٩٦.

(٤) هذا مشهور وهو غير صحيح وكثيراً ما يشتهر شيء وهو خلاف الواقع، سادس الإسلام هو خباب ابن الأرت لا سعد بن أبي وقاص.

قليله فاختار قتل الحسين «عليه السلام».

ولفظ المجلسي (رحمه الله) لما جمع ابن زياد قومه لحرب الحسين كانوا سبعين ألف فارس، فقال ابن زياد: أيكم يتولى قتل الحسين وله ولاية أي بلد شاء؟ فلم يجبه أحد منهم فأستدعي بعمر بن سعد «لعنه الله» وقال: يا عمر أريد أن تتولى حرب الحسين بنفسك، فقال له: أُغفني من ذلك، فقال ابن زياد: قد أغفيتك فأردد علينا الذي كتبنا لك بولاية الري، فقال عمر: أمهلني الليلة، فقال قد أمهلتك، فأنصرف عمر بن سعد إلى منزله وجعل يستشير قومه وإخوانه ومن يثق به من أصحابه فلم يشر عليه أحد بذلك.

وكان عند عمر بن سعد رجل من أهل الخير يقال له كامل وكان كاملاً كأسمه ذا رأي وعقل ودين كامل، وكان صديقاً لأبيه من قبله، فقال له: يا عمر! مالي أراك بهيئة وحركة فيما الذي أنت عازم عليه؟ فقال عمر: إني قد ولّيت أمر هذا الجيش في حرب الحسين وإنما قتله عندي وأهل بيته كأكلة آكل أو كشربة ماء وإذا قتلتة خرجت إلى ملك الري، فقال له كامل: أَفْ لَكَ يَا عَمِّ بْنَ سَعْدٍ تَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنَ أَبِيهِ أَفْ لَكَ وَلَدِنِكَ يَا عَمِّ أَسْفَهْتَ الْحَقَّ وَضَلَّتْ عَنِ الْهُدَىِ، أَمَا تَعْلَمُ إِلَى حَرْبٍ مِّنْ تَخْرُجٍ؟ وَلِمَنْ تَقَاتِلُ؟ إِنَّ اللَّهَ وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَاللَّهُ لَوْ أَعْطَيْتَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِّنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ لَمَا فَعَلْتَ فَكَيْفَ تَرِيدُ تَقْتُلَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ؟ وَمَا الَّذِي تَقُولُ غَدَاءً لِرَسُولِ اللَّهِ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ وَقَدْ قَتَلَتْ وَلَدَهُ وَقَرْبَةَ عَيْنِهِ وَثُمَرَةَ فَوَادِهِ وَابْنَ سَيِّدِ نَسَاءِ الْعَالَمِينَ وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيْفِينَ وَهُوَ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ وَإِنَّهُ فِي زَمَانِنَا هَذَا بِمَنْزِلَةِ جَدِّهِ فِي زَمَانِهِ وَطَاعَتْهُ عَلَيْنَا كَطَاعَتْهُ وَإِنَّهُ بَابُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَاختَرَ لِنَفْسِكَ مَا أَنْتَ مُخْتَارٌ فَإِنِّي أَشَهِدُ بِاللَّهِ إِنْ حَارَبْتَهُ وَقَتَلْتَهُ أَوْ أَعْنَتْ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى قَتْلِهِ لَا تَلْبِثُ بَعْدَهُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَلِيلًاً.

قال له عمر: فبالموت تخوّبني وإنني إذا فرغت من قتله أكون أميراً على سبعين ألف وأتولى ملك الري؟!

قال كامل: إني أحذّك بحديث صحيح أرجو لك فيه النجاة إن وفقت للقبول: إنّي سافرت مع أبيك سعد إلى الشام فإنقطعت بي مطيتي عن أصحابي وتهت وعطشت فلاح لي دير راهب فملت إليه ونزلت عن فرسي وأتيت إلى باب الدير لأشرب الماء فأشرف على راهب من ذلك الدير وقال: ما تريده؟ فقلت: إني عطشان، فقال: أنت من أمة هذا النبي الذي يقتل بعضهم بعضاً على

حب الدنيا مكالبة ويتنافسون فيها على حطامها؟ فقلت له: أنا من الأمة المرحومة أمة محمد ﷺ، فقال: لا إنكم شر أمة فالويل لكم يوم القيمة وقد غدرتم عترة نبيكم تقتلون رجالهم وتسبون نسائهم وتنهبون أموالهم، فقلت له: ياراهب! نحن نفعل ذلك؟ قال: نعم وإنكم إذا فعلتم ذلك عجبت السماوات والأرضون والجبال والبحار والوحش والأطياف باللعنة على قاتلهم ثم لا يلبث قاتله إلا قليلاً ثم يظهر رجل يطلب بثاره فلا يدع أحداً شرك في دمه إلا قتله وعجل الله بروحه إلى النار، ثم قال لي الراهب: إني لأرى لك قرابة من قاتل هذا الأبن الطيب والله إني لو أدركت أيامه لوقتيه بنفسي من حد السيوف، فقلت: ياراهب! إني أعيذ نفسي أن أكون من يقاتل ابن بنت رسول الله ﷺ، قال: إن لم تكن أنت فرجل قريب منك وإن قاتله عليه نصف عذاب أهل النار وإن عذابه أشد من عذاب فرعون وهامان، ثم ردم الباب في وجهي ودخل يعبد الله وأبى أن يسكنني الماء.

قال كامل: فركبت فرسي ولحقت بأصحابي فقال لي أبوك سعد: ما أبطأ بك عنا يا كامل؟ فحدثه بما سمعت من الراهب فقال لي: صدقت ثم إن سعداً أخبرني أنه نزل بدير هذا الراهب مرة قبلها فأخبره أنه هو الذي يقتل ابن بنت رسول الله ﷺ فخاف أبوك سعد من ذلك وما خشي إلا أن تكون أنت قاتله فأبعدك عنه وأقصاك فأحذر يا عمر أن تخرج عليه فيكون عليك نصف عذاب أهل النار.

قال: فبلغ الخبر ابن زياد فاستدعى بكامل فقطع لسانه فعاش يوماً أو بعض يوم ومات (رحمه الله)، إنتهى.

رد أهل الكوفة نصيحة الناصحين

والناصحون لهم كثيرون منهم برير بن حضير الهمданى المشرقى، قال الشلبنجي الشافعى فى نور الأ بصار^(١) فى حديث كربلاء: فحالوا بين الحسين «عليه السلام» وبين الماء فعند ذلك ضاق الأمر على الحسين «عليه السلام» وعلى أصحابه وأشتد بهم العطش وكان مع الحسين رجل من أهل الزهد والورع يقال له يزيد بن حصين الهمدانى^(٢) فقال للحسين «عليه السلام»: أئذن لي يا ابن رسول الله آتى عمر بن سعد وأكلمه فى الماء لعله أن يرتدع، فأذن له، فجاء الهمدانى إلى عمر بن سعد وكلمه فى الماء فامتنع ولم يجده إلى ذلك، فقال له: هذا ماء الفرات

(١) نور الأ بصار: ص ١١٧.

(٢) يزيد بن حصين تصحيف برير بن حضير.

يشرب منه الكلاب والدواب وتمنع منه ابن بنت رسول الله ﷺ وأولاده وأهل بيته العترة الطاهرة يموتون عطشاً وقد حلت بينهم وبين ماء الفرات وتزعم أنك تعرف الله ورسوله؟ فأطرق عمر بن سعد وقال: يا أخا همدان! إني لأعلم ما تقول وأنشأ يقول:

دعاني عبيد الله من دون أهله إلى خصلة فيها خرجت لحييني
فوالله ما أدرى وإنني لواقف على خطر لا أرتضيه ومنين
أخذ ملك الري والري بغطيتي أو أرجع مائوماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب وملك الري قرة عيني
ثم قال: يا أخا همدان! ما أجد نفسي تجibني إلى ترك ملك الري لغيري،
فرجع يزيد بن حصين الهمданى إلى الحسين «عليه السلام» وأخبره بمقالة ابن
سعد، إنتهى.

أما ابن طلحة الشافعى فى مطالب السئول فذكر أن الهمدانى لم يسلم على ابن سعد فقال ابن سعد: يا أخا همدان! ما منعك من السلام على؟ ألسنت مسلماً أعرف الله ورسوله؟ فقال الهمدانى: لو كنت مسلماً كما تقول لما خرجت إلى عترة رسول الله ﷺ ترید قتلهم، وبعد فهذا ماء الفرات وذكر مثلما تقدم^(١).

ومنهم زهير بن القين البجلي، ذكر أبو جعفر الطبرى في التاريخ^(٢) عن كثير بن عبد الله الشعبي قال: لما زحفنا قبل الحسين «عليه السلام» خرج إلينا زهير بن القين على فرس له ذنوب شاك في السلاح فقال: يا أهل الكوفة! نذاراً لكم من عذاب الله نذار، إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ونحن حتى الآن إخوة على دين واحد وملة واحدة مالم يقع بيننا وبينكم السيف وأنتم للنصيحة منا أهل فإذا وقع السيف أنقطعت العصمة وكينا أمة وكنتم أمة، إن الله قد أبتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد ﷺ لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا لنندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد فإنكم لا تدركون منها إلا بسوء عمر سلطانهما كله ليسلامن أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم ويرفعانكم على جذوع النخل ويقتلان أمثلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهانى بن عروة وأشباهه.

قال: فسبوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له وقالوا: لا نبرح حتى

نقتل صاحبك ومن معه أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سلماً.
قال: عباد الله! إن ولد فاطمة «عليها السلام» لأحق بالولد والنصر من ولد
سمية فإن لم تنتصروهم فأعذكم بالله أن تقتلوهم فخلوا بين هذا الرجل وبين ابن
عمه يزيد بن معاوية فلعمري إن يزيد ليرضي من طاعتكم بدون قتل الحسين «عليه
السلام».

فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال: أُسكت أُسكت الله نامتك أبرمتنا
بكثرة كلامك.

قال له زهير: يا بن البوال على عقبيه ما إياك أخاطب إنما أنت بهيمة والله
وما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين فأبشر بالخزي يوم القيمة والعذاب الأليم.
قال له شمر: أما والله إن الله قاتلك وقاتل صاحبك عن ساعة.

قال زهير: أَفِي الْمَوْتِ تَخُوفُنِي فَوَاللَّهِ لِلْمَوْتِ مَعَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْخَلْدِ مَعَكُمْ،
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ رَافِعًا صَوْتَهُ فَقَالَ: عَبَادُ اللَّهِ! لَا يَغْرِنُكُمْ مِنْ دِينِكُمْ هَذَا الْجَلْفُ
الْجَافِي وَأَشْبَاهُهُ فَوَاللَّهِ لَا تَنالُ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ قَوْمًا أَهْرَقُوا دَمَاءَ ذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ
وَقُتِلُوا مِنْ نَصْرِهِمْ وَذُبُّ عنْ حَرِيمِهِمْ، قَالَ: فَنَادَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ
لَكَ: فَلِعُمْرِي لَئِنْ كَانَ مُؤْمِنًا آلُ فَرْعَوْنَ نَصَحَ لِقَوْمِهِ فَأَبْلَغَ فِي الدُّعَاءِ لَقَدْ نَصَحْتَ
لَهُؤُلَاءِ وَأَبْلَغْتَ لَوْ نَفْعَ النَّصْحِ وَالْإِبْلَاغِ، إِنْتَهِي.

وقد أكثر أصحاب الحسين «عليه السلام» من نصح أهل الكوفة فغلبت عليهم
شقوتهم فأطاعوا الشيطان المغوي وأتبعوا الهوى المردي.

المُنَاصَحةُ لِلإِمَامِ الْمَعْصُومِ (عليه السلام)

إن إصحاب علي والحسين «عليهم السلام» مثال الإخلاص الحقيقي
والتفادي الواقعي وهم أهل الفداء في ولائهم أحياً وأمواتاً.

قال السيد ابن طاوس في كتاب الملهوف^(١): قيل لمحمد بن بشر الحضرمي
في تلك الحال: أسر أبنك بشعر الري، فقال: عند الله أحتسبه ونفسني، ما كنت
أحب أن يؤسر وأنا أبقى بعده، فسمع الحسين «عليه السلام» قوله فقال: رحمك
الله أنت في حل من بيعتي فأعمل في فكاك أبنك، فقال: أكلتني السبع حيَاً إن
فارقتك، قال: فأعطي أبنك هذه الأثواب البرود يستعين بها في فداء أخيه، فأعطاه

(١) الملهوف: ص ٨٣.

خمسة أثواب قيمتها ألف دينار، إنتهى.

والمشهور أن المأسور هو محمد بن بشر وهذه القصة لابنه بشر كما يذكر جماعة من المؤرخين كالطبرى.

وقصة مسلم بن عوسجة لما مشى إليه الحسين «عليه السلام» وحبيب مشهورة في وصيته لحبيب بالمناصحة للحسين «عليه السلام» ولم يوصه بأمر من أمره ولهذا قال الشاعر:

نصروه أحياه وبعد مماتهم يوصي بنصرته الشفيق شفيقا
أوصى ابن عوسجة حبيباً قال قاتل دونه حتى الحمام تذوقا
ومن أصحاب أمير المؤمنين علي «عليه السلام» من لم تشغلهم أنفسهم عن
المناصحة له في ساعة النزع والاحتضار.

قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين^(١): عن عبد خير الهمذاني قال: قال هاشم ابن عتبة - يعني المر قال -: أيها الناس! إني رجل ضخم فلا يهولنكم مسقطي إذا أنا سقطت فإنه لا يفرغ مني أقل من نحر جزور حتى يفرغ الجزار من جزرها، ثم حمل فصرع فمر عليه رجل وهو صريح بين القتلى فقال له: إقرأ أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وقل له: أنسدك الله إلا أصبحت وقد ربطت مقاود خيلك بأرجل القتلى فإن الدبرة تصبح لمن غالب على القتلى، فأخبر الرجل علياً «عليه السلام» بذلك، فسار على «عليه السلام» في بعض الليل حتى جعل القتلى خلف ظهره فكانت الدبرة له عليهم.

وقال^(٢): عن عبد الرحمن بن حاطب قال: خرجت أتمس أخي سويداً في القتلى فإذا برجل قد أخذ بشوبي صريح فألتفت فإذا هو عبد الرحمن بن كلدة قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون هل لك بالماء؟ قال: لا حاجة لي في الماء قد أنفذني السلاح وحرقني ولست أقدر على الشرب فهل أنت مبلغ عني أمير المؤمنين رسالة فأرسلك بها؟ قلت: نعم، قال: إذا رأيته فأقرأ عليه السلام وقل له: يا أمير المؤمنين! إحمل جراحك إلى عسكرك حتى يجعلهم من وراء القتلى فإن الغلبة لمن فعل ذلك، ثم لم أبرح حتى مات، فخرجت حتى أتيت علياً «عليه السلام» فدخلت عليه ققلت: إن عبد الرحمن بن كلدة يقرأ عليك السلام، قال: وعليه: أين هو؟ قلت: قد والله يا أمير المؤمنين أنفذه السلاح وحرقه فلم أبرح حتى توفي،

(١) وقعة صفين: ص ٣٠٣.

(٢) وقعة صفين: ص ١٨٤.

فأسترجع، فقلت له: أرسلني إليك برسالة، قال: وما هي؟ قلت: قال: يا أمير المؤمنين! إحمل جرحاك إلى معسكرك حتى تجعلهم من وراء القتل فإن الغلبة لمن فعل ذلك، قال: صدق والذي نفسي بيده، فنادى مناديه في العسكر أن أحملوا جرحاكم إلى معسكركم، ففعلوا، إنتهى.

للمؤلف:

نصروا أنتم هم وأدوا حقهم
في الحالتين دعاية وجلاسا
المرء يألف طبعه ما اعتادا
في كل ناد يجمع الأمجادا
وحباهم الغرف التي قد شادا
موت الأفضل محشراً ومعادا
والأرض لاتبلي لهم أجسادا

القوم قد اعتادوا المكارم عادة
أولئك الأحرار نوه وأطهرهم
والله شرفهم بحسن صنيعهم
حياتهم محي الكرام وموتهم
أولئك الأحياء في جناتها

نصيحة صادفت قبولاً:

إن مدار قبول النصيحة على أمرین: إن كانت دینیة فیجری قبولها على محور التوفيق ويدور على قطب التسديد، وإن كانت دینیة فعلى صحة العقل وسلامة الحواس.

قال نصر بن مزاحم في كتاب صفین^(۱) وحديث هاشم المرقال: عن أبي سلمة: إن هاشم بن عتبة دعا في الناس عند المساء: إلا من كان يريد الله والدار الآخرة فليقبل، فأقبل إليه ناس فشد في عصابة من أصحابه على أهل الشام مراراً فليس من وجه يحمل عليهم إلا صبروا له وقتل فيه قتالاً شديداً، فقال لأصحابه: لا يهولنكم ما ترون من صبرهم فوالله ما ترون منهم إلا حمية العرب وصبرها تحت راياتها وعند مراكزها وإنهم لعلى الضلال وإنكم لعلى الحق، ياقوم! أصبروا وصابروا وأذكروا والله ولا يسلم رجل أخاه ولا تكثروا الالتفات وأصمدوا صدمهم وجالدوهم محتسبين حتى يحكم الله بيننا وهو أحكم الحاكمين.

قال أبو سلمة: فمضى في عصابة من القراء فقاتل قتالاً هو وأصحابه حتى رأى بعض ما يسرون به إذ خرج عليهم فتى شاب يقول:
أنا ابن أرباب الملوك غسان الدائن اليوم بدین عثمان

(۱) وقعة صفین: ص ۱۶۴.

أنبئنا أشياخنا بما كان إن علياً قتل ابن عفان ثم شد فلا يتنشى بضرب بسيفه ثم يلعن ويتشتم ويكثر الكلام، فقال له هاشم ابن عتبة: إن هذا الكلام بعده الخصام وإن هذا القتال بعده الحساب فأتق الله فإنك راجع إليه فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به.

قال: إني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلني كما ذكر لي وإنكم لا تصلون! وأقاتلكم إن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله.

قال هاشم: وما أنت وابن عفان إنما قتله أصحاب محمد ﷺ وقراء الناس حين أحدث أحدهما وخالف حكم الكتاب، وأصحاب محمد ﷺ هم أهل الدين وأولى بالنظر في أمور المسلمين وما أظن أن أمر هذه الأمة ولا أمر الدين عنك طرفة عين قط.

قال الفتى: أجل أجل والله لا أكذبه فإن الكذب يضر ولا ينفع ويشين ولا يزين.

قال هاشم: هذا أمر لا علم لك به فخله وأهل العلم به.

قال: أظنك والله قد نصحتني.

قال له هاشم: أما قولك إن صاحبنا لا يصلني فهو أول من صلى مع رسول الله ﷺ وأفقهه في دين الله وأولاًه برسول الله ﷺ، وأما من تر معه فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجدأً فلا يغرك عن دينك الأشقياء المغرورون.

قال الفتى: يا عبد الله! إني لأظنك أمري صالحًا أخبرني هل تجد لي من توبة؟

قال: نعم تُب إلى الله يتبع عليك فإنه يقبل التوبية عن عباده ويعفو عن السينات ويحب التوابين.

قال: فذهب الفتى الشامي راجعاً، فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي؟! قال: لا ولكن نصحني العراقي، إنتهى.

مناصحة أبي الفضل ابن أمير المؤمنين لأخيه الحسين «عليهم السلام»

فقد كانت قولية وفعلية:

أما القولية فقد مر عليك من أقواله وأشعاره ما يكفيك، ومن مناصحته

القولية ما مر آنفاً من قوله لإخوته: حاموا عن سيدكم وإمامكم الحسين «عليه السلام»، قوله «عليه السلام» لأشقائه: تقدموا يابني أمي حتى إعلم أنكم قد نصحتم الله ولرسوله الخ.

أما المناصحة الفعلية:

فأثرها ظاهر قطعت يمينه وشماله وهو واقف في خطة الحرب ثابت في ساحة القتال لم يطلب لنفسه ملجاً ولا مأمناً ولم يعد لأخيه الحسين «عليه السلام» يحتمي به من الأعداء حاذر أن يغتم لأجله الحسين «عليه السلام» فثبت في مركزه بعد قطع يديه ووقف من غير يدين يذب بهما عن نفسه فكانه قطعة جبل صلد لا يتزعزع أو زبرة حديد لم تتحلحل وإن هيبيته تمنع العدو من الاقتراب إليه حتى أغتاله بعضهم متستراً بنخلة ففضخ هامته بعامود الحديد فأنجدل صريعاً على وجه الشرى فهذه من أعظم المناصحة وأجلها.

وقد مدح بهذه المناصحة وإثنى بها عليه الأئمة المعصومون «عليهم السلام»: قال الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق «عليهما السلام» في زيارته التي رواها ابن قولويه في كامل الزيارة: «أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل والسبط المنتجب والوصي المبلغ والمظلوم المهتضم» الخ.

وفي محل آخر: «أشهد أنك قد بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود».

وفي محل آخر منها: «أشهد أنك قد نصحت الله ولرسوله وأخيك».

وفي محل آخر: «أشهد أنك قد بالغت في النصيحة وأديت الأمانة وجاحدت عدوك وعدو أخيك فصلوات الله على روحك الطيبة وجزاك الله من أخ خيراً ورحمة الله وبركاته».

وقوله «عليه السلام» «أديت الأمانة» يحتمل ثلاثة وجوه:
أحدها: إن الإمامة منصب إلهي ووظيفة ربانية قد أخذ عهدها في الميثاق الأول وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) الآية فكانت هذه الأمانة هي الإمامة كما أشار إليها ابن أبي الحديد الكاتب الحنفي المعتزلي في خطاب أمير المؤمنين علي «عليه السلام»:

أنت الأمانة لا يقوم بحملها خلقها بطة وأطلس أرفع تأبى الجبال الشم عن تقليدها وتضج تبهاء ويشفق برقع وعرضها عبارة عن التعهد والالتزام بواجب طاعة الإمام التي أفترضها الله على عامة البشر فكان هذا العرض على المخلوقات عرض اختبار لا عرض اختيار إذ لا خيرة لمخلوق مع إرادة الخالق وإباء السماوات والأرض ومن معناها ليست إبادية امتناع ومعصية بل إبادية عدم تكليف فحملها الإنسان الذي هو أظهر أفراد الأنواع المكلفة من الحيوانات لأنه محسوس بخلاف الملك والجن فإنها أجسام غير مرئية ولها جحدها الجاهلون من الفلاسفة فكان الإنسان ظلوماً بحملها في العهد السابق واللاحق فيقول: بخ بخ مرة ويقول مرة أخرى: وسعوها في قريش تتسع، وكل من قام بطاعة الإمام ونصره فقد أدى الأمانة وأبو الفضل من أعظم أفراد هذا القسم.

ثانيهما: إن الحسين «عليه السلام» من العترة التي هي أحد الثقلين الذين أوصى رسول الله ﷺ أمه في التمسك بهما وبحفظهما والأقتداء بهما وجعلهما أمانة عند أمه وأبو الفضل العباس «عليه السلام» من الأعيان الأوفىاء بتأدية هذه الأمانة وإيصالها لرسول الله ﷺ محترمة معظمة بذل دون حفظها نفسه النفيسة وجعل يتلقى السلاح بوجهه وصدره ونحره لثلا يصل إلى وديعة رسول الله منه شيء وضحى إخوته وولده لفداء الحسين «عليه السلام».

ثالثهما: البيعة للحسين «عليه السلام» والبيعة أمانة عند المبايع وإن التزامه بشرائطها تأدية لها والقتل من أظهر مصاديق الوفاء وأجلى مظاهر التأدبة للأمانة ولها كل من أراد الشهادة من أصحاب الحسين «عليه السلام» يقف أمامه ويستأذن للبراز ويقول: السلام عليك يا أبا عبد الله أوفيت يا ابن رسول الله؟ فيقول «عليه السلام»: نعم أنت أمامي في الجنة فاقرأ جدي وأبي وأمي عنى السلام وقل لهم: تركت حسيناً وحيداً فريداً لا ناصر له ولا معين.

ويحتمل في تأدبة الأمانة وجهاً رابعاً: وهو ما رواه بعض أرباب المقاتل من أن مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» أوصى ولده العباس الأكبر «عليه السلام» بنصرة أخيه الحسين «عليه السلام» فكانت هذه التوصية أمانة عنده من أبيه «عليه السلام» فقد أدتها وسقط عنه فرض التكليف بها وكل هذه الوجوه صالح للحمل عليه ولا مانع من إرادة الجميع وإن كان الحمل على الإمامة أظهر لمصير أكثر المفسرين إلى أن المراد الأمانة هي الإمامة.

أما الشعر في مدح العباس «عليه السلام» بالمناصحة:

فهو كثير ومنه قول الإمام السبط سيد الشهداء الحسين «عليه السلام» فيما رواه الفاضل الدربندي في أسرار الشهادة^(١) ولفظه قال: فلما أتاه الحسين «عليه السلام» رأه صريعاً على شاطئ الفرات بكى ثم قال: وأخاه وأ Abbas! الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي، ثم قال: جزاك الله عني يا أخي يا أبو الفضل العباس خيراً، قيل: ثم أنشأ:

أخي يا نور عيني يا شقيقتي فلي قد كنت كالركن الوثيق
أيا ابن أبي نصحت أخاك حتى سقاك الله من كأس رحيم
أيا قمراً منيراً كنت عوني على كل النوائب في المضيق
فبعدك لا تطيب لنا حياة سنجمع في الغداة على الحقيق
الله ش��وائي وصبرني وما ألقاه من ظمآن ضيق

وقال الأزري البغدادي الحاج محمد رضا:

وأخ كريم لم يخنه بمشهد حيث السراة كبابها إقدامها
للمؤلف:

فديت أبا الفضل من ناصح لسبط الرسول ونعم النصيح
 فداء فدته نفوس الأنام بكل نفيس وغال ربىع
 وحرصن أبي الفضل في حفظه بما يستطيع كحرصن الشجاع

ومن صفات العباس الأكبر ابن أمير المؤمنين «عليهما السلام» الإيثار

وإيثار أبي الفضل العباس لأخيه الحسين «عليهما السلام» يوم كربلاء مما لا شك فيه ولا أرتتاب، والإيثار خصلة حميدة وسجية فاضلة من سجايا الكرام وأخلاق أهل العفة والديانة وأرباب المجد والسؤدد، وكونها من صفات المدح فمما لا يرتتاب فيه إلا أعرج السليقة أو جاهم محضر لا إمام له بسير العقلاه ولا معرفة عنده بأدلة الأحكام.

معنى الإيثار لغة:

قال الفيومي في المصباح المنير: آثرته بالمد فضلته.

(١) أسرار الشهادة: ص ٣٢٢.

وقال فخر الدين الطريحي (رحمه الله) في مجمع البحرين: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾^(١) أي يقدمون على أنفسهم من قولهم آثره على نفسه أي قدمه وفضله. وقال ابن الأثير في النهاية: ويستأثر عليكم أي يفضل عليكم غيركم في الفيء.

وبهذا يظهر غلط صاحب القاموس في قوله: آثره أكرمه، وكان الواجب عليه أن يقول: قدمه في الكراهة.

معنى الإيثار العرفاني والفرق بينه وبين المواسات

قال الشريف الجرجاني في التعريفات^(٢): المواسات أن ينزل غيره منزلة نفسه في النفع له والدفع عنه والإيثار أن يقدم غيره على نفسه فيما وهو النهاية في الأخوة، إنتهى.

والإيثار نتيجة العفة التي هي من فضائل النفس الأربع الكمالية وشعبة من شعب الجود الذي هو أفضل خلق وسجية وأجل غريزة من الغرائز الإنسانية ومن أحسن ما تحلى به هذا النوع البشري المتسلط على عامة الأنواع.

قال أحمد بن أبي الربيع في سلوك المالك^(٣): والإيثار هو كف الإنسان عن بعض حواجه وبذلها لمستحقة، و^(٤) أن يحدث من تركيب السخاء مع العفة الإيثار على النفس.

وقال ابن مسکويه الخازن في تهذيب الأخلاق^(٥): الفضائل التي تحت السخاء: الكرم، الإيثار، النيل، المواسات، السماحة، المسامحة.

أما الإيثار فهو فضيلة للنفس بها يكتفى الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذل له من يستحقه.

وقال الغزالى الشافعى في الإحياء^(٦): إنما السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات فأرفع درجات السخاء الإيثار وهو أن يوجد بالمال مع الحاجة إليه وإنما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج إليه المحتاج أو لغير المحتاج والبذل له مع الحاجة أشد، وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع

(١) الحشر: ٩. (٢) التعريفات: ١٦٣.

(٣) سلوك المالك في تدبير المالك: ص ٢٩.

(٤) نفسه: ص ٣٣. (٥) تهذيب الأخلاق: ص ٣٨١.

(٦) إحياء علوم الدين ٢/٢٢٢.

الحاجة فالبخل قد ينتهي إلى أن يدخل على نفسه مع الحاجة، فكم من بخيل يمسك المال فيمرض فلا يتداوى ويستهني الشهوة فلا يمنعه منها إلا البخل بالثمن ولو وجدها مجاناً أكلها فهذا بخل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه يحتاج إليه فأناظر ما بين الرجلين فإن الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء، وليس بعد الإيثار درجة في السخاء، إلى آخر كلامه المطول.

وقال رشيد الوطواط في غرر النصائح الواضحة^(١): ويقال مراتب العطاء ثلاثة: سخاء وجود وإيثار؛ والسخاء إعطاء الأقل وإمساك الأكثر، والجود إعطاء الأكثر وإمسالك الأقل، والإيثار إعطاء الكل من غير إمساك لشيء وهذه أشرف المراتب وأعلاها وأحقها بالمدح فإن إيثار المرء غيره على نفسه أفضل من إيثار نفسه على غيره وكفى بهذه الخلة شرفاً مدح الله تعالى أهلها بقوله: ﴿وَيُؤْتُنُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَايَةٌ﴾^(٢) الخ.

فالإيثار مرتبة هي أعلى مرتبة في السخاء ودرجة هي أرقى درجة في الجود وإذا كان كذلك فمراتب الإيثار لا تضبط لأنها نسبية وتختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ويتميز منها مرتبتان بالإضافة إلى ما آثر به وبذله لغيره وهي مرتبة بذلك النفس والإيثار بها وهي أعلى مرتبة الإيثار ولا نعرفها في عرب الجahليّة إلا لكتاب بن مامّة الأيدي وحاتم بن عبد الله الطائي، وفي عرب الإسلام لإمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» فإنه آثر النبي ﷺ بنفسه حين بات على فراشه ليلة الهجرة وبذل نفسه له في الحروب الطاحنة التي فرت فيها أبطال الصحابة.

ولولده العباس الأكبر «عليه السلام» حين آثر أخاه الحسين «عليه السلام» بنفسه وفداء بروحه وعلى سبيله سلك شهداء كربلاء فإن الجميع آثروا الحسين «عليه السلام» بنفسهم وبباقي الشهداء فيسائر الحروب الدينية ليسوا كذلك لأن الشهداء مع رسول الله ﷺ لم يظهر منهم ما ظهر من أولئك من الإقدام على المنيه والاقتحام على الموت مع علمهم أنهم لو تركوا لكانوا في مأمن ومنعة وموقفهم في صف الحسين «عليه السلام» لا يمنيهم بالسلامة ولا يبشرهم بالحيات أبداً، وأصحاب النبي ﷺ دلائل الظفر عندهم لائحة وأمامات الغلب بهم واضحة والقرآن يخبرهم بذلك كما في بدر وخبير: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِخْدَى الْطَّاغِيَّتَيْنِ أَنَّهَا

(١) غرر النصائح الواضحة: ص ٢٣٤.

(٢) الحشر: ٩.

لَكُمْ^(١)، وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا^(٢) والنبي ﷺ يخبرهم بحسن العاقبة وسلامة النفس والظفر ومع ذلك يقولون: «مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا»^(٣) فأين هؤلاء من أذن لهم الحسين «عليه السلام» بالأنصاراف وأخبرهم أنهم يقتلون جمیعاً فيقولون لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لآخرنا النهوض معك على الإقامة فيها، هؤلاء وأبيك جوهر الرجال ولباب الفضيلة.

المرتبة الثانية:

الإيثار بالقوت وهذا كثير جاهلية وإسلاماً، فقد آثر حاتم الطائي بقوته وبات طاوياً وصنع غيره مثل صنعه من عرب الجahلية.

أما في الإسلام فقد آثر أهل بيت الرسول بأقواتهم وباتوا طاوين ثلاثة فنزلت سورة «هل أتى» مدحأ وآية «وَيَقُولُونَ»^(٤)، وأثر أمير المؤمنين «عليه السلام» أصحابه مراراً عديدة كالمقداد وعمار وغيرهما، وأثر أبو ذر رسول الله ﷺ بالماء العذب مع شدة عطشه، وأثر جماعة من الصحابة بعضهم بعضاً وهم صرعي بالماء مع شدة العطش حتى ماتوا كلهم عطاشى، وحديث صاع التمر مشهور عند المحدثين فإنه طاف أربعين بيتاً ورجع إلى صاحبه كل واحد يؤثر به صديقه.

وأثر أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» أخيه الحسين «عليه السلام» بالماء فلم يشربه مع كونه شديد الظماء فمات عطشاً.

ولكل إنسان دليلان هاديان يرشدانه إلى الفضائل ويدلانه على المحاسن والكمالات وهما العلم والعقل :

وأما العلم فدليل إلى كل ما ثبت في الشريعة الإسلامية حسنة وتحث الشارع المقدس على فعله ورغبة على الإتيان به ترغيباً مؤكداً ودل عليه دلالة واضحة وهذا ما تسميه المترسعة بالمستحب المؤكد.

وأما العقل فدليله إلى ما أستحسن العقلاه وترجع عند النباء ارتکابه وفضل العقل الإتيان به على الترك تفضيلاً محسوساً يدركه كل عاقل بأدنى التفات وأقل فكرة ورؤيه لما يراه من تمادح العقلاه وتنويهم فيه وإطراء المتصرف به إطراء بلغا وبالغا أقصى درجة الأستحسان وهذا من الشعور العربي والأحساس المختص بأهل اللسان الفصيح دون سائر الأمم والشعوب وإن لم ينكروا فضيلته ولم يشكوا في رجحانه وقد عبر الأصوليون عنه بالحسن العقلي .

(١) الأنفال: ٧.

(٢) الفتح: ٢٠.

(٣) الحشر: ٩.

(٤) الأحزاب: ١٢.

وحيث تكامل لأبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» دليلاً وتوافق عنده مرشداته هجماً به على الفضيلة النبيلة وأرشداته إلى اختيار الفعلة الحميدة وهي الإيثار بنفسه وعلى نفسه وهذه الفضيلة المعروفة في فضائل أسلافه السادات الأماجد الذين آثروا بنفسهم وعلى نفوسهم مراراً عديدة وقد نزل القرآن المجيد في مدحهم آيات وسور تتلى في المحاريب وعلى الأعواد وتذاع في المسارح والأندية والمجتمعات وحيث أن بعض مؤلفي الرسائل من عاصرنا قد غاب عنه دليلاً ظل به مرشداته اللذان هما العلم والعقل تخيل أن ذلك الإيثار الذي وقع من أبي الفضل العباس «عليه السلام» في كربلاء كان قبيحاً وظنه نقصاً بل حراماً في سليقه العوجاء وقد قيل:

فكم من عائب قوله صحيحاً وآفته من الفهم السقيم ولنا رسالة في الرد عليه مخطوطه^(١).

الدلالة على رجحان الإيثار

لا شك في رجحانه الشرعي لقوله تعالى في معرض المدح للمؤثرين:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَايَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) فأثبت سبحانه والإيثار مع الخاصة وهي شدة الحاجة ثم قرن الفلاح بترك الشح الذي هو ضد الإيثار ومعلوم أن النفس تشح فيما لا تحتاج إليه كثيراً فكيف لا تشح بما تستد حاجتها إليه، ومن توقي هذا الشح في الخاصة وهو الإيثار فقد أفلح عند الله وهذه الآية نزلت في أهل البيت «عليهم السلام» وهم أهل الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين رغم ما زعمه بعض أهل الحديث أنها نزلت في الأنصار فال محمد ﷺ نزل بهم ضيف وليس عندهم غير ما يكفيه قدموه له وأطفئوا السراج لنلا يراهم ولا شيء عندهم وباتوا طاوين.

وقال تعالى: **﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُجَّبٍ، مُسْكِنًا وَيَتِيًّا وَأَسِيرًا﴾^(٣)** إلى آخر السورة وهي مع اتفاق المفسرين أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين «عليهم السلام» ظاهرة في مدح الإيثار لأتفاقهم أنهم باتوا ثلاثة طاوين وأطعموا هذه الأصناف الثلاثة وذلك في نذر الحسن والحسين «عليهما السلام» لما مرضا.

(١) هذه الرسالة عنوانها: «ردع الناكب عن فضيلة الموابك، أو التنبية على خطأ رسالة التنزيه» - الناشر - .

(٢) الإنسان: ٨.

(٣) الحشر: ٩.

أما الأحاديث فكثيرة جداً منها من طريق الشيعة ما رواه الصدوق القمي (رحمه الله) في الفقيه^(١) قال: قال الصادق «عليه السلام»: خياركم سمحائكم، وشراركم بخلائكم، ومن خالص الإيمان البر بالإخوان والسعى في حوائجهم، وإن البار بالإخوان ليحبه الرحمن وفي ذلك مرغمة للشيطان وتزحزح عن النيران ودخول الجنان.

ثم قال لجميل^(٢): أخبر بهذا غرر أصحابك، قلت: جعلت فداك! من غرر أصحابي؟ قال: هم البارون بالإخوان في العسر واليسر.

ثم قال: يا جميل! أما إن صاحب الكثير يهون عليه ذلك وقد مدح الله عز وجل في كتابه صاحب القليل فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَاصَّةٌ وَمَنْ يُوَقَّعْ شُحًّا نَفْسِيهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣) إنتهى وهو كثير.

ومن طرق أهل السنة ما رواه الغزالى الشافعى فى إحياء العلوم^(٤): قال النبي ﷺ: أيمما أمرئ أشتته شهوة فرد شهوته وأثر على نفسه غفر الله له، إنتهى وهو كثير أيضاً والإكثار من النقل تطويل.

القسم الأول من الإيثار:

وهو الإيثار بالنفس وهو أفضل قسمى الإيثار، وقال أبو تمام الطائي:

يجد بالنفس إذ ظن الجoward بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

فمن الذين آثروا أنفسهم حاتم بن عبد الله الطائي وذلك أنه مر في بلاد عنزة وهو لا يعرف فعرفه أسير في أيديهم فناداه: يا أبا سفانة قتلني الأسر والقمل فتصدق علّي، فقال: ويحك! قد أساءت إلى إذ نوحت بي في غير بلاد قومي، ثم جاء إلى العذرين فقال: ضعوا رجلي مكان رجله في القيد وأطلقوه، ففعلوا فبقي حاتم مدة أسيراً في أيديهم حتى بلغ قومه الخبر فبعثوا بفدايه إلى العذرين فأطلقوه وقصته مشهورة في التاريخ وهي فعلة كريمة لها عظمتها في عالم الإنسانية إلا أنها دون بذل النفس كما فعل غيره من العرب.

كعب بن مامدة الأياطي أشهر العرب في الإيثار بالنفس:

قصته بلفظ الميداني في مجمع الأمثال^(٥) قال: ومن حديثه إنه خرج في

(١) من لا يحضره الفقيه: ص ١٣٢.

(٢) هو جميل بن دراج من ثقات أصحاب الصادق عليه السلام.

(٣) الحشر: ٩.

(٤) إحياء العلوم ٢٢٣/٢

(٥) مجمع الأمثال ١٢٣/١

ركب فيهم رجل من النمر بن قاسط فظلوها فتصافنوا ماءهم وهو أن يطرح في القعب حصاه ثم يصب فيه الماء بقدر ما يغمس الحصاة وتلك الحصاة هي المقلة فيشرب كل إنسان بقدر واحد فقدعوا للشرب فأنتهى إلى كعب فأبصر النمرى يحد النظر إليه فآثره بمائه وقال للساقي: إسق أخاك النمرى فشرب النمرى نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ثم نزلوا من الغد المنزل الآخر فتصافنوا بقية مائهم فنظر النمرى كنظره أمس وأرتحل القوم وقالوا لکعب: أرتحل فلم تكن له قوة للنهوض وكانوا قد قربوا من الماء، فقيل له: رد کعب إنك وارد فعجز عن الجواب فلما أيسروا منه خيلوا عليه بثوب يمنعه من السبع أن يأكله وتركوه في مكانه، فقال أبوه ماما يرثيه:

ما كان من سوقه أشفي على ظمأ خمراً بماء إذا ناجودها بردا
من ابن ماما کعب حين عي به رد المنيبة إلا حرقة وقادا
أوفى على الماء کعب ثم قيل له رد کعب إنك وراد فما وردا
إنتهى.

وفيه قال أبو تمام بيته المتقدم، وقال فيه وفي حاتم الطائي:
کعب وحاتم اللذان تقاسما خطط العلا من طارف وتليد
هذا الذي خلف السحاب ومات ذا في الجهد ميته خضرم صنديد
إلا يكن فيها الشهيد فقومه لا يسمحون به بآلف شهيد
للمؤلف يفند رأي أبي تمام:

فرب شهيد فاق کعب بن ماما
وأصبح في الإيثار بالنفس مفرداً
فعذ ذكر کعب واذكرون شبل حيدر
لقد ورد الماء الفرات فعافه
إذا لم يذق سبط النبي معينه
سماك بن عمرو العامل

قصته عن الميداني^(١) في قوله: (أتطلب أثراً بعد عين) قال الباهلي: أول من قال ذلك مالك بن عمرو العامل وذلك أن بعض ملوك غسان كان يطلب في

عاملة ذحلاً فأخذ منهم رجلين يقال لهما مالك وسماك أبنا عمرو فاحتبسهما عنده زماناً ثم دعاهما وقال: إني قاتل أحدكم فايكم أقتل؟ فجعل كل واحد منهما يقول: أقتلني مكان أخي، فلما رأى ذلك قتل سماكاً وخلى سبيل مالك، فقال سماك حين ظن أنه مقتول:

ألا من شجت ليلة عامده كما أبد ليلة واحدة
فابلغ قضاعة إن جئتهم وخصوص سراتبني ساعده
بأن الرماح هي العائده لكنت لهم حية راصده
ويوماً على طرق وارده فللموت ما تلد الوالده
وأبلغ نزاراً على نأيها برأس سبيل على مرقب فأم سماك فلا تجزعي

فانصرف مالك إلى قومه فلبث فيهم زماناً ثم إن ركباً مروا وأحدهم يتغنى:
فأقسم لو قتلوا مالكاً لكنت لهم حية راصده فسمعت أم سماك فقالت: يا مالك! قبع الله الحياة بعد سماك، أخرج في الطلب بأخيك فخرج في الطلب فلقي قاتل أخيه يسير في ناس من قومه فقال: من أحس لي الجمل الأحمر؟ فقالوا له وقد عرفوه: يا مالك! لك مائة من الإبل وكف، فقال: لا أطلب أثراً بعد عين، فذهب مثلاً، ثم حمل على قاتل أخيه فقتله فقال في ذلك:

ياراكباً بلغن ولا تدعها بنبي قمير وإن هموا جزعوا
كنت حزيناً ومسني جزع فليجدوا مثلما وجدت فقد لا أسمع اللهو في الحديث ولا
يعرف شيئاً والوجه ملتمع لأجد نكلي كما وجدت ولا
يتفق في أوجه الركاب فلا
يُنْظَر في أوجه الركاب فلا جللته صارم الحديد كاللمح
ثوبه من دمائه رقع بين ضمير وباب جلق في
يدعو صداه والرأس منتصع أضر به باديأ نواجهه
فال يوم لا رنة ولا جزع بني قمير قتلت سيدكم

فالليوم قمنا على السواء فإن تجروا فدھری ودهركم جرع
إنتهى.

وتشبه هذه القصة ذبح ولدي مسلم بن عقيل وقد ذكرناها في كتابنا «المستدرک على مقاتل الطالبين» وفي كتابنا «أعلام النھضة الحسینیة» ولكنهما ذيحا معاً بخلاف هذین فإنه نجى واحد منهما.

مبيت أمير المؤمنين «عليه السلام» على فراش النبي ﷺ

المؤثرون بأنفسهم في الإسلام:

سيدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» فإنه آثر رسول الله ﷺ بحياته وفداه بنفسه وإيثاره أفضل كل إيثار في الدنيا فلا كعب ولا غيره نظيره لأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» باهی الله به ملائكته وأنزل فيه قرآن يُتلی في المحاريب قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْرِي نَفْسَهُ أَبْتَغِكَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ»^(١) وقصة مبيت أمير المؤمنين «عليه السلام» على فراش رسول الله ﷺ ليلة الهجرة مشهورة عند علماء التاريخ فقد رواها من علماء أهل السنة مفتى الشافعية دحlan في سيرته على هامش الحلية^(٢) والبرهان الحلبي الشافعی في سيرته «إنسان العيون»^(٣) وأبو جعفر الطبری أحد أئمة المذاهب في التاريخ^(٤) وعبد الملك بن هشام المالکی في سيرته^(٥) ، والسمھودی الشافعی في وفاء الوفا تاريخ المدينة المنورۃ^(٦) ، وابن الصباغ المالکی في الفصول المهمة^(٧) ، وابن طلحة الشافعی في مطالب السئول^(٨) ، وسبط ابن الجوزی الحنفی في تذكرة خواص الأمة^(٩) وأبو حامد الغزالی الشافعی بحجة الإسلام وغيرهم كثير.

ولفظ الغزالی في إحياء علوم الدين^(١٠): وبات على على فراش رسول الله ﷺ يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل «عليهما السلام»: إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدهما أطول من عمر الآخر فايمما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة وأحبها فأوحى إليهما: أفلأ كنتما مثل

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) سیرة زینی دحلان بهامش السیرة الحلیة ١/٣٥٥.

(٣) السیرة الحلیة ٢/٢٨.

(٤) تاريخ الطبری ٢/٢٤٣.

(٥) وفاء الوفا ١/١٦٨.

(٦) مطالب السئول: ص ٣٥.

(٧) الفصول المهمة: ص ٣٢.

(٨) تذكرة الخواص: ٢١.

(٩) إحياء علوم الدين ٢/٢٢٣.

(١٠) إحياء علوم الدين ٢/٢٢٣.

علي بن أبي طالب «عليه السلام» أخبت بينه وبين نبئي محمد ﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض فأحفظاه من عدوه، فكان جبرئيل «عليه السلام» عند رأسه ومهكائيل عند رجليه وجبرئيل «عليه السلام» يقول: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهيك الملائكة، فأنزل الله تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْتِغَاةً مَرْهَسَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾**^(١).

قال السبط بعد أن نقل مثل هذا بعينه: عن تفسير الثعلبي عن ابن عباس

قال: أول من شرى نفسه أبتغا مرضاه الله علي بن أبي طالب «عليه السلام».

قال ابن عباس: وأنشدني أمير المؤمنين «عليه السلام» شعراً قاله تلك الليلة:

وقيت بنفسي خير من وطأ الشرى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

وبات رسول الله في الغار آمناً فنجاه ذو الطول العلي من المكر

وبث أراعيهم وما يثبتونني وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

إنتهى.

وللمأمون الخليفة العباسي احتجاج على المخالفين يفضل فيه مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» ولا نذكر المحاججة بطولها وإنما نذكر هذا المقام الخاص ورواه لنا من الشيعة الصدوق القمي في عيون أخبار الرضا، ومن السنة ابن عبد ربه المالكي القرطبي في العقد الفريد وعنه نقل لأنه أبلغ في الحجة على الخصم.

قال^(٢) في احتجاج المأمون على إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن زيد قال: يا إسحاق! من أفضل من كان معه في الغار أم من نام على فراشه ووقاء نفسه حتى تم لرسول الله ﷺ ما أراد من الهجرة وإن الله تبارك وتعالى أمر رسوله أن يأمر علياً بالنوم على فراشه وبأن يقي رسول الله بنفسه فأمره رسول الله ﷺ بذلك فبكى علي، فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا علي أجزعاً من الموت؟ قال: لا والذى بعثك بالحق يارسول الله ولكن خوفاً عليك أفتسلم يارسول الله؟ قال: نعم، فقال: سمعاً وطاعة وطيبة نفس بالفداء لك يارسول الله ثم أتى مضجعه فأضطجع وتسجى بشوبه وجاء المشركون من قريش فخفوا به لا يشكرون أنه رسول الله ﷺ وقد أجمعوا أن يضربه من كل بطن من بطون قريش رجل ضربة بالسيف لثلا يطلب الهاشميون بطناً من البطون بدمه وعلى «عليه السلام» يسمع ما القوم فيه من إتلاف نفسه ولم يدعه ذلك إلى الجزء كما جزع

صاحبـه فيـ الغـار وـ لم يـزل عـلـيـ «ـعلـيـهـ السـلامـ» صـابـرـاـ مـحـتبـاـ فـبـعـثـ اللهـ مـلـائـكـتـهـ فـمـنـعـتـهـ مـنـ قـرـيشـ حـتـىـ أـصـبـعـ قـامـ فـنـظـرـوـاـ إـلـيـهـ فـقـالـوـاـ:ـ أـينـ مـحـمـدـ؟ـ قـالـ:ـ وـماـ عـلـمـيـ بـمـحـمـدـ أـينـ هـوـ؟ـ قـالـوـاـ:ـ فـلاـ نـرـاكـ إـلـاـ مـغـرـورـاـ بـنـفـسـكـ مـنـذـ لـيـلـتـنـاـ فـلـمـ يـزلـ عـلـىـ أـفـضـلـ مـاـ بـدـأـ بـهـ يـزـيدـ وـلـاـ يـنـقـصـ حـتـىـ قـبـصـهـ اللهـ إـلـيـهـ الخـ.

وـحدـيـثـ الـمبـيـتـ عـلـىـ الـفـراـشـ مـنـ أـشـهـرـ الـأـحـادـيـثـ وـهـوـ مـتـواـتـرـ بـمـعـناـهـ وـقدـ بـاتـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ «ـعلـيـهـ السـلامـ» عـلـىـ فـراـشـ النـبـيـ ﷺ يـقـيـهـ بـنـفـسـهـ مـرـتـيـنـ:ـ مـرـةـ فـيـ الشـعـبـ فـيـ حـيـاةـ أـبـيـ طـالـبـ وـمـرـةـ لـيـلـةـ الـهـجـرـةـ،ـ وـانـظـرـ الـقـصـتـيـنـ تـفـصـيـلـاـ فـيـ مـخـتـارـ الـعـيـونـ وـالـمـحـاسـنـ تـأـلـيـفـ الشـيـخـ الـمـفـيدـ وـاـخـتـيـارـ السـيـدـ الـمـرـتضـيـ وـتـداـولـ الـشـعـرـاءـ نـقـلـ الـمـبـيـتـ عـلـىـ الـفـراـشـ فـأـكـثـرـوـاـ مـنـ النـظـمـ فـرـاجـعـ مـنـاقـبـ اـبـنـ شـهـرـ آـشـوبـ.

وـلـلـمـؤـلـفـ:

أـمـنـ بـاتـ مـثـلـوـجـ الـفـؤـادـ مـكـانـهـ عـلـيـهـ قـرـيشـ الـغـدرـ سـلـتـ مـواـضـيـهاـ فـنـامـ قـرـيرـ الـعـيـنـ فـيـ الدـارـ هـادـئـاـ كـمـنـ بـاتـ فـيـ الـغـارـ الـمـنـيـعـ عـيـونـهـ يـقـولـ لـهـ خـيـرـ الـنـبـيـيـنـ لـاـ تـخـفـ فـلـمـ تـطـمـئـنـ الـنـفـسـ عـنـ جـيـشـانـهـاـ وـلـوـ كـانـ مـنـ أـهـلـ الشـجـاعـةـ وـالـتـقـيـةـ لـوـاـسـىـ رـسـوـلـ اللهـ أـحـمـدـ هـادـيـهاـ

نـادـرـةـ عـجـيـبـةـ فـيـ الإـيـثـارـ؛

ذـكـرـ الـأـبـشـيـهـيـ فـيـ الـمـسـطـرـفـ^(١) قـالـ:ـ حـكـىـ أـبـوـ مـحـمـدـ الـأـزـديـ قـالـ:ـ لـمـ أـحـترـقـ الـمـسـجـدـ بـمـرـوـ ظـنـ الـمـسـلـمـوـنـ أـنـ الـنـصـارـىـ أـحـرـقـوـهـ فـأـحـرـقـوـ خـانـاتـهـمـ فـقـبـضـ الـسـلـطـانـ عـلـىـ جـمـاعـةـ مـنـ الـذـيـنـ أـحـرـقـوـ الـخـانـاتـ وـكـتـبـ رـقـاعـاـ فـيـهـ الـجـلـدـ وـالـقـطـعـ وـالـقـتـلـ وـنـشـرـهـ عـلـيـهـمـ فـمـنـ وـقـعـ عـلـيـهـ رـقـعـهـ فـعـلـ بـهـ مـاـ فـيـهـ فـوـقـعـتـ رـقـعـةـ فـيـهـ الـقـتـلـ فـيـ يـدـ رـجـلـ،ـ فـقـالـ:ـ وـالـهـ مـاـ كـنـتـ أـبـالـيـ لـوـلـاـ أـمـ لـيـ،ـ قـالـ:ـ وـكـانـ بـجـنـبـهـ بـعـضـ الـفـتـيـانـ فـقـالـ لـهـ:ـ فـيـ رـقـعـيـ الـجـلـدـ فـلـيـسـ لـيـ أـمـ فـخـذـ أـنـتـ رـقـعـيـ وـأـعـطـنـيـ رـقـعـتـكـ،ـ فـفـعـلـ،ـ فـقـتـلـ ذـلـكـ الـفـتـيـ وـتـخـلـصـ الـرـجـلـ،ـ إـنـتـهـىـ.

وـأـورـدـهـاـ الـوـطـواـطـ فـيـ غـرـ النـصـانـعـ الـواـضـحةـ^(٢) وـقـالـ:ـ إـنـ الـقـصـةـ كـانـتـ بـمـصـرـ وـلـعـلـهـ الـأـقـرـبـ.

وـذـكـرـ قـصـةـ اـبـنـ الـمـقـفـعـ وـعـبـدـ الـحـمـيدـ الـكـاتـبـ وـذـكـرـهـ الـجـهـشـيـارـيـ فـيـ كـتـابـ

(٢) غـرـ النـصـانـعـ الـواـضـحةـ:ـ صـ ٢٦ـ.

(١) الـمـسـطـرـفـ ١/١٥٧ـ.

الوزراء وأن كل واحد منها آثر صاحبه بالقتل فقتل عبد الحميد وهذه القصص إنما ذكرها أستثناساً للقارئ وليس من موضوع بحثنا فخذلها من مصادرها.

إيثار أنصار الحسين بن علي «عليه السلام» له

هو الإيثار المحمود وكل واحد منهم قد آثر الحسين «عليه السلام» بنفسه وفداء بروحه لو نفع الإيثار وقبلت الفدية فهذا سعيد بن عبد الله الحنفي وقف هدفاً للسلاح دونه وهو يصلّي ببقية أصحابه صلاة الخوف والحنفي يتلقى كل طعنة بصدره وكل ضربة بنحره حتى قتل.

قال أبو جعفر الطبرى في التاريخ^(١): ثم صلوا الظهر صلى بهم الحسين صلاة الخوف ثم أقتلوا بعد الظهر فأشتد قتالهم ووصل إلى الحسين فأستقدم الحنفي أمامه فأستهدف لهم وهم يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً قائماً بين يديه فما زال يرمي حتى سقط الخ.

وقال السيد ابن طاوس في الملهوف^(٢): وجد فيه ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح، الخ.

قال أبو جعفر الطبرى^(٣): فلما رأى أصحاب الحسين إنهم قد كثروا وإنهم لا يقدرون أن يمنعوا حسيناً ولا أنفسهم تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه فجاء عبد الله وعبد الرحمن أبنا عزرة الفغاريان فقالاً: يا أبا عبد الله! عليك السلام، حازنا العدو إليك فأحببنا أن نُقتل بين يديك نمنعك وندفع عنك، فقال: مرحباً بكم أدنوا مني، فدنوا منه فجعلوا يقاتلان قريباً منه واحدهما يقول:

قد علمت حقاً بنو غفار وخدنف بعدبني نزار
لنضربن عشر الفجار بكل عصب صارم بتار
يا قوم ذودوا عنبني الأحرار بالمشعر في والقنا الخطار

قال: وجاء الفتى عبد الجباريان سيف بن الحارث بن سريع ومالك بن عبد بن سريع وهما أبنا عم وأخوان لأم فأتيا حسيناً فدنوا منه وهما يبكيان، فقال: أي أبني أخي ما يبكيكما فوالله إني لأرجو أن تكوننا بعد ساعة قريري عين، فقال: جعلنا الله فداك لا والله ما أنفينا نبكي ولكن نبكي عليك نراك قد أحبط بك ولا نقدر على أن نمنعك، فقال: جزاكم الله أحسن جزاء المتقين.

(١) تاريخ الطبرى ٢٥٢ / ٦.

(٢) الملهوف: ص ٩١.

(٣) تاريخ الطبرى ٢٥٣ / ٦.

وقال^(١): قال عباس بن أبي شبيب الشакري: يا أبا عبد الله! أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب أو بعيد أعز عَلَيَّ ولا أحب إلى منك ولو قدرت أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز عَلَيَّ من نفسي ودمي لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله أشهدك أني على هداك وهدى أبيك، ثم مشى بالسيف مصلتاً نحوهم وبه ضربة على جبينه الخ..

فهو لاء الأعلام من العلماء والفتاحل العظاماء من الفقهاء قد أحبوا أن يجمعوا إلى فضيلة الشهادة فضيلة زيارة الحسين «عليه السلام» وفضيلة البكاء عليه وفضيلة الاهتمام له فقد ورد في الحديث عن المعصومين «عليهم السلام» أن نفس المهموم لنا أهل البيت عبادة أو ما هذا معناه..

القسم الثاني من الإثارة:

وهو من آثر على نفسه لا بنفسه وهذا كثير في عرب الجاهلية وهو من شعار سمحائهم وكانوا يمتدحون به ويفتخرون كما قال عروة الصعاليك وهو عروة بن الورد العبسي قاله المبرد، وفي قول ابن عبد ربه أن رجلاً من عبس خاطبه بهذا الشعر ولعله أثبت:

لا تشتمني يا بن ورد فإبني تعود على مالي الحقوق العوائد
ومن يؤثر الحق الدؤوب تكون له خصاصة جسم وهو طيان ماجد
وانني أمرئ عافي إنائي شركة وأنت أمرئ عافي إنائك واحد
أقسم نفسي في نفوس كثيرة وأحسوا زلال الماء والماء بارد
ويعني بتقسيم نفسه في النفوس الكثيرة تقسيم زاده على الناس وبيت طاويأ
لإثارة لهم بزاده ويستطيع الماء البارد.

وقل حبال الكلبي وذكره الآمدي في المؤتلف والمختلف:
لا تعذليني في نفسي وفي فرشي إن تعذليني تشكيبني وتوذيني
فساهميني في مالي ولا تدعني خلقاً يرببك إن الله يغبني
حسبني إذا أحتملوا أن يحملوا ثقلني وملئ كفي عند الجهد يكفيني
إن مات هزاً عدي من سماحته أو خلد الغس في قومي فلوميني
قال: الغس اللثيم وعدى فيبني كلب كان يذبح كل يوم خميس شاة يطعمها
من يرد عليه.

وقال عترة الفوارس العبسي في معلقته:

ولقد أبىت على الطوى وأصله حتى أمال به كريم المطعم
وقال آخر:

لولا أتقاء الردا نزحت أنملتي عن أن تهم بمطعموم ومشروب
حاتم بن عبد الله الطائي؛

ذكر الميداني في مجمع الأمثال^(١) بعد قصة الأسير عند العذرين قال: ومن حديثه أن ماوية أمراة حاتم حدثت أن الناس أصابتهم سنة أذهبت الخف والخلف فبتنا ليلة بأشد الجوع وأخذ حاتم عدياً وأخذت سفانة فعلنناهما حتى ناما فأخذ يعللني بالحديث لأنام فرققت له لما به من الجهد فأمسكت عن كلامه لينام ويظن أنني نائمة، فقال لي: أنم مراراً فلم أجبه فسكت ونظر من وراء الخبراء فإذا شيء قد أقبل فرفع رأسه فإذا امرأة فقالت: يا أبا سفانة! أتيتك من عند صبية جياع، فقال: أحضرني صبيانك فوالله لا أشبعهن، قالت: فقمت مسرعة فقلت: بماذا يا حاتم فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليق فقام إلى فرسه ثم أجمع ناراً ودفع إليها شفرة وقال: أشتوي وكلي وأطعمي صبيانك وقال لي: أيقظي صبييك فأيقظتهما ثم قال: والله أن هذا للؤم وإن أهل الصرم حالهم كحالكم فجعل يأتي الصرم بيتاً وبيتاً ويقول: عليكم النار فاجتمعوا وأكلوا وتقنعوا بكسائه وقعد ناحية حتى لم يوجد من الفرس على الأرض قليل ولا كثير ولم يذق منه شيئاً، إنتهى.

وغير الميداني يقول هذه القصة عن النوار زوجة حاتم أم أبنيه عدي وسفانة وماوية بنت عفزرا أم ابنه عبد الله وكانت كل واحدة منها تلومه في الجود فيقول للنوار:

مهلا نوار أقلي اللوم والعذلا ولا تقولي لشيء فات ما فعل
يرى البخيل سبيل الجود واحدة إن الكريما يرى في ماله سبل
ويقول لماوية من قصيدة رنانة:

أماوي إن المال غاد ورائحة ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماوي إما مانع فمبين وإما عطاء لا ينهنهه الزجر
وحكايات الجاهلية كثيرة.

المؤثرون في الإسلام:

إن الإسلام استنار أفقه بكل فضيلة وأشرقت سماؤه بكل خلة كريمة وذلك أن عصر الجاهلية المظلم لم تكن العرب فيه تعرف ما تأتي وما تذر من محاسن الأخلاق ومساويها إلا ما جذبها إليه الطبع وقادتها له الفطرة فهي طوع ما جبت عليه نفوسها من السجايا وما أرتكز في طبائعها فهي تفعل ما تفعل وتذر ما تذر رضوخاً للسجية وأنقياداً للغريرة ولها من المعرفة مقدار ما دلتها عليه العقول السليمة وأرشدتها إليه الأفكار التي لها بعض الإصابة في عالم العقل النظري وليس لها ميزة العلم ولا معرفة الأستدلال وليس لها علم بما يترتب عليه الثواب من صالح الأعمال والعقوبة على مساويها وكانت لا تدين بالجزاء ولا تقر بالمعاد لأنها عاشت في فيافيها العميقه ودرجت في فجاجها السحيقة تحترش الضباب واليرابع جاهلة بكل ما توحيه إرادة جبار السماوات من الإصلاح لأهل الأرض وتفيضه من إفاضات رضوانه على العالم البشري من أنواع الوحي لإصلاح هذا النوع الإنساني وتشريعه مواد قوانينه المدنية وقضايا دستوره الإجتماعية الكافلة بصلاح المعاد والمعاش جميعاً وهم كانوا أيضاً بمعزل عن كافة العلوم العقلية التي بها سعادة البشر في الحياة الاجتماعية لاهين بحديث الغول والسعلاة، مشغولين بذبح الضب واليربوع والعضاء همتهم شن الغارات والظعن والتنقل في فيافي الفلوات فلذلك تجد أكثرهم بعيداً عن الرحمن لأهل جنسه شديد التعدي عليهم فالقصوة والغلظة مرتكزة في طباعهم فيتبيّح قائلهم بقوله:

يُبكي علينا ولا نبك على أحد لنحن أغلى إلباباً من الإبل
فذبح إنسان عندهم وذبح يربوع سواء إلا القليل من عقلاهم الناطقين
بالحكمة من أهل التميز والمعرفة أمثال قيس بن ساعدة وعامر بن الضرب وأكثم
ابن صيفي وغيرهم فلم يزالوا كذلك ونفوسهم الحرة ترشدهم إلى الخصال الحميدة
وعقولهم السليمة تدلهم على اختيار محاسن الشيم والأخلاق كما حكينا لك بعض ذلك.

إلى أن شرق نور الملة المحمدية وأضاء فجر الشريعة الأحمدية اللامع
وملئت أشعته المتألقة أفاق الجزيرة العربية بل آفاق العالم كله وطبق نوره الكون
بأسره فسن نبينا محمد ﷺ أنظمة التهذيب وشرع قوانين التأديب النفسي الحي
وقرر التعاليم الحرة التي هي أسس المدنية المختارة في هذه العصور والأزمنة
عصور الثقافة والتهذيب الملقبة بعصور النور.

ولا يجهل فضيلة الإسلام وفضله على المدنية الحديثة وحقه العظيم على الإنسانية إلا معاند عظيم التمرد شديد التعتن أو أعوج السليقة أو لا معرفة عنده بما شرعه شارع الإسلام فكان مع نص القرآن على مدح الإيثار أول من ندب إليه قولهً وفعلاً ورغب فيه سيدنا ونبينا محمد ﷺ وأهل بيته: أما القول فما حررناه سابقاً يكفيك، وأما الفعل فقد أتفق العلماء أن رسول الله ﷺ كان يقسم ما عنده من الأقوات بين الفقراء من أهل الصفة وأهل الخاصة من غيرهم وبيت طاوياً وكثيراً ما كان يربط حجر الماجاعة على بطنه وقد نعتت في الكتب السماوية المنزلة على غيره بالإيثار.

قال الغزالى في الإحياء^(١): قال سهل بن عبد الله: قال موسى «عليه السلام»: يارب أرني بعض درجات محمد وأمته. فقال: يا موسى! إنك لا تطبق ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقى، قال: فكشف له عن ملوكوت السماوات فنظر إلى منزلة كادت أن تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى، فقال: يارب! بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة؟ فقال: بخلق أختصاصته به من بينهم وهو الإيثار، يا موسى! لا يأتيك أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلا أستحيت من محاسبته وبواطه من جئتي حيث بشاء.

إثارة أهل البيت «عليهم السلام»، ونرول «هل أتى»

أما إثارة أهل بيته فكثير:

ومنه ما كان سبباً لنزول سورة هل أتى، روى الكنجى الشافعى في كفاية الطالب^(٢) والشبلنجي الشافعى في نور الأ بصار^(٣) نقلأً عن مسامرات الشيخ الأكبر وهي كذلك عند الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي في محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار^(٤) وسبط ابن الجوزي الحنفى في تذكرة خواص الأمة وغيرهم من أهل السنة ورواهـا الشيعة أيضاً والألفاظ وإن تقاربـت لكنها لسبط ابن الجوزي لاشتمالـه على فائدة وهي الرد على من زعم أن الحديث موضوع قال بعد أن ذكرـ له طرـيقـين عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مجـاهـدـ عن ابن عباس قالـ في قولـه تعالى: «يُؤْفَنَ بِالنَّذْرِ»^(٥) الآية قالـ: مرضـ الحـسنـ والـحسـينـ «عـلـيـهـمـ السـلامـ»

(١) إحياء العلوم ٢٢٣/٢.

(٢) كفاية الطالب: ص ٢٠١.

(٣) نور الأ بصار: ص ١٠١.

(٤) محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار ١/٨٣.

(٥) الإنسان: ٧.

فعادهما رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعادهما عامـة العرب فقالـوا: يا أبا الحسن لو نذرـت على ولديك نذراً فـكل نذرـ لا يكون له وفـاء فـليس بشيء، فقالـ عليـ «عليـه السلام»: الله عـليـ إنـ بـرأـ ولـدـيـ مـمـاـ بـهـمـاـ صـمـتـ اللهـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ وـقـالـ فـاطـمـةـ «عليـها السلام»ـ كـذـلـكـ وـقـالـ جـارـيـةـ يـقـالـ لـهـ فـضـةـ كـذـلـكـ فـأـلـبـسـ اللهـ الـغـلامـينـ الـعـافـيـةـ وـلـيـسـ عـنـدـ آلـ مـحـمـدـ قـلـيلـ وـلـاـ كـثـيرـ، فـأـنـطـلـقـ عـلـيـ «عليـه السلام»ـ إـلـىـ شـمـعـونـ بـنـ حـانـاـ الـيـهـودـيـ فـأـسـتـقـرـضـ مـنـ ثـلـاثـةـ آـصـعـ مـنـ شـعـيرـ فـجـاءـ بـهـ إـلـىـ فـاطـمـةـ «عليـها السلام»ـ فـقـامـتـ إـلـىـ صـاعـ فـطـحـتـهـ وـخـبـزـتـهـ خـمـسـةـ أـقـرـاصـ لـكـلـ وـاحـدـ مـنـهـمـ قـرـصـ وـصـلـىـ عـلـيـ «عليـه السلام»ـ الـمـغـرـبـ مـعـ النـبـيـ ﷺـ ثـمـ أـتـىـ الـمـنـزـلـ فـوـضـعـ الـطـعـامـ بـيـنـ أـيـديـهـمـ فـجـاءـ سـائـلـ أـوـ مـسـكـينـ فـوـقـفـ عـلـىـ الـبـابـ وـقـالـ: السـلـامـ عـلـيـكـمـ يـاـ أـهـلـ بـيـتـ مـحـمـدـ، مـسـكـينـ مـنـ مـسـاكـينـ الـمـسـلـمـينـ أـطـعـمـونـيـ أـطـعـمـكـمـ اللهـ مـنـ مـوـاـدـ الجـنةـ فـسـمـعـهـ عـلـيـ «عليـه السلام»ـ فـقـالـ:

فاطـمـ فـيـكـ الـمـجـدـ وـالـيـقـيـنـ يـاـ بـنـتـ طـاهـاـ وـهـوـ الـأـمـيـنـ
هـذـاـ الـفـقـيرـ الـبـائـسـ الـمـسـكـينـ قـدـ قـامـ بـالـبـابـ لـهـ حـنـينـ
يـشـكـوـ إـلـىـ اللهـ وـيـسـتـكـينـ يـشـكـوـ إـلـىـ الـهـائـمـ الـحـزـينـ
كـلـ أـمـرـيـ بـكـسـبـهـ رـهـيـنـ وـفـاعـلـ الـخـيـراتـ يـسـتـبـينـ
وـلـلـبـخـيـلـ مـوـقـفـ مـهـيـنـ تـهـويـ بـهـ لـقـعـرـهـاـ سـجـينـ
شـرـابـهـ الـحـمـيـمـ وـالـغـسـلـيـنـ

فـقـالـتـ فـاطـمـةـ «عليـها السلام»ـ:

أـطـعـمـهـ وـلـاـ أـبـالـيـ السـاعـةـ أـرـجـوـ إـذـاـ أـشـبـعـتـ ذـاـ مجـاعـةـ
أـنـ الـحـقـ الـأـخـيـارـ وـالـجـمـاعـةـ وـأـسـكـنـ الـخـلـدـ وـلـيـ شـفـاعـةـ
قـالـ: فـأـعـطـوـهـ الـطـعـامـ وـمـكـثـوـاـ يـوـمـهـمـ وـلـيـلـتـهـمـ لـمـ يـذـوقـواـ إـلـاـ مـاءـ الـقـرـاحـ،
وـلـمـ كـانـ الـيـوـمـ الثـانـيـ طـحـنـتـ فـاطـمـةـ «عليـها السلام»ـ صـاعـاـ مـنـ الشـعـيرـ وـصـنـعـتـ مـنـهـ
خـمـسـةـ أـقـرـاصـ وـصـلـىـ عـلـيـ «عليـه السلام»ـ الـمـغـرـبـ مـعـ النـبـيـ ﷺـ وـجـاءـ إـلـىـ الـمـنـزـلـ،
فـأـتـىـ يـتـيمـ فـوـقـفـ عـلـىـ الـبـابـ فـقـالـ: السـلـامـ عـلـيـكـمـ يـاـ أـهـلـ بـيـتـ مـحـمـدـ يـتـيمـ مـنـ أـوـلـادـ
الـمـهـاجـرـينـ أـسـتـشـهـدـ وـالـدـيـ فـأـطـعـمـونـيـ مـاـ رـزـقـكـمـ اللهـ أـطـعـمـكـمـ اللهـ مـنـ مـوـاـدـ الجـنةـ،
فـقـالـ عـلـيـ «عليـه السلام»ـ:

فـاطـمـ بـنـتـ السـيـدـ الـكـرـيمـ بـنـتـ نـبـيـ مـاجـدـ رـحـيمـ
قـدـ جـاءـنـاـ اللهـ بـذـاـ الـبـتـيـمـ قـدـ حـرـمـ الـخـلـدـ عـلـىـ الـلـئـيمـ

يحمل في الحشر إلى الجحيم يسقى من الصديد والحمى
ومن يجود اليوم في نعيم يسقى من الرحيم والتسنيم
فقالت فاطمة «عليها السلام»:

إني لأعطيه ولا أبالي وأثر الله على عالي
أمسوا جياعاً وهموا أشبالي

فرفعوا الطعام وناولوه إياه ثم أصبحوا في الثالث كذلك، فلما كان اليوم الثالث طحت فاطمة «عليها السلام» باقي الشعير وصنعته وجاء علي «عليه السلام» بعد المغرب فجاء أسير فوقف على الباب وقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد أسير محتاج تأسرونا ولا تطعمونا، أطعمنا من فضل ما رزقكم الله، فسمعه علي «عليه السلام» فقال:

فاطم يا بنت النبي أحمد بنت نبي سيد مسود
من يطعم اليوم يجده في غد
عند العلي الماجد الممجد من يزرع الخير فسوف يحصل
فقالت فاطمة «عليها السلام»:

لم يبق عندي اليوم غير صاع قد مجلت كفي مع الذراع
وابنائي والله من الجياع أبوهما للخير ذو أصطناع
ثم رفعوا الطعام فأعطوه الأسير فلما كان اليوم الرابع دخل علي «عليه
السلام» على النبي ﷺ يحمل أبنيه كالفرخين فلما رآهما رسول الله ﷺ قال: وain
أبنتي؟ قال: في محاربها، فقام رسول الله ﷺ فدخل عليها فرأها قد لصق بطنهما
بظهرها وغارت عيناهما من شدة الجوع، فقال النبي ﷺ: واغوثاه! يا الله آل محمد
يموتون جوعاً، فهبط الأمين جبريل وهو يقول: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) ^(١) الآية.

فإن قيل: قد أخرج جدك هذا الحديث في الموضوعات ثم ذكر إسناده عند
جده وقال: قال جدك قد نزه الله ذينك الفصيحين عن هذا الشعر الركيك فهذا على
عادة العرب في الرجز والخبب كقول القائل:

والله لولا الله ما اهتدينا

ونحو ذلك، وقد تمثل به النبي ﷺ، وأما قوله عن الأصبغ بن نباتة فنحن ما
رويناه عن الأصبغ ولا له ذكر في إسناد حديثنا وإنما أخذوا على الأصبغ زيادة

زادها والعجب من جدي وإنكاره وقد قال في كتاب المستحب: يا علماء الشرع! أعلمتم لما أرادا ترك الطفلين عليهما أثر الجوع أتراهما خفي عنهم سرًا بدأ بمن تعلو؟ ما ذاك إلا لأنهما علموا قوة صبر الصبيين وإنهما غصنان من شجرة الظل عند ربِّي وبعض من جملة فاطمة بضعة مني وفرخ البط سائع، إنتهى.

وذكر ابن عبد ربه المالكي في العقد الفريد احتجاج المأمون على إسحاق تقدم بعض الحكاية ونصها هنا^(١) قال: يا إسحاق! أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: أتقرأ **﴿هَلْ أَنَّ عَلَى الْإِنْسَنِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾**^(٢)? فقرأت منها حتى بلغت إلى قوله: **﴿وَيُطْعَمُونَ الظَّعَامَ عَلَى حُجَّمٍ، مِشَكِّنًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾**^(٣) قال: على رسلك، فيمن أنزلت هذه الآيات؟ قلت: في علي «عليه السلام»، قال: فهل بلغك أن علياً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير قال: إنما نطعمكم لوجه الله؟ وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به علياً؟ قلت: لا، قال: صدقت لأن الله عرف سريرته، إنتهى.

ورواها أيضاً من علماء أهل السنة الزمخشري الحنفي المعتزلي في الكشاف وأعترف الفخر الرازمي الشافعي الأشعري في تفسيره أن الزمخشري من المعتزلة رواها وروها آخرون من أصحابه الأشاعرة الواحدي الشافعي في تفسيره الوسيط وروها آخرون من أهل السنة وعليها إجماع الشيعة وإجماعهم حجة، والأصبغ ثقة وقدح أعدائه فيه غير ضائر وتدالوها أعيان الشعراء كالناشبي والحميري وابن رزيك وابن عباد في نظرائهم ولطيف قول بعضهم:

وسائل هل أنتي نص بحق علي أجبته هل أنتي نص بحق علي
وأحسن الصاحب بن عباد بقوله:

إذا قرأتنا هل أنتي قرئت وجوههم عبس
وساهم المؤلف في نظم هذه الحادثة الخطيرة التي تبيّن لذكرها وجوه الأولياء وتسود وجوه الأعداء فقال:

تمسك في محبة آل طاما ولا ترتاب إن جحد الخصوم
سماء الحق صاحبة أضاءات بها شمس الهدایة والنجوم
فإن الشمس أحمد ليس يخفى وبدر التم حيدرة العظيم

(١) العقد الفريدة ٣/٢٨٨.

(٢) الإنسان: ٨.

وفاطمة الشريان فرق داماها
هم السبطان والتسع النجوم
ويكفي هل أتى في الذكر مدحأ
لأهل البيت إن لج الخصوم
وخير المدح ما في ذاك شك
مديح الله لا الشعر النظيم
أجل الخلق مرتبة أنس
يئوه فيهم الذكر الحكيم
وفوا في نذرهم فأئى فقير
ومأسور ومبئس يتيم
فقال لهم على آثروهم
بزادكم المهميأ ثم صوموا
فأعطوهם وقد صاموا ثلاثة
بلا زاد وذا أمر عظيم
وليس يضيع الرحمن فعلأ
يكون لوجهه وهو الكريم

إيثار أبي ذر الغفارى

ومن نوادر الإيثار الإسلامي حادثة أبي ذر الغفارى الصحابي «رضوان الله عليه»: روى الثقة الجليل علي بن إبراهيم القمي «رحمه الله» في تفسيره لسورة التوبة في واقعة تبوك قال: كان أبو ذر تخلف عن رسول الله ﷺ ثلاثة أيام وذلك أن جمله أعجف فلحق بعد ثلاثة أيام ووقف عليه جمله في الطريق فتركه وحمل ثيابه على ظهره فلما أرتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل، فقال رسول الله ﷺ: أدركوه بالماء ووافي أبو ذر رسول الله ﷺ ومعه أدوات فيها ماء، فقال رسول الله ﷺ: يا أباذر! معك الماء وعطشت؟ فقال: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنتهيت إلى صخرة فيها ماء فذقته فإذا هو عذب بارد فقلت: لا أشربه حتى يشربه حبيبي رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: رحمك الله يا أباذر! تعيش وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك وتدخل الجنة وحدك الخ، تركنا قصصاً كثيرة حذر التطويل.

إيثار العباس ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهما السلام»

إيثار العباس للحسين «عليهما السلام» بالنوعين معاً فإنه آثره بنفسه وعلى نفسه:

أما إيثاره بنفسه فمستعين من تضحية نفسه أمامه وقد صرحت بهذا أشعاره التي منها:

نفسي لنفس الطاهر الطهر وقا

وأما إيثاره للحسين «عليه السلام» على نفسه فذاك حين رمى الماء من يده وقال: لا ذقت الماء وابن رسول الله عطشان مع كونه قد أشرف على التلف من الظماء وقد نطق بذلك أشعاره قوله:

يَا نَفْسَ مِنْ بَعْدِ الْحَسَنِ هُونِيٌّ
وَيَعْدُهُ لَا كَنْتَ أَنْ تَكُونَنِي
هَذَا حَسَنٌ شَارِبٌ الْمَنْوَنُ
وَتَشْرِبِينَ بَارِدَ الْمَعْنَى
قد صرخ «عليه السلام» في هذا الشعر أنه آثر أخاه الحسين «عليه السلام» ليس على سبيل الأرتكاز الجبلي لا بداعي الطبع الفطري ولا طاوع فيه الخلق الغريزي وإنما كان ذلك عن فقه في الدين وعلم بما للمؤثر على نفسه من عظيم الأجر وبالأخص إذا كان الإيثار للإمام المفترض الطاعة وذلك حيث يقول فيه:

وَلَيْسَ هَذَا مِنْ شَعَارِ دِينِيٍّ
وَلَا فَعَالَ صَادِقِ الْيَقِينِ
لَأَنْ شَعَائِرَ هَذَا الدِّينِ الْمَوَاسِاتُ وَإِثْرَ حَسِيبًا سَمِعْتُ مِنْ مَدْحِ الْقُرْآنِ
لِلْمُؤْثِرِينَ وَمَا وَرَدَ مِنْ إِثْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَفَضْلَاءِ الصَّحَابَةِ وَالصَّادِقِينَ
الْيَقِينِ فِي أَنَّ اللَّهَ يَجْزِي بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَيُثْبِتُ عَلَى الْإِحْسَانِ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ الْقُطْعَ
بِأَنَّ مِنْ آثَرِ الْحَسَنِ «عليه السلام» بِنَفْسِهِ أَوْ عَلَى بَنَفْسِهِ كَانَ كَمْنَ آثَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَقَدْ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَفَقُ عَلَيْهِ: حَسِينٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حَسِينٍ.

فالموالي له ينال أعظم درجة الأجر عند الله فإذا حاد عن سنن الإيثار له وأنحرف عن جادة المosasات فلا يشبه فعله فعل الصادق اليقين بأن إيثار العترة الطاهرة ومواسات السلالة المطهرة من أفضل الطاعات وأجل المقربات عند الله بل هي مما افترض الله تعالى على الأمة القيام بها بقوله تعالى: **﴿وَقُلْ لَاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَنْجَرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**^(١) قوله **ﷺ** في حديث الثقلين: أحفظوني في أهل بيتي؛ فأبوا الفضل أدى هذه الفريضة كما قد أدى سائر الفرائض.

قال فخر الدين الطريحي (رحمه الله) في المنتخب^(٢): لما أشتد العطش بالحسين «عليه السلام» وأصحابه دعى أخيه العباس وقال له: أجمع أهل بيتك وأحرروا بشر، ففعلوا ذلك فطموها ثم حفروا أخرى فطموها فتزايده العطش عليهم، فقال العباس لأخيه الحسين «عليهما السلام»: يا أخي! أما ترى ما حل بنا من العطش وأشد الأشياء علينا عطش الأطفال والحرم، فقال الإمام «عليه السلام»: أمض إلى الفرات وأتنا بشيء من الماء، فقال: سمعاً وطاعة، فضم إليه رجالاً وسار حتى أشرفوا على الشريعة فتواثب عليهم الرجال وقالوا: من القوم؟ فقالوا:

نحن من أصحاب الحسين «عليه السلام»، فقالوا: ما تصنعون؟ قالوا: قد كضنا العطش وأشد من ذلك علينا عطش الحرم والأطفال، فلما سمعوا ذلك منهم هجموا عليهم ومنعوهم، فحمل عليهم العباس «عليه السلام» فقتل منهم رجالاً وجدل أبطالاً حتى كشفهم عن المشرعة ونزل فملاً قربته ومد يده ليشرب فذكر عطش الحسين «عليه السلام» فنفض يده وقال: والله لا ذقت الماء وسيدي الحسين «عليه السلام» عطشان ثم صعد المشرعة فأخذه النبل من كل مكان حتى صار جلده كالقندى من كثرته فحمل عليه رجل من القوم فضربه ضربة قطع بها يمينه فأخذ السيف بشمائله فحمل عليه آخر فقطعها فأنكب وأخذ السيف بفمه فحمل عليه رجل ضربه بعمود من حديد على أم رأسه فقلق هامته ووقع على الأرض وهو ينادي: يا أبا عبد الله! عليك مني السلام، فلما رأى الحسين «عليه السلام» أخاه قد صرع نادى: وأخاه! وأبا عباساه! وامهجة قلباً! عز عَلَيْيَ وَالله فراقك، ثم حمل على القوم وكشفهم عنه ثم نزل إليه وهو يبكي حتى أغمى عليه، الخ.

وذكره في مقتل العوالم^(١) وفي مصائب المعوصومين^(٢) وفي أسرار الشهادة^(٣) وفي البحار^(٤)، وقد ذكر مدحه بهذا الإيثار فقال الحاج محمد رضا الأزرى البغدادى من قصيدة تأتى في مراثيه:

وابت نقيبته الزكية ريها وحشا ابن فاطمة يشب ضرامها

وقال الحاج هاشم الكعبي من قصيدة:

حتى حوى بحرها الطامي فراتهموا	الجاري ببحر من الهندي ملتطم
فكف كفأ من الورد المباح وفي	أحشائه ضرم ناهيك من ضرم
وهل ترى صادقاً دعوى إخوته	روى حشاً وأخوه في الهجير ظمي
حتى ملا مطمئن الجاش قربته	ثم أنشنى مستهلاً قاصد الحرم

وللمؤلف:

يا ابن الوصي جراك الله صالحة	يا طيب النفس والأعراق والشيم
آثرت سبط رسول الله محتسباً	بذاك ترجو رضا الرحمن ذي الكرم
فعن يقين بلا شك يخالطه	بأن إيثاره من أفضل النعم
والعقل والشرع في الإيثار متفق	في أن رتبته العليا من الكرم

(١) عوالم العلوم: ص ٩٢.

(٢) مصائب المعوصومين: ص ٢٥٩.

(٣) أسرار الشهادة: ص ٣٢١.

(٤) بحار الأنوار ١٠/٦٢١.

لما ملكت الفرات العذب رمت بأن تطفي أوار فؤاد صار ذا ضرم
 فلم تذق قطرة من ماءه أبداً والسبط ظام مع الأطفال في الخيم
 هذي الموسات والإيثار يشكره رب البرية والأحرار في الأمم
 لقد مضيت حميداً نلت مرتبة في حملك العلم بل في حملك العلم
 يكفيكم مدح رب العالمين لكم عن مدحة الناس في بسط من الكلم
 كُتِبَتْ فِي هَذِهِ الْعَصُورِ وَرِيقَاتٌ شَحَنَتْ بِالْوَاهِيَّاتِ وَمُلِئَتْ بِالْتَّجَاسِرِ الْعَظِيمِ
 عَلَى أَكَايِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ دُعِيَتْ بِأَسْمَ الْتَّنْزِيهِ وَكُتِبَنَا رَدًّا عَلَيْهَا فِي رِسَالَةِ مُفَرْدَةٍ^(١) تَرَكَنَا
 النَّقلُ عَنْهَا وَمِنْ مَوَاضِيعِهَا الْمُمْجُوجَةُ قَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْمَسَأَةِ أَنَّ نَفْضَ الْعَبَاسِ مِنْ
 يَدِهِ الْمَاءِ فَهُوَ حَرَامٌ وَلَا حَجَةٌ فِيهِ لِعدَمِ الْعُصْمَةِ وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّ كُلَّ مَنْ جَهَلَ شَيْئًا
 فَإِنَّهُ الصَّوَابُ فِيهِ وَلَا شَكٌ أَنَّ الْفَقِيهَ لَا يُسَمِّي فَقيهًا حَتَّى يَدْرُسَ الْحَقَائِقَ درسًا متقدًا
 وَالوقوفُ عَلَى التَّارِيخِ وَأَخْبَارِ النَّاسِ لَا قِيمَةُ لَهُ عِنْدَ التَّحْقِيقِ فَيُجِبُ عَلَى الْمُؤْلِفِ
 عَنْدَ الْخَوْضِ فِي الْأَحْكَامِ وَتَحْرِي الإِفْتَاءَ أَنْ يَعْرُفَ قَوَاعِدَ الْإِفْتَاءِ إِجْتِهادًا لَا تَقْليْدًا
 وَقَدْ فَاتَ مُؤْلِفُ التَّنْزِيهِ أَدْلَةُ الْحُكْمِ فِي الإِيثَارِ:

أولاً : الأدلة السمعية الواردة في رجحانه كما ذكرنا ذلك من الآيات والروايات الواردة عن أهل الشرع ومؤسسيه محمد المصطفى وأهل بيته «عليهم السلام» فإن الإيثار يكون بها راجحاً بل من المستحبات المؤكدة وفعل المعصوم وتقريره كقوله حجة.

ثانياً : ذهاب المشهور من الفقهاء إلى إن المسنون يثبت بالضعف والمرسل للتسامح في أدلة السنن وهذه المسألة عليها اعتماد صاحب التنزية فإلغاء الأحاديث الصحيحة بل المتفق عليها عند الشيعة المتضمنة لفعل المعصوم وتقريره تجاسر ورفع اليد عن ظواهر الآيات الصريحة غباء.

نعم، إن جمود الطبع وبوسة الدماغ حكمت في نفسه اعتقاد أن كل عمل ضاھي أعمال عرب الجاهلية فهو مما يجب أن تمحقه شريعة الإسلام وتمحو رسومه ومعالمه وهذا هو الظن الخاطئ والأجتهاد مقابل النص فإن الدور الجاهلي له أعمال تنقسم بمجموعها إلى قسمين: قسم مخل عند العقل وما سُبَّ بكرامة الإنسانية ومخالف للنورانيات الإلهية وقوانين النظام الرباني الذي هو أساس الحرية

(١) وهي رد عناكب عن فضيلة المواتك أو التنبية على خطأ رسالة التنزية (مخطوطة) كما عرفت سابقاً الناشر.

ومبدأ المدنية فمن ذلك الظلم والكفر وإستباحة الفروج والأموال وأستبعاد الأحرار وأمثال ذلك فهذا الذي قاومته الشريعة الإسلامية ومحى معامله ورسومه.

وقد كان على جانب عظيم من مراعاة الحقوق الإنسانية وتقرير الحالة الاجتماعية في أحترام الحرم والأشهر الحرم ومقاومة الاستبعاد الجبروتى والسلط الجبار والمحامات عن الشرف وبذل الأموال للوفد والأضيف وهذا ما يسمى سخاء وشجاعة ذاك وشبهه من الأمور التي أكدتها الشريعة الإسلامية وقررت العمل به ودعت إليه وحثت عليه لما فيه من المصالح الكبرى للإنسان إما من حيث الشجاعة فإن بها تحفظ الأوطان والأموال وتمتنع الأعراض ، وبها يقاوم الاستبعاد الصارم والاستعمار الجائر وينتشر العدل في البسيطة وتحقن الدماء وقد قال تعالى : ﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِعَضًا لَّهُمْ صَوَاعِقُ وَيَعِظُ وَصَلَواتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^(١).

وأما من حيث السخاء فأمر لا يحوجنا إلى بيان ولأنه من أوكل الأسباب الاجتماعية وأعلا السخاء درجة هو الإيثار كما عرفته وقد كان رسول الله ﷺ عظيم الإيثار فقد كان يؤثر بقوته على نفسه ويطوي ويربط حجر الماجاعة على بطنه الشريفة وإن أنكره صاحب التنزية .

وليس حكمة ربط حجر الماجاعة وفلسفتها تحمل مشقة الجوع بل الحكمة الواقعية والفلسفة الحقيقة لربط حجر الماجاعة ستتجلى لك وترسم على صحفة خاطرك حتى تعلم علماً يقيناً أن المقاصد العالية في الفلسفة الدينية لا تناهياً سفاسف الآراء الواهية ولا خواصي الأفكار الداحضة في أستنباطاتها الواهية، بل إن الرسول المقدس شرعاً وسنة بعث مصلحاً للعوالم الحائدة عن سلوك مناهج الصفات المحمودة متقدمة في حضيض رذائلها الأخلاقية الخسيسة ولما كان هو المصلح الأكبر للأمم المبعوث إليها بالإصلاح الديني وكان هو الطيب الأعظم الخبر الماهر والحادق العارف بعلاجات النفوس السقيمة بالأخلاق الذميمة من الأستئثار بما حصل في أيديهم مستبددين بمصالحهم الذاتية وأغراضهم الشخصية حائدين عن طريق المواسات والإيثار محمودين ، متهافتين على التأنيق في المطعم والمشرب والملابس وأمثال ذلك مما جبت عليه النفوس البشرية من حب الإثرة ونفرة الطبع الإنسانية عن اكتساب حميد الإيثار وكان دأب الأغنياء الجماع لا التفريق وحوله فقراء وضعفاء قد أنقطعوا للعبادة وجعلوا نفوسهم وقفوا على الطاعة .

وإن أفعاله كأقواله متينة على الحكمة والموعظة الحسنة، شد حجر المجاعة على بطنه ليقتدي به الفقراء في الصبر على ألم الجوع ومضض الطوى فإنهم متى رأوا رسول الله يتکبد هذه المصاعب يجرون على منهاجه فيصبرون على ما أصحابهم في جنب الله رغبة في الثواب وطمعاً بمزيد الأجر فيشتغلون بالطاعة بدل أن يتشاركون بطلب الدنيا ولا يلهيهم عن العبادة الكد والكدح في تحصيل المعاش.

والأنبياء إذا رأوا ربطة لحجر المجاعة مع قدرته على الشبع يرغبون في الآخرة وتهون عليهم الدنيا تأسياً برسول الله وأقتداء له فيؤثرون الفقراء ويواسونهم ويعطون الفضل من أموالهم برغبة منهم وميل قلب لا بضغط وغلظة وزجر وعنف بل ببشر ورضا وطيبة نفس فينتظم بذلك أمر المعاد والمعاش ويكون توجّه الخلق جميعاً إلى رب الأرباب ويقصدون غاية واحدة هي القيامة وتكون الأمة نفسها واحدة وإن تعددت الأجسام، هو الذي جمعكم على الهدى وأيدكم بنصره.

هذا ما ظهر لي وقد مدح العباس «عليه السلام» مدحه الأئمة «عليهم السلام» بالإيثار كما في حديث الإمام زين العابدين «عليه السلام» لما نظر إلى عبيد الله بن العباس وقال في جملة ما قال: إنه آثر وأبلى وفدى أخاه الحسين «عليه السلام»، كما سيجيء إن شاء الله.

ومن صفات العباس «عليه السلام» الزهد والنسك

كلمة المؤلف في الزهد:

وليس الزهد في الدنيا والرغبة عن نعيم الفاني من الغرائز الجبلية ولا من الطبائع النفسية وإنما هو من الملكات المكتسبة بالمواظبة على أعمال البر وأفعال الخير والتعرف بأن هذا النعيم زائل وهذه اللذة فانية وأن عند الله نعيمًا باقيا ولذة دائمة لا تبدي ولا تفني.

والزهد حقيقة هي الإعراض عن الدنيا وزينتها وإطراح الملاذ الشهوانية التي يستطيعها سائر الناس والرضا بما قسم الله من الرزق، وأن ينزل نفسه في هذه الدار منزلة المرتحل سريعاً إلى مقصد़ه والقادص حيثما إلى غايته فإنه إذا نزل منزل في أثناء سفره بقصدِ الراحة فإنه لا يهتم فيه بأكثر من أنه يقيم قليلاً ليريح بدنَه وراحته ويأخذ ما يقوى نفسه من الطعام الميسور ثم يرتحل عنه إلى غيره ومن علم أن مكنته

في هذا المنزل يسيراً لا وجه لإكثاره من رخರفته وتنميقه فإنه ليس بمنزل قرار وتنقیح موطن النزول المؤقت بما يوجب كلفة وعناء ويستتبع مشقة وعنتاً جهل محض وغور صرف، فالدنيا عند الصلحاء وأهل الدين بمنزلة المحل الذي ينزله المسافر ريثما يستريح فيه ثم ينتقل عنه فهم لذلك ينزلون أنفسهم منزلة السفار وعياري السبيل ولهذا ما شيدوا البنيان ولا زخرفوا الجدران ولا نمقوا الغرف ولا نظفوا القاعات المجلسية ونصبوا فيها الكراسي والقنفات، ولا مهدوا صالونات المنام بمهاد الأرائك المخملة، ولا تأنقوا بنقوش غرفة الاستراحة ولا غرسوا الحدائق الغناء حول المساكن والقصور بل كانت نفوسهم منصرفة عن نعومتها ونعمتها بل طلقها العظاماء من أهل البيت «عليهم السلام».

فقد قال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» للدنيا وقد تمثلت له بصورة امرأة جميلة: أبي تعرضت أم إلي تشوقت؟ غري غيري قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، الخ.

وقال سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين بن علي «عليه السلام» وقد تمثلت له يوم الطف بصورة امرأة جميلة وقالت: تزوجني أرد عنك هذا الجمع: إعزبي ويحك أما علمت أن مطلقات الآباء لا تحل للأبناء.

وفي الشعر المروي عن زين العابدين «عليهما السلام» كما في كشكول الشيخ البهائي:

عثبت على الدنيا فقلت إلى متى أكابد بؤساً همه ليس ينجلي
أكل كريم من على نجاره يروح عليه الماء غير محلل
فقالت نعم يا بن الحسين رميتك بسهمي عناداً منذ طلقني علي

معنى الزهد لغة:

قال في المصباح المنير: زهد في الشيء وزهد عنه أيضاً زهداً وزهادة بمعنى تركه وأعرض عنه فهو زاهد والجمع زهاد.

وقال ابن الأثير في النهاية: قال الزهري وقد سُئل عن الزهد في الدنيا: هو أن لا يغلب الحال فكره ولا الحرام صبره أراد أن لا يعجز ويقصر شكره على ما رزقه الله من الحلال ولا صبره عن ترك الحرام، إنتهى، وذكره الجاحظ في البيان والتبيين.

معنى الزهد العرفاني:

قال الشري夫 الجرجاني في التعريفات^(١): الزهد في اللغة ترك الميل إلى شيء وفي الأصطلاح عند أهل الحقيقة هو بغض الدنيا والإعراض عنها، وقيل: ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة، وقيل: هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك، إنتهى.

والوجه الأخير باطل لأن الذي لم يجد شيء ليس بزاهد فيه وإنما هو متزهد ولا يسمى زاهد في شيء لم يكن تحت قدرته فهو كالشعلب الذي يقول العنود حامض لأنه لا يناله؛ فالزهد رغبة عن شيء الحاصل له لا رغبة عما لم يحصل.

وألفت نظر المطالع لهذا الكتاب ليتفطن أن معنى الزهد الأصطلاحى أخص من معناه اللغوي لأنه مخصوص بالرغبة عن كل محقر في نظر الشرع المقدس أو تركه أولى، وللغوي هو الرغبة في ترك كل شيء في ترك الواجبات فيسمى في عرف أهل اللغة زاهداً فيه فيقال: زهد في الصلاة أي رغب عنها ومثل هذا لا يسمى زهداً في الشرع بل فسقاً.

الزهد في الأحاديث:

جاء تفسير الزهد في أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» وفسره كثير من الزهاد كل بحسب مدركه التصورى ومعقوله الفكري إذ ليست له حقيقة مضبوطة وأنه من المؤسسات الإسلامية التي هي مدار الانصراف عن التهالك في الأمور العاجلة والإقبال على الأمور الباقية في دار الآخرة.

فمن الأحاديث عن سيد الزهاد بعد رسول الله ﷺ وعنده أخذ الزهاد والنساك الطريقة في الزهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» رواه الصدوق القمي (رحمه الله) في معاني الأخبار^(٢) عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: قيل لأمير المؤمنين «عليه السلام»: ما الزهد في الدنيا؟ قال: تنكب حرامها.

وعن أبي الطفيل ((رضي الله عنه)) قال: سمعت أمير المؤمنين «عليه السلام» يقول: الزهد في الدنيا قصر الأمل وشكر كل نعمة والورع عما حرم الله عليك. وعن إسماعيل بن مسلم قال: قال أبو عبد الله - يعني الإمام الصادق «عليه السلام»: ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا بتحريم الحلال بل الزهد في

(٢) معاني الأخبار: ص ٧٤ ب ٩٤.

(١) التعريفات: ص ٧٨.

الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله تعالى.

وعن علي بن هاشم البريدي عن أبيه عن أبي جعفر - يعني الإمام الباقر «عليه السلام»: إن رجلاً سأله عن الزهد فقال: الزهد عشرة أشياء فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، ألا إن الزهد في آية من كتاب الله تعالى: ﴿لِكَيْلَأَ تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا مَا تَنَكِّمْ﴾^(١)، إنتهى.

والآحاديث كثيرة وكلمات الزهاد كذلك، جمع الجاحظ في البيان والتبيين منها فصلاً راجعه^(٢) فيه قول بعض النساك: دياركم إمامكم، وحياتكم بعد موتكم الخ، ولا نطيل بالإكثار من النقل.

مَدحُ الزَّهْدِ وَرِجْحَانَهُ

كلما دل على مذمة الدنيا والأنخداع بظلها الزائل والركون إلى نعيمها الفاني المضمحل من الآيات والروايات فهو مدح للزهد كقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَأَ تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ الآية، وك قوله: ﴿وَلَا تَمْدَنَ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْعِيْنَةِ الدُّنْيَا﴾^(٣) إلى غيرهما من آيات القرآن الكريمة، وأما الأحاديث فلا تحصى كثرة.

حَقِيقَةُ الزَّهْدِ وَأَسْبَابُهُ

هو التنزع عن نعومة العيش الدنيوي والتأنق في المطاعم الشهية والمشابب اللذيدة والملابس اللطيفة والفرش الفاخرة ثم الرضا بما يسد الفورة ويستر العورة والاقتصار من أقتناء المؤثرات على ما به الكفاية مما لا بد منه من الحاجات الضرورية وأن يروض نفسه على القناعة باليسير المحقق، وأن لا تظهرها الشهوات ولا تقادها المطامع الخلابة.

وأدعى الغزالى الصوفى الشافعى فى الإحياء أن حقيقة الزهد مركبة من أمور ثلاثة: علم وحال وعمل لقول السلف أن أبواب الإيمان كلها ترجع إلى عقد وقول وعمل، ثم قال^(٤): أما الحال فمعنى به ما يسمى زهداً وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وذكر قبل هذا أن العلم هو السبب في الحال ويجري مجرى المترعرع، والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة وأطال في

(٢) البيان والتبيين .٨٦/٣

(١) الحديد: ٢٣.

(٤) إحياء العلوم .١٨٧/٣

(٣) طه: ١٣١.

ذلك وهذا لبابه ومحضه وقد يتخيّل المتخيّل أنّ هذا حقيقة الزهد الأصلية وليس كذلك بل هذه مراتب طولية مرتبة في سلسلة الطول يترتب بعضها على بعض.

وأما حقيقة الزهد بما هي في نفس الأمر والواقع فذاك أمر بسيط كسائر المفاهيم البسيطة ولم يتعرض له الغزالي هنا ثم إنّه في مرتبة الصدق الخارجي على مصاديقه الحسية وترتّب الأثر عليه حتى يصح أن نسميه زهداً والمتصنّف به زاهداً لا بدّ فيه من هذه الأمور الثلاثة نظير العبادة التي هي حقيقة الإخلاص والإطاعة وكونها عبادة خارجية وفاعಲها متبعده حساً تحتاج إلى أمور زائدة على تلك الحقيقة كالعلم بالكيفية والكمية وغيرها هو معروف في بابه عند الفقهاء في الكتب الفقهية.

أسباب الزهد والبواعث عليه:

له أسباب كثيرة أظهرها وأقواها القناعة باليسير والرضا بالقوت فيما يسد الفورة ويمسك الرمق ومن الملبس بما يستر العورة والعفة عن الابتذال في جمع الحطام وصيانته النفس وتزيينها عن الشره والحرص الذميين؛ فمن كانت نفسه راضية بيسير العيش قانعة بما قسم الله له من الرزق زهد في كل شيء وعاش عيشة طيبة لا تبعة معها ولا إثم ولا مذلة في اكتساب ولا هوان في طلب.

ثمرات الزهد وفوائده

ثمراته كثيرة وفوائده جمة ومنافعه شتى دنيوية وأخروية:

فالدنيوية أظهرها وأعظمها الراحة ولهذه الراحة منافع عديدة تعود على البدن بمصالح عظيمة فإنّ النفس إذا لم تسلط عليها الهموم ولا الكدح في كسب المعيشة وطلب الزائد على القوت أكسبها ذلك راحة كبيرة فسلمت من الهموم المؤدية إلى انحلال البنية وإضعاف القوى بالأتعاب الشاقة وتكاملت لها المحافظة على صحتها ولم تحتاج في حفظ صحتها إلى ما يحتاجه المهتمون الكادحون في الكد شديداً الذين تعريهم الأمراض الناشئة من الهم المفرط وشدة الكدح في سبيل تحصيل الفضول من المال الزائد على قدر القوت الضروري فأحتاج إلى العلاج الطبي، والزاهد مستغن بصحته التي حفظها له عدم الاهتمام عن الإسعافات الطبية.

ومن فوائد الزهد الدنيوية وثمراته العاجلة حياته الشريفة عن ذل الابتذال في الكسب والخضوع لمن في يديه المال ويظن أن لديه أسباب التعيش كأرباب الولايات وأهل الصنائع والحرف فإن المجد منهم في طلب الزائد على سد الخلة

والمجتهد في اكتساب الفضول ربما حصل على مهنة ساقطة أو وظيفة محقرة مع الخضوع لمن بيده ذلك والزاهد بعيد عن هذه الوصمة التي تلحق الشرف وتشوه سمعة الكريم وهي نذالة في إنحطاط المرتبة وذل الخضوع في الخلطة بسبب التدخل مع أرباب الثروة فإن ذلك موجب للهوان لأن المثير متكبر والأمر جبار لا يرى واحد منهما لأحد أحتج إليه قدرًا وأحتراماً.

ومن فوائد الزهر وثمراته الدنيوية الأستغناء عما في أيدي الناس ولو على سبيل القرض والأستدانة فإن ذلك أستكانة لأن المقرض يرى له الفضل على المقترض والدائن يجد له المنة على المستدين وربما فاجنه عسر أو ألحت به ضرورة وعاقته أزمة شديدة عن الوفاء أو آخر القسط المنجم عليه عن قوته فهناك يلاقي ما يلاقي من المذلة والهوان بسوء الأقتضاء وقبع المطالبة وربما يكون الموت معه خير للحر من الحياة، والزاهد مستريح من هذا العنت والعناء لأنه متجمل في الطلب يكتفي بأقل شيء يكون به سد الخلة ويكتفي للحاجة الضرورية فهو مستغن عن الأستدانة والأقتراض لقناعته وصبره وإنما يقع في مذلتها ويقارف هوانها من أراد الزائد وطمع في الفضول لا من راض نفسه على الصبر وكبح جماحها بالقناعة.

من أحد الزهاد بقصاب فدعاه إلى شراء لحم، فقال الزاهد: ليس معي ثمن، فقال القصاب: أصبر عليك بالثمن، فقال الزاهد: أنا على نفسي أصبر، وقد رويت هذه القصة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام».

أما ثمرات الزهد:

وفوائده الأخرى كثيرة أيضًا أهمها الأستراحة من هول الحساب والمقابلة بالعقاب أو العتاب يوم الحشر الأكبر لما ورد في الحديث عن مولانا أمير المؤمنين وابنه الحسن «عليهما السلام» في التحذير من الدين أن في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب، فأي ثمرة أعظم وفائدة أجل من النجاة من العقوبة والخلاص من المحاسبة والمعاتبة.

ومن فوائده العظيمة أن لصاحبه الكرامة والمتنزلة عند الله لأمور إن فعلها تستحق بها الأجر المضاعف والجزاء العظيم من حيث الصبر على الضراء والعناء الذي كابده في فطام النفس عن شهواتها وقد قيل:

وإن فطام النفس أثقل محملاً من الصخرة الصماء حين ترومها
والشكر على نعم الله المتتجدد عليه من سلامه الدين والعافية من البلاء

والفتن والقناعة بما قدر له من رزقه فالزهاد يتصفون بصفات كلها توجب القرب من الله منها الصبر والشكر والرضا والتوكّل وغير ذلك مما هو مذكور في صفات الزاهدين.

أقسام الزهد وأنواعه

قد عرفت أن الزهد من المفاهيم البسيطة والمعاني المفردة التي لا تقبل القسمة لذاتها وإنما تنقسم بأعتبار ما تضاف إليه وهو المزهود فيه ونحن نلخص في هذا كلام الغزالى الشافعى في الإحياء فإنه مطول، قال: إعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاثة:

الدرجة الأولى: وهي السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتهي وقلبه إليها مائل ونفسه إليها متلفته ولكنه يجاهدها فهذا يسمى المتزهد.
ثم قال: **الدرجة الثانية:** الذي يترك الدنيا طوعاً لاحتقاره لها بالإضافة إلى ما طمع فيه.

الدرجة الثالثة: هي العليا أن يزهد طوعاً ويزهد في زهده إذ لا يرى أنه ترك شيئاً إذا عرف أن الدنيا لا شيء فيكون ولكن ترك خزفة وأخذ جوهرة.
ثم قال: وأما انقسام الزهد بالإضافة إلى المرغوب عنه فهو أيضاً على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وما بين يدي العبد من الأهوال.

الدرجة الثانية: إن يزهد رغبة في ثواب الله ونعمته واللذات الموعود بها في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم بل طمعوا في وجود دائم ونعم سرمد لا آخر له.

الدرجة الثالثة: وهي العليا أن لا يكون له إلا في الله وفي لقائه فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلى اللذات ليقصد نيتها والظفر بها.

وأما انقسامه بالنسبة إلى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الأقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتعل بنقلها ونشير إلى كلام محيط بالتفاصيل فنقول: إن المرغوب فيه إما إجمالاً أو تفصيلاً ولتفصيله مراتب بعضها أشرف للآخاد وبعضها أجمل للجمل، أما الإجمال:

في الدرجة الأولى: فهو كل ما سوى الله ينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في

نفسه أيضاً.

والإجمال في الدرجة الثانية: أن يزهد في كل صفة للنفس فيه منفعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغصب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها.

وفي الدرجة الثالثة: أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس.

وفي الدرجة الرابعة: أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم، إلى آخر كلامه.

وفيه خلط ظاهر وخبط متضح وحيث كنا نريد أن ننكب مسالك الصوفية فلا نزيد على ما حررناه لأن التصوف مسلك وعر وطريق صعب وهو وإن كان بصفة الزهد لكنه ماحق للزهد لأن الطريقة التي ابتكروها بأفكارهم وسموها طريقة وحقيقة لا تناسب مسلك الملة السمحاء السهلة وبالأخص إنهم جعلوها فناً من الفتن دونوه كما تدون سائر العلوم أدخلوا فيه من الحلول والإلحاد ما شوه سمعة هذا المسلك الجليل الذي هو مسلك الأنبياء والأوصياء وعباد الله الصالحين فأضافوا إليه من البدع والمقالات الشطحية ذات الأضاليل والكفر الصريح مما نزه الله عنه أوليائه المتقيين وعباده الصالحين وقد كتبنا في المسودة عن زهد عيسى ويحيى ونبينا محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه وزهد أهل بيته فصلاً نافعاً حذفناه اختصاراً.

زهد العباس بن أمير المؤمنين «عليهم السلام»

إن العباس بن أمير المؤمنين قد شب ونشأ في صحبة أزهد الخلق أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأخويه الحسن والحسين «عليهم السلام» فأكتسب فضيلة الزهد ببركة صحبتهم فإن الطباع تتأثر بالصاحبة وقيل: المرء يأخذ من دين صديقه وقد قيل: ولد الفقيه نصف فقيه، وفي الحديث ما معناه، إذا خفي عليك مال فأنظر فيما ينفق، وإذا خفي عليك حال شخص فأنظر من يصاحب، قال الشاعر:

صاحب أخا ثقة تحضى بصحبته فالطبع مكتسب من كل مصحوب

وقال أعشى بنی عوف:

فأعتبر الأرض بأسماها واعتبر الصاحب بالصاحب

وقال الآخر:

إن القرىن إلى المقارن ينسب

وقال آخر في المجاورة:

من جاور المسك لم يكتسب منه سوى الرائحة الطيبة

وقال آخر في الفروسيّة:

وعلمنا الضرب آباءنا وسوف نعلمك أيضًا ببنينا

وقيل للأحنف: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم في قصة أورданها في كتابنا (الميزان الراجع) والعقل يشهد بصحة هذا ويحكم به جزماً ودللت عليه التجارب وقضى الوجدان بتغيير الطبائع عن مجراتها الطبيعي وتكسب خلقاً آخر يقهر ذلك الخلق الغريزي كما أكتسب الحديد الذي من طبعه الرسوب في الماء أن يطفوا على وجه الماء، وكالماء الذي من طبعه البرودة يكتسب الإسخان بالمجاورة ويصل في الهجير الشديد الحرارة بمجاورة الثلج الصناعي إلى درجة البرودة الشتوية ويزيد عليها وتأثير الثقافة حتى في السباع والطيور أمر مفروغ منه.

فأبو الفضل العباس «عليه السلام» أولاً: كان من بيت خلقهم الله للآخرة لا للدنيا فهو بطبعه وجبلته يطلب ما خلق له وبجانب ما لم يخلق له فلا يجد لنعيم الدنيا لذلة ولا لزخرفها فائدة.

ثانياً: إنه تربية أهل الزهد وتهذيب أهل النسك ومربيه ومذهبه من طلق الدنيا طلاقاً لا رجعة فيه ومع ذلك يدل على زهده أمور:

منها ما سيجيء في عبادته من بيان أثر السجود بين عينيه.

ومنها ما سيجيء في بصيرته في دينه وفي فصل إيمانه ويقينه.

ومنها ما ورد في زيارته عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» حيث يقول: «نعم الصابر المجاهد المحامي الناصر والأخ الدافع عن أخيه، المجيب إلى طاعة ربه، الراغب فيما زهد فيه غيره من الثواب الجزيل والثناء الجميل» الخ، وليس هذه الرغبة في الثواب المضاعف والثناء الدائم إلا الزهد في الدنيا الفانية والإعراض عن زهرتها وزهوتها اللذين شغلا طلاب الدنيا وعشاق الشهوات عن اختيار الأعمال الصالحة المنوط بها الثواب والكرامة.

ومنها إعراضه عن زهرة دنياه وهو في ريعان الشباب وغضارة الصبا العمر مقبل والعيش غض وأغصان الشبيبة يانعة لم يبلغ حد الأكتهال ولا درجة الأكمال التي تشرف به على نقيصة العمر الطبيعي وهي الأربعون فأعرض عن ذلك

المحبوب الطبيعي والمرغوب الفطري فرد الأمان وأستقبل الأسنة والحداد، وقد قال من عرف الدرجة الراقية في الزهد هي أن يزهد في نفسه، وقال بعضهم: الزهد قصر الأمل وقد صرخ كثير من العلماء بأن الجهاد بإقبال وجد هو حقيقة الزهد ولهذا قال الغزالى في إحياء العلوم^(١) بعد كلام تقدم بعضه:

فالحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء بها فقصر أمله لا محالة لأنه إنما يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء فإن من أراد شيئاً أراد دوامه ولا معنى لحب الحياة إلا حب دوام ما هو موجود وممكن في هذه الحياة فإذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا: ﴿رَبِّنَا لَمْ كَبَّتْ عَلَيْنَا الْفَنَاءُ لَوْلَا أَخْرَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾، فقال تعالى: ﴿مَنْعَنَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾^(٢) أي لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وأنكشف حال المنافقين، أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وأنظروا إحدى الحسينين وكانوا إذا دعوا للقتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون إليهامبادرة الظمنان إلى الماء البارد حرصاً على نصرة دين الله أو نيل مرتبة الشهادة الخ.

وهذا صحيح فقد صدر عن كثير من أهل الزهد فإن عمار بن ياسر «رضي الله عنه» لما عزم على حرب أهل الشام بصفين في اليوم الذي أُستشهد فيه، قال: الرواح إلى الجنة، وقال: الجنة تحت ظلال الأسنة، وفي لفظ: تحت ظلال السيف، وقال: اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه، وقال غيره قريباً من قوله كما في حديث عبد الله بن رواحة شهيد مؤته وحارثة الأنصاري شهيد بدر وغيرهما؛ فرفض الحياة والأبتسار بالمنية من أعظم درجات الزهد واليقين وقد علم كل أحد أن العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» رفض الحياة وأقبل على الموت بأبتهاج وقد رد الأمان على أهل الكوفة كما علمت ذلك في إياته وأمتنع من قبول الرخصة التي أتتهم من سيد الشهداء الإمام الحسين «عليه السلام» بالإعراض عنه وطلب النجاية لأنفسهم على أنهم في حل ولا حرج عليهم ولا إثم.

فقد روى الشيخ المفيد والسيد ابن طاوس وابن الأثير والطبرى وغيرهم ولفظ الطبرى^(٣): عن علي بن الحسين «عليهما السلام» قال: جمع الحسين «عليه السلام» أصحابه عند قرب المساء، قال علي بن الحسين «عليهما السلام»: فدنوت

(١) إحياء العلوم ١٩٦/٣. ٧٧

(٢) النساء: ٧٧.

(٣) تاريخ الطبرى ٢٣٨/٦.

منه لأسمع ما يقول وأنا مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه: أثني على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء وأحمدك في السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن كرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ولم تجعلنا من المشركين.

أما بعد فإني لا إعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عنـي جميـعاً خـيراً، ألا وإنـي أظنـ يومـنا من هـؤـلاء الأـعـدـاءـ غـدـاًـ، أـلاـ وإنـيـ قدـ رـأـيـتـ لـكـمـ فـأـنـطـلـقـواـ جـمـيـعاـ فـيـ حلـ لـيـسـ عـلـيـكـمـ منـيـ ذـمـامـ وـهـذـاـ اللـيلـ قـدـ غـشـيـكـمـ فـأـتـخـذـوـهـ جـمـلاـ.

ثم قال في حديث الضحاك المشرقي، فقال: وهذا الليل قد غشياكم فاتخذوه جملأً ولیأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيته ثم تفرقوا في سوادكم ومداهنتكم حتى يفرج الله فإن القوم إنما يطلبونني ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري.

قال له إخوته وأبناؤه وبنوا أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: لم نفعل؟ لننقـيـ بعدـكـ؟ـ لاـ أـرـنـاـ اللهـ ذـلـكـ أـبـدـاـ،ـ بـدـأـهـ بـهـذـاـ القـوـلـ العـبـاسـ بـنـ عـلـيـ «ـعـلـيـهـمـاـ السـلـامـ»ـ ثـمـ إـنـهـمـ تـكـلـمـواـ بـهـذـاـ وـنـحـوـهـ،ـ الخـ.

وفي أسرار الشهادة^(١) عن الخرایج عن علي بن الحسين «عليهما السلام» قال: كنت مع أبي «عليه السلام» في الليلة التي قُتل فيها صبيحتها، فقال لأصحابه: هذا الليل قد غشياكم فاتخذوه جملأً فإن القوم إنما يريدونني ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم وأنتم في حل وسعة. قالوا: لا والله لا يكون هذا أبداً.

قال «عليه السلام»: إنكم تُقتلون غداً كلـكمـ ولا يفلـتـ منـكـ رـجـلـ.

قالوا: الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك.

ثم دعا وقال: ارفعوا رؤوسكم وأنظروا، فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان وهذا قصرك يا فلان وهذه زوجتك يا فلان، فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه ليصل إلى منزله في الجنة، إنتهى، ورواه الصدوق في علل الشرائع مختصراً.

للمؤلف:

يا ابن الوصي الذي سارت فضائله في الخافقين رواها العرب والجم

هذا العمر أبيك الزهد والكرم
والعيش فان و منه العمر منصرم
والعمر غض كثغر الخود مبتسم
ومفخر عجزت عن مثله الأمم
تنمى إليه المعالي الغر والشيم
خير الأنام على رغم الأولى رغموا
إلا النبوة فضل ليس ينكتم
أبوك للمصطفى في كفه العلم
حيث المصاليت منها زلت القدم
شمس النهار وجادت للثرى الديم

زهدت في العيش والأيام مقبلة
فإن من يزهد الدنيا ويرفضها
فليس يشبه زهد الزاهدين بها
يهنيك يا بن علي كل مكرمة
أبوك بعد رسول الله خير فتى
جم المناقب لا تحصى فضائله
كانت منازل هارون له جمعت
فكنت للسبط يا تاج الفخار كما
فخضتما غمرات الموت دونهما
فالله يجزيكم الخيرات ما طلعت

عبادة العباس الأكبر «عليه السلام»

العبادة ذات تفاصيل مطولة لا يتسع لنا استقصاؤها ولا استيفاء فروعها ونحن نلخص منها ما يستفيده المطالع ولا يتضجر به القارئ ويرجع في التفاصيل إلى الكتب الموضوعة لها والذي يلزمها بيانه معنى العبادة لغة وشرعاً وحقيقة وثمراتها.

معناها اللغوي فهو بنفس الأنقياد والإطاعة، ومعناها الشرعي فهو الإخلاص في الإطاعة والأنقياد السالم من شائبة الإشراك، ومعناها عند الفقهاء هي كل فعل مشروط بقصد القرابة، وبين المعنين الآخرين توافق حيث أن القرابة لا تقع إلا مع الإخلاص ولا يكون الفعل مقرباً إلا إذا خلا من شائبة إشراك كما بيناه في معنى النية من كتابنا «السياسة العلوية»، والمعنى اللغوي أعم من المعنى الشرعي لأنه يصدق على العبادة الفاسدة والعبادة المحرمة كعبادة الأواثان فإنها تسمى عبادة لغة ولا تسمى عبادة شرعاً، قال الشاعر:

أحبكم وهلاكي في محبتكم كعبد النار يهواها وتحرقه

وقال سديف المكي يمدحبني الحسن السبط ويذمبني العباس:

ما تنقضي دولة أحکام قادتها فينا كأحکام قوم عابدي وثن
وقد حكى الله تعالى في القرآن المجيد قول عبدة الأواثان: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا
لِيَقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ رُلْفَى﴾^(١) في آيات كثيرة فسميت عبادتهم هذه مع فسادها عبادة وقد جمع المعنين الصحيح وال fasid سورة «يا أيها الكافرون».

فالنبي ﷺ لا يعبد عبادتهم الفاسدة وهم لا يعبدون عبادته الصحيحة.

قال الفيومي في المصباح: عبدت الله أبده عبادة وهي الأنقياد والخضوع، والفاعل عابد، والجمع عبادة وعبدة ثم استعمل فيمن اتخذ إلها غير الله وتقرب إليه فقيل: عابد الوثن والشمس وغير ذلك، الخ.

وعلى ما يظهر أن اللفظة مولدة وليس كذلك بل قديمة تعرفها العرب في

(١) الزمر: ٣.

الجاهلية وكلمات أهل اللغة متقاربة يفهم منها أنها مولدة ولكنه خطأ بل هي قديمة ولكنها تستعمل في اللغة بالمعنى الأعم وفي الشرع بالمعنى الأخص وهو الصحيح من عبادة الله .

حقيقة العبادة

هي الخضوع للعبود والخشوع في المشروع بالقرابة والإخلاص فيه وفي غير المشروع بالقرابة الخضوع فقط للأوامر الربانية فحقيقة العبادة هي الخضوع للعبود مع الإخلاص والتشوق لعبادته .

قال الشريف الجرجاني في التعريفات^(١): العبادة هو فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيمًا لربه .

وقال ابن مكسيويه الخازن في تهذيب الأخلاق^(٢): وأما العبادة فهي تعظيم الله وتمجيده وطاعته وإكرام أوليائه الملائكة والأنبياء والأئمة «عليهم السلام» والعمل بما توجبه الشريعة وتقوى الله تتم هذه الأشياء وتكلمتها ، الخ .

ثمرات العبادة وفوائدها

للعبادة فوائد وثمرات كثيرة منها دنيوية ومنها أخرىوية ، وسبيل الأخرىوية معلوم وهو النجاة من النار والفوز بالجنة وكلما كانت العبادة أعظم كان الأجر أعظم ، والأيات والروايات في تبشير العابدين كثيرة .

وثمراتها الدنيوية مهمة لأنها رياضة بدنية حسبما تقتضيه قواعد الطب ويستعمله أهل الرياضة الحديثة في تنشيط الجسم من أ凡ين الألعاب المقوية للحركة والمنشط للجسم كالملاكمه اليدوية والمسابقة في الميدان وأمثالهما مع الأبتذال والتتهتك ، والعبادة تعطي هذه الفوائد بأعيانها كالهرولة في السعي ورمي الجمار والوقوف بالمشعرین والقيام والقعود وتنوع الحركة في الصلاة والمشي إلى المساجد والضرائح المقدسة فإنه يحدث نشاطاً .

ومن فوائدها وثمراتها أنها مؤسسات اجتماعية عميمة الفائدة في ربط مصالح الأمة بعضها بعض وفرق بين هذه الجامعات الدينية والجامعات الدنيوية كالمقاهي والمسارح التي تجتمع بها أرباب السفه والبطالة وتذهب فيها الأموال على غير طائل وإن كنت المقاهي سبباً لاجتماع في شؤون التجارة ومصالح البيع والشراء لكن الجامعات الدينية لا خسران فيها لا في الدين ولا في الدنيا لأنها مؤسسات

(١) تهذيب الأخلاق: ص ٣٨٣.

(٢) تهذيب الأخلاق: ص ٩٨.

مجانية وخالية من أرباب السفه والبطالة ومكدرى صفو العيش بهذينهم وسخفهم وكافلة بمصالح التجارات والبيوع فيقضي بها مصلحته الدنيوية من بيع وشراء ومصلحته الدينية من بث عقائد الإسلام وتقوية عزائم المسلمين أو استفادة علمية أو استفادة حديث عن مصلحة لها ربط بمعاملته أو عمل خير يحمد به في دينه ودنياه، أو يكون صلح بين خصمين وما شاكل ذلك وإن خل من جميع هذه لم يخلو من ربع الدعاء والاستغفار، ومجتمعات العبادة على الغالب تلقى دروساً علمية ومباحث فنية وتحدى بأخبار عالمية تغنىه عن سماع الإذاعة ويستفيداً مع الفائدة الدينية والسلامة من الخسران والخلاص من مساهمة السخفاء.

قال أحمد حلمي أحد كتاب الأتراك العثمانيين تعريب حسين كامل ولفظه في كتابه تشكيلات الإسلام^(١): ولأجل أن يكون لأهل الإسلام مجتمعاً وبكل محلة متحدداً اتخذ أهل الإسلام صوامع المحلة ومساجدها وهو المسمى بلسان الشريعة مسجد الحي أساساً لذلك فإن الدوام على الجماعة والمواظبة عليها في أزمنة تقرر الأمانة والاستراحة وعدم الخوف سنة مؤكدة يعني إذا لم يكن مواضع طبيعية وسياسية للإنسان فأدائه الصلوات الخمسة المفروضة مع الجماعة واجتماعهم بآخوانهم في الدين في الأزمنة المعينة بدرجة الوجوب فبناء على هذا إن الأخبار التي تأتي جماعات المسلمين يتذكرون فيها ويتشارون في مسجد المحلة ويعطون عليها قراراً وذلك عقب أداء الصلاة مع آدابها وسننها ولأجل الاجتماع الكبير الذي هو من الأسبوع إلى الأسبوع يلزم وجوباً دوام جماعات المحلات وسعيهم جميراً إلى جوامع الجمعة وأدائهم صلاة الجمعة بعد قراءة الخطبة المبينة لما يلزم لهم ديناً ودنياً، وهناك يتشكل مجلس كبير يقوم فيه الخطيب والرئيس قبل أداء الصلاة على منبر الخطابة يبيان موضحاً أخبار الأسبوع وحوادثها العائدة للعالم الإسلامي.

ثم أخذ هذا الكاتب في بيان الاجتماعات الكبيرة في العيددين ومواسم الحج وما لهذه الاجتماعات من الأهمية في عالم الإسلام وما فيها من الفوائد الموجبة لترقية الإسلام تركنا ذكرها للاختصار.

أنواع العبادة

تنوع العبادة أنواعاً كثيرة فهي بالنظر إلى حقيقتها وما هي وما هي نوعان: فاسدة وصحيحة؛ فال fasida ما فقدت شرطاً أو أشتملت على مانع، والصحيحة ما

(١) تشكيلات الإسلام: ص ٤.

جمعت الشرائط وفقدت المowanع على التفاصيل المذكورة في كتب الفقه. وبالنظر إلى نفس التكليف بها هي أيضاً نوعان: وأجوبة ومندوبة؛ فإن التكليف بها على جهة الحتم والإلزام فهي الواجبة، أو على جهة الترغيب بلا تحريم فهي المندوبة، وكل منهما نوعان: فالواجبة إما واجبة بالذات وهي الواجبات الأصلية كالفرائض الخمس وحججة الإسلام وصوم شهر رمضان وأمثالهما، أو بالعارض كالمندورة والمحلوف على فعلها، والواجبة تبعاً كصلة الطواف، والمندوبة نوعان أيضاً: أصلية ويقال لها راتبة كالنوافل اليومية وحج التطوع، وغير راتبة كصلة الأسباب مثل الزيارة والطواف لغير الحج وأمثالهما.

وبالنظر إلى ما يقصده المتبعد في العبادة هي ثلاثة أنواع: إما أن يكون المقصود بها الأمان من الخوف أو الرجاء للكرامة أو لا هذا ولا ذاك وإنما المقصود بها أهلية المعبد للعبادة وهو أعلىها وعليه عبادة النبي ﷺ وعباده أمير المؤمنين علي «عليه السلام» وعباده الأئمة المعصومين «عليهم السلام» ويدل عليه قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكني رأيتك أهلاً للعبادة فعبدتك، وقد ورد في الحديث تسمية النوع الأول وهو العبادة للخوف بعبادة العبيد وذلك لأن العبد إنما يطيع سيده للخوف من عقوبته ولو لا خوف العقوبة ما أمتثل أوامر السيد، وتسمية النوع الثاني بعبادة التجار لأن التجار إنما يعمل لأجل الربح ولو ظن الخسارة ما تاجر ولا تكبد مصاعب الأسفار، وتسمية النوع الثالث بعباده الأحرار لأن الحر يعمل لا لرهبة ولا لرغبة وإنما تصدر أفعاله عن شهامة نفس وكرم أخلاقه ويرى أن ما يقوم به من عمل إما أنه أهل أن يفعل هذا أو أن المعمول له أهلاً لأن يعمل له ويخدم.

قال ابن أبي الحديد الحنفي المعتزلي في شرح نهج البلاغة^(١): الحرية هو أن لا يكون الإنسان في قلبه رق شيء من العلوّقات لا من أغراض الدنيا ولا من أغراض الآخرة فيكون فرد الفرد لا يسترقد عاجل الدنيا ولا آجل شيء ولا حاصل هو ولا سؤال ولا قصد ولا رب، وقال ﷺ لبعض أصحاب الصفة: قد عزفت نفسي عن الدنيا فأستوى عندي ذهبها وحجرها، قال: صرت حرّاً، وقال الشاعر: أتمنى على الزمان محلاً أن ترى مقلتي طلعة حر إلخ، وفي كلامه شذوذ بين إذ معنى كون الشيء النفيس في نفسه قد ساوي الساقط لا يسمى زاهداً لأن معنى الزهد هو الرغبة عن النفيس والمراد من العبادة

(١) شرح نهج البلاغة ٧١/٣ طبع مصر.

كالمراد من الكسب والعمل إما لجلب محبوب أو لدفع مخذور أقصى ما يتصور أن الحر الكريم صاحب الشهامة لا يعمل الأعمال بداعي الرهبة والرغبة حيث أن همته أعظم وقدره أكبر فيعمل الأعمال إما لمناسبة شخصيته كما يقال فلان يعطي على قدره لا على قدر السائل، أو يعمل لأجل من عمله يقل في جنب عظمته وإن كبر في نفسه فهو إذن أهل أن يعمل له ومستحق للعمل لذاته بدون ملاحظة سطوه أو كرامته فالمتبعد الحر العظيم الهمة يرى أن معبوده الذي هو رب الأرباب ومفيض الخيرات على الوجود جدير بالعبادة وحقيقة بها لا لأنها يثبت ويعاقب بل لأنه منع متفضل عم البرية بإنعم لا تعد، وشملهم بالطفاف لا تحصى بأن خلقه إنساناً عاقلاً لا حيواناً، وذكرأ لا أنسى، تام الخلقة لا ناقصها، كامل الإرادة لا ضعيفها، مؤمناً به لا جاحداً إلى غير ذلك من النعم التي يجب أن تقابل بالشكر الفعلي وهو العبادة بقصد أنه أهل لها وإن حصل الثواب عفواً وتفضلاً لأن هذا الكريم الججاد مفيض الخير على الوجود ومبطل النعم العظيمة وإن لم يطلب منه المتبعد جزاء على عمله ولا أجراً على عبادته لكنه عظيم المنة عميم الفضل يعطي تكرماً ويوجد تفضلاً، أبتدأ بالنعم من دون مقابلة عمل فكيف لا يقابل العمل الصالح الخالص لوجهه بأضعاف ما يكافئه وقد دلت على هذا روايات كثيرة في نقلها تطويل.

وتتنوع العبادة بالنظر إلى المكلف به أنواعاً كثيرة لأنه إما أن يراد الفعل من شخص بعينه أولاً :

فال الأول : أما أن يتعلق التكليف بذات المكلف فلا يقبل من غيره لو قام به ويسمى بالواجب النفسي أو الواجب العيني ويترفع من هذا واجب آخر لم يجب لنفسه بل وجب تبعاً لغيره ويسمى بالواجب الغيري والواجب المقدمي وكلاهما يراد من نفس المكلف، وإما أن يتعلق التكليف بذات المكلف به أولاً وبالمعنى ثانياً كالحق المالي فإنه وجب على نفس المال إخراج الخمس أو العشر منه أولاً وبالمالك ثانياً حتى لو عصى أخذه الحاكم قهراً وبرئت ذمته ويسمى بالواجب المالي .

وأما أن يتعلق بأمر خارج عن ذات المكلف ونفسه أولاً وإن وجب فيما ثانياً كدفع الشرك والمنكر فإن دفعهما واجب بكل ما أمكن الوصول إليه ولو باللسان أو قطع المواد المعيشية فهو واجب بعامة الوسائل حتى ينتهي إلى الدفع بالمال والبدن وهذه الأنواع عند الفقهاء تسمى بالواجب العبادي لأنه مشروط بالنية

في قبال الواجب التوصلي الذي لا يحتاج إلى نية كإزالة النجاسة عن البدن وإزالة الجيفة المؤذية ورفع الحجر عن الطريق وكنس المساجد وما شابه ذلك.

وتتنوع العبادة بالنظر إلى التوظيف إلى نوعين لأنه إما أن يكون تكليفاً للفرد أو للنوع والأول إما أن يكون من تكليف الظاهر كالعبادة اللفظية مثل القراءة أو الباطن كالعبادة القلبية مثل الاعتقاد الصحيح فهذا نوعان تحت نوع واحد وهو تكليف الفرد، وإما أن يكون تكليفاً للنوع من دون ملاحظة الفردية كتجهيز الأموات وغسلهم وموارااتهم ومبشرة الوظائف العامة التي تتوقف عليها مصلحة أهل الإسلام فهذا يجب على النوع القيام به وإن سقط على الكل بقيام من به الكفاية ويأثمون كلهم بترك من به الكفاية له ويسمى هذا النوع بالواجب الكفائي، وهناك أنواع أخرى داخلة في هذه الأنواع ذكرها أهل علم أصول الفقه فأطلبها.

وتتنوع العبادة بالنظر إلى نفس التأدبة إلى نوعين: ظاهرية وباطنية؛ فالباطنية هي العقائد والنيات لقوله ﷺ: إنما الأعمال بالنيات، وقوله ﷺ: نية المرء خير من عمله، وقوله: لكل أمرئ ما نوى، والظاهرية ذات نوعين: قولية كالقراءات والأذكار، وفعالية كالأعمال.

قال فخر الدين الطريحي (رحمه الله) في مجمع البحرين^(١): قال المحقق الطوسي: قال الحكماء: عبادة الله ثلاثة أنواع:

الأول: ما يجب على الأبدان كالصلاه والصيام والسعى في المواقف الشريفة لمناجاته جل ذكره.

والثاني: ما يجب على النفوس كالاعتقادات الصحيحة من العلم بتوحيد الله وما يستحقه من الثناء والتمجيد والذكر فيما أفاده سبحانه على العالم من وجوده وحكمته ثم الإنسان في هذه المعرف.

الثالث: ما يجب عند مشاركات الناس في المدن وهي المعاملات والمزارعات والمناكح وتأدية الأمانات ونصح البعض للبعض بضرورب المعاونات وجihad الأعداء والذب عن الحرمين وحماية الحوزة، إنتهى.

دلائل العبادة وعلاماتها

لل العبادة دلائل وأمارات وعلامات منها ما تكون على نفس الأعضاء كالأثر في الجبهة وجميع أعضاء السجود وهذا أثر عظيم غاية المدح إذا لم يكن تصنيعاً

(١) مجمع البحرين: ص ٢٢٧ طبع تبريز.

ورياءً فقد كان حجة الله على الخلق الإمام زين العابدين علي بن الحسين «عليهما السلام» يسمى السجاد لكثره سجوده وذا الثفنتاً وهذه الألقاب أشتقت له من صفتة لأن أعضاء سجوده أشبأه ثفنتاً البعير لكثره عبادته وقد كان «عليه السلام» يأخذ اللحم من أنفه وجبهته بالمقراض فلا يحس له ألمًا لأنه قد صلب على كثرة السجود، وقد كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة كأبيه الحسين وجده أمير المؤمنين «صلوات الله عليهم أجمعين».

وقد لقيت العامة العلّيّين من بني هاشم كل واحد منهم بالسجاد وذى الثفنتاً قياساً على زين العابدين «عليه السلام» لكثره عبادتهم ولكن:

أنى يقاس الذر بالأطواش
وأين الشريان من يد المتناول

وهم علي بن عبد الله بن جعفر الطيار وأمه زينب الحوراء بنت أمير المؤمنين «عليهما السلام» وعلي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ويسمى الأغر، وعلى الخير وعلي العابد ويسمى هو وزوجته زينب بنت عبد الله المحسن الزوج الصالح قتله المنصور في حبسه بالهاشمية، وعلى بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب وسماه أمير المؤمنين «عليه السلام» علياً لأنه ولد في أيامه ولقبوا أيضاً رأس الخوارج عبد الله بن وهب الراسبي بذلك وهلك كافراً قتله أمير المؤمنين «عليه السلام» بالنهر وان وفيه وفي أصحابه المارقة جاء قول النبي ﷺ:

تحقر صلاتكم في جنب صلاتهم وصومكم في جنب صومهم لا يتجاوز إيمانهم تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية إلى آخر الحديث الشريف، وقد مدح الله تعالى أهل هذه العلامة الصحيحة بقوله: ﴿سِيَّاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ﴾^(١).

ومنها ما يظهر بالتوسم في الملامع كالخشوع والأنكسار من غير ذل ولا أستكانة وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَشِيعَنَ﴾^(٢)، وتلطّف السيد حيدر الحلي (رحمه الله) ما شاء في رثاء الحسين «عليه السلام» والشهداء معه بقوله:

سمة العبيد من الخضوع عليهم الله إن ضمتمهم الأسحار فإذا ترجلت الضحى شهدت لهم بيض الصوارم إنهم أحرار ومنها النشاط في العبادة وإن ضعفت القوى والأعضاء ونحلت البنية فإن

العبد الذي أشرب قلبه حب العبادة ينشط لها ويقوى، قال الشاعر:
وإذا حللت الهدایة قلبًا نشطت للعبادة الأعضاء
 ولا يختلف هذا النشاط في الوحدة أو أمام الناظرين وبهذا يفترق عن
 المتتصنع فإن المتتصنع ينشط عند رؤية الناس ويتكاسل إذا خلى بنفسه وفي هذا
 حديث معروف في صفة المرائي.

ومنها بالأفعال وهي أقواها فإنها لا يدخلها التتصنع ولا الرياء وهي العفاف
 عن المحرمات وترك المنهيات أجمع وترك الخضوع للناس والخشوع عند حلول
 النوايب والنكبات وهذا معنى قول سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين «عليه
 السلام»: **لا أعطيكم بيدي أعطاء الذليل**، وفي الشعر المنسوب لأمير المؤمنين
 «عليه السلام»:

سأصبر حتى يعلم الصبر أنني صبرت على شيء أمر من الصبر
 وأتبعه الشاعر فقال:

صبرت على البلوى حياء وعفة وهل يشتكي سم الأرقام أرقام
 ومنها ما ليس بيد العباد صنعه وإنما هي إفاضات إلهية يفيضها على عباده
 الصالحين كاللوقار والسكينة والهيبة العظيمة التي ترتعد منها الفرائص فقد كان
 رسول الله ﷺ عظيم الهيبة، رأته أمراً فأصابتها رعدة شديدة فقال لها: هوني
 عليك فإنما أنا ابن أمراً مثلك تأكل القديد وتلبس الهدم.

ورأى هشام بن الحكم الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» فأسكنت هيبة له
 وكان جهرياً ولأجل هذا جزم بالقول بإمامته.

وحج هشام بن عبد الملك في خلافة أبيه فما أستطاع أستلام الحجر لكثره
 الازدحام عليه فجلس ينتظر الخفة وأقبل زين العابدين «عليه السلام» فأفرج له
 الناس عن الحجر حتى أستلمه في القصة التاريخية المشهورة وفي هذه الواقعة
 أنسد الفرزدق قصيده الميمية المشهورة.

ومنها علامات الألوان كالأخضرار وذبول الشفاه وخماسة البطون وقد جمع
 مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» جميع صفات المتقين في خطبته البلغة التي
 سببها طلب صاحبه همام النخعي لذلك فأطلبتها من نهج البلاغة وأقتبس معانيها
 الدمستاني في مرثية الحسين «عليه السلام» وأصحابه يقول فيها:
ألا ترى أولياء الله كيف قلت طيب الكرى في الدياجي منهم المقل

يدعون ربهموا في فك عنقهموا
من رق ذنبهموا والدموع ينهمل
نصف الجسم فلا يدرى إذا ركعوا
قسي نبل هموا أم رُكع نبل
خمص البطون طوى ذبل الشفاه ظمى
عمش العيون بكا ما عبها كحل
يقال مرضى وما بالقوم من رضى
أو خولطوا خبلاً حاشاهموا الخبر
تعادل الخوف فيهم والرجاء فلم
يفرط بهم طمع يوماً ولا وجىء
إن ينطقو ذكروا أو يسكتوا شكرروا
أو يغضبو غفروا أو يقطعوا وصلوا

تكاليف الأعضاء

بسط العبادة على الأعضاء:

إن الباري تعالى بحكمته وتقديره على المطيع من عباده أن ينعم كل عضو منه وعلى العاصي أن يعذب كل عضو منه؛ فالنعميم كل جارحة والعقوبة لكل جانحة، وبميزان العدل لا يجوز تعذيب من لم يصدر منه الذنب وإن جاز التنعميم بموجب الفضل فأقتضت الحكمة بسط التكاليف العبادية على الأعضاء والجوارح البدنية كلها الظاهرة والباطنة ليلاقي كل عضو ما يستحق من جزاء العمل عقوبة ومثوبة في حالي الفعل والترك فذكر عدة من الأعضاء في القرآن كالوجه والجنب والظهر واليد والرجل والعين وأمثالها في الآيات المباركة.

فكلف كل عضو بتكليف خاص به لعلمه تعالى أن التلذذ بالنعيم والتآلم بالجحيم إنما هو واقع على جميع البدن وهو هيكل الروح المحسوس وقالبه المرئي وهو المركب من الأعضاء والقوى والمركب لا بد وأن يكون الواقع على الماهية المركبة واقعاً على أجزائها شأنسائر المركبات الحسية فأقتضت الحكمة توزيعها على الأعضاء وبسطها على الجوارح ليحصل لها الجزاء مكافأة على النعيم المنبسط على جميعها في مقابلة قيامها بما وظف عليها من الوظائف الشرعية والمجازات بالعقوبة المسلطة على عامتها في مقابلة إخلالها بما وظف عليها فلهذا السبب كانت التكاليف بأقسامها الأربع من الوجوب والحرمة والندب والكرامة موزعة على أعضاء البدن توزيعاً حكمياً لتقوم كل جارحة من الجوارح بما وظف عليها ويؤدي كل عضو ما رسم عليه.

فالقلب تكليفه الخاص به اعتقاد الأصول الإسلامية الخمسة التي هي: التوحيد والعدل والنبوة والمعاد الجسماني والإمامية وسائر الصفات الإلهية صفات

الجلال وصفات الكمال سلبية وإيجابية التي لا يجوز أن يشارك المخلوق فيها الخالق ومن تكاليف القلب الخاصة به إخلاص العمل لله وإضمار الأنقياد له واعتقاد النصح للأمة الإسلامية وإضمار كل خير فعلاً وكل شر تركاً، ومن تكاليفه الخاصة التفكير في باهر القدرة والاستدلال بالأثار على وجوده وعجب صنعه وباهر قدرته والتذير للعلوم الدينية النافعة واعتقاد المذاهب الحقة ونية الخير لأهل الإيمان والرضا والتسليم لما قضى وقدر وما جرى هذا المجرى.

تكليف الجبهة والجبين بالتمريغ والتعفير في السجود ووضعها على ما يصح عليه السجود من تربة طاهرة وموضع طاهر محلل غير مغصوب ولا مانع فيه من الموانع المذكورة في علم الفقه من المأكول والملبوس بالعادة وأن لا يضعها على محرم أو يضع عليها محرم كالذهب أو عتبة الصنم والجائز تذللأ له وخضوعاً وأن لا يغسلها بمحرم كالخمر والنجاسات وأن لا يتوضأ بمنهي عنه ولو كان مباحاً كالمضاف السائع أستعمالاً محظوراً في العبادة كماء الورد وأمثاله.

تكليف اللسان يكف الأذى عن الخلق وترك الفحش والبذاءة والنطق بما يرضي الله ورسوله من الصدق الصالح والصواب وقول الحق وذكر الله تعالى في التحميد والتمجيد وسائر الأذكار المروية والشكر له والثناء عليه وعلى كتبه ورسله وملائكته عند ذكرهم والصلاحة على محمد وآل محمد ومدحهم ورثائهم ونصرتهم في مجادلة الخصوم ونشر فضائلهم وفي جميع ذلك روايات وخصوصاً المراثي الحسينية كرواية أبي هارون المكفوف وأبي عمارة المنشد رواهما الصدوق في ثواب الأعمال وغيره، ومن تكاليف اللسان القراءة والدعاء في الفرائض كالتلبية في الحج والنوافل كالدعا في الزيارة وذكر أهل الخير والصلاح والثناء عليهم ولعن المردة المتجررين وذم الفساق والمنافقين فإن ذلك إرشاد وتحذير، قال الشاعر:

قال النبي الفاسق أذكروه يعرفه الناس في حذره
ومن تكاليفه بث الموعظ والخطب النافعة الجذابة إلى الطاعة والتكلم بالمصالح العامة كإصلاح ذات البين ومقاومة الفتنة وقمع الضلالات والبدع وإغاثة الملهوف وتلبية الداعي إلى الخير ونشر العلوم المنجية من الأضاليل العاصمة من الزندة والإلحاد إلى غير ذلك.

تكليف العين من نوع العبادة أن تنظر إلى محلل وأن لا تنظر إلى محرم في الشرع كالنظر إلى أجنبية، والنظر إلى عورة شخص أي شخص كان إلا الزوج

والزوجة، وأن لا تنظر إلى ما تستاء منه النفس كالصلوب فقد ورد النهي عن ذلك، وأن لا تنظر إلى ما يجر إلى قساوة القلب كضرب المسلم جوراً ما لم يتصر له، وأن لا تنظر إلى شاغل عن أمور الآخرة كالمزخرفات والتزاويق لأهل الترف والبطالة فقد نهى الله عنه في القرآن المجيد، وأن لا تنظر إلى فاحشة.

وهنا حكاية طريفة: نظر بعض العباد إلى رجل على فاحشة فغمض عينيه فلما قام صاحب الفاحشة قال للعبد: متى ذهبت عينك؟ فقال العبد: منذ هتك الله سترك.

ومن تكاليف العين أن لا يملأها من النوم الشاغل لها عن الأعمال الصالحة وأن تسهر على ما فيه صلاحها وأن يمكنها من النوم بمقدار الاستراحة فإن النوم خيره الغرار وأفضله الإغفاء، قال مادح النبي ﷺ:

سید ضحکه التبسم والـ مشی الهوینا ونومه الإغفاء
فالناس داء يداي بقليل النوم، ومن تكاليفها النظر إلى ملكوت السماوات والأرض وإلى جميع ما في الكون للأعتبار والاستدلال على وجود الخالق العظيم وقد ورد الحث عليه في الآيات والروايات، ومن تكاليفها البكاء في أمور ثلاثة: للخشية من الله، وللشوق إلى لقائه، ول المصاب آل محمد ﷺ وبالأخص مصاب الحسين «عليه السلام» وجميع ذلك مروي.

تكليف الأذن من نوع العبادة التصامم عن سماع المحرمات كالأغانى وأصوات الأجنبيات مع الالتذاذ بذلك وأن لا تصفعى إلى سماع ما تستاء فيه النفس ويتألم له القلب من الأخبار المحزنة نحو الإشاعات والأراجيف التي تداعع ويقصد بها إيذاء أهل الإسلام، وأن لا يستمع بها الغيبة والفحش وقدف الأعراض وأنواع الألفاظ الشريرة، وأن يستمع بها الدعاء والزيارة وقراءة القرآن، وأن ينصت لقرائته لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لِمَنْ وَأَنْصِثُوا﴾^(١) وإن خصها الفقهاء بوجوب السكوت عند قرائة الإمام فهي دالة بإطلاقها على استحباب الإنصات مطلقاً لتدبر معانى القرآن.

ومن تكاليف الأذن الاستماع للحق وعظاً وتذكيراً والصلاحة على النبي ﷺ والله «عليه السلام» وأستماع كلمة النصح في الإصلاح والنداء لدعوة أحتفال لهم ديني كمولده النبي والأئمة «عليهم السلام» ومواسم الأعياد الإسلامية وأستماع

الأذان لأجابة داعي الصلاة وأستماع إغاثة الملهوف وما شاكل ذلك.

تكليف الأنف من نوع العبادة أن يشم الروائح الطيبة لقوله ﷺ: لي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة، وأن لا يشم الروائح المحرمة اختياراً كرائحة الخمر، وأن لا يشم الروائح الخبيثة كرائحة البصل والكراث والثوم وبالإخص الأخير وفيه أحاديث ناهية سمي فيها الأخير شجرة ملعونة.

ومن تکلیف الأنف أن لا يعفره بغير عبادة الله ولا يغمسه في محرم كالخمر وإناء الذهب والفضة والمغصوب، وأن لا يدخل فيه ناقضاً للصوم من المانع الذي يصل إلى الجوف.

تكليف اليد من نوع العبادة بسطها في المعروف كبذل النوال وإعطاء السائل وتحrir مسائل العلم النافع وكتابة الحديث والأدعية والزيارات وفضائل أهل البيت النبوی ومدائحهم ومراثيهم وكتابة القرآن الشريف والدفاع عن الملة وحماية العرض والوطن والمال المحترم ونصرة المظلوم وضرب التأديب للمعتدي لكل فاعل حرام يقتدر على ضربه وتارك كل فرض واجب تهاوناً به يضرب على تركه وقبضها عن المنكرات كالغصب والسرقة وفتح الأبواب المغلقة للتطلع على عورات أهلها والقبض على هارب من جور وفار من ظالم والقبض على المرأة لعمل الفاحشة وحمل الخمر لشاربها.

ومن تکلیف اليد إعطاء الحق ورفعها في التکبير والقنوت وبسطها في السجود وغرز الرکبتین بها في الرکوع.

ومن تکالیفها إزالة القاذورات عن الثوب والبدن والأمكنة المقدسة كالمساجد والحضرات ورفع ما يضر بالمارة من المسلمين ورفع ما حرم وطؤه كأوراق المصحف وأسماء الله والأنبياء والأئمة وقطع الخبز وحب الأرز المطبوخ والأخذ بيد المسلم إذ وقع أو تردى في بئر أو حفيرة واستنقاذ الغريق المسلم وتخلیص الحرمة المسلمة من قاهرها على نفسه وأخذ مال المسلم من يد السارق والغاصب ورده إلى صاحبه.

ومن تکالیفها قبض الحقوق وتوزيعها على المستحق وإسلام الحجر الأسعد في الطواف وأسلام المرآقد المقدسة للأنبياء والأئمة «عليهم السلام» إلى غير ذلك مما في تعداده التطويل.

تكليف الرجل من نوع العبادة السعي إلى المساجد والحضرات المقدسة والمجتمعات الدينية والسعى في الحج والهرولة والمشي في الإصلاح وقضاء

الحوائج وأن لا يطأ بها محترماً كالمصحف والطعام، وأن لا يمشي بها إلى محرم، وأن يستعملها في المشي إلى الطاعات كزيارة وتشيع جنازة أو تحصيل علم نافع في الدين واستماع المواغظ وتذكار الحسين «عليه السلام» وأن لا يطأ بها نجساً لا منتجساً يبطل العبادة ولا يضعها على بدن امرأة غير محللة له وأن يعتمد عليها في القيام للصلوة وأن يمكن إيهامه وركبته في الأرض عند سجوده وغير ذلك.

وتکلیف الرأس من نوع العبادة أن يكشفه في الإحرام بالحج وأن يحلق شعره عند رمي الجمار وإن لا يغمسه في الماء عند الصوم وأن يغمسه أو يغسله في الأغتسال بمحلول غير محرم لذاته أو النجاسة كالخمر والنجاسات ولا مضاف كماء الورد ولا مغصوب وأن لا يحمل عليه محرماً كالسكر وأن لا يغطي بمحرم لنوعه كالحرير أو لعارض كالمفصب وأمثالها.

تكلیف الفم من نوع العبادة أن لا يذوق محرماً لذاته كالخمر أو لعارض كالمفصب، وأن لا يلشم محرماً كالمرأة الأجنبية ولا وثناً ولا يد طاغوت ومتجر ولا يد خارج عن دين الإسلام، وفي الخبر المسموع: يد لا تشفع تقطع، نظمه ابن الوردي في لاميته:

أنا لا أختار تقبيل يد قطعها أفضل من تلك القبل
ومن تکلیف الفم تقبيل الحجر الأسعد ولثم الأعتاب المقدسة وضرائح آل
محمد ﷺ والأيدي المكرمة وأن لا يدخل فيه ضاراً كالسموم أو مستقبحاً
كالروائح الكريهة وأمثالها.

تكلیف الظهر من نوع العبادة أن ينحني في الركوع وينتصب في القيام ويستوي وأن لا يحمل عليه ما حرمه الشرع أصالة كالمسكر وعرضًا كالمفصب والمسروق وأن لا يضعه على محرم وأن لا يتکئ على مغصوب أو محرم لذاته، وأن لا يكون الظهر للقبلة وقت الفريضة، ولا يجعله إلى الكعبة وضريح النبي والإمام المعصوم، وأن لا يغسله في الأغتسال بمحرم أصلياً كان كالخمر أو عرضياً كالمفصب أو محللاً مضافاً كماء الورد وماء الحناء مثلاً وشبه ذلك.

تكلیف البطن من نوع العبادة أن لا يجعلها وعاء المحرمات، ولا يملأها من الخبائث، وأن لا يدخل فيها إلا محلل، وأن لا يمتلىء من محلل فقد ورد النهي عن البطنة والأمتلاء، وأن لا يلصقها على محرم، ولا يغسلها بما ذكرنا سابقاً.

تكليف الفرج من نوع العبادة أن لا يفعل محينا كالزنا واللواط والاستمناء، وأن لا يسلطه إلا على محلل وقد أكدت الشريعة الغراء ذلك وورد به نص القرآن ولعلك بهذا تكتفي ويصح لك قياس ما بقي بما ذكرنا.

عبادة العباس ابن أمير المؤمنين «عليهما السلام»

عبادة أبي الفضل العباس «عليه السلام» قد كانت بجميع أعضائه: فلسانه عبد الله بالذكر والشكر والدعاء والأستغفار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعایة إلى إمامه وأخيه الحسين «عليه السلام». أم جبهته فقد أثر بها السجود.

وأما عينه فقد نبت بها السهم في الجهاد دون إمامه. وأما يداه فقطعتها من الزند بعد أن عبد بها الله تعالى أنواعاً من العبادة جاهد بها الأشرار ورفعها في الأذكار وبسطها في العطاء والسجود والركوع وغير ذلك.

وأما رأسه فقد فضخت هامته بعامود الحديد. وأما رجاله فقد قام بها في كل عبادة وسعى بها إلى كل خير ومشى بها إلى الجهاد وحمل الماء لعطاشى آل محمد وأخر عبادة عبد بها أنه جعل يفحص بهما حين سقط على شاطئ العلقمي مفضوخ إلهاماً مقطوع اليدين.

وأما وجهه الكريم فقد سالت عليه الدماء في سبيل الله وسال عليه مخ اليافوخ المفضوخ.

وأما صدره الشريف فقد وزعته الأسنة والسيوف والنبل المحددة وهذا سبيل سائر أعضائه حتى جاء في وصفه إنه إذا حمل منه جانب سقط الآخر لكثره ضرب السيوف وطعن الرماح.

وأما عبادته بالمعنى المصطلح وهو كثرة الصلاة حتى يحصل من الإكثار منها أثر في أعضاء السجود فذاك أمر معروف نص عليه العلماء.

قال أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين^(١): قال المدائني: حدثني أبو غسان، عن هارون بن سعد، عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة قال: رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود الوجه وكنت أعرفه جميلاً شديد البياض، فقلت له: ما

(١) مقاتل الطالبيين: ص ٤٥.

كدت أعرفك، قال: إني قتلت شاباً أمرداً مع الحسين بين عينيه أثر السجود فما نمت ليلة منذ قتلته إلا أتاني فيأخذ بتلبابي حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها فأصبح مما يبقى أحد في الحي إلا سمع صياحي، قال: والمقتول العباس بن علي «عليهما السلام»، إنتهى.

وهذا حديث مشهور رواه عامه أهل المقاتل وهنا أستراب السيد المعاصر السيد جعفر بحر العلوم في كتابه (تحفة العالم) بأن هذا الحديث لا يصح في العباس الأكبر لقوله (غلام أمرد) ويصح في العباس الأصغر وهذا وجه وجيه لو كانت الرواية عند جميع من رواها كذلك، ففي كلام سبط ابن الجوزي في التذكرة^(١) موافقة لما في المقاتل قال: عن القاسم بن الأصبغ المجاشعي قال: لما أتي بالرؤوس إلى الكوفة إذا بفارس أحسن الناس وجهها قد علق في لب فرسه رأس غلام أمرد كأنه القمر ليلة تمه والفرس يمرح فإذا طأطأ راسه لحق الرأس بالأرض، فقلت له: رأس من هذا؟ فقال: رأس العباس بن علي، فقلت: ومن أنت؟ قال: حرملة بن الكاهن الأسيدي.

قال: فلبت أياماً وإذا بحرملة ووجهه أشد سواداً من القار فقلت له: رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب انظر وجهها منك وما أرى اليوم لا أقبح ولا أسود وجهها منك! فبكى وقال: والله منذ حملت الرأس إلى اليوم ما تمر بي ليلة إلا واثنان يأخذان بضبعي ثم ينتهيان بي إلى نار تأجج فيدفعاني فيها وأنا أنكس فتسعني كما ترى، ثم مات على أقبح حال، إنتهى.

وأما من رواها ولم يعبر بأمرد بل قال: رجل فمنهم الصدوق القمي (رحمه الله) ونقلها عنه الفاضل المجلسي (رحمه الله) في البحار^(٢) ونصها للصدوق في ثواب الأعمال^(٣): عن القاسم بن الأصبغ قال: قدم علينا رجل من بني دارم من شهد قتل الحسين «عليه السلام» مسود الوجه وكان رجلاً جميلاً شديد البياض، فقلت له: ما كدت أعرفك لتغير لونك، فقال: قتلت رجلاً من أصحاب الحسين أبيض بين عينيه أثر السجود وجئت برأسه، قال القاسم: لقد رأيته على فرس له وقد علق الرأس بلبانها وهو يصيّب ركبتها، قال: فقلت لأبي: لو أنه رفع الرأس قليلاً أما ترى ما تصنع به الفرس بيديها؟ فقال: يابني! ما يصنع به أشد لقد حدثني فقال: ما نمت ليلة منذ قتلته إلا أتاني في منامي حتى يأخذ بضبعي فيقودني فيقول:

(١) تذكرة الخواص: ص ١٥٩.

(٢) البحار الأنوار / ١٠ / ٢٧٠.

(٣) ثواب الأعمال: ص ١١.

انطلق فينطلق بي إلى جهنم فيقذف بي فيها حتى أصبح، قال: فسمعت بذلك جارة له فقالت: ما يدعنا ننام شيئاً من الليل من صياحه، قال: فقمت في شباب من الحي فأتينا أمرأته فسألناها فقالت: قد أبدى على نفسه وقد صدقكم، إنتهى.

والصدق معتمد وإذا كانت القاعدة الأصولية هي حمل المطلق على المقيد فإنها تعارضها قاعدة الأصل عدم الزيادة على أن رواية الصدق مقيدة أيضاً بـرجل والأمرد في الحديث الأصبهاني وسبط لعله وهم من الرواوي فإن أبو الفرج وسبط لا يثبتان عباساً أصغر وعمر الأكبر عندهما سنه ٣٤ سنة فوافق حديث الصدق وبقي الوهم من المحدث عن القاسم بن الأصبغ ومن المحتمل القوي أن القاسم قال عن نفسه:رأيته وأنا أمرد فظن الرواوي أن المقتول كان أمرد، على أنه من الغريب حمل الغلام على عادة العرب من إطلاقه على الكهل كما قال النابغة الذبياني للحارث بن أبي شمر ملك غسان:

هذا غلام حسن وجهه مقبل العمر سريع التمام

وقالت ليلى الأخيلية في مرثية توبة بن الحمير الخفاجي عشيقها:
غلامان كانا استوردا كل سورة من المجد ثم استوسقا في المصادر وهذا كثير في كلام أهل اللسان، وأما توصيفه بالأمرد فليس بعزيز في كلامهم لضرب من التجوز فقد يطلقون الأمر على الملتحي إذا لم يبلغ سن الكهولة كما في قصة عين أباغ وأرسل المنذر الأكبر ملك الحيرة إلى الحارث الأكبر ملك غسان أعددت لك الكهول على الفحول، فأجابه الحارث: أعددت لك المرد على الجرد، وليس المراد من المرد الذين لا شعر في وجوههم بل هم الذين لم يتجاوزوا سن الكهولة وهم في الدرجة القصوى من النشاط والقوة فإذا أريد بالأمرد الخالي من الشعر أحتج إلى قيد فيقال أمرد أجدر كما في حديث: أهل الجنة مرد جرد، أو يقال: أمرد لا نبات بعارضه، فالأمرد يستعمل فيمن أنبت من الرجال مجازاً وكلام العرب مبني على التوسيعة.

أما الدلالة على عبادة العباس «عليه السلام» على جهة العموم فقد روى الشيخ المفيد في الإرشاد في أخبار الليلة العاشرة من المحرم أن الحسين «عليه السلام» قام ليلاً كله يصلي ويستغفر ويدعوا ويتضرع، وقام أصحابه كذلك يصلون ويدعون ويستغفرون.

وقال الطبرى عن الضحاك المشرقى: فلما أمسى الحسين «عليه السلام» وأصحابه قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون.

وقال السيد ابن طاوس (رحمه الله) في الملهوف: ويات الحسين «عليه السلام» وأصحابه تلك الليلة ولهم دوي كDOI النحل بين راكع وساجد وقائم وقاعد الخ، وكل هذه تدل بعمومها على عبادة أبي الفضل.

للمؤلف:

سيما عباس الشهيد بوجهه سيما أبيه الخير والأسلاف
أثر السجود بجبهة ابن المرتضى عنوان تقواه بغير خلاف
من عشر سيماهم بوجوههم غير محفلة من الأشراف
ولهم على الأعراف أكرم موقف يتوصمون دلائل الأوصاف
طوبى لمن عرفوا وويل دائم للمنكرين من العذاب الضافي
فعلى الصراط لنا النجاة بحبهم ولدى الحساب ومشهد الأعراف

بصيرة الحباعن الأكابر «عليه السلام»

ال بصيرة في الدين تلازم قوة الإيمان ملزمة حقيقة لا تنفك عنها لأن الإيمان له مراتب فأدناها مرتبة التصديق بما جاء به النبي ﷺ مع عدم رسوخه في النفس ويطلق عليه الإيمان الضعيف ولذلك إذا حصل له أقل شيء يزعزع عقيدته وهذا لا يوصف بال بصيرة في الدين لأنه إلى الأرتياض أقرب من الاعتقاد الصحيح وقد حكى الله تعالى عنهم ذلك عند الامتحان بالأحزاب في قوله: ﴿وَلَا يَقُولُ الظَّفِيقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١) فالذين في قلوبهم مرض مرض أهل الإيمان الضعيف ولهذا قابلهم المنافقين الذين لا إيمان لهم فلما ضربوا بالبلاء تزلزل اعتقادهم وقالوا بمقالة أهل النفاق.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَنَّاسٍ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنَّ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَ يَهُ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾^(٢) الآية، وهذا الحرف من الإيمان وهو الطرف والجهة الواحدة وهي جهة الرخاء فقط وأما سائر الجهات وهي جهات الأبتلاء والتمحيص فلا يشك معها ويزول إيمانه ويصبح كما قال الله تعالى: ﴿خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ والمتبصر في دينه تام الإيمان من جميع جهاته فكلما زاد البلاء وأشتدت المحنـة يزداد ثباتـاً كما قال تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾^(٣).

فأعلى مرتبة التصديق هو التسليم لكل ما جاء من قبل الله وذلك عند رسوخ العقيدة في النفس فلذلك لا يتزعزع من كل شيء يضره منه ضعيف الإيمان ولا يرتـاب ولا يشك ولا يتزلـل ولو تظافرت المـحنـ كما قال المقداد بن عمرو لرسـول الله ﷺ: لو ضربـونـا - يعني قريشاً - حتى يبلغـونـا بـرـكـ الغـمـادـ لـعـلـمـنـا أنا على حقـ وـهمـ على باطلـ.

وكما قال أبو اليقطان عمار بن ياسر يوم صفين: لو ضربـونـا - يعني أهل الشـامـ - حتى يبلغـونـا بـنـ سـعـفـاتـ هـجـرـ لـعـلـمـنـا إـنـا عـلـى حقـ وـهمـ على باطلـ.

ويسمـى صـاحـبـ هذا الاعـتقـادـ قـويـ الإـيمـانـ وـصـلـبـ الإـيمـانـ وـنـافـذـ البـصـيرـةـ وـمـتـبـصـراـ في دـينـهـ وـمـاـ شـاكـلـ هـذـاـ،ـ وـهـذـهـ الـمـرـتـبـةـ الـعـلـيـاـ مـنـ الإـيمـانـ لأنـ مـرـاتـبـ

.١١) الحج: ٢٠.

.١٢) الأحزاب: ١٢.

.٢٢) الأحزاب: ٢٢.

الإيمان الراسخ تفاوت شدة وضعفاً وإن كان أضعفها قوياً متمكناً فتكون في بعض الأشخاص أقوى منها في البعض الآخر مع أشتراکهم جميعاً في قوة الإيمان ورسوخ العقيدة ونفوذ البصيرة نظير أشتراك أفراد الأبيض مع البياض مع تفاوتها في الشدة والضعف وقد جاء في الحديث عن أهل البيت «عليهم السلام»: الإيمان عشر درجات، والمراد بهذا التفاوت إنما هو بالشدة والضعف في المرتبة العالية من الإيمان والتي ليس فوقها إلا درجة اليقين وهي التي لا يصل إليها إلا من كشف له الحجاب وهي مرتبة النبي ﷺ وسائر الأنبياء ومرتبة أهل العصمة من الأئمة الطاهرين «عليهم السلام» وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: لو كشف لي الغطاء ما ازدلت يقيناً، وهذه المرتبة لا يردها أحد من أهل التوحيد وإن رامها لم يصل إليها فالواصل إليها إما نبي أو وصي نبي.

وحيث أن الإيمان يحتاج كشف حقيقته وبيان ما هو إلى مصنف ضخم لطول الكلام فيه وأختلاف الأقوال والأراء تركنا ذلك وأوردنا أبحاثاً لا بد منها توضح للقارئ حقيقة الإيمان ومعناه لغة وأصطلاحاً، ومعرفته على الدقة الحكمية تركناه للمطولات.

معنى الإيمان لغة

هو التصديق المجرد، حكى الله عن أولاد يعقوب بقوله: **﴿وَمَا أَنَّتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾**^(١) يعني بمصدق، ومن أسماء الله تعالى المؤمن لأنه يصدق أنبيائه بإظهار المعجز على أيديهم في دعوى النبوة.

قال في القاموس: آمن إيماناً صدق والإيمان الثقة وإظهار الخشوع وقبول الشريعة، إنتهى.

هذا قد ذكر المعنى اللغوي والشرعى، قال السيوطي في المزهر^(٢): عن ابن فارس: فكان مما جاء في الإسلام المؤمن والمسلم والكافر والمنافق وإن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق ثم زادت الشريعة شرائطاً وأوصافاً بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً الخ.

قال الشريف الجرجاني في التعريفات^(٣): الإيمان في اللغة التصديق بالقلب.

(٢) المزهر / ١٧٣.

(١) يوسف: ١٧.

(٣) التعريفات: ص ٣٧.

معنى الإيمان شرعاً

في تحقيق معناه الشرعي غموض لكثرة الاختلاف فيه لكن القدر الجامع لجميع الأقوال التي نورد بعضها أن الإيمان هو التصديق الخاص يعني تصدق الأنبياء بجميع ما جاؤوا به من عند الله تعالى وتصديق العقل بأن للخلق خالقاً وهو الله تعالى وإنه واحد عادل حكيم قادر الخ، فهذا هو الإيمان الجامع لبعض التفاصيل التي سنورد بعضها.

فقال الشريف الجرجاني في التعريفات عقب ما تقدم: الإيمان في الشرع هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان، قيل: من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد ولم ي العمل وأعتقد فهو فاسق، ومن أخل بالشهادة فهو كافر، إنتهى.

قال الفاضل النراقي (رحمه الله) في مشكلات العلوم^(١): اختلفوا في حقيقة الإيمان في أنه من العقائد العقلية لا مدخلية للعمل الصالح في مفهومه ونشأ ظواهر الكتاب وأخبار الحجج الأطياب فنقول: الإيمان لغة مطلق التصديق وشرعاً التصديق بالله سبحانه وتعالى والرسول فيما جاء به من الله الذي هو مفاد كلمتي الشاهدين ولا زم تصدق النبوة والأعتراف بجميع ما جاء به النبي ﷺ من أحوال المبدأ والمعاد والأحكام وغيرها فإن إنكارها يرجع إلى إنكار النبي ﷺ وإنكار ما ثبت عنه بالضرورة ينبع عن إنكار النبي واختلفوا في أن الأعمال الصالحة جزاءاً له كما عن المعتزلة وجماعة من الإمامية بل ربما قيل إنه مجرد الطاعات ولعل مراده ما يشمل الطاعة القلبية من المعرفة أم لا كما عليه أكثر الأصحاب واختلف في ذلك ظواهر الآيات والأخبار، فمن الآيات ما يدل على المغايرة كقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا أَصْنَلُّهُنَّ﴾^(٢) الخ، وذكر آيات كثيرة وأحاديثاً كذلك وهو مطول.

والذي يتحصل من ملاحظة المجموع هو الاعتقاد الصحيح بعامة الأقوال الأصلية والفرعية إعتقداً مطابقاً للعمل فلوا أخل بالعمل مع اعتقاده بصحته وأفتراضه فهو مؤمن عاصي ولهذا قال العلماء في تارك الفرائض: إن تركها لا عن جحود وإنكار يعني يعتقد بوجوبها ولكن تركها تكاسلاً أو تشاغلاً فهو مؤمن ويلزم بأدائها ويعذر على الترك وإن تركها جحوداً وإنكاراً لوجوبها فهو كافر مهدور الدم يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهذا الكفر هو كفر الجحود ويفارق الكفر الأصلي بالتلفظ بالشهادتين.

وأما الإقرار القلبي إذا لم يكن مطابقاً للعمل فلا أثر له إذ تعرف صحة الاعتقاد بالمطابقة للظواهر فإن الظاهر كواشف عن الأسرار القلبية فنفس الاعتقاد من الأمور اللبية التي ترسم على لوح القلب ولا يحكم عليها بنفي ولا إثبات حتى تتلبس بقولها الحسيبة ولهذا قال النبي ﷺ لأُسامَةَ يُوبخه على قتل مظہر الشہادتین وقد أعذر أُسامَةَ إِنَّهَا قَالَهَا تَعُوذُ مِنَ السَّيْفِ «هلا شفقت عن قلبه» ومعناه أن الظاهر هو الكاشف عن الاعتقاد وعليه يترتب أثر الحكم وما في نفس الأمر لا يعلمه إِلَّا اللَّهُ فَلَا يَنْاطُ بِهِ حَكْمٌ لَأَنَّهُ لَا سَبِيلٌ إِلَيْهِ.

وأما قوله تعالى : ﴿فَقَاتَلُوا أَئِمَّةَ الْكُفَّارِ إِنَّهُمْ لَا يَنْتَنِي لَهُمْ﴾^(١) ليس معناه سلب حقيقة الاعتقاد القلبي والأقرار اللسانية فإن هؤلاء لهم تشبت ضعيف بالإيمان لكن هذا الإيمان ليس من الإيمان الحقيقي الذي هو العمل بأحكام الله تعالى وإقامة مراسم شرعه فقاتلواهم على تركهم الأحكام ومخالفتهم الشرع فقاتلواهم حتى يدينوا بها ويرجعوا إلى الاعتقاد الصحيح في تنفيذ ما أمر به ونهى عنه وبذلك تحقن الدماء وتحفظ الأموال وتقام مراسم الملة وشعائر الإسلام .

حقيقة الإيمان :

حقيقة الإيمان من الحقائق البسيطة والمفاهيم المفردة وهو الاعتقاد الصحيح لا غير وما عدى ذلك من الأمور فهي من قبيل المصاديق الخارجية .

قال الفاضل النراقي (رحمه الله) في مشكلات العلوم^(٢) : لا يبعد أن يفسر حقيقة الإيمان بالهيئة النورانية والبصرة القلبية الباعثة على التقوى والطاعة المورثة لحب الله وأولياته وولاية الأنمة وتلك البصرة تختلف بالشدة والضعف وسبب حصولها ورسوخها غالباً المواضبة على التفكير في الآيات الآفاقية والأنفاسية ومذاكرة آثار النبوة والإمامية للقلوب الخالية عن الأرجاس الجاهلية والأدناس الدنيوية والوساوس الشيطانية والعلوق في الشهوات الحيوانية المانعة عن ظهور النور الإلهي والرحمة السبحانية فربما يحصل هذا النور والبصرة للعالم المنحطين عن درجة العلم والاستدلال العلمي ما يحصل للحكيم الفلسفى والمتكلم الأوحدى مع تدبرهم وتماديهم في العلوم الرسمية والاستدلالات الدقيقة لرعايتهم آداب الشريعة ومواظيبهم لخلوص النية كما هو المعهود من طريقة النبي ﷺ في هداية المؤلفين لقلوبهم وتلك البصرة حيث حصلت تزداد بالأعمال

(٢) مشكلات العلوم : ص ٣٧٢ .

(١) التوبة : ١٢ .

الصالحة كما ورد في الأخبار المستفيضة كقوله «عليه السلام»: العلم والعمل متوارثان.

وكيف كان فأدنى مراتب الإيمان وأقربها إلى الكفر عدم المبالاة بالمعاصي وترك الفرائض وارتكاب الكبائر الموجبة للفسق جداً إن لم يبلغ مبلغ المخالفات الكلية في أصول الإسلام التي بني عليها ولا ناشئاً عن الاستخفاف المنافي للعقيدة القلبية بل لغبة الهمة والركون إلى الدنيا وأتباع الشهوات ومثله مؤمن فاسق إذا لم يفسد عقائده الإيمانية وولايته أهل بيته النبوة ولا يخلد في النار وعاقبته إلى الجنة بعد استيفاء ما يستحق من العقوبة، وفي بعض الأخبار البشارة لموالي أهل البيت «عليهم السلام» بالجنة وإن كان عاقاً لوالديه وشارباً للخمر ومرتكباً لكبائر الذنوب ومنع تسميته فاسقاً بل سمي فعله فسقاً ونفسه طيبة بشرط رسوخ الولالية في قلبه بحيث لا يزول وإن قطعت أعضاؤه ويشير إليه قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوْنَ﴾^(١) حيث جعل الفاسق مقابل المؤمن الخ.

الفرق بين الإسلام والإيمان

وما بينهما من الرابطة وأيهما المقدم رتبة، رأى جماعة من أرباب المعرفة اتحاد مفهوم الإيمان والإسلام وأختلف بينهما بحسب إطلاق اللفظ فليس التغاير بينهما حقيقة نظراً إلى ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا إِسْلَامُهُ﴾^(٢) وفسروا الدين بالإيمان، والتحقيق كما هو رأي أكثر المحققين أن الإيمان غير الإسلام والتغاير بينهما حقيقي لا اعتباري كما زعم من ادعاه والإيمان أخص من الإسلام، والإسلام أعم مطلقاً من الإيمان، والأخص غير الأعم، فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيمان، والأخص وإن كان بعض أفراد الأعم إلا أنه غيره وإلا لسارة مثال ذلك الحيوان الجامع للإنسان وغيره ببيان الإنسان في أكثر الصور كصدقة على الفرس وبها باباً للإنسان فيقال: هذا الحيوان ليس بإنسان.

فالإسلام حقيقة لمن تلفظ بالشهادتين وأظهر كلمتى التوحيد وهما «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ» وعلى الإسلام تترتب أحكام كثيرة منها حرمة دمه وحرمة ماله وجواز دفنه في مقابر أهل الإسلام وسقوط الجرائم التي عملها في الكفر وطهارة سؤره وليس ذلك تنحيص سؤره لأن الإسلام قد طهره فيكون حكمه حكم منافقي زمن رسول الله ﷺ فقد كان يساورهم ويساورونه

(١) السجدة: ١٨.

(٢) آل عمران: ١٩.

ويشهدون معه المغازي ولم يقم على قبر واحد منهم ولا أستغفر له بعد أن نزل عليه النهي عن ذلك وهذه أمور معروفة نطق بها القرآن وشرحها الأحاديث الصحيحة.

أما الإيمان:

فهو الاعتقاد بكل ما جاء به النبي ﷺ من عند الله فمن جحد بعضها فهو غير مؤمن، وعلى صحة الاعتقاد يتضاعف الأجر وتعلو درجاته وتحصل له التكمة، قال الله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتُكُمْ»^(١) وقد قسم رسول الله ﷺ في بعض غزواته الغنائم في من أسلم خاصة وترك جماعة المؤمنين إلا رجلين منهم سهل بن حنيف لشدة حاجته، وقال فيمن ترك من المؤمنين أوكلت هؤلاء إلى إيمانهم، فدل أن الإيمان إذا رسخ في القلب لم يرى صاحبه فعل الشارع إلا حكمة ومصلحة فلا يرتتاب أرتياً من لم يرسخ الإيمان في عقيدته وهو صاحب الإسلام المجرد كما قال العباس بن مردار السلمي وقد كان مسلماً غير مؤمن يرد على رسول الله ﷺ قسمته الإبل بين عينية بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى والأقرع بن حابس التميمي وكانا مثله ضعيفي الإيمان فزادهما عليه في العطية فسخط ذلك وقال:

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عينية والأقرع
فما كان حصن ولا حابس يفوقان مردار في مجمع
وما كنت دون أمرئ منهما ومن تضع اليوم لم يرفع
القصة المشهورة فالمؤمن يرضى له وعليه وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه المجيد فيبين أن المسلم سريع الانقلاب إلى الكفر والمؤمن ثابت على دينه فقال:
«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ فَمَنْ كَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَيْأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَعْقَلَيْكُمْ
وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَيَّ عَاقِبَيْهِ فَلَنْ يَعْصِمَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَعْزِزُ اللَّهُ أَشْكَرِينَ»^(٢) دلت هذه الآية الشريفة أن أهل الإسلام بمعرض الارتداد بعد موت النبي ﷺ وإنهم ينقلبون إلى الكفر بخلاف أهل الإيمان فإنهم لا يرتدون عن دينهم فهم ثابتون صابرون عليه مع كل فتنة فأستحقوا عند الله الجزاء لصبرهم على دينهم وأعتبر ذلك فيما جاء في الآثار:

ففي غزوة أحد لما انكسر أصحاب النبي ﷺ وصاح إبليس: قد قتل محمد،

قال جماعة: ليت لنا من أبي سفيان أماناً، وقال سعد بن الربيع الأنصاري: إن كان محمد ﷺ قد مات فإن رب محمد لم يمت ثم جرد سيفه فقاتل حتى قتل، وقال الله تعالى في أمير المؤمنين علي وحمزة وعبيدة: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبَدِيلًا﴾^(١) فأثبتت لهم عدم التبدل.

وقد فرق الله تعالى بين الإسلام والإيمان بقوله: ﴿فَالَّتِي آتَيْنَا إِنَّمَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٢) الآية، وقد ورد الحديث به من طريق أصحابنا عن أئمتنا «عليهم السلام» وهو كثير ومنه ما حديث به ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي^(٣) عن سماحة قال: قلت لأبي عبد الله جعفر الصادق «عليه السلام»: أخبرني عن الإسلام والإيمان أهم مختلفان؟ فقال: إن الإيمان يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان. فقلت: فصفهما.

فقال «عليه السلام»: الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله ﷺ به حقنت الدماء وعليه جرت المناKeith والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس، والإيمان الهدى وما ثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة لأن الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة، إنتهى.

وفي معناه غيره وهو دليل على ما قلناه من أن الإيمان أخص من الإسلام. وعن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام» قال: سمعته يقول: ﴿فَالَّتِي آتَيْنَا إِنَّمَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(٤) فمن زعم أنهم آمنوا فقد كذب ومن زعم أنهم لم يسلموا فقد كذب، إنتهى.

وبهذا المضمون كثير من الروايات من طريق أهل البيت وفي معناه أقوال المحققين من أهل السنة، ورووا في تفسير الإيمان روايات كثيرة معناها أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان.

قال أبو حنيفة النعمان أحد أئمة المذاهب في رسالة الفقه الأكبر: الإيمان هو الإقرار والتصديق وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق، والمؤمنون مسئولون في

(١) الأحزاب: ٢٣.

(٢) الحجرات: ١٤.

(٣) أصول الكافي: ص ٢٤١.

الإيمان والتوحيد، متفاضلون في الأعمال، والإسلام هو التسليم والإنقياد لأوامر الله تعالى، فمن طريق اللغة فرق بين الإيمان والإسلام لكن لا يكون إيمان بلا إسلام ولا يوجد إسلام بلا إيمان وهما كالظاهر مع البطن، والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع كلها، إنتهى.

وفي قوله «لا يوجد إسلام بلا إيمان» رد على الله حيث قال في صفة الأعراب ما سمعت، وعلى رسوله حيث قال «من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله قبلناه وحسابه على الله» فوجود الإسلام بدون الإيمان بدبيهي.

ولأحمد بن حنبل كلام مطول مضمونه التفرقة بين الإيمان والإسلام ويحتاج بالآية السابقة في الأعراب راجعه في كتاب الصلاة لابن القيم^(١)، ويقول فيه: قال أحمد: من أتى هذه الأربعية أو مثلهن أو فوقهن يريد الزنا والسرقة وشرب الخمر والأنهاب فهو مسلم ولا أسميه مؤمناً، ومن أتى دون ذلك يريد دون الكبائر سميتها مؤمناً ناقص الإيمان.

وقال الشريف الجرجاني في التعريفات^(٢): الإسلام هو الخضوع والإنقياد لما أخبر به الرسول، وفي الكشاف: إن كلما يكون الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام، وما واطئ فيه القلب اللسان فهو إيمان، أقول: هذا مذهب الشافعي، وأما مذهب أبي حنفية فلا فرق بينهما، إنتهى.

وأما الشيعة فقد قال الفاضل النراقي (رحمه الله) في مشكلات العلوم^(٣): وأما الإسلام فلا خلاف في أنه أعم من الإيمان ويصدق على مجرد الإقرار باللسان بالشهادتين والعمل بالأركان وإن لم يصدق العمل ثم أورد الآية الشريفة وقال: وصدق المقال في مطاوي الظواهر والنصوص والتتابع في كلمات الفقهاء ولا يبق معه الريب في أن حقيقة الإيمان هي مجرد المعرفة القلبية ويعضده التبادر وعدم صحة السلب والموافقة لمعنى اللغوي ولو بالعموم والخصوص وتفسيره في جملة من النصوص بما يقترن بالعمل بنفس العمل فهو من باب التعريف باللازم فإن الإيمان الواقعي لا ينفك غالباً مطرداً عن العمل بالأركان للإسلام وعد أتباعه مع الإفراط في الكبائر من غير مبالغات وعدم التهيؤ للتوبة وما هو إلا كالعالم بالسم يحذر من أكل السم الخ.

فقد استبان أن الإسلام والإيمان بينهما العموم والخصوص المطلق بكل إيمان إسلام ولا عكس.

(١) الصلاة لابن القيم على مذهب أحمد: ص ٨٤ طبع مصر سنة ٣٢٣.

(٢) التعريفات: ص ١٤.

(٣) مشكلات العلوم: ص ٣٠١.

دعائم الإيمان وأركانه

والدعاة ما يدعم به الشيء ويكون مستندًا عليه وقائماً فيه كما قال الشيخ محسن أبو الحب الكربلاي في مدح أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب «عليه السلام»:

ولكل بيت في الوجود دعامة ودعامة الإسلام حيدر فأعلقوا
وكانه يشير إلى قول ابن أبي الحديد المعتزلي:

فلولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما ودعائم الإسلام نوعان: نوع يسمى بالأصول ونوع يسمى بالفروع؛ فدعائم الإسلام هي الاعتراف بالوحدانية والنبوة والبعث وهو المعاد الجسماني فمن أنكر واحداً منها فليس بمسلم، وأما العدل والإماماه فهما من أصول الإيمان فمن جحدها فليس بمؤمن، وما عدى هذه الخمسة من ضروريات الإسلام فهي فروع كلها كالفرضيات الصلاتية والحج والزكاة والخمس والصوم والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي بعض الروايات عد الإمامة في الضروريات الفرعية التي هي أركان الإسلام كا في حديث أبي حمزة عن الإمام الباقر «عليه السلام» المروي في الكافي لثقة الإسلام الكليني^(١) نص الحديث:

قال «عليه السلام»: بنى الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم ينادي بشيء كما نودي بالولاية، إنتهى.

ومثله حديث الفضيل عن الباقر «عليه السلام» وزاد فيه: فأخذ الناس بأربع وتركوا واحدة - يعني الإمامة - إنتهى.

أما حديث عجلان بن أبي صالح عن الإمام الصادق «عليه السلام» فعد الأصول هكذا بنص الحديث: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: أوقفني على حدود الإيمان، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله والإقرار بما جاء به من عند الله، والصلوات الخمس، وأداء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، وولاية ولينا، وعداوة عدونا، والدخول مع الصادقين، إنتهى.

ورتبها الإمام الصادق «عليه السلام» في رواية زرارة: الولاية أولاً ثم الصلاة ثانياً لأنها عمود الدين، ثم الزكاة ثالثاً لأن الله تعالى قرنها بصلاة، وبدأ بها، ثم

(١) أصول الكافي: ص ٢٣٨.

الحج رابعاً، ثم الصوم خامساً لأنه جنة من النار، ومن أراد الزيادة فليراجع الكافي وغيره من كتب علمائنا.

أنواع الإيمان

وجوه تنوع الإيمان بالنسبة إلى ما يضاف إليه وإنما فهو نفسه بسيط نعم يقبل الشدة والضعف.

قال الشريف الجرجاني في التعريفات^(١): الإيمان على خمسة أوجه: إيمان مردود؛ فالإيمان المطبوع هو إيمان الملائكة، والإيمان المعصوم إيمان الأنبياء، والإيمان المقبول هو إيمان المؤمنين، والإيمان الموقوف هو إيمان المبتدعين، والإيمان المردود هو إيمان المنافقين، إنتهى.

ويمكن أن يرد هذا التنوع إلى نوعين فيقال: إيمان مقبول وإيمان مردود؛ فالمحبوب هو الثلاثة الأولى، والمردود الأخيران، ولا معنى للتفرقة بين الأنبياء والملائكة فإن أراد إن الله تعالى خلقهم مؤمنين وجبلهم على الإيمان فالأنبياء والملائكة سواء، وإن أراد إنه مأمون من التغيير والتبدل بالملائكة والأنبياء سواء وهو في الأنبياء أقوى لأن الله لا يرسلنبياً غير مطبوع على الإيمان معصوم من الأرتياح فإن ذلك ينافي النبوة، وأيضاً لم نسمع أننبياً زال عن الإيمان كما سمعنا أن ملكاً زال فيتلوا كتاب الله قصة هاروت وماروت وتعليمهما السحر والسحر كفر، ويسميهما ملكين ويحكى عنهمما إنهمما يقولان: ﴿إِنَّمَا نَخْنُ فِتْنَةً فَلَا تَكْفُرْ﴾^(٢) فكانا بباباً للسفر فليدلنا الجرجاني على نبي بهذه الصفة ولكن الجرجاني وأهل مذهبه الذين يثبتون صدور الذنوب من الأنبياء ولا يثبتونها للملائكة يقولون بهذا القول الساقط.

ثمرات الإيمان وقوائمه

وهي كثيرة متنوعة يجمعها العلم والعمل وهو الذي نطق به أحاديث أئمتنا «عليهم السلام» منها ما رواه ثقة الإسلام الكليني في الكافي^(٣) عن محمد بن مسلم، وفي جملة الحديث عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: قلت له: العمل من الإيمان؟ قال: نعم، الإيمان لا يكون إلا بعمل، والعمل منه، ولا يثبت الإيمان إلا بعمل، إنتهى.

(١) التعريفات: ص ٢٧.

(٢) البقرة: ١٠٢.

(٣) أصول الكافي: ص ٢٤٨.

وكان ذكرنا عن الحافظ العزيزي الحنفي فصلاً في أعمال الإيمان تركناه، والثمرات نوعان: دنيوية وأخروية: أما الدنيوية فكثيرة وترجع إلى أمرين تهذيب النفس عن الشرور بما يوجب صفاتها الباطنية بحيث تكون مصقوله لتكون صادقة الحديث، قال عليه السلام: أتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، وتكون صادقة الرؤيا، قال عليه السلام: رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءاً من النبوة.

وبما يوجب طهارة الظاهر من دنس الأخلاق المذمومة فإذا تمت التصفية بيوقة الإيمان أكتسب أبريزها الصافي كمال الحمد والفاخر وهذه أعظم ثمرة يسعى الحر الكريم لتحصيلها.

وأما ثمرات الآخرة فكثيرة أيضاً منها إنها تهون سكرات الموت، وقد ورد ذلك في حديث سلمان الفارسي ورواه أبو عمرو الكشي وإن ملك الموت قال لسلمان: إني بكل مؤمن رفيق، وفي الباب أحاديث كثيرة كلها تدل على سهولة الموت على المؤمن حتى ورد في بعض المؤمنين أن وجوههم تشرق عند الموت ويعلوها الإبتهاج والسرور وبعضهم يضحك عند الموت.

ومن ثمرات الإيمان المهمة كرامة المؤمن على الله حتى أنه لو أقسم على الله لأبر قسمه، وفي الحديث النبوي: رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه أحد لو أقسم على الله لأبر قسمه، وقد بلغ من كرامة المؤمن على الله أنه يكره مسائته بالموت كما في الحديث القدسي: ما ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مسائته، وليس التردد هنا حقيقة كما هو فينا لا ندرى نفعل أم نترك يخفي علينا الرجحان بل مجاز ومعناه أن الله تعالى لا يعجل عبده المؤمن بالموت البغيض بالطبع حتى يكون هو الذي يستأذن إليه لأجل الخلاص من سجن الدنيا والوصول إلى دار البقاء فعبر عن هذا التأخير لظهور أمارات الرضا بالموت للعبد المؤمن بالتردد، ولا نطيل عليك بتفاصيل ثمرات الآخرة فقد ورد الحديث أن الدنيا تعطى بأسرها لأقل المؤمنين ثواباً فيتخطها، فإذا كان أقل المؤمنين ثواباً لا يرضي بالدنيا ثواباً له فأي ثمرة أعظم من هذا.

دلائل الإيمان وعلماته

لله وللإمام علامات دلائل كثيرة:

منها راجعة إلى الصفات النفسية نحو الرضا بما قسم الله والتسليم لما قضى الله والشكر على ما أنعم.

ومنها راجعة إلى الصفات البدنية فبأن تظهر عليه سمات شحوب الاجتهاد في العبادة كذبول الشفة وصفرة اللون وعمش العين من السهر واحد يداب الظهر من طول القيام ونحول الجسم من التعب وقلة التغذى زهداً وقد ذكر علامات هذين النوعين مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» عن رسول الله ﷺ.

قال أبو الفتح الكراجكي (رحمه الله) في كنز الفوائد^(١) في كتاب محاسن البرقي قال: مر أمير المؤمنين «عليه السلام» بمجلس من مجالس قريش فإذا هو بقوم بيض ثيابهم صافية ألوانهم كثير ضحكتهم يشيرون بأصابعهم إلى من مر بهم ثم مر بمجلس للأوس والخرج فإذا هو بقوم بليت منهم الأبدان ورقت منهم الرقاب وأصفرت الألوان وطبعوا بالكلام، فتعجب أمير المؤمنين «عليه السلام» من ذلك ودخل على رسول الله ﷺ فقال له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! مررت بمجلس لآل فلان ثم وصفهم وقال: جميعهم مؤمنون، فأخبرني يا رسول الله بصفة المؤمن.

فنكس رسول الله ﷺ رأسه ثم رفعه فقال: ياعلي! عشرون خصلة في المؤمن من لم تكمل فيه لم يكمل إيمانه: إن من أخلاق المؤمنين الحاضرون الصلاة، والمسارعون إلى الزكاة، والمطعمون للمساكين، والماسحون على رأس اليتيم، والمطهرون أظفارهم، والمسررون على أوساطتهم، الذين إذا أحدثوا لم يكذبوا، وإن وعدوا لم يخلفوا، وإن أئتموا لم يخونوا، وإن تكلموا صدقوا، رهبان بالليل، أسد بالنهار، صائمون النهار، قائمون الليل، لا يؤذون جار، ولا يتآذى بهم جار، الذين مشيهم على الأرض هوناً، وخطاهم إلى المساجد وإلى بيوت الأرامل وعلى أثر المقابر، جعلنا الله وإياكم من المتقين، إنتهى.

وذكر لأمير المؤمنين «عليه السلام» كلاماً في صفة المؤمنين قاله لنوف البكالي شبيهاً بهذا ذكرناه في المسودة وتركناه هنا للاختصار ورواه الشريف الرضا في نهج البلاغة وحسب خطبه التي قالها لصاحبه همام النخعي فراجعها.

درجات الإيمان

وهذه الدرجات غير ما ذكرنا أولاً فإن تلك مراتب بحسب القوة والضعف وهذه درجات ومراقي يصعد منها درجة درجة حتى ينتهي إلى أعلى درجة في الإيمان كما في الحديث الإيمان عشر درجات منزلة السلم وهذا إنما يكون من طريق المعرفة لأن الإيمان يكون فطرياً مرة كإيمان الملائكة ومكتسباً أخرى كإيمان

(١) كنز الفوائد: ص ٢٩.

المكلفين من الإنس والجن وجماعاً للوصفيين كإيمان الأنبياء والأوصياء وهو أعلاها وأرفعها درجة ثم للمعرفة من طريق الاكتساب والتحصيل طرق عديدة منها التقليد المحسن كإيمان العامي ومنها الأجتهاد المحسن كإيمان العالم ومنها المركب من الأجتهاد والتقليد، وأعلاها درجة الأجتهاد، ومن هنا نتصور درجات كثيرة وقد حصرها الفاضل النراقي (رحمه الله) في أربع درجات نصه في مشكلات العلوم^(١): وتفصيل الكلام في كليات مراتب المعرفة الإيمانية لها أربعة درجات كما للتوحيد:

الأولى: المعرفة التقليدية وهي الجزم الحاصل من التقليد للغير كإيمان الأكثر من العوام المؤمنين والمنحطين عن درجة الأستدلال، ويشير إليه قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مَاءَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾^(٢) فإن الأرتياض يحصل غالباً في الأقتحام في الأدلة الجدلية وشبهات أهل النظر والمتكلم بها قد ينجر إلى زوال الأطمئنان وأختلاج الشكوك، ثم قال: وبالجملة هذا الجزم كاف في صدق الإيمان وصحة العمل.

الثانية: المعرفة العقلية وهي الحاصلة من البراهين القياسية والأدلة القطعية الحكمية وإن كانت خالية عن آثاره القلبية وعن الإيمان بالغيب حيث أنه تصديق من وراء حجاب مجرداً عن ضياء وصفاء.

الثالثة: المعرفة القلبية المقترنة بصيرة نورية ومحبة روحانية وحالة شوقية وهي أماراة الكمال المتأثر به القلب وينشرح به الصدر وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتْ عَلَيْهِمْ مَا يَنْهَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقْسِمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣) فالهداية السابقة بدلالة العقل وهنا بنور القلب.

الرابعة: المعرفة الشهودية وهي التصديق الحاصل من شهد التجليات الإلهية والإشراقات الصمدانية والاستغراق في بحار الأنوار الجبروتية حيث ينسلخ من إدراك الكيفية ونفسه ويُسِير إلى هذا المقام الخ.

وإذا عرفت هذه الدرجات فأعرف أن درجة العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» هي الرابعة وهي العليا لأن الإمام «عليه السلام» أثبت له أمرین قوة الإيمان وال بصيرة التي هي الدرجة الثالثة، وأثبت هو لنفسه كما عرفت في علمه

(١) مشكلات العلوم: ص ٣٠٤

(٣) الأنفال: ٢ - ٤.

(٢) الحجّات:

درجة صدق اليقين ومعلوم أن من تجاوز الثالثة وأتجه بسيره إلى الرابعة وصلها بسيره الحثيث ولا خفاء على العارف أن المؤمن إذا سرى الإيمان في جميع جوارحه وأنبأ في عامة أعضائه وخالط لحمه ودمه واستغرق في حب الله تعالى وفني إحساسه في حب الذات الصمدية فليس يرى في الوجود إلا الله ولا يشعر بغير كمالاته تعالى فإن الحب الصحيح يوجب الاستغراق ويستولي على كيان الشعور ويستلب المشاعر والحواس.

فقد ذكر المؤرخون إن قيساً المجنون كان يحز يده بالسكين ولا يشعر حتى أدهاها وإنه يقلب الجمر بكفه ولا يحس حتى أحترقت وإنه صب ظرفين من سمن وعسل على قدميهما ولا يشعران راجع تزيين الأسواق والدر المثور وغيرهما.

والمروي في محبة زليخا ليوسف الصديق أنها إذا قطرت من دمها قطرة تشكلت يوسف كأنها خطت بقلم.

فالمؤمن إذا استغرق غاب عنه الحس وإذا قام المؤمن بواجبات التكاليف التي كلفت بها أعضاؤه الباطنية والظاهرة فقد وصل الدرجة العليا وهي الرابعة فيما رواه النراقي والعاشرة في الحديث المشهور الإيمان عشر درجات، وفي بسط الإيمان على الجوارح حديثان رواهما الكليني في الكافي أحدهما عن أبي عمرو الزبيري عن الإمام الصادق «عليه السلام» ذكرناه في المسودة وتركناه لأجل الاختصار، أنظره فيه^(١).

ال بصيرة في الدين وهي ثمرة الإيمان

وهي كنایة عن المعرفة الصادقة بحقيقة الإيمان والإحاطة التامة بجميع ما يقوم به الدين ويشاد به الإسلام والأطلاع والخبرة بضلال المضل وباطل المبطل من أي طريق كان سواء كان من طريق الكشف كمعرفة النبي ﷺ والأئمة «عليهم السلام» أو الاستناد إلى الوحي كما هو حال الأنبياء والأوصياء وهنا يختلف الحكم بين النبي والإمام فإن النبي يأخذ العلم بواسطة واحدة وهي عن جبرئيل «عليه السلام» والإمام يأخذه بواسطتين عن النبي ﷺ عن جبرئيل «عليه السلام» ثم المصدر له العلم الإلهي وهذا معنى قول مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام»: علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب، قوله «عليه السلام» مشيراً إلى صدره الشريف: هذا سبط العلم، هذا لعاب رسول

(١) أصول الكافي: ص ٢٣٨.

الله ﷺ، قوله «عليه السلام» ما من فئة تهدي مائة أو تضل مائة إلا وأنا عالم بسائقها وقائدتها وناعقها، وعلى هذا وقعت جميع إخباراته الصادقة كإخباره بإمرة مروان الحكم قوله: دعوه عليه لعنة الله إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وكإخباره بدولة عبد الملك وولده قوله أبو الأكبش الأربع، الويل لأمة محمد منه ومن بنيه، قوله فيه: يفحص ضليل برأياته في كوفان قوله في معاوية: يجتمع أمر الأمة على مندحق البطن واسع البلعوم، قوله في الحجاج بن يوسف أبو وذحة وأمثال ذلك مما هو مشهور، ومن كانت له هذه الأوصاف فله في رسوخ الإيمان وقوية البصيرة في الدين ما لا يقايس به أحد من الناس مهما كان ونحن لسنا بصدده هذا المعنى فإن هذا المضمار لا تجري فيه إلا تلك السوابق وهذه الغاية لا تحرزها إلا تلك المذاكي وهذا الأمد لا تصله إلا تلك الجياد.

بل جلّ اهتمامنا بإثباتات البصيرة الكسبية التي تحصل من الاختبار والخلطة أو من ظواهر الأدلة السمعية ولو من جهة ظهور المعجز فإن هذه الأسباب لها الأثر التام في رسوخ العقيدة ونفوذ البصيرة، ويشهد للتبصر المسبب عن الخلطة والمعاصرة التي بسببيها يقوى الاعتقاد بصلاح الصالح وضلاله المضل ما قاله مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» لأصحابه الذين صاروا خوارج فيما بعد وقد أسترابوا بحمل أهل الشام المصاحف ورفعها على رؤوس الرماح يدعون حيلة ومكرًا إلى حكم القرآن وخديعة لضعفاء الإيمان والعقول من أهل العراق فأنخدع بها أهل الإيمان الصوري والديانة القشرية فقالوا: يا علي! أجبهم إلى حكم القرآن وإلا فارقناك، فقال: ويحكم يا أهل الجباه السود! قد كنا نظن أن صلاتكم عبادة، ويلكم إن معاوية وعمرو بن العاص والوليد وإن أبي سرح ومروان ليسوا بأصحاب دين ولا أهل قرآن قد صحبتهم رجالاً وأطفالاً فكانوا شر أطفال وشر رجال: أنا أعرف بهم منكم فلم يقنعوا.

ومن البصيرة التي سببها الاختبار هرب جماعة من أصحاب معاوية إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» وإنما قادتهم إليه البصيرة في الدين إذ هو لم يكن مثل معاوية يعطي الأموال يستميل بها قلوب الناس إليه حتى يقصد للطعم والرغبة في الدنيا فيقال: قصدوه للأطماء لأنه مشهور بحرمان الأشراف من أموال المسلمين وليس لهم عنده سوى أعطياتهم وحقوقهم ولو أعطى أحداً زائداً على حقه لأعطى عقيلاً أخيه فليس لحق من لحق به إلا لل بصيرة في الدين فإن الحق معه والنجاة في جانبه.

وقد تكون البصيرة بسبب إخبار الصادق كما هو شأن أهل الإيمان الذين تلقوا ذلك بعين صافية عن صادق كعمر بن ياسر ومقداد بن عمرو، وهذا النمط من أهل البصائر وقد يكون سبب البصيرة التواتر كالتبصر في حال يزيد بن معاوية ويزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد وأضرابهم.

وقد يكون سبب البصيرة أشتهر الشخص بالاستهانة بالدين وعدم المبالات به كما هو المشهور من حال معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان؛ فال الأول ينهى عن استعمال أواني الذهب ويقال له^(١): نهى عنها النبي ﷺ فيقول: أما أنا فلا أرى بذلك بأساً، فيقول له القائل: يا عجباً منك يا معاوية أخبرك بقول رسول الله ﷺ وتخبرني برأيك! لا أساكنك في بلد، والثاني منهمما يقول لسعيد بن المسيب: صرت أعمل الخير فلا أسر به وأعمل الشر فلا أساء به، فيقول له سعيد: الآن تكامل فيك موت القلب.

وقد يكون سبب البصيرة نقل من له الوثاقة فينقل الزندقة عن شخص كما نقل الثقة عن هشام بن عبد الملك وسروره بقول الشامي الزنديق: أنت خليفة الله ومحمد رسوله وخليفة الشخص أفضل من رسوله.

وهذه الطرق كلها تفيد العلم؛ أما التواتر فأمره ظاهر، وأما الشهرة فإلى التواتر ترجع حيث لا معارض لها، وأما خبر الثقة فلا حتفافه بالقرائن الحالية أو المقالية يفيد مفاد التواتر وإن تعري عن القرائن أفاد الظن القوي بالصدق بل يفيد العلم إذا خلّ عن المعارض، وأما خبر الصادق فهو أعلى الكل لأنّه مستند إلى أمر سماوي يكشف عن الأسرار لأن المنافق ربما تستر والفاشق ربما أستعان على فسقه بالكتمان وقد فضح القرآن المجيد منافقي أهل المدينة ونشر أعمالهم التي تستروا بها.

ومن هذا القبيل صح لعمر بن الخطاب وكان ولی حابس بن سعد الطائي بعض الولايات فجاءه يوماً فقال: رأيت كأن القمر جاء من المغرب في جميع عظيم وجاءت الشمس من المشرق في جمع عظيم فأقتلا، فقال له: مع من كنت أنت؟ قال: مع القمر، قال: مع الآية الممحوّة والله لا تلي لي عملاً فعزله فقتل مع معاوية بصفين؛ رواه الحلبي الشافعي وغيره.

ومن هذا الباب صح لعثمان أن يقول لابن الزبير وقد أشار عليه أن يلحق

(١) القائل له عبادة بن الصامت الانصاري.

بمكة ف قال عثمان : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يلحد بمكة كبش من قريش أسمه عبد الله عليه نصف عذاب أهل النار ، ظهر مصدق ذلك أخيراً لما ألح ابن الزبير بمكة وأستغوا طغاماً وأدعى الخلافة بزعم الوصية من عثمان ، ولما أنشب بالخلافة أظفاره و بعض عليها بنواجذ الحرص والجشع تكشفت سريرته وعرفت نيته فإنه قطع الصلاة على رسول الله ﷺ أربعين جمعة لم يذكره في خطبه ولم يصلّي عليه وجمع ذرية رسول الله ﷺ وأراد إحراقهم بالنار ، وتفصيل ذلك في ترجمته من كتابنا «الميزان الراجح» .

ومن التجارب والخلطة نفذت بصائر أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» وصحت عقائدهم في عدله وفضله وإن فارقه بعضهم لأمور دنيوية فقاموا في مجلس معاوية خصميه الكاشح وعدوه الألد فلم يرهبوا سطوطه ولا خافوا بطشه وهم في عاصمته بين أعوانه وجنوده مثل خالد بن المعمر السدوسي وضرار بن ضمرة الضباري والأحنف بن قيس وجارية بن قدامة التميميان والوليد بن جابر الطائي وطارق بن عبد الله النهدي وغيرهم من الرجال ، ومن النساء الزرقاء وأم عمارة وأمثالهما ممن ذكرنا أخبارهم وأخبارهن في «الميزان الراجح» .

معنى البصيرة لغة :

هي المعرفة عند أهل اللغة ، قال ابن الأثير في النهاية : على بصيرة أي على معرفة من أمركم ويقين .

وقال الفيروز آبادي في القاموس : وبصيرة عقيدة القلب والفتنة الخ .

معناها العامي :

العوام يتكلمون بها ولا يعرفون تفسيرها ولكننا نفسرها لهم فإننا نسمعهم يقولون : آل فلان عدهم بصيرة بكسر الصاد يعني رأي ومشورة ، ويقول بعضهم لمن يرتاب به : أوجب أبصرك يعني أوضح لك وأبينك لك ما تشک به ، ويقولون : فلان عنده بصيرة أيضاً بكسر الصاد يعني رأي دقيق مصيب .

معناها العقلي والشرعى :

تفسير القاموس يوافق معناها العقلي ، والمعنى الشرعي لل بصيرة هو الاعتقاد الراسخ والعقيدة الثابتة وهو مفاد العلم الحاصل من أحد الأسباب التي ذكرنا ، والمعنى الشرعي والعقلي لا يختلفان إلا كنسبة النور إلى أثره فإن النور ضياء محض أثره الاستضاءة فالعقيدة الصادقة تؤثر الرسوخ المعتبر عنه بالنور القلبي عند أهل العرفان .

قال الشريف الجرجاني في التعريفات^(١): البصيرة قوة للقلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس يرى بها صور الأشياء وظواهرها وهي التي يسميتها الحكماء العاقلة النظرية والقوة القدسية الخ.

وقال فخر الدين الطريحي (رحمه الله) في مجمع البحرين^(٢) في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَّتِّكُمْ﴾^(٣) أي حجة مبينة وأحدها بصيرة وهي الدلالة يستبصر بها الشيء على ما هو به وهو نور القلب كما أن البصر نور العين سميت بها للدلالة لأنها تجلّى القلب ويبصر بها، إنتهى.

إن للقلب عيون نورانية أنفذ شعاعاً من شعاع البصر ولها وصفها الله تعالى بالعمى حيث قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَقْنَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٤) وقال الشاعر:

قلوب العاشقين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرون
وقال عبد الله الانصارى في منازل السائرين: قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلٌ أَذْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(٥) البصيرة ما يخلصك من الحيرة، إنتهى.
وكلامه هذا يدل عليه كثير من الآثار منها ما ذكره نصر بن مزاحم في كتاب صفين^(٦): خرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران البراءة واللعنة من أهل الشام، فأرسل إليهما علي «عليه السلام» أن كفا عما يبلغني عنكم، فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين! أنسنا محقين؟ قال: بلى، قال: ففيما منعت من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعاني شتامين تستمدون وتبزون ولكن لو وصفتم مساوي أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا ومن عملهم كذا وكذا كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقلتم مكان لعنكم إياهم وبرائتكم منهم: اللهم أحقن دمائنا ودمائهم وأصلح ذات بیننا وبينهم وأهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لج فيه كان هذا أحب إلى وخيراً لكم، فقالا: يا أمير المؤمنين! نقبل عظتك ونتأدب بأدبك.

وقال عمرو بن الحمق: إني والله يا أمير المؤمنين ما أجبتك ولا بايتك على قرابة بينك ولا إرادة مال تؤتنيه ولا التماس سلطان ترفع به ذكري ولكنني أحببتك لخصال خمس: إنك ابن عم رسول الله ﷺ، وأول من آمن به، وزوج

(٢) مجمع البحرين: ص ٢٥٦ طبع تبريز.

(١) التعريفات: ص ٣١.

(٤) الأنعام: ١٠٤.

(٦) وقعة صفين: ص ٥٥ طبع إيران.

(٣) الحج: ٤٦.

(٥) يوسف: ١٠٨.

سيدة نساء العالمين فاطمة، وأبو الذرية التي بقىت فينا من رسول الله ﷺ، وأعظم رجل من المهاجرين سهّماً في الجهاد، ولو أني كُلّفت نقل الجبال الرواسي أو نزح البحور الطوامي حتى يأتي عليّ يومي في أمر أقوى به وليك وأوهن به عدوك ما رأيت أني قد أتيت كل الذي يحق عليّ من حشك.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: اللهم نور قلبك بالتفى واهده إلى صراط مستقيم ليت في جندي مائة مثلك.

فقال حجر (رحمه الله): إذن والله يا أمير المؤمنين صح جندك وقل فيهم من يغشك، ثم قام حجر بن عدي وقال: يا أمير المؤمنين! نحن بنو الحرب وأهلها نلتحها ونتتجها قد مارستنا وما رساناها ولنا أعون ذروا صلاح وعشيرة ذات عدد ورأي مغرب وبأس محمود وأزمتنا منقادة لك بالسمع والطاعة فإن شرقت شرقنا وإن غربت غربنا وما أمرتنا به من أمر فعلناه.

فقال له علي «عليه السلام»: أكل قومك يرى مثل رأيك؟

فقال: ما رأيت منهم إلا حسناً وهذه يدي عنهم بالسمع ولا طاعة وبحسن الإجابة.

فقال له علي «عليه السلام»: خيراً، إنتهى.

وذكر قصة الذين بعثهم أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى معاوية ليدعونه إلى طاعته وهم عدي بن حاتم ويزيد بن قيس وشبيث بن رباعي وزياد بن خصفة وساق القصة قال فيها: فلما رجعوا من عند معاوية بعث إلى زياد بن خصفة التيمي فدخل عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أخا ربعة فإن علياً قطع أرحاماً وقتل إمامنا وأوى قتلة صاحبنا وإنني أسألك النصرة عليه بأسرتك وعشيرتك ولك عليّ عهد الله وميثاقه إن ظهرت أن أوليك أي المصريين أحبت.

قال أبو المجاهد: سمعت زياد بن خصفة يحدث بهذا الحديث قال: فلما قضى معاوية كلامه حمدت الله وأثنى عليه ثم قلت له: أما بعد، فإبني لعلى بينة من ربي وبما أنعم عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين.

فقال معاوية لعمرو بن العاص وكان إلى جانبه جالساً: ليس يتكلم رجل منهم بكلمة ما لهم عضبهم الله ما قلوبهم إلا قلب رجل واحد، القصة^(١).

وقال نصر^(٢): خرج ابن مقيدة الحمار الأسدية وهو مع أهل الشام وكان في

(٢) وقعة صفين: ص ١٤١.

(١) وقعة صفين: ص ١٠٣.

الناس ردد بشر بن عصمة وهو الثاني في الناس فنادى، ألا من مبارز؟ فأحجم الناس عنه فقام المقطع العامري وكان شيخاً كبيراً فقال له علي «عليه السلام»: أقعد فإنك شيخ كبير - وليس معه من رهطه أحد غيره - ما كنت لأقدمك، ثم إنه نادى ابن مقيدة الحمار ثانية: ألا من مبارز؟ فقام المقطع فأجلسه علي «عليه السلام» أيضاً، ثم نادى الثالث: ألا من مبارز؟ فقام المقطع وقال: يا أمير المؤمنين! والله لا تردني فإما أن يقتلني فأتعجل الجنة وأستريح من الحياة الدنيا في الكبر والهرم وإما أقتله فأريحك منه.

قال له علي «عليه السلام»: ما أسمك؟ فقال: أنا المقطع قد كنت أدعى هشيمأ فأصابتني جراحة فسميت مقطعاً منها، فقال له: أخرج اللهم أنصره، فحمل عليه المقطع فأجهش ابن مقيدة الحمار وكان ذكياً مجرباً فلم يجد شيئاً خيراً من الهرب فهرب حتى مر بمضارب معاوية والمقطع على أثره فجاز معاوية فناداه معاوية: لقد شخص بك العراقي، قال: لقد فعل ثم رجع المقطع حتى وقف موقعه فلما كان عام الجمعة وبايع الناس معاوية سأله عن المقطع العامري حتى نزل عليه فدخل عليه فإذا هو شيخ كبير فلما رأه قال: أوه لو علمت أنك في هذه الحال ما أفلتي.

قال: نشدتك الله إلا قلت وأرحت من بؤس الحياة وأدنتي إلى لقاء الله.

قال: إني لا أقتلكولي إليك حاجة.

قال: وما حاجتك؟ قال: جئت لأواخيك.

قال: إننا وإياكم قد افترقنا في الله، أما أنا فأكون على حالي حتى يجمع الله بيننا في الآخرة.

قال: فزو جني ابنتك.

قال: قد منعتك ما هو أيسر على من ذلك.

قال: فأقبل مني صلة.

قال: لا حاجة لي فيما قبلك، فتركه ولم يقبل منه شيئاً، إنتهى.

وهذا الكتاب منعم بأمثال هذه القصص ومنها قصة عمار بن ياسر مع ذي الكلاع وعمرو بن العاص فراجعها^(١).

درجات البصيرة

لل بصيرة درجات و مراتب كثيرة حصرها بعضهم في ثلات درجات.

قال عبد الله الأنصاري في منازل السائرين^(١): وهي على ثلات درجات:
الأولى: أن تعلم الخير القائم بتمهيد الشريعة يصدر عن عين إلا تخاف عواقبها فترى من حقه أن تلذ له يقيناً وتغضب له غيرة.

قال الكاشاني في شرحه: الخير القائم: بتمهيد الشريعة هو ما أخبر به رسول الله ﷺ فإن مطلق خبره هو الممهد للدين القويم والشريعة الحقة فينبغي لك أن تتحقق بنور بصيرتك إنه إنما صدر عن عين أي ذات صادقة لا تخبر إلا عن عيان ولا تكلم إلا بما هو الحق المطابق لما في نفس الأمر فيكون عاقبة أتباعها الخير والسلامة والنجاة والسعادة فهي محمودة ومأمونة فلا تخاف عواقبها إذ لا غائلة لها أصلاً بل الغائلة في ترك أتباعها ومخالفتها فترى من ذلك الخير عليك أن تلذه بحسن القبول.

قال الأنصاري: الدرجة الثانية: أن تشهد في هداية الحق وإضلالة إصابة العدل وفي تلوين أقسامه رعاية البر وتعاون في جذبه حبل الوصال.

وقال الكاشاني في شرحه: يعني أن تشاهد بنور البصيرة بعد علمك أن الهدایة والإضلالة كليهما من الله في أنه في إضلالة من أضلله عادل كما في هداية من هداه، ولا جور في إضلالة^(٢) من أضلله، ولا محاباة في هداية من هداه وقد فعل بكل واحد منهما ما اقتضاه غيبه وما هو لائق به، ولا يطلع على ذلك إلا بالكشف والأطلاع على سر القدر وأحوال الأعيان الثابتة في العدم أولاً.

إلى أن قال في تلوين أقسامه: رعاية البر يعني وأن تشهد في اختلاف أقسام الرزق وتوسيعه على من وسعه عليه وتضييقه على من ضيقه عليه إنه تعالى راعى مصلحتهما في ذلك وإنه بار بالمعسر في تضييق الرزق عليه كما أنه بار بالموسر في التوسيع عليه وإن الفقر لا يصلح له إلا الفقر وإن الغنى لا يصلح له إلا الغنى الخ.

قال الأنصاري: الدرجة الثالثة: بصيرة تفجر المعرفة وتثبت الإشارة وتنبت الفراسة.

(١) منازل السائرين: ص ١٤٥.

(٢) هذا على عقيدة المجبرة أعادنا الله من ذلك.

قال الكاشاني في شرحه: إنما قال تفجر المعرفة لأن المعرفة لا تكون إلا موهبة من الله تعالى ولا تحصل بالكسب والبصيرة كاسبة له في العالم العلوي بالعيان والشهود من الحقائق والمعارف، نافذة في الغيب إلى الأفق الأعلى فتشهد ما هناك.

إلى أن قال: وتنبت الإشارة يعني إن الحقيقة ألطاف من أن يعبر عنها بعبارات أو تعرف بعلم.

ثم قال: فالبصيرة إذا بلغت هذا الحد أنبتت الإشارة وأنبتت الفراسة، ولما شبه المعرفة بالماء الجاري على وجه الأرض شبه الفراسة بالنبات فإنها تظهر في أرض القلب الظاهر الصافي عن أكدار التعلق بالأكونات الباقي على الفطرة الأصلية فإن جميع قلوببني آدم في الأصل قابلة للفراسة بحسب الفطرة لكنها قد أقبلت على الدنيا وأشتغلت بذلك وشهواتها وأعرضت عن عبادة الله تعالى وذكره وشرعت في معاصيه وأكبرت الحرام وأكثرت الفضول والمنام فاظلمت وصارت في أكنة وارتكم الرين عليها كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١) فمن وفقه الله لتزكية نفسه وتصفية قلبه بالزهد والعبادة وظهر قلبه عن دنس هذه التعلقات وأخلصه من هذه الظلمات فجر فيه المعرفة وأنبت فيه الفراسة وأظهر فيه الحكم كما قال النبي ﷺ: من أخلص الله أربعين صباحاً ظهرت بناية الحكمة من قبله على لسانه الخ.

وهذا مسلك روحي وطريقة عرفانية ويخلص من فحوى الأحكام الشرعية على مسلك أهل الشرع وطريقة المترسعة هكذا:

الدرجة الأولى: أن تحصل للمؤمن من مشاهدة المعجزة وإخبارات الصادقين قوة يطمئن بها بصحة هذا الدين.

الدرجة الثانية: أن تحصل له ملكرة من مشاهدة ما ذكرنا ومطالعة ما في الكون من الدلائل على صحة ما جاءت به الأخبار الصادقة والمعجزات الباهرة من أن هذا الدين هو دين الحق وفي الاعتصام به النجاة وفي القرآن المجيد كثير من الآيات الآمرة بهذا الاعتبار والتفكير في هذا النظام البديع وكذلك الأحاديث وخصوصاً خطب مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» مثل قوله: لو فكروا في عظيم القدرة، الخطبة بطولها. قال الشاعر:

ورق الغصون إذا نظرت دفاتر مشحونة بأدلة التوحيد

(١) المطففين: ١٤.

إيمان العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» وبصيرته

هو فيهما في درجة أهل بيته لأنه «عليه السلام» قد جمع كل هذه الأسباب الموجبة لنفذ البصيرة من الأخبار الصادقة عن الأئمة الطاهرين كأبيه وأخويه السيدين الحسن والحسين «عليهما السلام» ومشاهدة المعجزة والتفكير في صحيفة الوجود وصفاء النفس والكشف، فقد صح أن أصحاب الحسين «عليه السلام» كشف لهم وليس وراء عبادان قرية، يشهد له الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» فيما رواه السيد الداودي وغيره ولفظه في عمدة الطالب^(١): قال الصادق جعفر بن محمد «عليهما السلام»: كان عمنا العباس بن علي «عليهما السلام» نافذ بصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله «عليه السلام» وأبلى بلاء حسناً ومضى شهيداً، ودم العباس «عليه السلام» في بني حنفة، إنتهى.

وقوله «عليه السلام» في زيارته التي رواها ابن قولويه في كامل الزيارة: «أشهد أنك لم تهن ولم تنكل وأشهد أنك مضيت على بصيرة من دينك مقتدياً بالصالحين ومتبعاً للنبيين» الخ.

للمؤلف:

إيمان شبل علي ظاهر الأثر للنااظرين كما قد جاء في الخبر
 بأنه صلب إيمان بصيرته
 في الدين نافذة أكرم بخير سري
 بعد الأئمة والسدادات للبشر
 مقدم في سبيل الخبر ذا أثر
 بعد النبي المعلى خيرة الخير
 علىبني يعرب إذ كان من مضر
 علي لا خالد الجبار ذو البطر
 وذاك عن هبل حامي بلا نكر
 بكاشف الكرب بالصمصامة الذكر
 من خالد رأس أهل الكفر واعتبر
 بالغاضرية فيه خير مفتخر

فدى الحسين بنفس لا مثيل لها
 مطهر النفس من عيب يدنسها
 أبوه أكرم خلق الله قاطبة
 به افتخار ببني عدنان قاطبة
 فخرعروبة لا شك بخالطه
 هذا مع المصطفى يحمي شريعته
 كان الوصي يسمى في وقائمه
 سل يوم بدر وأحد أين موقفه
 وشبله السيد العباس موقفه

(١) عمدة الطالب: ص ٣٢٣ الطبعة الأولى.

فياله موقف تبقى فضائله
ما دام يمشي على الغبراء من بشر
وراحل لجنان الخلد جهز من
جند ابن ميسون آلافاً إلى سقر
لولا الكمرين الذي أردى بساعده
لم يبقى حياً يحمي فقط عن عمر
برى الكمرين يديه والعدى احتواش السغب للجزر
ذاك الكممي احتواش السغب للجزر

آداب الحجاس الأكبر «عليه السلام»

أنواع الأدب ومعناها وأقسامها

لكل طائفة من طوائف الإسلام وفرقهم أصطلاح خاص في الأدب وبهذا يتسع الأدب إلى أنواع ثلاثة:

أدب عربي ويطلق في مصطلح أهل اللسان على جميع العلوم المأخوذة عن قدماء العرب التي هي لسانهم كاللغة والنحو والصرف والأشتقاق والمعاني والبيان والبديع وأوزان الشعر وأمثالها، وقد يطلق الأدب ويراد به ديوان العرب وهو الشعر والقوافي خاصة وهذه العلوم تكون داخلة فيه لأنه بها يسمى شرعاً، وإطلاق الأدب على الشعر لفظ مولد فيما قاله الخفاجي في شفاء الغليل.

وأدب شرعي وهو مصطلح المتشرعة من علماء الدين عبارة عن الأخذ بالفرائض والسنن الثابتة في الشريعة النبوية والمأثورة عن أئمة أهل البيت «عليهم السلام» وتهذيب النفس عن رذائل الأخلاق التي نهى عنها الشارع كما في وصية النبي ﷺ لأمير المؤمنين «عليه السلام» ولأبي ذر الغفاري، ووصيه أمير المؤمنين «عليه السلام» لولديه الحسن الزكي ومحمد بن الحنفية وأمثال ذلك وتثقيف النفس بمحاسن الصفات التي ندب الشارع المقدس إليها ويجمع هذه الأدب أمران: فعل ما رغب فيه، وترك ما نهى عنه.

وأدب عرفاني: وأهل العرفان قسمان: قسم هم أهل الطريقة وهم أرباب التصوف والتقطيف التصنيعي ومسلكهم وعر في الأدب بحمل المريد على طريقتهم في أمور أبتدعواها أكثرها موافقة لمذاهب أهل الحلول من صوفية الفلاسفة وتناصحيتهم ويزعمون أنها ثبتت لديهم بطريق الكشف والشهود.

وقسم هم أهل الحقيقة وهم النساك وأهل الزهد حقيقة والمتورعون الأتقياء لم يسلكوا مسالك الصوفية ولم يتخذوا التقطيف طريقة ولم يزعموا أن الغيبة والشهاد أحوالاً بل مسلكهم أقتداء طريقة الشارع المقدس وأقتباسهم التهذيب النفسي من شريعة سيد المرسلين فالآداب عندهم ما جاءت به الشريعة المحمدية

ورجحه وأستحسن العقل السليم كترك ما لا يعنيه من الفضول قولًا وفعلاً وتحمل ما يقدر عليه تكليفاً وأجتناب ما لا يجوز شرعاً ويقع عقلاً، فهذه الطريقة العرفانية من هذا الوجه تتفق مع الأدب الشرعي، ومن فسره إنما فسره على الطريقة الأولى فلذلك أفترق عن الأدب الشرعي.

معنى الأدب في اللغة

قال الفيروزآبادي في القاموس: الأدب محركة الطريق وحسن التناول، أدب كحسن أدباً فهو أديب وأدبته كعلمه فتأدب وأستأدب الخ، وهذا المعنى هو المتداول عند العوام تجدهم يقولون للواقع الجريء والبذيء المتفحش: تأدب واستأدب، ويوصون الصغير والعامي فيقولون: تأدب مع الكبير ومع العالم أي ألزم ناحيته في الهدوء والسكون والكلام الم محمود وفي الجلوس وأمثالها.

قال الفيومي في المصباح المنير: أدبته أدباً من باب ضرب علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق.

وقال أبو زيد الأنصاري: الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل.

وقال الأزهرى نحوه والأدب إسم لذلك والجمع آداب.

وقال الجوالىقي في شرح أدب الكاتب^(١): فالآدب الذي كانت العرب تعرفه هو ما يحسن من الأخلاق و فعل المكارم مثل ترك السفة وبذل المجهود وحسن اللقاء.

وقال الغنوبي شعراً:

لم يمنع الناس مني ما أردت ولا أعطيهموا ما أرادوا حسن ذا أدبا
كانه ينكر على نفسه أن يعطيه الناس ولا يعطيهم وأصطلاح الناس بعد الإسلام بمدة طويلة أن يسموا العالم بالنحو والشعر وعلوم العرب أدبياً ويسمون هذه العلوم أدبياً وذلك كلام مولو لأن هذه العلوم حديثة في الإسلام فأشتقاقه من شيئاً يجوز أن يكون من الأدب وهو العجب ومن الأدب مصدر قوله لك أدب فلان القوم يؤذبهم أدبياً إذا دعاهم، قال طرفه:
نحن في المشتاة ندعوا الجفلى لا ترى الأدب فيينا ينتصر

(١) شرح أدب الكاتب: ص ١٣.

فإذا كان من الأدب الذي هو العجب فكأنه الشيء الذي يعجب منه لحسنـه ولأن صاحبه الرجل الذي يعجب منه لفضله، وإن كان من الأدب الذي هو الدعاء فكأنه الشيء الذي يدعو الناس إلى المhammad والفضل وينهاهم عن القبائح، والفعل منه: أدبت أدباً حسناً وأنا أديب، إنتهى.

وقال الخفاجي في شفاء الغليل^(١): وقال الإمام المطرزي: الذي كانت العرب تعرفه إنما هو ما يحسن من الأخلاق و فعل المكارم، وذكر مثلاً قال الجواليلي.

وقال أحمد البربرير في الشرح الجلي^(٢): إعلم أن الأدب قسمان: أدب نفس وأدب درس؛ فأدب الدرس عبارة عن تعلم علوم جملتها اثنى عشر علمًا، وهي: اللغة، والاشتقاق، والتصريف، والنحو، وعلم قرض الشعر، وعلم المعاني، وعلم البيان وفن البديع، وعلم الإنشاء، وعلم الخط والعروض والقوافي؛ فمن أحاط بها أو بعضها قيل له: أديب درس.

وأما أدب النفس فهو رياضة النفس وحسن الأخلاق، قال أبو زيد: الأدب يقع على كل رياضة محمودة خرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل، قلت: وعلى هذا التعريف يكون الأدب علمًا على كل خلق محمود وإسمًا جامعاً لمحاسن الأقوال والأفعال ومكارم الأخلاق ولذا عرفه بعضهم بقوله: هو أستعمال ما يحمد قولهً وفعلاً، وأشتقاقه من الأدب كالضرب وهو مصدر قولك: أدبه يؤدبه أدباً كضربه إذا دعاه إلى طعامه وذلك لأن الأديب يدعو الناس إلى المhammad والمحاسن من الأخلاق وينهاهم عن القبائح والمساوي التي تكون سبباً للشقاق والنفاق والفرق ويدعوهم لحمده الثناء عليه فإن الأديب تحبه الناس حتى أعداؤه والخالي من الأدب تكرهه الناس حتى والده وأولاده ونساؤه، الخ.

وفي كلامه نظر حيث عد هذه العلوم من أدب الدرس وهذا خطأ محضر فإن هذه العلوم من أدب النفس كتهذيب الأخلاق غاية ما يقال أن أدب النفس منه ما يكون بأكتساب وتحصيل كالعلم ومنه ما يكون برياضة وتهذيب كغير ما يكون خلقاً طبيعياً للنفس.

وأما أدب الدرس فهو عبارة عن آداب التعليم للمعلمين والمتعلمين ومعناه المنهج الدراسي والبرنامج العلمي الذي يلزم السير عليه في تحصيل المعارف وما

(٢) الشرح الجلي: ص ١٤١.

(١) شفاء الغليل: ص ٣٣.

ينبغي للتلמיד في مقابلة الأستاذ وما ينبغي للمعلم في تعليم التلميذ والسلوك معه وقد ألف فيه العلماء القدماء كتبًا فبعضهم سماها آداب المعلمين والمتعلمين، وبعضهم سماها آداب المفید والمستفید، ومن هؤلاء الشيخ الشهيد الثاني من فقهائنا «رضوان الله عليه»، ومن جملة تلك الآداب أن لا يرفع صوته على المعلم، ولا يرد عليه، ولا يمزح بين يديه إلى آخر ما ذكروه، وأما أهل العصر فمؤلفاتهم فيه كثيرة ولسنا بصدده ضبط ذلك.

وأخطئ أيضًا في جعله الأديب معلماً للناس محاسن الأخلاق وهذا خطأ واضح جداً من حيث أن كثيراً من الأدباء علموا الناس رذائل الأخلاق، ولما سمع حاتم الطائي قول المتلمس الضبيعي:

وحفظ المال أحسن من بغاء وطوف في البلاد بغير زاد
قال: ما له قطع الله لسانه يعلم الناس البخل؟! وهذا الحطيئة العبسى وأبو النجم العجلى وأبو دلامة وغيرهم من ساقطي النفوس قد علموا الناس الشر، فهل من محاسن الأخلاق قول القائل:

أوصيت من برة قلباً براً بالكلب خيراً والحمامة شراً
إلى أن يقول في هذه التوصية الشريرة:

والحي عميهم بشر طرا

أم من الدعاء إلى محاسن الأخلاق قول الآخر:

إياك والعفة إياك إياك أن تفسد معناك
أنت بخير يا أبا جعفر ما دمت صلب الأير نياك
فنك ولو أمرك وأصفع ولو أباك إن لامك في ذاك
هذا وأمثاله يوجد بكثرة عند أهل الأدب.

وأخطئ ثالثة يجعله الأديب يدعو الناس لحمده والثناء عليه وهذا أفسد شيء ادعاه مدع، كيف يكون محبوباً عند الناس من تخاف غائلة لسانه سينا والشاعر لا يمنعه الإحسان عن الإساءة فقد هجى الحطيئة الزبر فأن بعد إحسانه إليه والمتلمس الضبيعي وظرفة بن العبد نادما عمرو بن هند ملك الحيرة وأكرمهما فهجياء حتى قال طرفه:

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثاً حول قبتنا تدور
فقتل طرفه وهرب المتلمس، وهذا النابغة الذهبياني والمنتخل اليشكري وهما

نديما النعمان بن المنذر وأكرم الناس عليه وصفا زوجته المتجردة بكل قبيح فاراد قلتها فقتل اليشكري وهرب الذبياني .

قال محمد بن خلف المرزبان في كتاب فضل الكلاب على كثير من لبس الثياب^(١): هجى أبو سماعة المعيطي خالد بن برمك وكان إليه محسناً فلما ولـي يحيى الوزارة دخل إليه أبو سماعة فيمن دخل من المهنئين فقال: أنسدني الآيات التي قلتـها ، فقال: ما هي؟ قال: قولك:

زرت يحيى وحالداً مخلصاً الله ديني فأستصغرـا بعض شأنـي
فلو إني أـلـحدـتـ في الله يومـاً أو لو أـنـي عـبـدـتـ ما يـعـبدـانـ
ما استخـفاـ فيما أـظـنـ بشـأنـيـ ولا صـبـحـتـ منـهـماـ بمـكانـ

قال أبو سماعة: لم أعرف هذا الشعر ولا من قالـهـ ، قالـ يـحيـيـ: ما تـمـلكـ صـدـقـةـ إنـ كـنـتـ تـعـرـفـ مـنـ قـالـهـ ، فـحـلـفـ ، فـقـالـ لـهـ يـحيـيـ: أـمـرـأـتـكـ طـالـقـ ، فـحـلـفـ ، فـأـقـبـلـ يـحيـيـ عـلـىـ الغـسـانـيـ وـمـنـصـورـ بـنـ زـيـادـ وـالـأـشـعـثـيـ وـمـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ الـعـبـدـيـ وـكـانـواـ حـضـورـاـ فـيـ المـجـلـسـ ، فـقـالـ: مـاـ أـحـسـبـنـاـ إـلـاـ وـقـدـ أـحـتـجـنـاـ أـنـ نـجـدـ لـأـبـيـ سـمـاعـةـ مـنـزـلـاـ وـآلـةـ وـحـرـمـاـ وـأـمـتـاعـاـ ، يـاـ غـلامـ!ـ إـدـفـعـ لـهـ عـشـرـةـ آلـافـ درـهـمـ وـتـخـتـاـ فـيـ عـشـرـةـ أـثـوـابـ ، فـدـفـعـ إـلـيـهـ ، فـلـمـ يـخـتـشـ بـظـفـرـ وـلـمـ يـوـجـدـ لـهـ إـنـ عـضـ نـابـ رـمـىـ فـيـهـ الـغـمـيـزةـ مـنـ بـغـاهـاـ وـذـلـلـ مـنـ فـرـاءـتـهـ الصـعـابـ

فـقـالـ أـبـوـ سـمـاعـةـ: كـلـاـ أـيـهـاـ الـوـزـيـرـ وـلـكـنـ كـمـاـ قـالـ:

لـمـ يـبـلـغـ الـمـجـدـ أـقـوـامـ وـإـنـ شـرـفـواـ حـتـىـ يـذـلـواـ وـإـنـ عـزـواـ لـأـقـوـامـ وـيـشـتـمـواـ فـتـرـىـ الـأـلـوـانـ مـسـفـرـةـ لـأـصـفـحـ ذـلـ وـلـكـنـ صـفـحـ أـحـلـامـ فـتـبـسـمـ يـحيـيـ وـقـالـ: إـنـاـ عـذـرـنـاـكـ وـعـلـمـنـاـ أـنـكـ لـنـ تـدـعـ مـساـوـيـ شـتـمـكـ وـلـؤـمـ طـبـعـكـ فـلـاـ أـعـدـمـكـ اللـهـ مـاـ جـبـلـكـ اللـهـ عـلـيـهـ مـنـ مـذـمـومـ أـخـلـاقـكـ ، فـمـاـ تـمـثـلـ:

متى لم تتسع أخلاق قوم يضيق بهم الفسح من البلاد
إذا ما المرء لم يخلق لبيباً فليس اللب من قدم البلاد
ثم قال: هو والله ما قال عمر بن الخطاب: المؤمن لا يشفى غيظه، ثم إن
أبا سماعة هجى بعد ذلك سليمان بن عفر وكان إليه محسناً، فأمر به الرشيد فحلق
رأسه ولحيته، ومثل أبي سماعة كثير، إنتهى.

فبأي وجه يجتذب هؤلاء وأمثالهم الناس إلى محبتهم والثناء عليهم؟ وهل
إظهار محبتهم إلا رهبة من قذعهم وفحشهم؟ نعم الأديب الذي يمتحنه الناس
ويشنون عليه هو من أدبته الشريعة المحمدية بأخلاقها المرضية.

معنى الأدب العقلي العرفاني

قال الجرجاني في التعريفات^(١): الأدب عبارة من معرفة ما يحترز به عن
جميع أنواع الخطأ، إنتهى.

وقال عبد الرزاق الكاشاني في شرح منازل السائرين^(٢): حدود الله هي
الأحكام الشرعية والأدب كله على محافظتها بحيث لا يجري عليها شيء لا يسوغه
الشرع ولا أذن فيه لا على جوارحه ولا على لسانه ولا على قلبه ولا يخطر له ببال
إلا مع الاستغفار لعلمه أن الله على كل شيء رقيب.

قال عبد الله الأنصاري في منازل السائرين: الأدب حفظ الحد بين الغلو
والجفاء لمعرفة ضرر العداون.

قال الكاشاني في شرحه: يعني حفظ الحدود المحدودة في الشرع مع الحق
والخلق من غير الزيادة فيقع في الغلو، ولا في النقصان فيقع في الجفاء كما فعلت
النصارى في إكرامهم المسيح فإنهم أفرطوا في إكرامه وإطرائه حتى كفروا ولهذا
قال النبي ﷺ: لا تطروني كما أطربت النصارى المسيح بن مريم ولكن قولوا عبد
الله رسوله.

وكما فعلت النصيرية في إطراء أمير المؤمنين «عليه السلام» ويدخل فيه
الإسرافات المذمومة في الوضوء والغسل والنية وسائر الأمور الشرعية، قال الله
تعالى: ﴿يَأَمِّلَ الْكِتَبِ لَا تَقْلُو فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾^(٣).

(١) شرح منازل السائرين: ص ١١٩.

(٢) التعريفات: ص ٨.

(٣) النساء: ١٧١.

وأما الجفاء فكما يفعل بعض الخلفاء التاركين الفرائض المهملين الآداب فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين عباد الله من الجرأة على الله في أحكامه وترك حقوق الناس وتضييعها وهتك حرماتهم وأعراضهم كالتنابز بالألقاب وارتكاب السوق والعصيان والمزاح المنهي عنه شرعاً الخ.

وهذا الشارح لما كان شيعياً سلك مسلك أهل الحقيقة وترك مسلك أهل الطريقة والمبتدعين من الصوفية حسبما أشرنا إليه فيما مضى من اختراعهم طريقة الحادية حلولية وزندقة مشبعة بالتناصح توجب إبطال الشرائع الإلهية مما فرضوا على المريد من تكاليف شاقة وأباحوا له محرمات صرح الشرع بحرمتها كالغناء والرقص ومقارفة الكبائر من الفواحش ليتوب ويشتد وجده عند ذكرها، ويذهب به التوارد إلى الإغراق وأمثال هذه العقائد الماحقة للشرع المقدس وسموها آداباً، ولكن مسلك أهل الحقيقة وهم الزهاد الورعون هو هذا الذي ذكره الكاشاني.

فحقيقة الأدب العرفاني والروحاني حقيقة واحدة وهي حمل النفس على فعل المشروعات الدينية والتخلق بالأخلاق الشرعية ورفض ما ورد الزجر عنه في شريعة سيد الأنبياء محمد ﷺ وقد عرفت أن العوام تعرف معنى الأدب وهو لزوم الستم الحسن والطريقة المرضية من الهدوء والسكينة والتخلق بالأخلاق الحميدة ولذلك يقولون في أمثالهم بلغتهم الدارجة «يا غريب كون أديب» وذلك لأن الغربة نقص وذل والتخلق بمكارم الأخلاق يجبر ذلك النقص ويسد ذلك الخلل وكذلك يقولون في التخاطب بينهم إذا رأوا طفلاً بذئباً جريئاً: يافلان يدب أبنك يعني أدبه والزمه الأدب بأحترام الكبار وذوي الأقدار ولعلهم سمعوا الحديث المشهور في تربية الصغار «أدب ولدك صغيراً ينفعك كثيراً» فإن هذا الأدب يكسر سورة حدته ويکبح جماح طيشه ولهذا لا يرى الفقهاء بضرب التأديب بأساً.

أما المتمدنون من أهل عصرنا فقد خصوا الأدب بالشعر ونعتوا الشاعر الأديب وهذا كما عرفت أصطلاح حادث وليس بقديم، قال الشاعر:
ولي أدب يطير إلى الثريا وحظ واقع بثرى الحضيض
وقال آخر:

صبغ الله أوجه البيض والصف رب حظ الذي يكون أديباً

إلى ما حصله الشخص من الآداب الروحانية الدينية على حسب قوة الاستعداد للقبول وقوة الملكة الحاصلة من الممارسة وهي كثيرة بالنسبة إلى القوة والضعف كمراقي السلم، وأقتصر الخواجہ عبد الله الأنصاري على ثلاثة فقال في منازل السائرين^(١): وهو على ثلاثة درجات:

الدرجة الأولى: منع الخوف أن يتعدى إلى اليأس، وحبس الرجاء أن يخرج إلى الأمان، وضربي السرور أن يضاهي الجرأة.

قال الكاشاني في الشرح: الرجاء والخوف متقابلان فيجب أن يكون فيما كما جاء في الحديث: لو وزن خوف المؤمن ورجائه لاعتدلا، فإن رجع الخوف تعدى إلى اليأس من رحمة الله نعوذ بالله فلذلك يجب منع الخوف الذي يؤدي إلى اليأس، فإن إلياس من رحمة الله سوء أدب مع الحق، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢)، وقال: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٣) وقال: «سبقت رحمتي غضبي»، فصاحب اليأس قد تعدى حدود الله فقد ظلم نفسه وإن رجع الرجاء أدى إلى الأمان قبل الوقت وهو الأمان من مكر الله، قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمْنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمُنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّمِينُونَ﴾^(٤) وهو في حال السلوك والبداية، وأما في حال الولاية والنهاية: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا وَهُمْ مُهَنَّدُونَ﴾^(٥) فلذلك يجب حبس الرجاء أن يخرج إلى الأمان فإنه أيضاً سوء أدب وتعدي الحدود لكن لا كاليأس فإنه قال: «أنا عند ظن عبدي المؤمن» الخ.

قال الأنصاري: **الدرجة الثانية:** الخروج من الخوف إلى ميدان القبض والصعود من الرجاء إلى ميدان البسط والترقي من السرور إلى ميدان المشاهدة.

قال الكاشاني في الشرح: الخوف والرجاء كلاهما من صفات النفس والقبض والبسط من صفات القلب فهما أصلاهما، والخوف والرجاء فرعاهما ولذا قيل: القلب في مقام الخوف والرجاء بين لمتى الملك والشيطان وفي القبض والبسط بين إصبعين من أصابع الرحمن فالسالك إذا أرتقى إلى مقام القلب خرج عن ضيق الخوف إلى فضاء القبض وصعد من هوة الرجاء إلى ربوة البسط وترقى عن السرور بالكشف إلى سعة المشاهدة ومن نور التجلی إلى ضياء العيان.

(١) منازل السائرين: ص ١٢٠. ١٥٦.

(٢) الأعراف: ٥٣.

(٣) الأعراف: ٩٩.

(٤) الأعراف: ٨٢.

(٥) الأنعام: ٨٢.

قال الأنباري: الدرجة الثالثة: معرفة الأدب ثم الغنى من التأديب بتأديب الحق ثم الخلاص من شهوة أعباء الأدب.

قال الكاشاني في الشرح: معرفة الأدب في كل واحد من درجاته الثلاثة بحصوله في الدرجة الثالثة ووقفه بالتعريف الإلهي على حقيقة الأدب في كل مقام من المقامات ثم الغنى عن الأدب نفسه بشهود^(١) المؤدب الحقيقي الذي هو الحق فيغيب عن نفسه وأدبه فلا ينسب الأدب إلا إلى الذي أقامه في مقام الأدب وتخلص عن علمه الأدب بفناء أدبه في أدب الحق ثم الخلاص عن شهود أعباء الأدب أي انتقاله لفنائه عن رسمه في شهود الحقيقة وأستغراقه في حضرة التجمع الذي غيبه عن الأدب عين الأدب فمضى عن شهود الأدب أصلاً ورأساً فضلاً عن شهود الأدب وتكليفه فإنها تترتب على وجوده الذي تلاشى فلم يبقى منه عين ولا أثر، إنتهى.

هذه الدرجات مستخرجة على ذوق أهل العرفان ولا مصدق لها في الحقيقة إلا الأنبياء والأوصياء والأئمة من آل محمد ﷺ وزعم أرباب السلوك أنهم من أهل هذه الدرجات تخرص ممحض وتشهي صرف، ما كل مدعى الفناء قد وصل، ولا كل من أدعى أنه قد خلع الصور لحق، ولندع هذه المسالك الوعرة والطرق الضيقة ولنسلك مع من يريد التأدب بالأدب الديني من حيث يعرف وحيث يقتدر وأما الشهيق والنھيق الصوفي والتواجد والاستغراق العرفاني المتخيّل فذاك للمتصنعين الذين تمرنوا عليه كما يتمرن الشاطر على العاب السيمباء ونقول: درجات الأدب الديني ثلاثة:

الدرجة الأولى: فعل الواجب وترك المحرم خاصة.

الدرجة الثانية: فعل المستحب وترك المكره مع ما تقدم وهذه أرقى من الأولى.

الدرجة الثالثة: وهي أرفع الدرجات رفض المباحثات منع ذلك وهي عين التخلّي لأن الدنيا وما فيها والأنقطاع إلى خدمة رب العباد وتكون هذه الدرجة أول درجات الفناء في الله لأنه إذا تجاوزها استغرق ورأى أن لا شيء سواه فإذا تجاوزها خرج إلى الغيبة عن رسم الحس وحصلت له درجة الكشف والشهاد.

(١) هذا على مسلك الصوفية المجمدة وعبد الله الأنباري من الكرامية المجمدة كما ذكرناه في كتابنا كشف المستور عن مخازي الجمهور - مخطوط - ..

ما قبل في الأدب

والكلام في الأدب مطول ويتتنوع أنواعاً شتى وله فنون عديدة نتحرى منها الأقرب فالأيسر لينتفع به من أراد تهذيب نفسه ليصل إلى فضيلة الأدب حتى يتم لها الكمال الروحي، أما رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والأئمة في أولاده «عليهم سلام الله جمياً» فهم الذين علموا الناس الأدب.

ومن آداب رسول الله ﷺ ووصيته التي أوصى بها أبا ذر ذكرناها في ترجمته من كتابنا «الميزان الراجع» ووصيته التي أوصى بها وصيه أمير المؤمنين «عليه السلام» وكلتاهم في نهاية العظمة حافلتان بالأداب، وقد روى ذلك الشيخ الطوسي في الأمالي والصدقوق في الفقيه والطبرسي في مكارم الأخلاق وغيرهم وكل واحدة من الوصيتيين مشتملة على أكثر الأحكام الشرعية أفعالاً وتروكاً ومنعنا من إيرادهما طولهما، وكلمات رسول الله ﷺ القصار الحكمية المسمات بجموع الحكم مشهورة، فاما أمير المؤمنين «عليه السلام» فأكثر خطبه في الوعظ وهي في آداب الشرع قوله وصيتان لابنه محمد بن الحنفية ذكر فيهما أكثر الأدب رواهما الصدقوق في الفقيه ووصية لولده الحسن «عليه السلام» رواها الشريف الرضي في نهج البلاغة، وأما كلماته القصار والمسمات بجموع العلم وغرض الحكم فأورد الشريف الرضي كثيراً منها في نهج البلاغة وجمع منها ابن أبي الحديد ألف كلمة نافعة وألف الآمي منها كتاباً سماه غر الحكم وأختار منها الجاحظ مائة كلمة إعجاباً بها ذكرها في مفتاح الأفكار، وكذلك سائر الأئمة روى لهم الكليني والصدقوق كثيراً وجمع في تحف العقول من كلامهم المطول وكلماتهم القصار كتاباً سمي بهذا الاسم وأصل الكل كتاب الله الذي فيه تبيان كل شيء.

نحو قوله تعالى: «لِكَيْلَا تَأْسُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا مَاتَكُمْ»^(١)
هذه الآية عظيمة في التسلية وكسر نخوة التفاخر.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَأْشِرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(٢) وأثرها عظيم في الطلب وفيها من التنزيه عن المطامع الزائدة على أصل القوت الذي يجر إلى الوقوع في الشبهات والمحرمات فإن المقتضى في المطعم يكفيه ما يقيم صلبه ويكسر سورة الجوع، والإسراف إنما هو لطلب الزائد على قدر الحاجة.

(٢) الأعراف: ٣١

الحاديـد: ٢٣)

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمِشْ فِي الْأَرْضِ مَرْحَّاً﴾^(١)، ﴿وَلَا تُصْعِرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ﴾^(٢)، ﴿وَأَقِصِّدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾^(٣)، ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْسِفُ وَتُسْلِمُوا﴾^(٤)، ﴿وَلَا تَجْسِسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾^(٥)، ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾^(٦)، ﴿وَلَا تَنَابِزُوا بِالْأَلْقَبِ﴾^(٧)، ﴿فَقُولَا لَهُ فَوْلَا لِتَنَا﴾^(٨)، ﴿وَجَدِيلُهُمْ بِالْيَقِينِ هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٩)، ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَغْنَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَغْرَاجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ مَآبَائِكُمْ﴾^(١٠)، الآيات وهي كثيرة يجدها القارئ في الكتاب المجيد.

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد^(١١): أول ما بدأ به أدب النبي ﷺ ثم أدبه لأمته ثم الحكماء والعلماء، وقد أدب الله تعالى نبيه ﷺ بأحسن الآداب كلها فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَسْطِعْكَ كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدْ مَلُومًا مَخْسُورًا﴾^(١٢) فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير، وأمره بتوسيط الحالين كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْرُؤُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾^(١٣) وقد جمع الله لنبيه ﷺ جوامع الكلم ونظم له مكارم الأخلاق كلها في ثلاث كلمات فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمِنْ بِالْعُرْفِ وَأَغْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(١٤) ففي أخذه العفو صلة من قطعه والصفح عن ظلمه، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وغض الطرف عن المحارم وصون اللسان عن الكذب، وفي الإعراض عن الجاهلين تزه النفس عن ممارسات السفيه ومنازعة اللجوء.

ثم أمره تعالى فيما أدبه من اللين في عريكته والرفق بأمته فقال: ﴿وَلَا تُخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ أَبْعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٥)، وقال: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظَّا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١٦)، وقال تعالى: ﴿وَلَا شَتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا أَسْتَيْثُ أَدْفَعْ بِإِلَيْنِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَذَّوْ كَانَهُ وَلِيَ حَمِيمٌ﴾^(١٧)، ثم قال: قال النبي ﷺ فيما أدبه بأمته وحضر عليه من مكارم الأخلاق وجميل المعاشرة وإصلاح ذات البين وصلة

(١) الإسراء: ٣٧.

(٢) لقمان: ١٨.

(٣) لقمان: ١٩.

(٤) النور: ٢٧.

(٥) الحجرات: ١٢.

(٦) طه: ٤٤.

(٧) الحجرات: ١١.

(٨) النور: ٦١.

(٩) النحل: ١٢٥.

(١١) العقد الفريدة ١/٣٦٠.

(١٣) الفرقان: ٦٧.

(١٤) الأعراف: ١٩٩.

(١٥) الشعراة: ٢١٥.

(١٦) آل عمران: ١٥٩.

(١٧) فصلت: ٣٤.

الأرحام فقال ﷺ: أوصاني ربِّي بِتَسْعِ أُوصِيكُمْ بِمَا أُوصَانِي: بالإخلاص في السر والعلانية: والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقير، وأن أعفوا عنمن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكراً ونطقني ذكرأً.

ثم قال ﷺ: أنهاكم عن قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال.
وقال ﷺ: لا تقدعوا على ظهر الطريق فإن أنتم أبيتم فغضوا الأبصار، وأفسوا السلام، وأهدوا الضلال، وأعینوا الضعيف.

وقال ﷺ: أوكثروا السقاء وأكفؤوا الإناء وأغلقوا الأبواب وأطفئوا المصباح فإن الشيطان لا يفتح مغلقاً ولا كفيتاً ولا يكشف إناء.

وقال ﷺ: ألا أنبئكم بشر الناس؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: من أكل وحده ومنع رفده وجلد عبده، ثم قال ﷺ: ألا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: من يبغض الناس ويبغضونه.

وقال ﷺ: حصنوا أموالكم بالزكاة، ودواروا مرضاكم بالصدقة، وأستقبلوا البلاء بالدعاة.

وقال ﷺ: ما قل وكفى خير مما كثر وألهى.
وذكر كثيراً ولأجل التيمن ذكرنا هذا، أما كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» فمن المائة التي انتخبها الجاحظ واختارها:
لو كشف لي الغطاء ما ازدلت يقيناً.
الناس نيا م فإذا ماتوا اتبهوا.

الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم.

ما هلك امرؤ عرف قدره.

المرء مخبوء تحت لسانه.

من عذب لسانه كثُر إخوانه.

بالبر يستعبد الحر.

بشر مال البخيل بحادث أو وارد.

لا تنظر إلى من قال.

لا ظفر مع البغي.

الجزع عند البلاء تمام المحنـة.

لا شاء مع كبر، ولا برم مع شح، لا صحة مع نهم، لا شرف مع سوء أدب،
لا اجتناب لمحرم مع حرص، لا محبة مع مراء، لا سؤدد مع انتقام، لا راحة
لحسود، لا زيارة مع دعارة، لا صواب مع ترك المشورة، لا مروءة لكذوب، لا
وفاء لمول، لا عز أعز من التقى، لا شرف أعلى من الإسلام، لا معقل أحرز من
الورع، لا شفيع أنجح من التوبة، لا داء أعيى من الجهل، لا مرض أضنى من قلة
العقل.

لسانك يقتضيك ما عوّدته.

المرء عدو ما جهل.

لا ظهير كالمشاورة الخ.

وإن أردتها بتمامها فأطلبها من مفتاح الأفكار لأحمد مفتاح^(١).

بعض كلمات الحكماء في الأدب:

عن العقد^(٢): أوصى بعض الحكماء بنـيه فقال: الأدب أكرم الجوادر طبيعة،
 وأنفسها قيمة، يرفع الأحساب الوضعية، ويعز بلا عشيرة، ويكثر الانصار بلا رزية
فالبسوه حلة وتزيـنوه خلة، يؤنسكم في الوحشة، ويجمع لكم القلوب المختلفة.
وقال شبيب بن شبة: أطلبوا الأدب فإنه مادة العقل ودليل على المروءة
وصاحب في الغربة ومؤنس في الوحشة وصلة في المجلس.

قال بعض الحكماء: إنـعلمـ إنـجاـهـاـ بالـمـالـ إنـماـ يـصـحـبـكـ ماـ صـحـبـكـ المـالـ،
وجـاهـاـ بـالـأـدـبـ غـيرـ زـائـلـ عنـكـ.

وقال ابن المقفع: إذا أكرـمـكـ النـاسـ لـمـالـ أوـ لـسـلـطـانـ فـلـاـ يـعـجـبـكـ ذـلـكـ فإنـ
الـكـرـامـةـ تـزـوـلـ بـزـوـالـهـماـ،ـ وـلـيـعـجـبـكـ إـذـاـ أـكـرـمـوكـ لـدـينـ أوـ أـدـبـ.

وقال الأحنف بن قيس: رأس الأدب المنطق، ولا خير في قول إلا بفعل،
ولا في مال إلا بجود، ولا في صدق إلا بنية، ولا في صديق إلا بوفاء، ولا في
فقه إلا بورع.

وقال النضلة الزبيدي: لا يستغني الأديب عن ثلاثة وأثنين: أما الثالث
بالبلاغة والفصاحة وحسن العبارة، وأما الإثنان فالعلم وبالأثر والحفظ للخبر.

وقالوا: الحسب يحتاج إلى الأدب، والمعرفة محتاجة إلى التجربة، وهذا
كثير، أما الشعر فمنه قول بعضهم:

(٢) العقد الفريد: ص ١١٥.

(١) مفتاح الأفكار: أحمد مفتاح.

وَمَا السِيفُ إِلَّا زَهْرَةٌ لَوْ تَرَكْتَهُ عَلَى الْحَلْقَةِ الْأُولَى لِمَا كَانَ يَقْطَعُ
وَقَالَ آخَرُ :

وَمَا وَهَبَ اللَّهُ لَا مَرِئَ هَبَةٌ
هَمَا حَيَاةُ الْفَتَىٰ فَإِنْ فَقَدَا
أَفْضَلُ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدْبَهِ
فَإِنْ فَقَدَ الْحَيَاةَ أَجْمَلُ بَهِ

رأيت صلاح المرء يصلح أهله
يعظم في الدنيا لفضل صلاحه
وقال ابن صرمة:

أوصيكم بالله أول وهلة وأحسابكم والبر بالله أول
وإن كنتموا أهل السيادة فأعدلوا وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهموا
وإن كان فضل المال فيكم فأفضلوا وإن أنتموا أعزتموا فتعففوا
وما حملوكم في الملمات فأحملوا وإن طلبوا عرفاً فلا تحرموهموا

آداب أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام»

قد جمع «عليه السلام» هذه الأنواع من الأدب التي أشرنا إليها جميعاً وهي الأدب العلمي الذي هو فن المنظوم والمنتور من الكلام العربي، والأدب الشرعي الذي هو عبارة عن المحافظة على ما ورد في الشرع، والأدب الروحاني العرفاني وهو عبارة عن تهذيب النفس عن ذميم الأخلاق، والأدب العقلي الذي هو عبارة عن مراعاة حقوق الاحترام لأهل الرفعة والمنصب السامي وقد استبان مما سبق تفوقة في الأدب العلمي والشرعى والعرفانى فيما ذكرناه فى علومه وعبادته.

وأما أدبه العقلي وهو السلوكي ففي سلوكه الأدبي الذي ظهر في صحبته لأخيه الإمام الحسين «عليه السلام» فسلوك الأبرار وطريقته طريقة الصالحة الأخيار، قد قضى حياته معه لا يرد عليه قولًا ولا يعارضه في فعل، وإذا أمره مرضى لأمره، وإذا وجده في مهم لا يبرم أمراً ولا ينقضه حتى يطالع رأيه ويحيل ذلك إلى فكره قبولاً ورداً.

ولم يخاطبه مدة حياته إلا بقوله: سيدى أو يا ابن رسول الله، وما جرى
مجراهما من المخاطبات الدالة على الاحترام، ويعرض كثيراً عن الخطاب بالإخوة
وإن نطق بها أحياناً لعلمه أنها تشعر بالكفاءة، وإنها مما يخاطب بها الأ��اء

الأكفاء فيصلح مثل ذلك للحسين «عليه السلام» في خطاب الحسن «عليه السلام»، أما من عداهما من ولد علي «عليه السلام» فلا يخاطبهما بمثل هذا الخطاب المشعر بالمكافأة والمساوات وإنما يصلح لهم من باب الأدب أن يخاطبواهما بخطاب العبد للمولى والمسود للسيد، ولا كفوء للحسين «عليه السلام» في نظر العباس «عليه السلام» وإن كان هو أخوه النسبي وابن أبيه لكنه كان يجله ويحترمه ويرى أنه سيده وإمامه وابن رسول الله ﷺ فيرى أن هذا هو الأصوب والأوفق لذلك كان لا يخاطبه إلا بسيدي يا ابن رسول الله، أو يكنيه بأبي عبد الله أو ما شابه ذلك إلا في موارد الحنان والإشفاق كما قال محمد بن الحنفية في عزم الحسين «عليه السلام» على الخروج قال له: يا أخي! أنت أحب الناس إلى وأعزهم على، القصة المشهورة، فهذا خطاب حنان وعطف أدى مثله العباس بن أمير المؤمنين «عليهم السلام» عند آخر نقطة من حياته وقرب الوقت الذي لفظ فيه نفسه الزكية وذلك عند سقوطه على شاطئ العلقمي مقطوع اليدين مفضوخ إلهامة ومخ رأسه يسيل على وجهه والسمسم قد شک عينه، فنادى: السلام عليك يا أبا عبد الله أدركتني يا أخي، هذه الكلمة الحنان اللاذعة والتي كان الحسين «عليه السلام» يشتتني أن يسمعها من أخيه أبي الفضل ويا للأسف أنها قارنت الأحزان الموجعة لقلب الحسين «عليه السلام» وقد كان يود سماعها مقترنة بالمسرة والأبهاج لأن مثل هذا الأخ المصافي والشقيق المهدب إذا خاطب الأخ العظيم المحترم في بعض الآناة بلفظ الأخوة فإنه يتذ ويستيقن لسماعها ففاه أبو الفضل بهذه الكلمة عندما أزف على فراقه وإن خلى بعض المقاتل عن ذكرها لكن المعروف أنه قال: أدركتني يا أخي، مع قوله: يا أبا عبد الله ويا ابن رسول الله، فروى كل ما وصل إليه.

ويدل على أدب العباس «عليه السلام» القصة التاريخية المشهورة وقد رواها جماعة منهم الشيخ المفيد والطبراني في التاريخ وهي قصة زحف عسكر ابن سعد على الحسين «عليه السلام» عصر الخميس نهار التاسع من المحرم وإن الحسين «عليه السلام» أرسل العباس بن علي «عليهم السلام» إليهم ليعرف أمرهم وإنهم أخبروه أنهم يريدون نزول الحسين «عليه السلام» على حكم ابن زياد أو قتلها، والعباس يعلم أن الحسين «عليه السلام» لا ينزل على حكم الداعي لكنه سلك طريق الأدب مع أخيه الحسين «عليه السلام» فلم يقل إنه لا ينزل على حكم ابن زياد بل لهم: لاتتعجلوا حتى أرجع إليه وأخبره بما ذكرتم، هذا ما رواه المفيد

والطبرى، وما رواه غيرهما من أهل المقاتل إنه قال: لسنا ندرى الآن ما رأيه، وعلى كلا القولين فقد سلك طريق الأدب بأنه لم يجب على حسب علمه حتى رجع إلى أخيه الحسين «عليه السلام» وأخبره، وخذ القصة بتفصيلها من التاريخ وهذه مرتبة عظيمة من مراتب الأدب السلوكي تدل على معرفة محكمة بحق الإمام. ويقول صاحب معالى السبطين^(١) إنه ما كان يجلس بين يدي الحسين «عليه السلام» إلا بإذنه، كان له كالعبد الذليل بين يدي المولى الجليل ممثلاً لأوامره ونواهيه، مطيناً له، وكان له كما كان أبوه لرسول الله ﷺ، ومن تأدبه لم يكن يخاطب الحسين «عليه السلام» إلا ويقول له: يا سيدي، يا أبا عبد الله، يا ابن رسول الله، ما كان يخاطبه بالأخوة قيل مدة عمره إلا مرة واحدة خاطب الحسين «عليه السلام» بالأخوة وهي الساعة التي ضربوه بالعمود الخ.

وليس الأمر كما ذكر بل خاطبه قبلها أخي كما في القصة التي أشرنا إليها من حديث زحف القوم وإنه قال: يا أخي! أتاك القوم حسبيما رواه المفيد والطبرى وغيرهما لكنه قليل بالنسبة إلى سائر المقامات فإن سلوكه بها بخطاب التعظيم له.

للمؤلف:

آداب شبل علي أفضلي الأدب
عن الوصي علي وهو والده
وانما أفضلي الأدب ما أخذت
ما قال للسبط إلا سيدي أبداً
إلا قليلاً ومنها عند مصرعه
أراد يوفيه حقاً لـ الأخوة لم
فظنها حسرة تبقى بمهرجه
ورام تجديد عهد بالحسين وقد
فجائه السبط بادي الحزن مكتئباً
ألفاه مثل هلال خر من أفق
أهوى عليه ودموع العين منحدر
نادى أبا الفضل من يحمي حماك ومن

في الدين موروثة عن سادة العرب
وسيد الرسل طه خير منتجب
تعلمأ عن وصي صادق ونبي
ولم يقل يا أخي يوماً ويا ابن أبي
نادي أخي ونداءه واضح السبب
يفصح به قبل ذا في سالف الحقب
وماله بسوها قط من إرب
حـمـ الفـرـاقـ وـجـدـ المـوـتـ فـيـ الـطـلـبـ
يـكـفـ الدـمـعـ بـالـكـمـيـنـ ذـاـ كـرـبـ
تـذـرـيـ الـرـيـاحـ عـلـيـهـ سـافـيـ التـرـبـ
مـثـلـ الـجـمـانـ عـلـىـ خـدـيـنـ كـالـذـهـبـ
نـادـىـ أـبـاـ فـضـلـ فـقـمـ يـافـارـسـ الـعـربـ

نحو المخيم بادي الحزن والنصب
هادى تقول أخي قل لي وتلك أبي
من الأعادي بحد المرهف القشب
ومن يجود لنا بالبارد العذب
يازىنب البطل المغوار فأحتسبى
مثل السحاب بهطال ومنسكب
خذنى إليه ليسقيني من العذب
من دافع إنه قد خط في الكتب
إلى الجناب لجدى المصطفى وأبى
على السباء وهتك الستر والسلب
تم الجزء الثاني من كتاب بطل العلقمي حياة العباس الأكبر ابن أمير
المؤمنين «عليهمَا السلام»، والحمد لله أولاً وأخيراً، ويليه الجزء الثالث.

أرّخ عام طبع الكتاب «الجزء الثاني» الأستاذ خطيب الشعراة وشاعر الخطباء

الشيخ علي البازي بقوله:

فيه فضل العباس للناس ينشر
بطل الطف حين ضحى وكبر
أبد الدهر قط لم يتغير
يحظى فيه سواك والفضل يشكر
عز فيه النصير عن شبل حيدر
إذ لها قد خلقت من عالم الذر
«بطل العلقمي اسمك يذكر»

خير سفر به أتانا المظفر
جامع ناشر لما قام فيه
موقف خالد كخلد علاء
إيه ساق العطاشى فزت بما لم
كالمواسات للحسين بيوم
لم تر عك الخطوب مهما أدلهمت
كلما يذكر الحسين فائز

فهرس محتويات الجزء

الثاني

٥	مقدمة المؤلف
٥	والصلة والسلام على محمد وآلـهـ الغرـ المـيـامـين
٩	ولادة العباس الأـكـبـرـ «عليـهـ السـلـامـ» ومـقـدـارـ سـنـه
١٠	نشـأـةـ العـبـاسـ الـأـكـبـرـ وـتـرـبـيـتـه
١٠	صـفـاتـ العـبـاسـ النـفـسـيـةـ وـهـيـ الـأـخـلـاقـ
١٢	كنـىـ العـبـاسـ بـنـ عـلـيـ «عـلـيـهـماـ السـلـامـ»
١٢	أماـ الـكـيـتـاـنـ الـعـامـيـتـاـنـ
١٤	ألـقـابـ العـبـاسـ الـأـكـبـرـ «عليـهـ السـلـامـ»
١٤	ألـقـابـ العـبـاسـ الـأـكـبـرـ «عليـهـ السـلـامـ» (سـقـاءـ عـطـاشـيـ كـرـبـلاـءـ)
١٤	ألـقـابـ أبيـ الفـضـلـ العـبـاسـ «عليـهـ السـلـامـ»
١٥	الـسـقـاءـ،ـ أوـ سـقـاءـ عـطـاشـيـ كـرـبـلاـءـ
١٥	الـسـقاـيـةـ قـسـمـانـ
١٦	فالـسـقاـيـةـ
١٦	أماـ الـاستـسـقاءـ فـيـ الـجـدـبـ
١٧	وـالـنـوـعـ الـآـخـرـ مـنـ السـقاـيـةـ السـلـمـيـةـ
١٧	أماـ السـقاـيـةـ الـحـرـبـيـةـ
١٧	سـقاـيـةـ الـحـاجـ وـتـشـرـيـعـها
١٨	انتـقـالـ السـقاـيـةـ إـلـىـ عـبـدـ منـافـ
١٨	انتـقـالـ السـقاـيـةـ مـنـ عـبـدـ منـافـ إـلـىـ اـبـنـ هـاشـمـ وـحـفـيـدـهـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ
٢١	اماـ السـقاـيـةـ الـقـوـلـيـةـ
٢٢	الـاسـتـسـقاءـ بـأـبـيـ طـالـبـ «عليـهـ السـلـامـ»
٢٣	الـاسـتـسـقاءـ بـرـسـوـلـ اللـهـ ﷺ
٢٤	الـاسـتـسـقاءـ بـعـلـيـ وـالـحـسـنـيـنـ «عليـهـمـ السـلـامـ»
٢٤	الـاسـتـسـقاءـ بـأـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ «عليـهـ السـلـامـ»

الاستسقاء بالحسن والحسين «عليهما السلام» ٢٤
الاستسقاء بالعباس بن عبد المطلب ٢٥
ومن أنواع السقاية السليمة تفجر الماء من الأرض الصماء على جهة المعجزة والكرامة ٢٨
نوع العين لرسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز ٢٨
نوع العين لأمير المؤمنين «عليه السلام» في مسيرة إلى صفين ٢٨
نوع العين للحسين «عليه السلام» يوم كربلاء ٣٠
كلمة المؤلف حول هذه العجافية النكرا ٣٠
نوع العين لعبد الله بن جعفر ٣٢
من أنواع السقاية السلمية ٣٣
السقاية الحربية ٣٤
سقاية علي «عليه السلام» للصحابة يوم الحديبية ٣٦
سقاية الحسين «عليه السلام» لأهل العراق ٣٦
قدرة الحسين «عليه السلام» وعظمته ٣٨
سقاية أبي الفضل العباس «عليه السلام» لعطاشى كربلاء ٣٩
السقاة يوم كربلاء ثلاثة ٣٩
أما سقاية العباس «عليه السلام» ٤٠
السقاية الأولى ٤٠
السقاية الثانية لأبي الفضل «عليه السلام» ٤٤
ألقاب العباس «عليه السلام» ٤٧
من ألقاب العباس «عليه السلام» «كبش الكتيبة» ٤٧
قتل أمير المؤمنين «عليه السلام» لكبش الكتيبة ٤٨
كشف عمرو بن العاص وبسر بن أرطأة لعورتيهما ٥٠
تلقيب الأشرب بكبش العراق ٥١
وصف البطل بلكبش على جهة العموم ٥٣
لقب العباس بكبش كتبة الحسين «عليهما السلام» ٥٤
اختصاص أبي الفضل بكبش كتبة الحسين «عليهما السلام» ٥٤
من ألقاب العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» «حامى الظعن او حامي ظعينة كربلا» ٥٦

٥٩	من اشتهر بلقب حامي الظعن من العرب
٥٩	أخبار ربيعة بن مكدم في حماية الظعن
٦٢	حماية العباس «عليه السلام» للظعائن
٦٣	ومن ألقاب العباس «عليه السلام» «حامل اللواء»
٦٣	حمل اللواء عند الامم
٦٤	تحقيق معنى اللواء والفرق بينه وبين الرأية
٦٤	أول من عقد لواءً في العالم
٦٦	مساهمة الشعوب في عقد الألوية
٦٦	الألوية عند قدماء البابليين
٦٧	الألوية عند الملوك الإسلاميين في القرون الوسطى
٧٠	أعلام الدولة الحديثة ورایاتها
٧١	ألوية القبائل العربية ورایاتها
٧٢	حامية اللواء الأعظم
٧٣	تسلسل اللواء في بني هاشم
٧٤	اللواء مكرمة القبيلة
٧٦	لواء علي «عليه السلام» يوم صفين
٧٧	ألوية النبي ﷺ
٨٢	ألوية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» في حروبه
٨٢	حرب الجمل بالبصرة
٨٤	ألوية أمير المؤمنين «عليه السلام» ورایاته في صفين
٨٥	رایات أخماس أهل البصرة بصفين
٨٥	رایات أسبوع أهل الكوفة بصفين
٨٥	رایات القبائل والبطون
٨٧	ألوان رایات صفين
٨٧	حرب النهروان
٨٨	رایات الحسن والحسين «عليهما السلام»
٨٨	رایات الحسن السبط سبط رسول الله ﷺ
٨٨	ألوية الحسين «عليه السلام» ورایاته في حربه
٨٨	الحرب التي شهدتها الحسين «عليه السلام» بنفسه

من ألقاب العباس «عليه السلام» ٩٠
لقب العباس «عليه السلام» «الطيار» ٩٠
ألقاب العباس العامية ٩١
منها المستعجل ٩١
ومنها المضهضب ٩١
ومنها أبو الشارة ٩١
ومنها أبو رأس الحار ٩٢
ومنها الترهب ببيانه ٩٢
ومنها باب الحوائج ٩٢
ومنها المصفي بالياء المنقطة ٩٣
ومنها أبو فرجة ٩٣
صفات العباس الأكبر «عليه السلام» ٩٤
الصفات البدنية للعباس «عليه السلام» ٩٤
أثر الضخامة في الإرهاب ومدح البسطة الجسمية ٩٤
طوال القامة عند العرب ٩٦
امتداد القامة في قبيلتين من العرب ٩٧
الطول من بنى هاشم وغيرهم ٩٨
ذم القصر والاعتذار منه ١٠٢
نقد المؤلف للمبرد في وصف النبي ﷺ ١٠٢
طول العنق في الرجال وطول السواعد ١٠٥
البطولة عند العرب واجتماع خصالها في العباس الأكبر ١٠٧
البطولة في رأي الأمم الحرة ١٠٧
قمر بنى هاشم حسن وجماله ١٠٨
السر في قبح الدمامنة ورأي الطبيعين ١١١
جمال النبي ﷺ وأهل بيته «عليهم السلام» ١١٢
أنواع الجمال ١١٣
صفة النبي محمد ﷺ ١١٦
صفة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ١١٦
صفة سيدتنا فاطمة الزهراء بنت رسوله ﷺ ١١٧

صفة الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ ١١٧
صفة الحسين بن علي «عليهما السلام» سبط رسول الله ﷺ ١١٧
مدح العرب ساداتها وأشرافها بالجمال ١١٩
ذم الدمام ١٢٢
جمال أبي الفضل العباس «عليه السلام» ١٢٣
صفات العباس النفسية وهي الأخلاق ١٢٥
الأخلاق والصفات النفسية ١٢٥
الألف والعادة خلق مكتسب ١٢٩
الميل والانجداب الطبيعيان ١٣٠
حقيقة الرياضة والمجاهدة ١٣١
رأي المصنف في رياضة الصوفية ١٣٤
قبول الحيوانات للتربية والتعليم ١٣٨
الجواد المدرّب وذكاء الخيل ١٤٠
أخلاق العباس «عليه السلام» وسجاياه ١٤٢
كرم العباس الأكبر وسخاؤه ١٤٣
الجود من صفاتبني هاشم الراسخة ١٤٣
علم العباس الأكبر «عليه السلام» وفقهه ١٤٧
علم العباس «عليه السلام» بالعرفانيات ١٥٤
توضيح درجات اليقين ١٥٥
فصاحة العباس الأكبر «عليه السلام» ١٦٠
شجاعة العباس الأكبر «عليه السلام» ١٦٣
بيان ما هي الشجاعة وحقيقةتها ١٦٣
الشجاعة عرض أم غريرة ١٦٣
معنى الشجاعة لغة ١٦٣
معنى الشجاعة وحقيقةتها عقلاً ١٦٤
الصفات المندرجة تحت الشجاعة ١٦٥
الشجاعة بالتمرین والممارسة ١٦٧
الشجاعة بين نقىضين ذميين ١٦٧
التفرقة بين التشجيع والشجاعة ١٦٧

١٧١	نقد كلام ابن مسکویه
١٧٣	ثمرة الشجاعة وفوائدها
١٧٤	مظاهر الشجاعة وأسبابها المهيجة لها والمثيرة لعواطف الفرسان
١٧٥	الأسباب والدواعي للشجاعة
١٧٦	نقد المؤلف للجاحظ
١٧٨	الشجاعة مفخرة للعرب
١٧٩	ما قيل في الشجاعة والشجعان
١٨١	غايات الشجعان ومقاصدهم
١٨١	من مقاصد أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين علي «عليهما السلام»
١٨٢	شجاعة العباس الأكبر
١٨٢	حضور العباس «عليه السلام» صفين
١٨٥	اعتذار المؤلف عن التواريخ العجمية
١٨٨	إثبات شجاعة العباس بن علي «عليهما السلام»
١٩١	ترجيح قول الطريحي (رحمه الله)
١٩٣	وفاء العباس الأكبر «عليه السلام»
١٩٣	مظاهر الوفاء
١٩٣	معنى الوفاء لغة
١٩٤	معنى الوفاء عرفاً وعقلاً
١٩٤	مدح الوفاء وتوكيد الالتزام به
١٩٤	ثمرة الوفاء وفوائده
١٩٧	الوافون من العرب
٢٠٤	وفاء العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» والنصل عليه
٢٠٥	إباء العباس الأكبر «عليه السلام»
٢٠٦	معنى الإباء لغةً وعقلاً
٢٠٦	معنى الإباء لغة
٢٠٦	معنى الإباء العقلي
٢٠٧	أسباب الإباء وثمراته
٢٠٧	الإباء من خصاخص العرب
٢٠٨	أشعار العرب في الإباء

٢١١	الأبون من العرب والأنفون من زعمائهم
٢١٢	القسم الأول من أباء العرب وأحرارها
٢١٦	القسم الثاني الأنفون من الهوان
٢٢٠	القسم الثالث الأنفون لاهتضام الحرم
٢٢١	ومنهم قيس بن عاصم المنقري التميمي السعدي
٢٢٢	ومنهم خالد بن جعفر العامري الكلابي
٢٢٢	ومنهم أكل المرار الكندي الملك
٢٢٦	القسم الرابع الأنفون من الاستبعاد الناهضون بالإصلاح
٢٢٦	هو سيد الشهداء
٢٢٨	السبب في أمر الحسين «عليه السلام» أ أصحابه بالتفرق
٢٢٩	رفض أصحابه الرخصة في الانصراف عنه
٢٣٠	نقد المؤلف لابن أبي الحديد في إباء الحسين «عليه السلام»
٢٣٤	نقد المؤلف لابن أبي الحديد في عده آل الزبير وغيرهم كالحسين «عليه السلام» ..
٢٣٦	إباء أبي الفضل بن أمير المؤمنين «عليهما السلام»
٢٣٩	ومن صفات العباس بن علي «عليه السلام» التفسية الموسات
٢٣٩	الفرق بين الموسات والإيثار
٢٤٠	معنى الموسات لغة
٢٤٠	معنى الموسات العقلي
٢٤٢	الموسات عند العرب
٢٤٢	وأما أمثال العرب في الموسات
٢٤٥	فائدة الموسات وثمرتها
٢٤٦	موسات العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام»
٢٤٧	من صفات العباس بن أمير المؤمنين المناصحة للحسين «عليهم السلام»
٢٤٨	معنى النصيحة والمناصحة لغة
٢٤٩	ظواهر النصيحة وأسبابها وثمراتها
٢٤٩	أما ظواهرها
٢٤٩	أسباب المناصحة
٢٤٩	ثمرات المناصحة
٢٥٠	الأدلة على فضيلة المناصحة

الحث على قبول النصيحة ٢٥٠
صعوبة قبول النصيحة ٢٥١
رد النصيحة مقررون بالنكبة ٢٥٢
هلاك من رد النصيحة ٢٥٥
رد أهل الكوفة نصيحة الناصحين ٢٥٧
المناصحة للإمام المعصوم «عليه السلام» ٢٥٩
نصيحة صادفت قبولاً ٢٦١
مناصحة أبي الفضل ابن أمير المؤمنين لأخيه الحسين «عليهم السلام» ٢٦٢
أما المناصحة الفعلية ٢٦٣
أما الشعر في مدح العباس «عليه السلام» بالمناصحة ٢٦٥
ومن صفات العباس الأكبر ابن أمير المؤمنين «عليهما السلام» الإيثار ٢٦٥
معنى الإيثار لغة ٢٦٥
معنى الإيثار العرفاني والفرق بينه وبين المواتات ٢٦٦
المرتبة الثانية ٢٦٨
الدلالة على رجحان الإيثار ٢٦٩
القسم الأول من الإيثار ٢٧٠
كعب بن مامة الأيداري أشهر العرب في الإيثار بالنفس ٢٧٠
سماك بن عمرو العاملبي ٢٧١
مبيت أمير المؤمنين «عليه السلام» على فراش النبي ﷺ ٢٧٣
المؤثرون بأنفسهم في الإسلام ٢٧٣
نادرة عجيبة في الإيثار ٢٧٥
إيثار أنصار الحسين بن علي «عليه السلام» له ٢٧٦
القسم الثاني من الإيثار ٢٧٧
حاتم بن عبد الله الطائي ٢٧٨
المؤثرون في الإسلام ٢٧٩
إيثار أهل البيت «عليهم السلام»، ونزول «هل أتى؟» ٢٨٠
أما إيثار أهل بيته فكثير ٢٨٠
إيثار أبي ذر الغفارى ٢٨٤
إيثار العباس الأكبر ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهما السلام» ٢٨٤

٢٨٩	ومن صفات العباس «عليه السلام» الزهد والنسك
٢٨٩	كلمة المؤلف في الزهد
٢٩٠	معنى الزهد لغة
٢٩١	معنى الزهد العرفاني
٢٩١	الزهد في الأحاديث
٢٩٢	مدح الزهد ورجحانه
٢٩٢	حقيقة الزهد وأسبابه
٢٩٣	أسباب الزهد والبواعث عليه
٢٩٣	ثمرات الزهد وفوائده
٢٩٣	ثمراته كثيرة وفوائده جمة ومنافعه شتى دنيوية وأخروية
٢٩٤	أما ثمرات الزهد
٢٩٥	أقسام الزهد وأنواعه
٢٩٦	زهد العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام»
٣٠١	عبادة العباس الأكبر «عليه السلام»
٣٠٢	حقيقة العبادة
٣٠٢	ثمرات العبادة وفوائدها
٣٠٣	أنواع العبادة
٣٠٦	دلائل العبادة وعلاماتها
٣٠٩	تكليف الأعضاء
٣٠٩	بسط العبادة على الأعضاء
٣١٤	عبادة العباس ابن أمير المؤمنين «عليهما السلام»
٣١٨	بصيرة العباس الأكبر «عليه السلام»
٣١٩	معنى الإيمان لغة
٣٢٠	معنى الإيمان شرعاً
٣٢١	حقيقة الإيمان
٣٢٢	الفرق بين الإسلام والإيمان
٣٢٣	أما الإيمان
٣٢٦	دعائم الإيمان وأركانه
٣٢٧	أنواع الإيمان

٣٢٧	ثمرات الإيمان وفوائده
٣٢٨	دلائل الإيمان وعلماته
٣٢٩	درجات الإيمان
٣٣١	البصيرة في الدين وهي ثمرة الإيمان
٣٣٤	معنى البصيرة لغة
٣٣٤	معناها العامي
٣٣٤	معناها العقلي والشرعى
٣٣٨	درجات البصيرة
٣٤٠	إيمان العباس بن أمير المؤمنين «عليهمما السلام» وبصيرته
٣٤٢	آداب العباس الأكبر «عليه السلام»
٣٤٢	أنواع الآداب ومعناها وأقسامها
٣٤٣	معنى الأدب في اللغة
٣٤٧	معنى الأدب العقلي العرفاني
٣٤٨	درجات الأدب ومراتبه
٣٥١	ما قيل في الأدب
٣٥٤	بعض كلمات الحكماء في الأدب
٣٥٥	آداب أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين «عليهمما السلام»

المكتبة الالكترونية الشاملة

لرفع ونشر الكتب pdf

(الأداره: يوسف الرميض)